تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

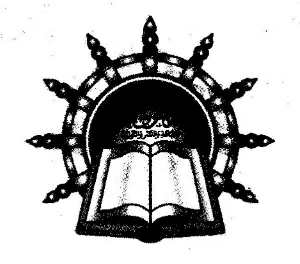
مكة المكرمة

المجلد التاسع

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار طوق النجاة

بيروت - لبنان

تفسير

حدائق الروح والريحان

في

روابي علوم القرآن


بسم الله الرحمن الرحيم

شعرٌ

جَزَىٰ ٱللَّهُ خَيْراً مَنْ تَأَمَّلَ صَنْعَتِيْ   وَقَابَلَ مَا فِيْهَا مِنَ ٱلسَّهْوِ بِٱلْعَفْوِ
وَأَصْلَحَ مَا أَخْطَأْتُ فِيْهِ بِفَضْلِهِ   وَفِطْنَتِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ سَهْوِيْ
وَلِبَنِيْ ثَمَانِ وَخَمْسِيْنَ سَنَهْ   مَعْذِرَةٌ مَقْبُوْلَةٌ مُسْتَحْسَنَهْ

آخرُ

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيْحاً   لأَجْلِ كَوْنِ فَهْمِهِ قَبِيْحَا
وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ صَافِيْ ٱلْعَسَلْ   وَٱخْتَارَ لِنَفْسِهِ شَوْيَّ ٱلْبَصَلْ
لأَجْلِ مَرَضِهِ ٱلْعُضَالِ   قَدْ أَعْيَا الأَطِبَّةَ ٱلْفُضَّالِ
مِنْ حَسَدٍ وَكِبْرٍ وَعُجْبِ   وِغِلٍّ وَحِقْدٍ أَيَّ ذَنْبِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله على إفضاله والشكر له على نواله والصلاة والسلام على نبينه محمد صلى الله عليه وسلم وآله.

أما بعد: فإني لما فرغت من شرح الجزء السابع من القرآن الكريم بتوفيقه وتيسيره.. أردتُ أن أشرع في شرح الجزء الثامن منه بعون الله وفضله، فقلت مستمداً منه تعالى:

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ
وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾
أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ
لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن
سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ
إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ
ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ
يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما

قبلها: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والبعث، واقتراح المشركين بعض الآيات على رسول الله ﷺ.. ذكر هنا أن رؤية المعجزات لن تفيد من عميت بصيرته، وأنه لو أتاهم بالآيات التي اقترحوها من إنزال الملائكة وإحياء الموتى حتى يكلموهم، وحشر السباع والدواب والطيور وشهادتهم بصدق الرسول.. ما آمنوا بمحمد ﷺ وبالقرآن؛ لتعرقهم وتأصلهم في الضلال.

وعبارة المراغي هنا: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] بين في الآيات السابقة أن مقترحي الآيات الكونية أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، وبما تدل عليه من صدق الرسول في دعوى الرسالة، وأن المؤمنين كانوا يودون لو أجيب اقتراحهم ظنًّا منهم أن ذلك مفض إلى إيمانهم، وذكر لهم خطأهم بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فأفاد أن سننه فيهم وفي أمثالهم من المعاندين أنهم إذا رأوا آية تدل على خلاف ما يعتقدون نظروا إليها نظرة إنكار وجحود وحملوها على أنها؛ إما خديعة وسحر، وإما أنها من أساطير الأولين.. ذكر هنا ما هو أبلغُ من ذلك، وفصل الإجمال الماضي في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فأيأس النبي ﷺ من إيمانهم ولو جاءهم بكل آية وأتى لهم بكل دليل. انتهت.

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين[2] في سابق الآيات أن الذين اقترحوا الآيات الكونية، وأقسموا أنهم يؤمنون إذا جاءتهم كاذبون في أيمانهم، وأنهم ما هم إلا من شياطين الإنس الذين يُوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وأن دأبهم صرف الناس عن اتباع الحق، وتزيين الباطل فيغتر من لا يؤمن بالآخرة، ويرضى بهم لموافقتهم أهواءه.. ذكر هنا الآية الكبرى؛ وهي القرآن الكريم، فهو أقوى الأدلة على رسالة نبيه ﷺ من جميع ما اقترحوه، وهو الذي يجب الرجوعُ إليه في أمر الرسالة واتباع حكمه فيها دون

---

(١) المراغي.
(٢) المراغي.

أولئك الضالين المبطلين من شياطين الإنس والجن.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] أجاب عن شبهات الكفار، وبين بالدليل صحة نبوة محمد ﷺ.. ذكر هنا أنه لا ينبغي الالتفات إلى ما يقوله هؤلاء الجهال؛ لأنهم يسلكون سبيل الضلال والإضلال، ويتبعون الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله، فلا ينبغي الركون إليهم والعمل بآرائهم.

وفي سياق الحديث ذكر أن أكثر الأمم في عهد بعثة محمد ﷺ كانوا ضُلاّلاً يغلب عليهم الشرك، بعد أن أبان ضلال مشركي العرب ومن على شاكلتهم في عقائدهم، ثم أردف ذلك ببيان مسألة هامة لها خطر، وهي من أصول الشرك، تلك هي مسألة الذبائح لغير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ...﴾الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما تضمنت[2] الآية التي قبلها الإنكار على اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال، وكانوا يسمون في كثير مما يذبحونه اسم آلهتهم.. أمر المؤمنين بأكل ما سمي على ذكاته اسم الله تعالى لا غيره من آلهتهم أمر إباحة، وما ذكر اسم الله عليه فهو المذكى لا ما مات حتف أنفه.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[3] أنه قال: المستهزؤون بالقرآن كانوا خمسةً: الوليدُ بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحارث بن حنظلة، ثم

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراح وزاد المسير.

إنهم أتوا رسول الله ﷺ في رهط من أهل مكة، وقالوا له: أرنا الملائكة يشهدوا بأنك رسول الله، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقوله أم باطل، أو ائتنا بالله والملائكة قبيلاً؛ أي: كفيلاً على صحة ما تدعيه، فنزلت هذه الآية، وقال ابن الجوزي: رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت من أحبار النصارى؛ ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية. ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية، سبب نزولها: أن الكفار قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ...﴾ الآية، سبب نزولها[2]: أن الله تعالى لما حرم الميتة قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم ـ يريدون الميتة ـ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال السيوطي: قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[3]: ما رواه أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

وأخرج[4] أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قالوا: ما ذبح الله لا

(١) زاد المسير.
(٢) زاد المسير.
(٣) لباب النقول.
(٤) لباب النقول.

تأكلون وما ذبحتم أنتم تأكلون؟ فأنزل الله هذه الآية. وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.. أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً، فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب؛ يعني الميتة، فهو حرام؟! فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قال: الشياطينُ من فارس، وأولياؤهم قريش.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾؛ أي: أنزلنا على هؤلاء المشركين ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما طلبوا في قولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ فرأوهم بأعينهم المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة، وسمعوا بآذانهم شهادتهم لك بالرسالة ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من القبور كما طلبوا في قولهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ بأن نحييهم لهم، ونجعلهم حجة على صدق ما جئت به من الرسالة بأن أقروا بأن محمداً رسول الله، والقرآن كلام الله تعالى. ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي وجمعنا على هؤلاء المستهزئين زيادة على ما اقترحوه ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ من أصناف المخلوقات كالسباع والطيور حالة كونهم ﴿قُبُلًا﴾؛ أي: كفلاً بصدق محمد ﷺ مقرين له، أو المعنى: وجمعنا عليهم كلَّ شيء من المخلوقات قبلاً؛ أي: فوجاً فوجاً، وجماعة جماعة، وصنفاً صنفاً، أو المعنى: وحشرنا عليهم قبلاً؛ أي: مقابلة ومعاينة ﴿مَّا كَانُوا۟﴾؛ أي: ما كان هؤلاء المشركون ﴿لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إيمانهم؛ أي: ولو أظهر الله سبحانه وتعالى جميع تلك الأشياء العجيبة الغريبة لهؤلاء الكفار، فإنهم لا يؤمنون في حال من الأحوال الداعية إلى الايمان إلا في حال مشيئة الله تعالى لإيمانهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: أكثر المؤمنين ﴿يَجْهَلُونَ﴾ عدم إيمانهم؛ أي: أن الكفار لو أوتوا بكل آية.. لم يؤمنوا، ولكن أكثر المؤمنين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات؛ لجهلِهم عدم مشيئة الله تعالى لإيمانهم، فيتمنون مجيئها طمعاً فيما لا يكون؛ ولذلك يتمنى بعض المؤمنين لو يؤتى مقترحوا الآيات ما اقترحوا ظناً منهم أن ذلك يكون سبب إيمانهم مع أن الآيات لا تلزمهم الإيمان، ولا تغير

طباع البشر في اختيار ما يترجح لدى كل منهم بحسب ما يؤدي إليه فكره وعقله، ولو شاء الله لخلق الايمان في قلوبهم خلقاً بحيث لا يكون لهم فيه عمل ولا اختيار، وحينئذ لا يكونون محتاجين إلى الرسل، كما أنه لو شاء جعل الآيات مغيرة لطبائع البشر، وملزمة لهم أن يؤمنوا، فيكون الإيمان إلجاءً وقسراً لا اختياراً وكسباً، ولكنه لم يشأ ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾.

وقيل: الضمير في ﴿أَكۡثَرَهُمۡ﴾ عائد على الكفار، والمعنى: ولكن أكثر الكفار يجهلون[1] جهلاً يحول بينهم وبين درك الحق والوصول إلى الصواب، أو يجهلون[2] أنه لا يجوز اقتراح الآيات بعد أن رأوا آية واحدة، أو يجهلون أن كلاً من الإيمان والكفر هو بمشيئة الله وقدره. وقال الزمخشري: يجهلون، فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات.

وقرأ نافع وابن عامر[3]: ﴿قِبَلاً﴾ ـ بكسر القاف وفتح الباء ـ ومعناه: مقابلة؛ أي: عياناً ومشاهدة. قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد ونصبه على الحال. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿قُبُلاً﴾ ـ بضم القاف والباء ـ فقال مجاهد وابن زيد وعبد الله بن يزيد: جمع قبيل، وهو النوع؛ أي: نوعاً نوعاً، وصنفاً صنفاً. وقال الفراء والزجاج: جمع قبيل بمعنى كفيل؛ أي: كفلاً بصدق محمد ﷺ، والقبيل والكفيل والزعيم والأدين والحميل والضمين بمعنى واحد. وقيل: قبلاً بمعنى قبلاً؛ أي: مقابلة ومواجهة، ومنه قولهم: أتيتك قبلاً لا دبراً؛ أي: من قبل وجهك. وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة: ﴿قبلاً﴾ ـ بضم القاف وسكون الباء على جهة التخفيف من الضم ـ. وقرأ أبي والأعمش ﴿قَبِيلاً﴾ ـ بفتح القاف وكسر الباء وياء بعدها ـ وانتصابه في هذه القراءة على الحال. وقرأ ابن مصرف بفتح القاف وسكون الباء.

---

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

(٣) البحر المحيط.

ثم أراد الله سبحانه وتعالى بعد ما تقدم تسلية نبيه ﷺ ببيان أن سنته في الخلق أن يكون للنبيين أعداء من الجن والإنس، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ استئناف مسوق لتسلية النبي ﷺ على ما يشاهده من عدواة قريش وما بنوه عليها من الأقاويل الباطلة ببيان أن ذلك ليس مختصاً بك، بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء فصبروا، ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد لما بعده. ذكره أبو السعود؛ أي: وكما جعلنا هؤلاء المستهزئين ومن نحا نحوهم أعداء لك.. جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين سبقوا قبلك ﴿عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾؛ أي: أعداءهم شياطين الإنس والجن ومردتهم، والمعنى: كما ابتليناك بالأعداء.. ابتلينا من قبلك بالأعداء من الإنس والجن؛ ليعظم الأجر والثواب عند الصبر على الأذى، فلك أسوة بهم ولست منفرداً بعداوة من عاصرك، بل هذه سنة من قبلك من الأنبياء.

وقال الزجاج: عدواً بمعنى[1]: أعداء. قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، وقال الشاعر:

إِذَا أَنَا لَمْ أَنْفَعْ صَدِيْقِيْ بِوِدِّهِ ... فَإِنَّ عَدُوِّيْ لَمْ يَضُرُّهُمُ بُغْضِيْ

و ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ منصوب[2] على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾ ومفسر له، ويجوز أن يكون: ﴿عَدُوًّا﴾ منصوباً على أنه مفعول ثان قدم مسارعة إلى بيان العداوة، والمعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لكل نبي. وفي: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم مردة الإنس والجن. قاله الحسن وقتادة.

والثاني: أن شياطين الإنس الذين مع الإنس، وشياطين الجن الذين مع الجن. قاله عكرمة والسدي.

والثالث: أن شياطين الإنس والجن كفارهم. قاله مجاهد وذكره ابن

---

(١) البحر المحيط.

(٢) زاد المسير.

الجوزي في «تفسيره». وقرأ الأعمش شاذاً[1]: ﴿الجن والإنس﴾ بتقديم الجن.

ومعنى جعلهم أعداء للأنبياء[2]: أن سنة الله قد جرت بأن يكون الشرير الذي لا ينقاد للحق كبراً وعناداً، أو جموداً على ما تعود، عدواً للداعي إليه من الأنبياء وورثتهم وناشري دعوتهم، وهكذا الحال في كل ضدين يدعو أحدهما إلى خلاف ما عليه الآخر في الأمور الدينية أو الاجتماعية، وهذا ما يعبر عنه بسنة تنازع البقاء بين المتقابلات التي تدعو إلى التنافس والجهاد، وتكون العاقبة انتصار الحق، وبقاء الأمثل الأصلح، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فالحياة جهاد لا يثبت فيه إلا الصابرون المجدون، وليس العمل للآخرة إلا كذلك ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

ثم بين الله سبحانه وتعالى بعدئذ أن من أثر عداوة هؤلاء الشياطين للأنبياء مقاومتهم للهداية والدعوة التي كلفوا بها، فقال: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾؛ أي: حالة كون تلك الشياطين يوحي بعضهم؛ أي: يلقي بعضهم ويسر ويناجي إلى بعض آخر، ويعلمه؛ أي: يلقي شياطين الجن إلى شياطين الإنس زخرف القول؛ أي: مزخرفه ومزينه ومحسنه ظاهراً مع بطلان باطنه غروراً؛ أي: ليغروا ويفتنوا بذلك المزخرف المؤمنين والصالحين عن دينهم وعبادتهم وطاعتهم أمر ربهم، يعني[3]: أن الشياطين يغرون بذلك الكذب المزخرف غروراً، وذلك أنَّ الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم، ويغرونهم بها غروراً. قال مقاتل[4]: وَكَّلَ إبليس بالإنس شياطين يضلونهم، فإذا التقى شيطان الإنس بشيطان الجن.. قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض. وقال غيره: إن المؤمن إذا أعيا شيطانه ذهب إلى متمرد من الإنس، هو شيطان الإنس،

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) الخازن.

(٤) زاد المسير.

فأغراه بالمؤمن ليفتنه. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين. وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجن؛ لأني إذا تعوذت من ذاك ذهب عني، وهذا يجرني إلى المعاصي عياناً، ذكره ابن الجوزي. وقال ابن عباس: الجن هم أولاد الجان، وليسوا شياطين، والشياطين ولد إبليس، وهم لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر. وأخرج أبو الشيخ عن ابن مسعود قال: الكهنة هم شياطين الإنس انتهى من «الشوكاني». ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ يا محمد إيمانهم، أو عدم تزيين الشياطين زخرف القول ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: ما فعل الكفار معاداتك ومعاداة الأنبياء قبلك، أو ما فعل الشياطين إيحاء زخرف القول غروراً. وقال أبو حيان[1]؛ أي: ما فعلوا العداوة أو الوحي أو الزخرف، أو القول أو الغرور أوجه ذكروها انتهى. ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ عليك وعلى الله، فإن الله تعالى يجزيهم وينصرك ويخزيهم و﴿ما﴾: إما مصدرية، والتقدير: اتركهم وافتراءهم عليك وعلى الله وإما موصولة؛ أي: اتركهم والذي يفترونه، يعني[2]: فخلهم يا محمد وما زين لهم إبليس وغرهم به من الكفر والمعاصي، فإني من ورائهم. وعبارة المراح: أي اترك يا محمد هؤلاء الكفرة المستهزئين وافتراءهم بأنواع المكايد، فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة. قال ابن الجوزي؛ أي[3]: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياؤهم وما يختلقون من كذب، وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السيف، انتهى. وهذا الأمر للتهديد للكفار كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾.

وعبارة «المراغي» هنا: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾؛ أي[4]: يلقي بعضهم إلى بعض القول المموه الذي به يظنون أنهم يسترون قبيح باطلهم، ويؤدونه بطرق خفية لا يفطن إلى باطلها كل أحد حتى يغروا غيرهم ويخدعوه، ويميلوه إلى ما يريدون. وأول مثل لهذا الغرور ما وسوس به الشيطان للإنسان

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الخازن.
(٣) زاد المسير.
(٤) المراغي.

الأول وزوجه الكريم ـ آدم وحواء ـ فزين لهما الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها كما قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وهكذا يوسوس شياطين الإنس والجن لمن يجترحون السيئات ويرتكبون المعاصي، فيزينون لهم ما فيها من عظيم اللذة والتمتع بالحرية، ويمنونهم بعفوا الله ورحمته، وشفاعة أنبيائه وأوليائه حتى ليترنم أحدهم بقوله:

تكثَّر ما استطعت من الخطايا فإنك واجد رباً غفوراً

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: ولو شاء ربك أن لا يفعلوا هذا الغرور.. ما فعلوا، ولكنه لم يشأ أن يغير خلقهم أو يجبرهم على خلاف ما تزينه لهم أهواؤهم، بل شاء أن يكون الإنس والجن على استعداد لقبول الحق والباطل والخير والشر، وأن يكونوا مختارين سلوك أي الطريقين كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب ويخترعون من الإفك صرفاً للناس عن سبيل الحق، وسعياً في إضلالهم وصدهم عن طريق الرشاد، وامض لشأنك كما أمرت، فعليك البلاغ وعلينا الحساب والجزاء، وسترى سنتنا فيهم وفي أمثالهم، وقد أراه عاقبة أمرهم، فأهلك المستهزئين بالقرآن، ونصره على أعدائه المشركين: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ انتهت.

واللام في قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ لام كي معطوفة على مقدر معلوم من السياق على كونها علة ليوحي؛ أي: يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المموه من القول؛ ليغروا به المؤمنين من أتباع الأنبياء، فيفتنوهم عن دينهم ﴿ولتصغى إليه﴾؛ أي: ولكي تميل إلى هذا المزخرف ﴿أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾؛ أي: قلوب الذين لا يصدقون بالبعث بعد الموت؛ لأنه الموافق لأهوائهم؛ إذ هم يميلون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقاويل ومموهات الأباطيل، أما الذين ينظرون إلى عواقب الأمور، فيعلمون بطلانها، فلا تغرهم تلك الزخارف، ولا تعجبهم تلك الأباطيل. ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾؛ أي: وليرضى الذين لا يؤمنون بالآخرة ذلك المزخرف لأنفسهم ويحبوه لهم بعد الإصغاء إليه بلا بحث ولا تمحيص فيه. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾؛ أي:

وليكتسبوا بسبب ارتضائهم له وغرورهم ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾؛ أي: ما هم مكتسبون له من الآثام، فيعاقبوا عليها.

وقرأ النخعي والجراح بن عبد الله[1]: ﴿ولتصغِي﴾ ـ بكسر الغين ـ من أصغى الرباعي. وقرأ الحسن بسكون اللام في الأفعال الثلاثة، وقيل عنه بالسكون في: ﴿لْيرضوه ولْيقترفوا﴾ وبالكسر في: ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾. وقال أبو عمرو الداني: قراءة الحسن إنما هي: ﴿ولتصغِي﴾ ـ بكسر الغين ـ انتهى. وخرِّج سكون اللام في الثلاثة على أنه شذوذ في لام كي، وهي لام كي في الثلاثة، وهي معطوفة على ﴿غُرُورًا﴾، وسكون لام كي في نحو هذا شاذ في السماع قوي في القياس. قاله أبو الفتح. وقال غيره: هي لام الأمر في الثلاثة، ويبعد ذلك في ﴿ولتُصْغِيْ﴾ ـ بإثبات الياء ـ وإن كان قد جاء ذلك في قليل من الكلام كما في قراءة قنبل: ﴿إنه من يتقي ويصبر﴾ على أنه يحتمل التأويل. وقيل هي في ﴿ولْتصغى﴾ لام كي سكنت شذوذاً، وفي: ﴿لْيرضوه ولْيقترفوا﴾ لام الأمر مضمنا التهديد والوعيد كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾.

والاستفهام في قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ للإنكار، والفاء عاطفة على فعل مقدر، والكلام على إرادة القول، والتقدر: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أأضل وأميل إلى زخارف الشياطين فـ﴿أَبْتَغِى﴾ وأطلب ﴿حَكَمًا﴾؛ أي: حاكماً ﴿غير الله﴾ يحكم بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: والحال أنه سبحانه وتعالى هو الذي أنزل إليكم القرآن، وأنتم أمة أمية لا تدرون ما تأتون وما تذرون حالة كون ذلك الكتاب ﴿مُفَصَّلًا﴾؛ أي: مبيناً فيه الحق والباطل، فلم يبق في أمور الدين شيء من الإبهام، فأي حاجة بعد ذلك إلى الحكم؛ أي: لا أبتغي حكماً غير الله نزلت حين قال مشركوا قريش للرسول ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً من أحبار اليهود، وإن شئت من أساقفة النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، والحكم[2] والحاكم معناهما عند أهل اللغة واحد، لكن بعض

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراح.

أهل التأويل قال: الحكم أكمل من الحاكم؛ لأن الحكم لا يحكم إلا بالحق، والحاكم قد يجور، ولأن الحكم من تكرر منه الحكم، والحاكم يصدق بمرة.

والمعنى: ليس[1] لي أن أتعدى حكم الله تعالى، ولا أن أتجاوزه؛ لأنه لا حكم أعدل من حكمه، ولا قائل أصدق منه، وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً فيه كل ما يصح به الحكم، وإنزاله مشتملاً على الحكم التفصيلي للعقائد والشرائع وغيرهما على لسان رجل منكم أمي مثلكم.. هو أكبر دليل وأظهر آية على أنه من عند الله لا من عنده، كما جاء في قوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾؛ أي: جاوزت الأربعين، ولم يصدر عني مثله في علومه، ولا في إخباره الغيب، ولا في فصاحته وبلاغته.

والخلاصة: أنكم تتحكمون في طلب المعجزات؛ لأن الدليل على نبوة محمد ﷺ قد حصل بوجهين:

١ ـ أنه أنزل إليكم الكتاب المفصل المشتمل على علوم كثيرة بأسلوب عجز الخلق عن معارضته، فيكون هذا دليلاً على أن الله تعالى قد حكم بنبوته.

٢ ـ ما سيذكره بعد من أن التوراة والإنجيل تشتملان على الآيات الدالة على أنه ﷺ حق، وأن القرآن كتاب حق من عند الله تعالى، ثم ذكر ما يؤكد ما سبق، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: وأهل الكتاب الذين أعطيناهم التوراة والإنجيل والزبور ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾؛ أي: أن هذا القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ حالة كونه متلبساً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ والصدق الذي لا شك فيه ولا شبهة، والمراد بهم علماء أهل الكتاب، فهو عام بمعنى الخصوص.

قرأ ابن عباس وابن عامر وحفص[2]: ﴿مُنَزَّل﴾ ـ بتشديد الزاي ـ والباقون بسكون النون. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ يا محمد، أو أيها المخاطب ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؛ أي: من الشاكين في أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق، وأنه منزل من

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

عند الله ـ سبحانه وتعالى، ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم؛ أي: إن أنكر هؤلاء المشركون أن يكون القرآن حقاً، وكذبوا به.. فالذين أعطيناهم الكتب المنزلة من قبله كعلماء اليهود والنصارى.. يعلمون أنه منزل من ربك بالحق، ذاك أنهم يعلمون أنه من جنس الوحي الذي نزل على أنبيائهم، وأن أوسع البشر علماً لا يستطيع أن يأتي بمثله مع أن كتبهم تشتمل على بشارات بذلك النبي لم تكن لتخفى على علمائهم في عصر التنزيل، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. وقد اعترف بذلك من أنار الله بصيرتهم من أهل الكتاب، فآمنوا وأنكر بعضهم الحق وكتمه بغياً وحسداً، فباء بالخسران المبين.

والخطاب في قوله[1]: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ إما للنبي ﷺ، والمراد به غيره على سبيل التعريض كقوله: ﴿فلا تكونن من المشركين﴾ وإما له ﷺ، والمراد النهي له عن الشك في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق، فهو من باب التهييج والإلهاب؛ لأنه ﷺ لم يشك قط، أو الخطاب لكل من يتأتى منه الامتراء على مثال قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ لما[2] قدم من أول السورة إلى هنا دلائل التوحيد والنبوة والبعث، والطعن على مخالفي ذلك، وكان من هنا إلى آخر السورة أحكام وقصص.. ناسب ذكر هذه الآيات هنا؛ أي: تمت أقضيته ونفذت أقداره. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

والمعنى: إن الله قد أتم وعده ووعيده، فظهر الحق وانطمس الباطل. وقال قتادة: كلماته القرآن؛ أي: تم وعده لأوليائه بنصرهم، ووعيده لأعدائه بخذلانهم. وقال الزمخشري: في كل ما أخبره به، وأمر ونهى، ووعد وأوعد. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ونافع[3]: ﴿كلمات﴾ بالجمع هنا، وفي يونس في الموضعين، وفي المؤمن. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب:

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) زاد المسير.

﴿كَلِمَة﴾ بالإفراد في جميع ذلك. وقد ذكرت العرب الكلمة وأرادت بها الكثرة، يقولون: قال قس في كلمته؛ أي: في خطبته، وزهير في كلمته؛ أي: في قصيدته. فمن قرأ بالإفراد.. قال: الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة، ومن قرأ بالجمع.. قال: لأن الله تعالى قال في سياق الآية: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾، فوجب الجمع في اللفظ الأول إتباعاً للثاني، وترسم بالتاء المجرورة على كل من قراءة الجمع وقراءة الإفراد، وكذا كل موضع اختلف فيه القراء جمعاً وإفراداً، فإنه يكتب بالتاء المجرورة على كل من القراءتين باتفاق المصاحف إلا موضعين من ذلك، فقد اختلف فيهما المصاحف:

أحدهما: في يونس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

وثانيهما: في غافر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فاختلفت فيهما المصاحف، فبعضها بالتاء المجرورة، وبعضها بالتاء المربوطة.

وقوله: ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ تمييز لـ﴿كَلِمَتُ﴾؛ أي: تمت كلمات ربك وأقضيته من جهة الصدق فيما وعد وأوعد، ومن جهة العدل فيما أمر ونهى، أو المعنى: تمت كلمات ربك وقرآنه من جهة الصدق فيما أخبر عن القرون الماضية والأمم الخالية، وعما هو كائن إلى قيام الساعة، ومن جهة العدل في أحكامه من الأمر والنهي والحلال والحرام، وسائر الأحكام. ويصح كون ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ حالاً من ﴿الكلمة﴾؛ أي: حالة كونها صادقةً فيما أخبرت، وعادلة فيما أمرت ونهت، ويصح كونهما حالاً من ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: حالة كونه صادقاً فيما وعد وأوعد، وعادلاً فيما أمر ونهى. ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾؛ أي: لا مغير لأقضيته، ولا راد لأحكامه وأقداره، ولاخلف لمواعيده، أو لا مبدل لكلمات القرآن، فلا يلحقها تغيير لا في المعنى ولا في اللفظ؛ أي: لا أحد يبدل شيئاً من القرآن بما هو أصدق منه وأعدل، ولا بما هو مثله، ولا يقدر المفترون على الزيادة فيه والنقصان منه لا في اللفظ ولا في المعنى، وفي **هذا** ضمان من الله تعالى لحفظ القرآن كقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾. وفي «**الخازن**» لما وصفها بالتمام، وهو في

كلامه تعالى يقتضي عدم قبول النقص والتغيير، قال: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ انتهى. وفي حرف أبي: ﴿لا مبدل لكلمات الله﴾.

ومعنى الآية: وتمت[1] كلمة ربك فيما وعدك به من نصرك، وأوعد به المستهزئين بالقرآن من الخذلان والهلاك، كما تمت في الرسل وأعدائهم من قبلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وتمامها صدقاً هو حصولها على الوجه الذي أخبر به، وتمامها عدلاً باعتبار أنها جزاء للكافرين المعاندين للحق بما يستحقون، وللمؤمنين بما يستحقون أيضاً، وقد يزادون على ذلك فضلاً من الله ورحمة، والمراد بالخبر لازمه، وهو تأكيد ما تضمنته الآيات من تسلية النبي ﷺ على كفر هؤلاء المعاندين وإيذائهم له ولأصحابه، وإيئاس للطامعين من المسلمين في إيمانهم حين إيتائهم الآيات المقترحة.

وخلاصة المعنى: كما أنَّ سنتي قد مضت بأن يكون للرسل أعداء من شياطين الإنس والجن.. تمت كلمتي بنصر المسلمين وخذلان الأعداء المفسدين ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾؛ أي: إن كلمة الله في نصرك وخذلان أعدائك قد تمت وأصبحت واقعة نافذةً حتماً لا مرد لها؛ لأن كلمات الله لا مبدل لها، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يزيلها بكلمات أخرى تخالفها، وتمنع صدقها على من وردت فيهم، كأن يجعل الوعد وعيداً، أو الوعيد وعداً، أو يصرفهما عن الموعود بالثواب أو المتوعَّد بالعقاب إلى غيرهما، أو يحول دون وقوعهما.

والخلاصة: أنه لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن، فيبطل مجيؤه، وكونه على ما أخبر جلَّ شأنه ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لتلك الأقوال الخادعة عنه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبهم من المقاصد والمكايد، والنيات، وبما يقترفون من الذنوب والسيئات، فيجازيهم عليها، أو المعنى: السميع لتضرع أوليائه ولقول أعدائه، العليم بما في قلوب الفريقين.

﴿وَإِن تُطِعْ﴾؛ أي: وإن توافق يا محمد ﴿أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي:

---

(١) المراغي.

الكفار من الناس فيما يعتقدونه من إحقاق الباطل، وإبطال الحق. قيل: والمراد بأكثر أهل الأرض رؤساء مكة، والمراد بالأرض خصوص مكة. ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: يصرفوك عن الطريق الموصول إلى الله؛ أي: وإن تطع أحداً من الكفار بمخالفة ما شرعه الله وأودعه في كلماته المنزلة عليك يضلوك عن الدين الحق، وعن نهج الصواب، فلا تتبع أنت ومن اتبعك حكماً غير الذي أنزل إليك من الكتاب مفصلاً، فهو الهداية التامة الكاملة، فادع إليه الناس كافةً، ثم أكد ما سبق بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبع كفار أهل الأرض في إثبات مذهبهم، وتأسيس عقائدهم كتحليل الميتة وتحريم السائبة ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: إلا ظن أن آباءهم كانوا على الحق، فهم على آثارهم مقتدون ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ أي: وما هم إلا يكذبون، وهذا تأكيد لما قبله، فإن رؤساء أهل مكة منهم أبو الأحوص مالك بن عوف الجشمي، وبديل بن ورقاء الخزاعي، وجليس بن ورقاء الخزاعي قالوا للمؤمنين: إن ما ذبح الله خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم؛ أي: أن هؤلاء لا يتبعون في عقائدهم وأعمالهم إلا الظن الذي ترجحه لهم أهواؤهم وما هم إلا يخرصون في ترجيح بعض منها على بعض كما يخرص أرباب النخيل والكروم ثمرات نخيلهم وأعنابهم، ويقدرون ما تجود به من التمر والزبيب تخميناً وحدساً دون تحقيق لذلك، ولا برهان لهم على ما يقولون، فهم يكذبون على الله فيما ينسبون إليه من اتخاذ الولد، وجعل عبادة الأوثان ذريعة إليه، وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونحو ذلك، وتاريخ تلك العصور يؤيد الحكم القطعي الذي في الآية من ضلال أكثر أهل الأرض، واتباعهم للخرص والظن، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى قد تركوا هداية أنبيائهم، وضلوا ضلالاً بعيداً، وكذلك الأمم الوثنية التي كانت أبعد عهداً عن هداية الرسل والأنبياء.

وهذا من علم الغيب الذي أوتيه هذا النبي الأمي، وهو لم يكن يعلم من أحوال الأمم إلا النزر اليسير من شؤون الأمم المجاورة لبلاد العرب، ثم أعقبه تأكيداً آخر زيادة في التحذير فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الذي رباك يا محمد، وعلمك بما أنزله إليك، وبين لك ما لم تكن تعلم من الحق ومن شؤون الخلق ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ منك ومن سائر عباده ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾؛ أي: بمن يضل عن سبيله القويم

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ السالكين صراطه المستقيم، ففوض أمرهم إلى خالقهم، فهو العليم بالضال والمهتدي، ويجازي كلا بما يليق بعمله. وقرأ الحسن وأحمد بن أبي شريح: ﴿يُضل﴾ - بضم الياء - وفاعل ﴿يضل﴾ ضمير ﴿مَن﴾، ومفعوله محذوف؛ أي: من يضل الناس، أو ضمير الله على معنى يجده ضالاً، أو يخلق فيه الضلال، وهذه الجملة خبرية تتضمن الوعيد والوعد؛ لأن كونه تعالى عالماً بالضال والمهتدي كناية عن مجازاتهما. ذكره أبو حيان في «البحر».

وبعد أن أبان لرسوله ﷺ أن أكثر أهل الأرض يضلون من أطاعهم؛ لأنهم ضالون خراصون، وأنه تعالى هو العليم بالضالين والمهتدين.. أمر رسوله وأتباعه بمخالفة أولئك الضالين من قومهم، ومن غيرهم في مسألة الذبائح وترك جميع الآصار والآثام، فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وهذا كلام متفرع من النهي عن اتباع المضلين، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتموه أنتم، فقال الله للمسلمين: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: إذا كان حال أكثر هؤلاء الناس ما بينته لكم من الضلال، فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح، وهو المذكى ببسم الله خاصة، دون غيره مما ذكر عليه اسم غيره فقط، أو مع اسمه تعالى، أو مات حتف أنفه ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ﴾ التي جاءتكم بالهدى والعلم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ وبما يخالفها من الضلال والشرك مكذبين.

فصل

وقد كان مشركوا العرب وغيرهم من أرباب الملل يجعلون الذبائح من أمور العبادات، ويقرنونها بأصول الدين والاعتقادات، فيتعبدون بذبح الذبائح لآلهتهم ومن قدسوا من رجال دينهم، ويهلون لهم عند ذبحها، وهذا شرك بالله؛ لأنه عبادة يقصد بها غيره تعالى سواء سموه إلهاً أو معبوداً، أو لم يسموه.

﴿وَمَا لَكُمْ﴾؛ أي: وأي سبب حاصل لكم أيها المؤمنين في: ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند الذبح وأن تأكلوا من غيره؛ أي: وأي غرض لكم في

الامتناع من أكله؟ وهو استفهام يتضمن الإنكار على من امتنع من ذلك؛ أي: لا شيء يمنعكم من ذلك، وهذا تأكيد في إباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره؛ أي: ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك؟ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: والحال أنه سبحانه وتعالى قد بين لكم ما حرم عليكم بقوله سبحانه وتعالى في هذه السورة فيما سيأتي: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ومعنى ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ أي: ذكر عليه اسم غيره عند ذبحه كالأصنام والأنبياء الذين وضعت التماثيل ذكرى لهم. فهذا وإن كان متأخراً في التلاوة، فلا يمتنع أن يكون هو المراد؛ لأن التأخر في هذا قليل، وأيضاً التأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول.

أو بين لكم بقوله تعالى في أول سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية؛ لأن الله تعالى علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول. ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلا ما دعتكم الضرورة والمشقة وأحوجتكم إلى أكله بسبب شدة المجاعة مما حرم عليكم عند الاختيار؛ فهو حلال لكم لأجل الضرورة بأن لم يوجد من الطعام عند شدة الجوع إلا المحرم، فحينئذ يزول التحريم، والقاعدة الشرعية: (الضرورات تبيح المحظورات)، والقاعدة الأخرى: (الضرورة تقدر بقدرها) فيباح للمضطر ما تزول به الضرورة، ويتقي به الهلاك لا أكثر منه.

وقرأ العربيان[1] ـ أبو عمرو وابن عامر ـ وابن كثير: ببناء ﴿فصل﴾ و﴿حرم﴾ للمفعول مع التشديد. وقرأ نافع وحفص عن عاصم ببنائهما للفاعل، وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ببناء الفعل الأول للفاعل، وبناء الثاني للمفعول، وقرأ عطية العوفي: ﴿فَصَلَ﴾ ـ بالتخفيف مع البناء للفاعل ـ؛ أي: أبان وأظهر.

---

(١) المراح والشوكاني.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ من الذين يجادلونكم في أكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم: أتأكلون ما تذبحون ولا تأكلون ما يذبحه الله تعالى؟ ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ أنفسهم وأتباعهم ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ الزائفة وشهواتهم الفاسدة جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان على ما فيه، يجادلون اعتداء وخلافاً لأمر الله تعالى ونهيه، وطاعة للشياطين كعمرو بن لحي فمن دونه؛ لأنه أول من بحر البحائر، وسيب السوائب، وأباح الميتة، وغيَّر دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

تتمة: وأصل[1] عبادة الأوثان أنه كان في القوم الذين أرسل إليهم نوح ـ عليه السلام ـ رجال صالحون، فلما ماتوا وضعوا لهم أنصاباً ليتذكروهم بها ويقتدوا بهم، ثم صاروا يكرمونها لأجلهم، ثم خلف من بعدهم خلف جهلوا حكمة وضعها، لكنهم حفظوا تكريمها والتبرك بها تديناً وتوسلاً إلى الله، فكان ذلك عبادة لها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو[2]: ﴿ليَضلون﴾ ـ بفتح الياء هنا ـ وفي يونس: ﴿ربنا ليَضلوا﴾ وفي إبراهيم: ﴿أنداداً ليَضلوا﴾، وفي الحج: ﴿ثاني عطفه ليَضل﴾، وفي لقمان: ﴿ليضل عن سبيل الله﴾، وفي الزمر: ﴿أنداداً ليَضل﴾ وضمها الكوفوين في الستة، ووافقهم الصاحبان نافع وابن عامر إلا في يونس وهنا ففتح.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد الذي أرشدك وهداك ﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ منك ومن سائر خلقه ﴿بِالْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: بالمجاوزين الحد في التحليل والتحريم الذين يتجاوزون ما أحله الله إلى ما حرمه عليهم، أو يتجاوزون حد الضرورة عند وقوعها، وفي هذا من التهديد والتخويف ما لا يخفى. وفي الآية إيماء إلى تحريم القول في الدين بالتقليد؛ لأن ذلك من اتباع الأهواء بغير علم؛ إذ المقلد غير عالم بما قلد فيه. ثم أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يتركوا ظاهر الإثم وباطنه،

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

فقال: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾؛ أي: واتركوا أيها الناس ظاهر الإثم وعلنه، وباطن الإثم وسره خوفاً من عقاب الله تعالى وامتثالاً لنهيه. والإثم لغة: ما قبح، وشرعاً: ما حرمه الله تعالى ومنعه، والله سبحانه وتعالى لم يحرم على عباده إلا ما كان ضاراً بالأفراد، في أنفسهم أو في أموالهم أو في عقولهم أو في أعراضهم أو في دينهم، أو ضاراً بالجماعات في مصالحهم السياسية أو الاجتماعية، والظاهر من الإثم ما كان يظهر؛ وهو ما تعلق بأفعال الجوارح، والباطن ما كان لا يظهر؛ وهو ما تعلق بأعمال القلوب كالكبر والحسد والعجب، وتدبير المكايد الضارة والشرور للناس، ومنه الاعتداء في أكل المحرم الذي يباح للمضطر بأن يتجاوز فيه حد الضرورة كما بينه الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهذه[1] الجملة من جوامع الكلم والأصول العامة في تحريم الآثام، ومن ثم قال ابن الأنباري: المراد بذلك ترك الإثم من جميع جهاته كما تقول: ما أخذت من هذا المال لا قليلاً ولا كثيراً، تريد ما أخذت منه شيئاً بوجه من الوجوه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ في الدنيا، أي: يعملون نوعاً من أنواع الآثام الظاهرة أو الباطنة ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾؛ أي: بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام إن لم يتوبوا، وأراد الله عقابهم، وهذا مخصوص بما إذا لم يتب كما قيدنا. أما إذا تاب المذنب من ذنبه توبة صحيحة لم يعاقب. وزاد[2] أهل السنة في ذلك، فقالوا: المذنب إذا لم يتب.. فهو في خطر مشيئة الله تعالى إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه بفضله وكرمه، وبالجملة فلا يخفى ما في الآية من الوعيد والتهديد للعصاة، أي سيلقون جزاء إثمهم وعاقبة كسبهم للذنوب التي أفسدت فطرتهم ودست نفوسهم بإصرارهم عليها ومعاودتها المرة بعد المرة، أما الذين يعملون السوء بجهالة، ثم يتوبون من قريب، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون.. فهؤلاء يتوب الله عليهم ويمحو تأثير الإثم في قلوبهم بما

---

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

يفعلونه من الحسنات كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ وبذلك تعود نفوسهم زكية، وتلقى ربها سليمة نقية من أدران السوء التي كانت قد وقعت منها لماماً. واتفق المسلمون على أن التوبة تمحو الحوبة؛ أي: أن التوبة الصحيحة بالعزم الصادق والندم على ما فات تمحو آثار الذنب الماضي، فإن الله قد يعفو عن المذنب فيغفر له ما فرط منه من الذنوب، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

ثم صرح سبحانه وتعالى بالنهي عن ضد ما فُهِمَ من الأمر السابق بقوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ لشدة العناية؛ لأنه من أظهر أعمال الشرك فقال: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: مما مات حتف أنفه، ولا مما أهل لغير الله به مما ذبحه المشركون لأوثانهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾؛ أي: وإن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه بغير ضرورة لفسق وخروج عما يحل، أو إن ما ذكر عليه اسم غير الله لفسق ومعصية كما جاء في الآية الأخرى: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ وجوز ابن عطية أن يعود الضمير على المصدر المنفي الذي تضمنه قوله: ﴿لم يذكر﴾ كأنه قيل: وإن ترك الذكر لفسق؛ أي: لمعصية وكفر، وهذه الجملة لا موضع لها من الإعراب، وتضمنت معنى التعليل، فكأنه قيل: لفسقه.

فصل

اختلف العلماء في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها(١)، فذهب قوم إلى تحريمها سواء تركها عامداً أو ناسياً، وهو قول ابن سيرين والشعبي، ونقله الإمام فخر الدين الرازي عن مالك. ونقل عن عطاء أنه قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام، احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية. وقال الثوري وأبو حنيفة: إن ترك التسمية عامداً لا تحل، وإن تركها ناسياً تحل.

وقال الشافعي: تحل الذبيحة مطلقاً سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً،

---

(١) الخازن.

ونقله البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومالك في رواية عنه. ونقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما إذا ترك التسمية عامداً، وإن تركها ناسياً.. حلت، فمن أباح أكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال: المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الأصنام؛ بدليل أنه سبحانه وتعالى في سياق الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتسمية في الصيد وغيره. وذهب الشافعي وأصحابه وهو رواية عن مالك ورواية عن أحمد أن التسمية مستحبة لا واجبة، وهو مروي عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح.

وأجمع العلماء على أن آكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق، واحتجوا في إباحتها أيضاً بما روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت يا رسول الله، إن هنا أقواماً حديث عهدهم بشرك يأتوننا بلحمات، فما ندري أيذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا». قالوا: لو كانت التسمية شرطاً للإباحة.. لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل الذبح. وقال الشافعي: أول الآية وإن كان عاماً بحسب الصيغة إلا أن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة؛ وهي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.. علمنا أن المراد من هذا العموم هو الخصوص. والفسق: ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ فصار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسراً لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ وإذا كان كذلك كان قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ مخصوصاً بما أهل لغير الله به، والله أعلم.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾؛ أي: وإن شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴿لَيُوحُونَ﴾؛ أي: ليوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من المشركين، ويلقون إليهم بالوسوسة والتلقين الخادع ما يجادلوكم به من الشبهات ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ﴾؛ أي: ليجادل أولئك الأولياء إياكم أيها المؤمنون بقولهم تأكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم، وتتركون ما قتله الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: وإن وافقتم أيها المؤمنون أولئك الأولياء في أكل الميتة وما حرم الله عليكم ﴿إِنَّكُمْ﴾

إذاً ﴿لَمُشْرِكُونَ﴾ مثلهم. قال الزجاج: وفيه دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحل الله؛ فهو مشرك، وإنما سمي مشركاً؛ لأنه أثبت حاكماً غير الله ـ عز وجل ـ، ومن كان كذلك فهو مشرك انتهى. قال عكرمة: وإن الشياطين؛ يعني: مردة المجوس ليوحون إلى أوليائهم من مشركي قريش زخرف القول؛ ليصل ممن أكل الميتة إلى نبي الله وأصحابه ذلك أنه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من أهل فارس، فكتبوا إلى قريش، وكانت بينهم مكاتبة إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله، ثم يزعمون أن ما يذبحون حلال، وما يذبحه الله حرام، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء، فأنزل الله هذه الآية.

وما يذبح(١) عند استقبال ملك أو أمير أو وزير أفتى بعض الحنفية بتحريم أكله؛ لأنه مما أهل به لغير الله، وقال بعض الشافعية: هم إنما يذبحونه استبشاراً بقدومه؛ فهو كذبح العقيقة لولادة المولود، ومثل هذا لا يوجب التحريم، وهذا هو الراجح الذي عليه المعول.

الإعراب

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾.

﴿وَلَوْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَنَّنَا﴾ ﴿أن﴾: حرف نصب. و ﴿نا﴾: اسمها. ﴿نَزَّلْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ تقديره: ولو أننا منزلون، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية بفعل محذوف تقديره: ولو ثبت تنزيلنا إليهم الملائكة، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾. ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع

---

(١) المراغي.

بفعل محذوف معطوفة على جملة ﴿أن﴾. ﴿وَحَشَرْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الرفع بفعل محذوف معطوفة على جملة ﴿أَنَّنَا﴾. ﴿قُبُلًا﴾: حال من ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ لأنه تخصص بالإضافة، ولكنه في تأويل مشتق تقديره: حالة كونهم معاينين ومشافهين للكفار، والتقدير: ولو ثبت تنزيلنا إليهم الملائكة وتكليم الموتى إياهم وحشرنا كل شيء عليهم. ﴿مَّا﴾: نافية ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وجحود. ﴿يؤمنوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بلام الجحود، الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كان﴾ تقديره: ما كانوا أهلاً للإيمان، وجملة ﴿كان﴾ من اسمها وخبرها جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من عام الأحوال. ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَشَاءَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة المستثنى المحذوف إليه تقديره: ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم. ﴿وَلَكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف نصب. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، وجملة ﴿يَجْهَلُونَ﴾ خبر ﴿لكن﴾، وجملة ﴿لكن﴾ معطوفة على جملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (الواو): استئنافية. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: وجعلاً مثل جعلنا لك عدواً من هؤلاء المشركين. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: جار ومجرور في محل النصب مفعول ثان لـ﴿جعل﴾. ﴿عَدُوًّا﴾: مفعول أول له. ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ بدل من ﴿عَدُوًّا﴾، والتقدير: وكذلك جعلنا عدواً شياطين الإنس والجن لكل نبي. وأعرب الزمخشري وأبو البقاء والحوفي ﴿شَيَاطِينَ﴾ مفعولاً أول، والثاني ﴿عَدُوًّا﴾،

و﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ حالاً من ﴿عَدُوًّا﴾ لأنه صفته في الأصل، أو متعلق بالجعل قبله، والتقدير: وجعلنا شياطين الإنس والجن عدواً لكل نبي جعلاً مثل جعلنا هؤلاء عدواً لك، فاصبر كما صبروا. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلق به. ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مفعول به. ﴿غُرُورًا﴾: مفعول لأجله، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾. ﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿شَآءَ رَبُّكَ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿فَعَلُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنه لو شاء ربك ما فعلوه، وأردت بيان ما هو الأصلح لك.. فأقول لك ﴿ذرهم وما يفترون﴾: ﴿ذرهم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو واو المعية. ﴿ما﴾: موصولة، أو نكرة موصوفة في محل النصب معطوفة على الهاء في ﴿ذرهم﴾، أو في محل النصب على أنه مفعول معه، أو مصدرية. ﴿يَفْتَرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ إن قلنا موصولة اسمية، أو صفة لـ﴿ما﴾ إن قلنا ﴿ما﴾ نكرة موصوفة، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: وذرهم والذين يفترونه، أو شيئاً يفترونه، أو صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على الهاء، أو منصوب على أنه مفعول معه، والتقدير: فذرهم وافتراءهم، أو مع افترائهم، وجملة ذرهم من الفعل والفاعل في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لتصغى﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تصغى﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول، وجملة ﴿تصغى﴾ صلة أن

المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: ولصغي أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، الجار والمجرور معطوف على ﴿غُرُورًاۚ﴾، وما بينهما اعتراض، والتقدير: يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول للغرور ولصغي أفئدة الذين يؤمنون بالآخرة، ولكن لما كان المفعول الأول مستكملاً لشروط النصب نصب، وهذا فات فيه شرط النصب، وهو صريح المصدرية واتحاد الفاعل، فإن فاعل الوحي بعضهم، وفاعل الإصغاء الأفئدة، فلذا وصل الفعل بحرف العلة.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يرضوه﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: ولرضاهم إياه، الجار والمجرور معطوف على ﴿غروراً﴾. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يقترفوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: ولاقترافهم ما هم مقترفون، الجار والمجرور معطوف على ﴿غُرُورًاۚ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب على المفعولية. ﴿هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما هم مقترفونه.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف تقديره: أأميل إلى زخارف الشياطين. ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿غير الله﴾: مفعول به لـ﴿أَبْتَغِى﴾ مقدم عليه. ﴿أَبْتَغِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿حَكَمًا﴾ حال من ﴿غير﴾، أو تمييز له، وجملة ﴿أَبْتَغِى﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من الجلالة مؤكدة لإنكار ابتغاء غيره تعالى حكماً؛ لأن ﴿غير﴾ هنا بمعنى مغاير، فيصح عمله في المضاف إليه. ﴿أَنزَلَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿إِلَيْكُمُ﴾: متعلق بأنزل.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿مُفَصَّلًا﴾: حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة صلة الموصول. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿أَنَّهُۥ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿مُنَزَّلٌ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ جار ومجرور متعلق به. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستتر في ﴿مُنَزَّلٌ﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي علم. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت حال أهل الكتاب، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: ﴿لا تكونن﴾: ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿لَا﴾ الناهية، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: خبرها، وجملة تكون في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾: حالان من كلمة ﴿رَبِّكَ﴾، أو تمييزان لها. ﴿لَّا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿مُبَدِّلَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مُبَدِّلَ﴾، وخبر ﴿لَّا﴾ محذوف تقديره: لا مبدل لكلماته موجود، وجملة ﴿لَّا﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب حال من فاعل ﴿تمت﴾ على أن الظاهر مغن عن الضمير الرابط، أو مستأنفة. ذكره «أبو السعود». ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: مبتدأ وخبر أول. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿تُطِعْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿إِن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿أَكْثَرَ﴾: مفعول به وهو مضاف. و﴿مَن﴾ الموصولة في محل الجر مضاف إليه ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جار ومجرور صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿يُضِلُّوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ﴿إِن﴾ على كونه جواباً لها، وعلامة جزمه حذف النون. ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية، مستأنفة. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿وَإِنْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِن﴾: نافية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، وجملة ﴿يَخْرُصُونَ﴾ في محل الرفع، خبر المبتدأ، والجملة الاسمية المنفية معطوفة على الجملة الفعلية المنفية المذكورة فيها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها ومضاف إليه. ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل أو مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، أو خبر المبتدأ، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مقررة لمضمون الجملة الشرطية وما بعدها ومؤكدة لما تفيده من التحذير كما في «أبي السعود». ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب بفعل محذوف دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ تقديره: إن ربك هو أعلم يعلم من يضل، والجملة المحذوفة في محل الرفع بدل من ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿يَضِلُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَضِلُّ﴾، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. و﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿فَكُلُوا۟﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة على ما تقدم من مضمون الجمل المتقدمة كأنه قيل: اتبعوا ما أمركم الله به من أكل المذكى دون الميتة، ﴿كلوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ذلك المحذوف. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كلوا﴾.

﴿ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾: فعل ونائب فاعل ومضاف إليه. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿ذُكِرَ﴾، والجملة الفعلية لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير عليه. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُم﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿بِـَٔايَٰتِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن كنتم بآياته مؤمنين.. فكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿ما﴾: استفهامية للاستفهام الإنكاري التوبيخي في محل الرفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَّا﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لا﴾: نافية. ﴿تَأْكُلُوا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾، مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: وأي غرض لكم في عدم أكلكم مما ذكر اسم الله عليه والجار المحذوف متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَأْكُلُوا۟﴾. ﴿ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾: فعل ونائب فاعل ومضاف إليه. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها. ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة في محل النصب حال من الجلالة. ﴿لَكُم﴾: متعلق بـ﴿فَصَّلَ﴾. ﴿مَّا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب على المفعولية. ﴿حَرَّمَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما حرمه عليكم. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ما﴾: موصولة أو موصوفة في محل النصب على الاستثناء، والظاهر أنه استثناء متصل؛ لأنه من جنس المستثنى منه. ﴿ٱضْطُرِرْتُمْ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير ﴿إِلَيْهِ﴾.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿كَثِيرًا﴾: اسمها. ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿يضلون﴾: فعل وفاعل. ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يضلون﴾، ومفعول ﴿يضلون﴾ محذوف على قراءة ضم الياء تقديره: ليضلون الناس، وقراءة الفتح لا تحتاج إلى حذف، فرجحها بعضهم بهذا الاعتبار. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿يضلون﴾ تقديره: ملتبسين بغير علم، وجملة ﴿يضلون﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: متعلق به، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ فعل وفاعل ومفعول به ومضاف إليه. ﴿وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾: معطوف على ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب اسمها. ﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾: فعل وفاعل ومفعول. والجملة صلة الموصول. ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: فعل مغير ونائب فاعل، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يجزون﴾: ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَقْتَرِفُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما كانوا يقترفونه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لا﴾: ناهية وجازمة. ﴿تَأْكُلُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة مستأنفة. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق

بـ﴿تَأْكُلُواْ﴾. ﴿لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾: جازم وفعل مغير ونائب فاعل ومضاف إليه. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿يُذْكَرِ﴾ وهو العائد على ﴿ما﴾، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، أو عاطفة، أو حالية، ﴿إن﴾: حرف نصب، ﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿لَفِسْقٌ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿فسق﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ إما مستأنفة، أو معطوفة على قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ﴾ على مذهب سيبويه، أو حال من ﴿ما﴾ الموصولة في قوله: ﴿مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ولا تأكلوه والحال إنه لفسق. ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَيُوحُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿يوحون﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يوحون﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة. ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾: ﴿اللام﴾: لام كي، ﴿يجادلوكم﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لمجادلتهم إياكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يوحون﴾. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إن﴾ حرف شرط ﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، وقبل ﴿إن﴾ الشرطية لام القسم مقدرة تقديره: ﴿ولئن أطعتموهم﴾. ﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَمُشْرِكُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿مشركون﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ من اسمها وخبرها جواب القسم الذي قدرناه آنفاً، وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده، وجاز الحذف؛ لأن فعل الشرط ماضٍ كما ذكره السمين، والتقدير: وإن أطعتموهم فأنتم مشركون.

التصريف ومفردات اللغة

قوله: ﴿قُبُلًا﴾؛ أي: كفلاً وضمناً بصدق محمد ﷺ، جمع قبيل بمعنى كفيل، مثل رغيف ورغف، وقضيب وقُضب، ونصيب ونُصب، أو جمع قبيل بمعنى جماعة جماعة، أو صنفاً صنفاً كل صنف على حدة، والمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء فوجاً فوجاً، ونوعاً نوعاً من سائر المخلوقات.

﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ والعدو ضد الصديق؛ وهو من يفرح لحزنك ويحزن لفرحك، ويستعمل للواحد والجمع والمذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾؛ أي: أعداء، وقال ابن عباس كل عات متمرد من الجن والإنس فهو شيطان.

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ والإيحاء: الإعلام بالشيء من طريق خفي سريع كالإيماء، والزخرف: الزينة كالأزهار للرياض، والذهب للنساء، وما يصرف السامع عن الحقائق إلى الأوهام. قاله الزجاج، وقال أبو عبيدة: كل ما حسنته وزينته وهو باطل؛ فهو زخرف انتهى. والغرور: الخداع بالباطل.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يقال: صغَوْت[1] كدعوت، وصغيْت كرميت، وصغِيت - بكسر الغين - كرضيت، فمصدر الأول: صغواً، والثاني: صغاً، والثالث: صغاً ومضارعها يصغَى - بفتح الغين - وهي لازمة، وأصغى مثلها لازم، ويأتي متعدياً بكون الهمزة فيه للنقل. قال الشاعر في اللازم:

تَرَىٰ ٱلسَّفِيْهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مَحْكَمَةٍ   زَيْغٌ وَفِيْهِ إِلَىٰ ٱلتَّشْبِيْهِ إِصْغَاءُ

وقال في المتعدي:

أَصَاخَ مِنْ نَبْأَةٍ أَصْغَىٰ لَهَا أُذُنَاً   صِمَاخُهَا بِدَخِيْسِ ٱلذَّوْقِ مَسْتُوْرُ

وأصله: الميل. يقال: صغت النجوم إذا مالت للغروب، وفي الحديث: فأصغى لها الإناء. قاله أبو حيان، ويقال: صغي[2] إليه كرضي يصغى: مال، ومثله أصغى، ويقال: صغى فلان وصغوه معك؛ أي: ميله وهواه، كما يقال: ضلعه معك. وفي «المختار» صغا إذا مال، وبابه عدا وسما ورمى وصدى صغواً وصَغياً أيضاً، قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ وأصغى إليه مال بسمعه ونحوه، وأصغى الإناء أماله، انتهى.

﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ يقال: اقترف المال اكتسبه، والذنب اجترحه، وأكثر[3] ما يكون

---

(١) البحر المحيط بزيادة.   (٢) المراغي.   (٣) البحر المحيط.

في الشر والذنوب، ويقال: خرج يقترف لأهله؛ أي: يكتسب لهم، وقارف فلان الأمر؛ أي: واقعه، وقرفه بكذا رماه بريبة، واقترف كذباً، وأصله اقتطاع قطعة من الشيء.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ والحكم: من يتحاكم إليه الناس ويرضون حكمه ﴿مُفَصَّلًا﴾؛ أي: مبيناً فيه الحق والباطل، والحلال والحرام إلى غير ذلك من الأحكام ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؛ أي: المترددين الشاكين.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ والكلمة هنا: إما القرآن أو القضاء كما مر، وتمام الشيء كما قال الراغب: انتهاؤه إلى حدٍ لا يحتاج معه إلى شيء خارج عنه، وتمامها هنا أنها كافية وافية في الإعجاز والدلالة على صدق الرسول ﷺ، والصدق: يكون في الإخبار، ـ ومنها المواعيد ـ والعدل: يكون في الأحكام، والتبديل: التغيير بالبدل.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يقال: خرص يخرص ـ من باب نصر ـ إذا حزر وقال بغير تيقين ولا علم ومنه: خرص بمعنى كذب وافترى خرصاً وخروصاً، وقال الأزهري: وأصله التظني فيما لا يستيقن، وأصل الخرص القطع، ومنه خرص النخل يخرص إذا حزره ليأخذ منه الزكاة، فالخارص يقطع بما لا يجوز القطع به؛ إذ لا يقين منه، والمعنى؛ أي: وما هم إلا يحدسون ويقدرون، وإذا كان هذا حال أكثر من في الأرض.. فالعلم الحقيقي هو عند الله تعالى، فاتبع ما أمرك به، ودع عنك طاعة غيره وهو العالم بمن يضل عن سبيله ومن يهتدي إليه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ...﴾ إلخ. قال بعض أهل العلم[1]: إن أعلم في الموضعين بمعنى يعلم. قال: ومنه قول حاتم الطائي:

فَحَالَفَتْ طَيِّءٌ مَنْ دُوْنَنَا حِلْفَا   وَٱللَّهُ أَعْلَمُ مَا كُنَّا لَهُمْ خَوَلاَ

والوجه في هذا التأويل أن أفعل التفضيل لا ينصب الاسم الظاهر، فتكون من منصوبة بالفعل الذي جعل أفعل التفضيل نائباً عنه، وقيل: إن أفعل التفضيل

(١) الشوكاني.

على بابه، والنصب بفعل مقدر، وقيل: إنها منصوبة بأفعل التفضيل؛ أي: إن ربك أعلم أي الناس يضل عن سبيله، وهو ضعيف، وقيل: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: بمن يضل. قاله بعض البصريين، وقيل: في محل جر بإضافة أفضل التفضيل إليها. والله أعلم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع:

فمنها: الإضافة لتشريف المضاف إليه في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ وفيه أيضاً التعرض لوصف الربوبية تلطفاً في التسلية.

ومنها: الترقي في قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾. قال أبو حيان[1]: وترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة؛ لأنه أولاً يكون الخداع، فيكون الميل، فيكون الرضا، فيكون الفعل، فكان كل واحد منها مسبب عما قبله.

ومنها: التهديد والوعيد في قوله: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ على حد قوله ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾.

ومنها: الإبهام في قوله: ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ لإفادة التعظيم والتبشيع لما يعملون نظير قوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

ومنها: التهييج والإلهاب في قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ لأن النبي ﷺ معصوم من الامتراء إن كان الخطاب له.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ اعتناء بشأنها، وحق العبارة لا مبدل لها لتقدم المرجع.

ومنها: إطلاق العام وإرادة الخاص في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ لأن المراد علماء أهل الكتاب، وفي قوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأن المراد بالأكثر رؤساء مكة،

(١) البحر المحيط.

وبالأرض أرض مكة.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ لأنه تأكيد للنفي المذكور قبله.

ومنها: الطباق بين لفظ: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ ولفظ ﴿المهتدين﴾ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾، وبين لفظ ﴿ظَٰهِرَ﴾ ولفظ: ﴿باطن﴾ في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: تم كلامه ووحيه حيث أطلق الجزء وأراد الكل.

ومنها: المقابلة بين قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وبين قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ تأكيداً بالمفهوم من الأول.

ومنها: الزيادة في مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى
ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى
كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا
جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ
سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ
أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ
رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟
كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ
مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين[1]

(١) المراغي.

أن أكثر أهل الأرض ضالون متبعون للظن والحدس، وأن كثيراً منهم يضلون غيرهم بأهوائهم بغير علم، وأن الشياطين منهم العاشين عن أمر ربهم يوحون إلى أوليائهم ما يجادلون به المؤمنين ليضروهم ويحملوهم على اقتراف الآثام، ويحملوهم أيضاً على الشرك بالله بالذبح لغيره، والتوسل به إليه وهو عبادة له.. ضرب هنا مثلاً يستبين به الفرق بين المؤمنين المهتدين للاقتداء بهم، والكافرين الضالين للتنفير من طاعتهم والحذر من غوايتهم، مع ذكر السبب في استحسان الكافرين لأعمالهم؛ وهو تزيين الشيطان لهم ما يعملون، ومن ثم انغمسوا في ظلمات لا خلاص لهم منها، وأصبحوا في حيرة وتردد على الدوام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[١] في الآيات السابقة أن سنته في البشر قضت بأن يكون في كل شعب أو أمة زعماء مجرمون يمكرون بالرسل وبدعاة الإصلاح، ويقاومون دعوتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.. ذكر هنا أن هذه السنة تنطبق أشد الانطباق على مجرمي أهل مكة الذين تعنتوا أشد التعنت فيما أنزل على محمد ﷺ من الآيات، ثم ذكر بعد هذا سنة الله في المستعدين للإيمان، وغير المستعدين مع ظهور الحق في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[٢] ما أعده من العذاب للمجرمين، وما أعده من الثواب والنعيم في دار السلام للمؤمنين إثر بيان أحوالهم وأعمالهم التي استحق بها كل منهما جزاءه.. أردف ذلك بذكر ما يكون قبل هذا الجزاء من الحشر وبعض ما يكون في يومه من الحساب، وإقامة الحجة على الكفار وسنة الله في إهلاك الأمم.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما حكى عن الجن والإنس أن بعضهم يتولى بعضاً.. أردف ذلك ببيان أن ذلك يحدث بتقديره سبحانه وتعالى وقضائه.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ...﴾ الآية. مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما كان الكلام في الآيات السالفة في تقرير حجة الله على المكلفين الذين بلغتهم الدعوة، فجحدوا بها، وأنهم يشهدون على أنفسهم يوم القيامة أنهم كانوا كافرين، وأن سنة الله في إهلاك الأمم في الدنيا بجنايتها على أنفسها لا بظلم منه تعالى.. ذكر هنا وعيد الآخرة، وأنه مرتب على أعمال المكلفين لا بظلم منه سبحانه وتعالى، ولا لحاجة له تعالى إليه، لأنه غني عن العالمين، بل لأنه مقتضى الحق والعدل المقرونين بالرحمة والفضل.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ...﴾ الآية، سبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة: أن أبا جهل رمى[١] النبي ﷺ بفرث، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس، وحمزة لم يكن إذ ذاك، فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل، وجعل يضربه بالقوى، وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به، سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف آباءنا! فقال حمزة: ومن أسفه منكم عقولاً؟ تعبدون الحجارة من دون الله! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، فأسلم حمزة يومئذ، فنزلت هذه الآية. والقول الثاني؛ وهو قول الحسن في آخرين: أن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر، وهذا هو الصحيح؛ لأن المعنى إذا كان حاصلاً في الكل دخل فيه كل أحد.

وأخرج ابن المنذر[٢]، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم في الآية قال: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام كانا ميتين في

---

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.

ضلالتهما، فأحيا الله تعالى عمر بالإسلام وأعزه، وأقر أبا جهل في ضلالته وموته، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا فقال: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ...﴾ الآية، سبب نزولها على ما قيل: أن[1] الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ: لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أولى بها منك؛ لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً، فأنزل الله هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا نحن وهم كفرسي رهان.. قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فأنزل الله هذه الآية.

التفسير وأوجه القراءة

والهمزة في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ للاستفهام الإنكاري داخلة على جملة إسمية محذوفة، والواو عاطفة ما بعدها على تلك المحذوفة، والتقدير: أأنتم أيها المؤمنون كأولئك الشياطين أو كأوليائهم الذين يجادلونكم بما يوحون إليهم من زخرف القول الذي غروهم به، ومن كان ميتاً؛ أي: ضالاً كافراً ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾؛ أي: فهديناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾؛ أي: ديناً وإيماناً ﴿يَمْشِى بِهِۦ﴾ آمناً ﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾ من جهتهم ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: كمن هو في ظلمات الكفر والضلال ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾؛ أي: ليس بمؤمن أبداً؛ أي: لا يستويان؛ أي: لا يستوي المؤمن والكافر، فلفظة المثل زائدة كما أشرنا إليه في الحل؛ لأن المثل معناه الصفة، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم، كما زيدت في قوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: وفي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ويحتمل كونها أصلية.

والمعنى عليه: أيستوي المؤمن والكافر ومن كان ميتاً بالكفر والجهل، فأحييناه بالإيمان وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس على بصيرة من أمر دينه

---

(١) الخازن.

وآدابه ومعاملاته للناس كمن مثله المبين لحاله مثل السائر في ظلمات بعضها فوق بعض ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر؛ وهو ليس بخارج منها؛ لأنه يبقى متحيراً لا يهتدي إلى وجه صلاحه، فيستولي عليه الخوف والفزع والعجز والحيرة الدائمة، وكذلك الخابط في ظلمات الجهل والتقليد، وفساد الفطرة ليس بخارج منها؛ لأنها قد أحاطت به وألفتها نفسه، فلم يعد يشعر بالحاجة إلى الخروج منها إلى النور، بل ربما شعر بالألم من هذا النور المعنوي كما يألم الخفاش بالنظر إلى النور الحسي، وإنما فسرنا الحياة في الآية بالهداية؛ لأنه كثيراً ما تستعار الحياة للهداية وللعلم، ومنه قول القائل:

وَفِيْ ٱلْجَهْلِ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ مَوْتٌ لأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُم قَبْلَ ٱلْقُبُوْرِ قُبُوْرُ
وَإِنَّ ٱمْرَءاً لَمْ يَحْيَ بِٱلْعِلْمِ مَيِّتٌ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّىٰ ٱلنُّشُوْرِ نُشُوْرُ

والخلاصة[1]: أنه ينبغي للمسلم أن يكون حياً عالماً على بصيرة في دينه وأعماله وحسن سيرته، وأن يكون القدوة والأسوة للناس في الفضائل والخيرات، والحجة على فضل دينه على سائر الأديان، وإنما قال: ﴿في الناس﴾ إشارة إلى تنويره على نفسه وعلى غيره من الناس، فذكر أن منفعة المؤمن ليست قاصرة على نفسه، وهذا[2] مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر، فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتاً فأحياه وأعطاه نوراً يهتدي به في مصالحه، وأن الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها، فيكون متحيراً على الدوام. ووجه[3] المناسبة في ضرب المثلين هنا ما تقدم في أول السورة ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما زين للمؤمنين إيمانهم ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ والمشركين ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي وعبادة الأصنام؛ أي[4]: حَسَّنَّا لهم ما كانوا فيه من الجهالة والضلالة قدراً من الله وحكمة بالغة، لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ أي: مثل هذا التزيين الذي تضمنه المثل السابق، وهو تزيين نور الهدى والدين لمن أحياه الله حياة عالية، وتزيين ظلمات

---

(١) المراغي.
(٢) الخازن.
(٣) ابن كثير.
(٤) ابن كثير.

الضلال والكفر لموتى القلوب.. قد زين للكافرين وحسن ما كانوا يعملون من الآثام، كعداوة النبي ﷺ وذبح القرابين لغير الله تعالى، وتحريم ما لم يحرمه الله، وتحليل ما حرمه بمثل تلك الشبهات التي تقدم ذكرها.

وقرأ الجمهور[(١)]: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ ـ بفتح الواو بعد الهمزة ـ وقرأ نافع وابن أبي نعيم بإسكانها. وقرأ طلحة: ﴿أفمن﴾ بالفاء بدل الواو.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما جعلنا في مكة صناديدها رؤساء ليمكروا فيها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ من سائر القرى والعواصم ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾؛ أي: جعلنا مجرميها وفساقها أكابر ورؤساء فيها، ﴿أَكَابِرَ﴾ مفعول ثان، و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مفعول أول، والظرف لغو متعلق بنفس الفعل قبله؛ أي: جعلنا في كل بلدة فساقها عظماء ورؤساء. وقيل: إن قوله: ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مفعول ثان مقدم، و﴿أَكَابِرَ﴾ مفعول أول مؤخر، وهو مضاف لمجرميها، فيصير المعنى: وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين في كل قرية. وقرأ ابن مسلم: ﴿أكبر مجرميها﴾ وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة وكان لمثنى أو مجموع أو مؤنث جاز أن يطابق وجاز أن يفرد، كقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ ذكره أبو حيان في «البحر».

﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾، أي: ليفعلوا المكر فيها، وهذا[(٢)] دليل على أن الخير والشر بإرادة الله تعالى، وإنما جعل المجرمين أكابر؛ لأنهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الباطل على الناس من غيرهم، وإنما حصل ذلك لأجل رياستهم، وذلك سنة الله أنه جعل في كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابرهم. وقال مجاهد: كان يجلس على كل طريق من طرق مكة أربعة أنفار يصرفون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، ويقولون لكل من يقدم: هو كذاب ساحر كاهن. فكان هذا مكرهم.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

وحاصل الكلام[1]: أن سنة الله تعالى في المجتمع البشري قد قضت أن يكون في كل عاصمة لشعب أو أمة بعث فيها رسول أو لم يبعث زعماء مجرمون يمكرون بالرسل وبسائر المصلحين من بعدهم، وهكذا كان الحال في أكثر أكابر الأمم والشعوب، ولا سيما في العصور التي تكثر فيها المطامع، ويعظم فيها حب الرياسة والكبرياء، فتراهم يمكرون بالأفراد والجماعات، فيحفظوا رياستهم ويعززوا كبرياءهم كما يمكرون بغيرهم من الساسة والرؤساء إرضاء لمطامع أمتهم، وتعزيزاً لنفوذ حكومتهم بين الشعوب والدول. والمراد بالأكابر المجرمين من يقاومون دعوة الإصلاح، ويعادون المصلحين من الرسل وورثتهم، وكان أكثر أكابر مكة كذلك، وتخصيص الأكابر بذلك؛ لأنهم أقدر على المكر واستتباع الناس لهم.

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: وما يمكر أولئك الأكابر المجرمون الذين يعادون الرسل في عصرهم، ودعاة الإصلاح من ورثتهم من بعدهم ﴿إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: وما يحيق شر مكرهم إلا بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يعلمون بذلك أصلاً، بل يزعمون أنهم يمكرون بغيرهم. وهكذا شأن[2] من يعادون الحق والعدل، ليبقى لهم ما هم عليه من فسق وفساد؛ لأن سنة الله قد جرت بأن عاقبة المكر السيء تحيق بأهله في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبما ثبت في القرآن من نصر المرسلين وهلاك الكافرين المعاندين، ومن علو الحق على الباطل، ومن هلاك القرى الظالمة، وبما أيده الاختبار، ودلت عليه نظم العمران من أن تنازع البقاء يقضي ببقاء الأمثل والأصلح ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

وقد أشارت الآيات إلى أن هذا كان سنة الله في الأولين، فقال: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾؛ أي: فالذين كانوا يمكرون السيئات لمقاومة إصلاح الرسل

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

حرصاً على رياستهم وفسقهم وفسادهم.. لم يكونوا يشعرون بأن عاقبة مكرهم تحيق بهم لجهلهم بسنن الله في خلقه، وهم خليقون بهذا الجهل. وأما في الآخرة فالأمر واضح والنصوص متظاهرة على ذلك. وهذه الجملة متضمنة لوعيد الماكرين من مجرمي أهل مكة، وفيها وعد وتسلية للنبي ﷺ والمؤمنين.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾؛ أي: وإذا جاءت مشركي العرب كالوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبي مسعود الثقفي ﴿ءَايَةٌ﴾ من القرآن تأمرهم باتباع محمد ﷺ وتخبرهم بصنيعهم ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾؛ أي: قالوا: لن نصدقك ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل، فيخبرنا أنك رسول الله، وأنك صادق. قال تعالى رداً عليهم: ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾؛ أي: عالم ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ أي: الموضع الذي يجعل فيه رسالته؛ أي: أعلم من يليق برسالته؛ أي: بإرسال جبريل إليه لأمر من الأمور، وهذا إعلام بأنهم لا يستحقون ذلك التشريف، وهذا[1] المعنى قول الحسن، ومنقول عن ابن عباس.

وقيل معنى الآية: وإذا جاءتهم آية على صدق النبي ﷺ.. قالوا: لن نؤمن برسالته أصلاً حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل إيتاء رسل الله. قال تعالى: إنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة، فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها، وأنتم لستم أهلاً لها، ولأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها، خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر.

وقيل المعنى[2]: وإذا جاءت أولئك المشركين آية بينة من القرآن تتضمن صدق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه من التوحيد والهدى.. قالوا: لن نؤمن إلا إذا أتى على يديه من الآيات الكونية التي يؤيده الله بها مثل ما أوتي رسل الله كفلق البحر لموسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى. وقال ابن

---

(١) المراح.
(٢) المراغي.

كثير: أي: حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل، بمعنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا...﴾ الآية.

وخلاصة ذلك: أنهم لا يؤمنون بالرسالة إلا إذا صاروا رسلاً يوحى إليهم، وقد رد عليهم جهالتهم وبين لهم خطأهم بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ أي: هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، وهذا كقوله حكاية عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ...﴾ الآية، يريدون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم مبجل في أعينهم من القريتين مكة والطائف، ذلك أنهم جازاهم الله تعالى بما يستحقون، كانوا يزدرون الرسول ﷺ بغياً وحسداً وعناداً واستكباراً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وهم مع ذلك كانوا يعترفون بشرفه ونسبه، وطهارة بيته ومرباه ومنشئه، وكانوا يسمونه بالأمين، فكان ينبغي أن يكون في ذلك مقنع لهم بأنه أولى من أولئك الأكابر الحاسدين له بالرسالة وبكل ما فيه الكرامة، ولكن الحسد والبغي والتقليد كل أولئك كان الباعث لهم على تلك الأقوال، وعمل هاتيك الأفعال في عداوته ومعاندته.

والخلاصة: أن الرسالة فضل من الله يمنحه من يشاء من خلقه لا يناله أحد بكسب، ولا يصل إليه بسبب ولا نسب، ولا يعطيه إلا من كان أهلاً له لسلامة الفطرة وطهارة القلب وحب الخير والحق، وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحبيبه، فدعوا طلب ما ليس من شأنكم. وقرأ حفص وابن كثير: ﴿رسالته﴾ بالإفراد، والباقون على الجمع.

فائدة: ويستجاب[1] الدعاء بين هاتين الجلالتين وهذا دعاء عظيم يدعى به بينهما ووجد بخط بعض الفضلاء؛ وهو «اللهم من الذي دعاك فلم تجبه، ومن الذي استجارك فلم تجره، ومن الذي سألك فلم تعطه، ومن الذي استعان بك فلم

---

(١) المراح.

تعنه، ومن الذي توكل عليك فلم تكفه، يا غوثاه يا غوثاه يا غوثاه بك أستغيث أغثني يا مغيث واهدني هداية من عندك، واقض حوائجنا، واشف مرضانا، واقض ديوننا، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين».

ثم أوعدهم وبين سوء عاقبتهم لحرمانهم من الاستعداد للإيمان فقال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾؛ أي: سيصيب الذين أشركوا بقولهم: لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ومكروا بك ﴿صَغَارٌ﴾؛ أي: ذل وهوان وحقارة في الدنيا ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ثابت لهم في حكم الله تعالى بالقتل والأسر ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ بالنار في الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: بسبب مكرهم بقولهم ذلك، وحسدهم للنبي ﷺ، وتكذيبهم له وطلبهم ما لا يستحقون.

وقال اسماعيل الضرير[1]: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: صغار وعذاب شديد عند الله في الآخرة انتهى. أي: سيصيب[2] المجرمين الماكرين الذين قد قضت سنة الله أن يكونوا زعماء في كل شعب دب فيه الفساد عذاب شديد مكان ما تمنوه وعلقوا به آمالهم من عز النبوة وشرف الرسالة. ومعنى كونه من عند الله: أنه مما اقتضاه حكمه وعدله وسبق به تقديره، فإن ما هو ثابت عند الله في حكمه التكويني الذي دبر به نظام الخلق وحكمه الشرعي التكليفي الذي أقام به العدل والحق.. يقال: إنه من عند الله، ويكون هذا جزاء لهم على استكبارهم عن الحق في دار الدنيا كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وعذاب الأمم في الدنيا بذنوبها مطرد، وعذاب الأفراد لا يطرد، وإن كانوا من المجرمين الماكرين، وقد عذب الله في الدنيا أكابر مجرمي أهل مكة الذين

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

تصدوا لإيذاء النبي ﷺ والكيد له، فقتل منهم من قتل في بدر، ولَحِق الصغار والهوان بالباقين.

ثم أردف ذلك بالموازنة بينهم وبين المستعدين للإيمان، فقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾؛ أي: فمن يرد الله سبحانه وتعالى هدايته للحق ويرشده لدينه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾؛ أي: يوسع قلبه ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ حتى يقبله بصدر منشرح منبسط له.

ومعنى الآية[١]: فمن يرد الله تعالى أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده.. يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه، ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به وإحسانه إليه، فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء به ويتسع له صدره.

والخلاصة[٢]: فمن كان أهلاً بإرادة الله وتقديره لقبوله دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة والهادي إلى طريق الحق والرشاد.. وجد لذلك في نفسه انشراحاً واتساعاً بما يشعر به قلبه من السرور، فلا يجد مانعاً من النظر الصحيح فيما ألقي إليه فيتأمله وتظهر له عجائبه، وتتضح له دلالته، فتتوجه إليه إرادته، ويذعن له قلبه بما يرى من ساطع النور الذي يستضيء به لبه، وباهر البرهان الذي يتملك نفسه.

ولما نزلت هذه الآية[٣].. سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر، فقال: «هو نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن، فينشرح له وينفسح»، فقالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «نعم، الإنابة إلى الدار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت». وأسند الطبري عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل لرسول الله ﷺ حين نزلت عليه هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قال: «إذا دخل النور القلب.. انفسح وانشرح». قالوا: فهل لذلك من آية يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار

---

(١) الخازن.
(٢) المراغي.
(٣) الخازن.

الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت».

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿أَن يُضِلَّهُۥ﴾؛ أي: إضلاله وشقاوته ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ﴾ وقلبه ﴿ضَيِّقًا﴾ عن قبول الإسلام غير متسع له ﴿حَرَجًا﴾؛ أي: شديد الضيق لا يتسع لشيء من الهدي، ولا يخلص إليه شيء من الإيمان فهو بمعنى الضيق مع المبالغة كرره تأكيداً، وحسن ذلك اختلاف اللفظ ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: كأنما يتكلف صدره الصعود في السماء، ويحاول الطلوع إليها، ويزاول أمراً غير ممكن. قال ابن جرير: وهذا[1] مثل ضربه الله لقلب هذا الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه مثل امتناعه من الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه، أي: أن[2] من فسدت فطرته بالشرك وتدنست نفسه بالآثام والذنوب.. يجد في صدره ضِيقاً أيما ضيق إذا طلب إليه التأمل فيما يدعى له من دلائل التوحيد، والنظر في الآفاق والأنفس لما استحوذ على قلبه من باطل التقاليد والاستكبار عن مخالفة ما ألفه وسار عليه الناس، وتضعف إرادته عن ترك ما هو عليه، فتكون إجابته الداعي إلى الدين الجديد ثقيلة عليه، ويشعر بالعجز عن احتمالها، ويكون مثله مثل من صعد في الطبقات العليا في جو السماء إذ يشعر بضيق شديد في التنفس، وكلما صعد في الجو أكثر شعر بضيق أشد، حتى إذا ما ارتفع إلى أعلى من ذلك شعر بتخلخل الهواء، ولم يستطع سبيلاً إلى البقاء، فإن هو قد بقي فيها مات اختناقاً.

وخلاصة ذلك: أن الله ضرب مثلاً لضيق النفس المعنوي يجده من دعي إلى الحق، وقد ألف الباطل وركن إليه بضيق التنفس الذي يجده من صعد بطائرة إلى الطبقات العليا من الجو حتى لقد يشعر بأنه أشرف على الهلاك، وهو لا محالة هالك إن لم يتدارك نفسه، وينزل من هذا الجو إلى طبقات أسفل.

سبحانك ربي، نطق كتابك الكريم بقضية لم يتفهم سرّها البشر، ولم يفقه

---

(١) الطبري.

(٢) المراغي.

معرفة كنهها إلا بعد أن مضى على نزولها نحو أربعة عشر قرناً، وتقدّم فنُّ الطيران، الآن علم الطيارين بالتجربة صدق ما جاء في كتابك، ودل على صحة ما ثبت في علم الطبيعة من اختلاف الضغط الجوي في مختلف طبقات الهواء، وقد علم الآن أن الطبقات العليا أقل كثافة في الهواء من الطبقات التي هي أسفل منها، وأنه كلما صعد الإنسان إلى طبقة أعلى شعر بالحاجة إلى الهواء وبضيق في التنفس نتيجة لقلة الهواء الذي يحتاج إليه حتى لقد يحتاجون أحياناً إلى استعمال جهاز التنفس؛ ليساعدهم على السير في تلك الطبقات.

وهذه الآيات وأمثالها لم يستطع العلماء أن يفسروها تفسيراً جلياً؛ لأنهم لم يهتدوا لسرها، وجاء الكشف الحديث وتقدم العلوم، فأمكن شرح مغزاها وبيان المراد منها بحسب ما أثبته العلم، ومن هذا صح قولهم: الدين والعلم صنوان لا عدوان، وهكذا كلما تقدم العلم أرشد إلى إيضاح قضايا خفي أمرها على المتقدمين من العلماء والمفسرين.

وخلاصة معنى الآية[١]: فمن يرد الله أن يهديه قوَّى في قلبه ما يدعوه إلى الإيمان؛ بأن اعتقد أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر، فمال طبعه إليه وقويت رغبته في حصوله وحصل في القلب استعداد شديد لتحصيله، ومن يرد أن يضله ألقى في قلبه ما يصرفه عن الإيمان ويدعوه إلى الكفر بأن اعتقد أن شر الإيمان زائد وضرره راجح، فعظمت النفرة عنه، فإن الكافر إذا دعي إلى الإسلام شق عليه جداً، كأنه كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه، ولا يقدر على ذلك، أو المعنى: كان قلب الكافر يصعد إلى السماء تكبراً عن قبول الإسلام.

وقرأ ابن كثير[٢]: ﴿ضَيْقاً﴾ ـ بالتخفيف ـ مثل هَيْن ولَيْن، وقرأ الباقون بالتشديد، وهما لغتان، وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: ﴿حَرِجاً﴾ ـ بكسر الراء ـ

---

(١) المراح.

(٢) الشوكاني وابن الجوزي.

ومعناه الضيق، فيكون تأكيداً لما قبله، وقرأ الباقون: ﴿حَرَجًا﴾ ـ بفتح الراء ـ جمع حرجة، وهي شدة الضيق. وقرأ ابن كثير: ﴿كأنما يَصْعد﴾ ـ بالتخفيف من الصعود ـ وقرأ النخعي: ﴿يصّاعد﴾ ـ بتشديد الصاد مع الألف ـ وأصله يتصاعد، وقرأ الباقون: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ ـ بالتشديد بدون ألف ـ وأصله يتصعد. وقرأ ابن مسعود وطلحة: ﴿تصعد﴾ ـ بتاء من غير ألف ـ وقرأ أبي بن كعب: ﴿يتصاعد﴾ بتاء وألف.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما جعل الله سبحانه وتعالى صدر من أراد إضلاله ضيقاً حرجاً بالإسلام ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾؛ أي: اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بآيات الله ويعرضون عن الإيمان بها، أو يسلط الله الشيطان عليهم، فيظهر أثر ذلك في تصرفاتهم وأعمالهم، فيكون غالباً قبيحاً سيئاً في ذاته، أو فيما بعث عليه من قصد ونية؛ لأن الإيمان الذي اجتنبوه هو الذي يصد عنه ويطهر الأنفس منه.

﴿وَهَٰذَا﴾ الإسلام الذي يشرح له صدر من أراد هدايته هو ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ الذي بعثك به، وبين لك أصوله وعقائده بالبراهين الواضحة والبينات الظاهرة حالة كونه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ في نظر العقول الراجحة والفطر السليمة بعيداً من الإفراط والتفريط، فلا اعوجاج فيه ولا التواء، بل هو السبيل السوي وما عداه من الملل والنحل فهو معوج ملتو بما فيه من زيغ وفساد، وخروج عن الجادة التي يؤيدها العقل، وتستند إلى النقل، كما قال عليّ ـ كرم الله وجهه ـ في نعت القرآن: هو الصراط المستقيم، وحبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ﴾؛ أي: قد فسرنا آيات القرآن وأوضحناها، وبيناها بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والحلال والحرام، والأمر والنهي وغير ذلك ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾؛ أي: لقوم يتذكرون بها ويتعظون بما فيها من المواعظ والعبر، فيؤمنون بها فيزدادون بذلك يقيناً ورسوخاً في الإيمان كما يزدادون موعظةً تبعثهم على الإذعان والعمل الصالح؛ وهم أصحاب محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال.

﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء القوم المتذكرين ﴿دَارُ﴾الله ﴿السَّلَامِ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: المنزه عن جميع النقائص؛ لأن السلام اسم من أسمائه تعالى، وهي الجنة أضافها إلى نفسه تعظيماً، أو دار السلامة من كل آفة وكدر ومكروه؛ أي: السلامة الدائمة التي تنقطع، سميت الجنة بذلك؛ لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلامة؛ لأن السلام بمعنى السلامة نظير الضلال والضلالة، أو دار السلام بمعنى التحية؛ لقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)﴾ حالة كونها مدخرة لهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يعني أن الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم إليها ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿وَلِيُّهُم﴾؛ أي: متكفل لهم بجميع مصالحهم في الدين والدنيا ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بسبب أعمالهم الصالحة، أو متولي أمورهم بالتوفيق والهداية في الدنيا، وبالجزاء والجنة في الآخرة، أو محبهم أو ناصرهم على أعدائهم بسبب أعمالهم الصالحة.

والظرف في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ متعلق بقول مقدر بعده، تقديرهُ: ويوم نحشر الخلائق ﴿جَمِيعًا﴾ من الأولين والآخرين في عرصات القيامة، نقول للجن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ وهذا أولى من تقدير: أذكر؛ لخروجه حينئذ عن الظرفية، كما قاله أبو حيان في «البحر». وقرأ حفص بالياء في ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: ويوم يحشر الله سبحانه وتعالى الخلائق جميعاً، وهو يوم القيامة يقول للجن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ وباقي السبعة بالنون، وهذا النداء نداء شهرة وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد؛ أي: يا جماعة الجن ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾؛ أي: قد أكثرتم الاستمتاع والانتفاع، والتلذذ بالإنس بطاعتهم لكم ودخولهم فيما تريدون منهم. وقيل المعنى: أكثرتم الإغواء والإضلال من الإنس حتى صاروا في حكم الأتباع لكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم﴾؛ أي: أولياء الجن وأصحابهم الذين هم ﴿مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا﴾ ويا مالك أمرنا ﴿اسْتَمْتَعَ﴾ وانتفع ﴿بَعْضُنَا﴾ معاشر الجن والإنس ﴿بِبَعْضٍ﴾ آخر؛ أي: انتفع الجن بالإنس وانتفع الإنس بالجن؛ أي: انتفع كل من الجنسين بالآخر؛ أي: وقال الذين تولوا الجن من الإنس في جواب الرب تعالى: ربنا تمتع كل منا بالآخر بما كان للجن من اللذة في إغوائنا بالأباطيل وأهواء الأنفس وشهواتها، وبما كان لنا في طاعتهم ووسوستهم من اللذة في اتباع الهوى

والانغماس في اللذات. قال الحسن البصري: وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس انتهى.

قال الكلبي[1]: فأما استمتاع الإنس بالجن: كان الرجل في الجاهلية إذا سافر، فنزل بأرض قفراء، وخاف على نفسه من الجن.. قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في جوارهم، وأما استمتاع الجن بالإنس: فهو أنهم قالوا: سدنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا، فيزدادون بذلك شرفاً في قومهم وعظماً في أنفسهم. وقيل: استمتاع الإنس بالجن هو ما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة، وتزيينهم الأمور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي، وقيل غير ذلك. وقيل: إن قوله: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ هو من كلام الإنس خاصة؛ لأن استمتاع الجن بالإنس، وبالعكس أمرٌ نادر لا يكاد يظهر، أما استمتاع الإنس بعضهم ببعض فهو ظاهر، فوجب الكلام عليهم.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾؛ أي: أدركنا ووصلنا بعد استمتاع بعضنا ببعض إلى الأجل الذي حددته لنا، وهو يوم البعث والجزاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، فاحكم فينا بما تشاء وأنت الحكم العدل، وقرىء: ﴿آجالنا﴾ ـ على الجمع الذي على التذكير والإفراد ـ قال أبو علي: هو جنس أوقع (الذي) موقع (التي)، انتهى. ذكره أبو حيان في «البحر». ومقصدهم[2] من هذا الإخبار إظهار الحسرة والندامة على ما كان منهم من التفريط في الدنيا وتفويض الأمر إلى ربهم العليم بحالهم، ولم يذكر هنا قول المتبوعين من الجن، وحكاه في آي أخرى، فقال ـ سبحانه ـ في الفريقين: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ وكما ذكر في سورة البقرة كيف يتبرأ بعضهم من بعض، وحكى في إبراهيم

(١) الخازن.
(٢) المراغي.

أقوال كل من الضعفاء التابعين من الناس، وأقوال المتكبرين المتبوعين وقول الشيطان للفريقين وتنصله من استحقاق الملام وكفره بما أشركوا.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والإنس رداً عليهم ﴿ٱلنَّارُ﴾ الأخروية ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ أي: منزلكم وموضع إقامتكم ومقركم فيها ومصيركم إليها حالة كونكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ أي: في النار؛ أي: مقيمين فيها إقامة خلود أبداً ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ سبحانه وتعالى من الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب السعير إلى عذاب الزمهرير، فيشتد البرد عليهم فيه، فيطلبون الرد إلى الجحيم كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه وتدبيره، فيضع كل شيء في محله اللائق به، وقيل: حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي، وفي سائر وجوه المجازاة ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه، فيجازي كلاً بعمله، أو عليم بعواقب أمور خلقه وما هم إليه صائرون، كأنه قال: إنما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار؛ لعلمي بأنهم يستحقون ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ آخر منهم؛ أي: نسلط بعض الظالمين بالكفر والمعاصي، أي: نسلط ونؤمر بعضهم على بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: بسبب ما يعملونه من الكفر والمعاصي، أو بسبب كسبهم وعملهم المعاصي. والضمير في ﴿كَانُوا۟﴾ عائد على البعض الثاني كما في «الجمل». والمعنى: كما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض نسلط بعض الظالمين بعضهم على بعض بسبب كسبهم من المعاصي، فيؤخذ الظالم بالظالم لما في الحديث. «ينتقم الله من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من كليهما»، وفي الحديث أيضاً «كما تكونوا يولَّ عليكم» ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها ... وما من ظالم إلا سيبتلىٰ بأظلم

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى إذا أراد بقوم

خيراً ولى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم. أي: ومثل[1] ذلك الذي ذكر من استمتاع أولياء الإنس والجن بعضهم ببعض في الدنيا لما بينهم من التناسب والمشاكلة نولي بعض الظالمين لأنفسهم وللناس بعضهم على بعض آخر بسبب ما كانوا يكسبون باختيارهم من أعمال الظلم المشتركة بينهم.

روي عن قتادة أنه قال في تفسير الآية: إنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن ولي المؤمن من أين كان وحيثما كان، والكافر ولي الكافر من أين كان وحيثما كان، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولعمري لو عملت بطاعة الله، ولم تعرف أهل طاعة الله.. ما ضرك ذلك، ولو عملت بمعصية الله وتوليت أهل طاعة الله.. ما نفعك ذلك شيئاً، انتهى. وروى أبو الشيخ عن منصور بن أبي الأسود قال: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ ما سمعتهم يقولون فيه؟ قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أمر عليهم شرارهم، انتهى. ذاك أن الملوك يتصرفون في الأمم الجاهلة الضالة تصرف الرعاة في الأنعام السائمة، فهم يتخذون الوزراء والحاشية من أمثالهم، فيقلدوهم وهم جمهور الأمة في سيء أعمالهم، فيغلب الفساد على الصلاح، ويفسقون عن أمر الله فيهلكون، أو يسلط عليهم الأمم القوية التي تستبيح حماهم، وتثل عروشهم ويصبحون مستعبدين أذلاء بعد أن كانوا سادة أعزاء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾. أما الأمم العالمة بسنن الاجتماع التي أمرها شورى بين زعمائها وأهل الرأي فيها، فلا يستطيع الملوك أن يتصرفوا فيها كما يشاؤون، بل يكونون تحت مراقبة أولي الأمر فيها، وقد[2] وضع الإسلام هذا الدستور، فجعل أمر الأمة بين أهل الحل والعقد، وأمر الرسول بالمشاورة وسار على هذا النهج، وجعلت الولاية العامة ـ الخلافة ـ بالانتخاب.

واقتفى الخلفاء الراشدون خطواته، وجروا على سنته، فقال الخليفة الأول

---

(١) الصاوي.

(٢) المراغي.

أبو بكر رضي الله عنه في أول خطبة له: أما بعد: فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإذا استقمت فأعينوني، وإذا زغت فقوموني. وقال الخليفة الثاني على المنبر: من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه. وقال الخليفة الثالث على المنبر أيام الفتنة: أمري لأمركم تبع. وقوله: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يشمل الظالمين لأنفسهم والظالمين للناس من الحكام وغيرهم؛ إذ كل من هؤلاء وأولئك يتولى من يشاكله في أخلاقه وأعماله، وينصره على من يخالفه.

ثم أجاب سبحانه وتعالى عن سؤال يخطر بالبال، وهو: ما حال الظالمين إذا قدموا على الله يوم القيامة؟ فأجاب بأنهم يسألون، فقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ وهذا شروع[1] في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين بما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم إياهم؛ أي: ويوم نحشرهم جميعاً نقول توبيخاً لهم وتقريراً: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل من مجموعكم؛ أي: من بعضكم؛ وهو الإنس، والاستفهام فيه للتوبيخ والتقريع. والصحيح[2] أن الرسل إنما كانت من الإنس خاصة، وقد قام الإجماع على أن النبي ﷺ مرسل للإنس والجن كافة، والمراد برسل الجن هم الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين، فالمراد بالرسل ما يعم رسل الرسل، فالله تعالى إنما بكت الكفار بهذه الآية؛ لأنه تعالى أزال العذر وأزاح العلة بسبب أنه تعالى أرسل الرسل إلى الكل مبشرين ومنذرين، فإذا وصلت البشارة والنذارة إلى الكل بهذا الطريق.. فقد حصل ما هو المقصود من إزاحة العذر وإزالة العلة. وقد زعم[3] قوم أن الله أرسل للجن رسولاً منهم يسمى يوسف.

وقرأ الأعرج: ﴿ألم تأتكم﴾ على تأنيث لفظ رسل بالتاء. والجن عالم غيبي لا نعرف عنه إلا ما ورد به، وقد دل الكتاب الكريم وصحيح الأحاديث على أن النبي ﷺ أرسل إليهم، كقوله تعالى حكاية عن الذين استمعوا القرآن

---

(١) أبو السعود. (٢) المراح. (٣) الجمل.

منهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ فهذا ظاهر في أنه كان مرسلاً إليهم فنؤمن بذلك، ونفوض الأمر فيما عداه إلى الله، ثم بين سبحانه وظيفة الرسل الذين أرسلهم الله إلى الفريقين بقوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾؛ أي: يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لكفار الجن والإنس على سبيل التقريع والتوبيخ والتقرير يا معشر الجن والإنس، ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آياتي؛ أي: يخبرونكم بما أوحي إليهم من آياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي المبينة لأصول الإيمان، وأحاسن الآداب والفضائل، والمفصلة لأحكام التشريع التي من ثمراتها صلاح الأعمال والنجاة من الأهوال ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا؛ وهو يوم الحشر الذي عاينوا فيه ما أعد لهم من أنواع العقوبات الهائلة، ثم أجابوا عن سؤال فهم من الكلام السابق كأنه قيل: فماذا قالوا حين ذلك التوبيخ الشديد؟ فقيل: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال كفار الجن والإنس ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾؛ أي: شهدنا واعترفنا وأقررنا بإتيان الرسل إيانا، وبإنذارهم لنا، وبمقابلتنا لهم بالكفر والتكذيب، وفي هذا الجواب اعتراف صريح بكفرهم وإقرار بأن الرسل قد أتوهم وبلغوهم دعوتهم إما مشافهةً أو نقلاً عمن سمعوا منهم.

وهذا موطن من مواطن يوم القيامة، وفي موطن آخر لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، وفي موطن ثالث يكذبون على أنفسهم بما ينكرون من كفرهم، وأنهم قدموا شيئاً من السيئات والخطايا، ونحو الآية: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾. وإنما وقعوا في ذلك الكفر بسبب أنهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: غرتهم وخدعتهم عن الآخرة زينة الحياة الدنيا ومتاعها من الشهوات والأموال والأولاد وحب السلطان على الناس وعظيم الجاه، فكفروا بالرسل عناداً وكبراً، وقلدهم في ذلك أتباعهم، واغتر كل منهم بما يغتر به من التعاون مع الآخر.

وأما غرور غيرهم ممن جاء بعدهم بالدنيا، فلما غلب عليهم من الإسراف في الشهوات المحرمة والجاه الباطل، حتى لقد أصبحت الحظوة بين الناس لذوي المال والنسب مهما اجترحوا من الموبقات، وأبسلوا من المكارم والخيرات.

﴿و﴾ بعد أن قامت عليهم الحجة ﴿شهدوا﴾ في الآخرة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بـ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟﴾ في الدنيا ﴿كَٰفِرِينَ﴾ بتلك الآيات والنذر التي جاءت بها الرسل حين رأوا أنه لا يجديهم الكذب، ولا تنفعهم المكابرة. والكفر بالرسل ضربان: كفر بتكذيبهم بالقول، وكفر بعدم الإذعان النفسي الذي يتبعه العمل بحسب سنن الله في ترتيب الأعمال على الطباع والأخلاق. ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إتيان الرسل يقصون على الأمم آيات الله لإصلاح حال الأفراد والجماعات في شؤونهم الدنيوية والأخروية، وينذرونهم يوم الحشر والجزاء بسبب ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾؛ أي بسبب أن الله سبحانه وتعالى لم يكن من سننه في تربية خلقه أن يهلك الأمم بعذاب الاستئصال الذي أوعد به مكذبي الرسل بسبب ظلم من يظلم منهم ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم غافلون إن لم يرسل إليهم رسولاً يأمرهم وينهاهم، وينذرهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا، بل يسبق هلاك كل أمة إرسال رسول يبلغها ما يجب أن تكون عليه من الصلاح والحق بما يقصه عليها من آيات الوحي في عصره، أو بما ينقله إليها من يبلغونها دعوته من بعده؛ إذ من حكمة الله تعالى في الأمم جعل ما يحل بها من عقاب جزاء على عمل استحقته به، فيكون عقابها تربية لها وزجراً لسواها.

والخلاصة[1]: أن الله تعالى لا يظلم أحداً من خلقه، بل هم الذين يظلمون أنفسهم، وأن الإهانة والتعذيب تربية لهم، وتأديب وزجر لغيرهم، وأن هذا العقاب للأمم منه ما هو في الدنيا ومنه ما هو في الآخرة، ومن الأول عذاب الاستئصال لمن عاندوا الرسل بعد أن جاؤوهم بما اقترحوا عليهم من الآيات الكونية، وبعد أن أنذروهم بالهلاك إذا لم يؤمنوا بها كما حصل لعاد وثمود، وقد انقطع ذلك بانقطاع الرسل. وهلاك الأمم يكون بما يغلب عليها من الظلم أو الفسق والفجور الذي يفسد الأخلاق، ويقطع روابط المجتمع، ويجعل بأس الأمة بينها شديداً.

(١) المراغي.

وقيل المعنى[1]: ما كان الله سبحانه وتعالى مهلك أهل القرى بظلم منه، فهو سبحانه وتعالى يتعالى عن الظلم، بل إنما يهلكهم بعد أن يستحقوا ذلك وترتفع الغفلة عنهم بإرسال الأنبياء، وقيل: المعنى أن الله لا يهلك أهل القرى بسبب ظلم من يظلم منهم مع كون الآخرين غافلين عن ذلك، فهو مثل قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.
﴿وَلِكُلٍّ﴾ من[2] المكلفين من الجن والإنس مؤمنهم وكافرهم ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ متفاوتة ومراتب مختلفة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: من جزاء أعمالهم خيراً أو شراً، فيجازيهم بأعمالهم وتفاوتها بنسبة بعضهم إلى بعض، أو بنسبة عمل كل عامل، فيكون هو في درجة، فيترقى إلى أخرى كاملة ثم إلى أكمل.

والمعنى[3]: ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات؛ أي: منازل يبلغها بعمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، وإنما سميت درجات؛ لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج، وهذا إنما يكون في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أعظم ثواباً، ومنهم من هو أشد عقاباً، وهو قول جمهور المفسرين. وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ مختص بأهل الطاعة؛ لأن لفظ الدرجة لا يليق إلا بهم ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿بِغَٰفِلٍ﴾؛ أي: بساه ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: عما يعمل المكلفون من الثقلين من أعمال الخير أو الشر. والغفلة[4] ذهاب الشيء عنك لاشتغالك بغيره. وقرأ ابن عامر: ﴿تعملون﴾ ـ بالتاء الفوقية ـ وقرأ الباقون بالتحتية؛ أي: فكل[5] عملهم يعلمه ربهم، وهو محصيه عليهم ومجازيهم بالسيئة سيئة مثلها، ويضاعف الحسنات من فضله عند لقائهم إياه ومعادهم إليه.

وفي الآية: إيماء إلى أن مناط السعادة والشقاء هو عمل الإنسان ومشيئته،

---

(١) الشوكاني.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الخازن.
(٤) الشوكاني.
(٥) المراغي.

فإن شاء عمل عمل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فكان من الذين سمعوا القول واتبعوا أحسنه، فجازاه الله أحسن الجزاء، وإن شاء تنكّب عن جادة الدين ورمى أحكامه وراءه ظهرياً، وسار في غلواء الضلال، فكان من الأشقياء الذين كبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون.

﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد هو ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ الكامل الغنى عن خلقه لا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم لا ينفعه إيمانهم ولا يضره كفرهم، ومع كونه غنياً عنهم فهو ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ الشاملة التي وسعت كل شيء إذ كل ما عداه فهو محتاج إليه تعالى في وجوده وبقائه ومحتاج إلى الأسباب التي جعلها سبحانه قوام وجوده، فلا يكون غناه عنهم مانعاً من رحمته لهم، وما أحسن هذا الكلام الرباني وأبلغه، وما أقوى الاقتران بين الغنى والرحمة في هذا المقام، فإن الرحمة لهم مع الغنى عنهم هي غاية التفضل والتطول. ويقال في الخلق: هذا غني إذا كان واجداً لأهم تلك الأسباب التي هي من فيض مولاه، وهو مع ذلك محتاج إلى غيره. انظر إلى الغني ذي المال الكثير، تراه محتاجاً إلى كثير من الناس، من الزوج والخادم والعامل والطبيب والحاكم، ومحتاجاً إلى خالقه وخالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿إِن يَشَأْ﴾ - سبحانه وتعالى - إذهابكم أيها الكافرون المعاندون واستئصالكم بالعذاب المفضي إلى الهلاك واستخلاف غيركم بعدكم ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ بعذاب يهلككم به كما أهلك أمثالكم ممن عاندوا الرسل كعاد وثمود ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الأقوام، فإنه غني عنكم وقادر على إهلاككم، وإنشاء قوم آخرين من ذريتكم أو ذرية غيركم يكونون أحق برحمته منكم ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾؛ أي: كما قدر على إنشائكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ وقد صدق وعده، فأهلك أولئك الذين عادوا خاتم رسله كبراً وعناداً، وجحدوا بما جاء به وهم يعلمون صدقه، واستخلف في الأرض غيرهم ممن كان كفرهم عن جهل أو تقليد لمن قبلهم، ولم يلبث كفرهم أن زال بالتأمل في آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، فكانوا أكمل الناس إيماناً وإسلاماً وإحساناً، وهم المهاجرون والأنصار وذرياتهم، وكانوا أعظم مظهر لرحمة الله للبشر حتى في حروبهم وفتوحهم،

وشهد لهم بذلك أعداؤهم، حتى قال مؤرخو الإفرنج: ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب. وقرأ زيد بن ثابت: ﴿ذَرية﴾ ـ بفتح الذال ـ وكذا في آل عمران، وأبان بن عثمان: ﴿ذَرِية﴾ ـ بفتح الذال وتخفيف الراء المكسورة ـ وعنه ﴿ذَرْية﴾ على وزن ضربة. وبعد أن أنذرهم عذاب الدنيا وهلاكهم فيها أنذرهم عذاب الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ ه من جزاء الآخرة بعد البعث ﴿لَآتٍ﴾لا محالة ولا مرد له، فإن الله لا يخلف الميعاد ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله بهرب ولا منع مما يريد، ولا فائتين عما هو نازل بكم وواقع عليكم، فهو القادر على إعادتكم كما قدر على بدء خلقكم، وهذا دليل قد ذكره الله تعالى في كتابه مرات كثيرة، وقد أنار العلم في هذا العصر أمر البعث وقربه إلى العقول، فأثبت أن هلاك الأشياء وفناءها ما هو إلا تحلل موادها وتفرقها، وأنه يمكن تركيب المواد المتفرقة وإرجاعها إلى تركيبها الأول في غير الأحياء.

ثم تمم الوعيد والتهديد بأمره لرسوله أن ينذرهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ واثبتوا ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ وطريقتكم التي أنتم عليها من الشرك والعداوة، فإني غير مبال بكم ولا مكترث بكفركم ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ وثابت على مكانتي وطريقتي التي رباني ربي عليها وهداني إليها، وأقامني عليها من الإسلام والمصابرة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بعد حين ﴿مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾؛ أي: من تكون له العاقبة المحمودة التي يحمد عليها صاحبها في هذه الدار؛ أي: من له النصر في دار الدنيا، ومن له وراثة الأرض ومن له الدرجات العلى في الآخرة.

وفي «الفتوحات» العاقبة المحمودة: هي الاستراحة واطمئنان الخاطر، وهذه حاصلة في الدار الآخرة التي هي الجنة، فحصلت المغايرة بين الظرف والمظروف، انتهت. ويحتمل أن يراد بعاقبة الدار مآل الدنيا بالنصر والظهور، ففي الآية إعلام بغيب. وفي قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ ترديد بينه عليه السلام وبينهم، ومعلوم أن هذا التهديد والوعيد مختص بهم، وإن عاقبة الدار الحسنى هي له ﷺ. قرأ أبو بكر: ﴿على مكاناتكم﴾ ـ على الجمع حيث وقع ـ فمن جمع قابل جمع المخاطبين بالجمع، ومن أفرد فعلى الجنس.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿من يكون﴾ - بالتحتية - وقرأ الباقون ﴿تكون﴾ بالفوقية. قال صاحب «الكشاف»: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تحتمل وجهين: اعلموا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها، يقال للرجل: إذا أمر أن يثبت على حال: على مكانك يا فلان؛ أي: اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه إني عامل على مكانتي التي أنا عليها، والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم، فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم، فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة، انتهى.

والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ للشأن؛ أي: إن الشأن لا يفوز من اتصف بصفة الظلم، وهو تعريض لهم بعدم فلاحهم؛ لكونهم المتصفين بالظلم، أي: لا يفوزون بفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة، وإنما يفوز به أهل الحق والعدل الذين يؤدون حقوق الله وحقوق أنفسهم، ولا يكمل مثل هذا إلا لرسل الله وحزبهم المفلحين من المؤمنين، انظر كيف نصر الله رسوله على الظالمين من قومه كأكابر مجرمي مكة المستهزئين به، ثم من سائر مشركي العرب، ثم نصر أصحابه على أعظم أمم الأرض وأقواها جنداً كالرومان والفرس، ثم نصر من بعدهم على من ناوأهم من أهل الشرق والغرب، فلما ظلموا أنفسهم وظلموا الناس.. لم تبق لهم ميزة عن غيرهم تمكنهم من الفلاح والفوز، وانحصر الفوز في الأسباب المادية والأسباب المعنوية كالصبر والثبات والعدل والنظام، ولا عجب بعد هذا أن يتغلب عليهم غيرهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى إنما وعدهم نصره إذا هم نصروه وأقاموا شرعه وسلكوا سبيل الحق والعدل كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾.

الإعراب

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿أَوَ﴾ ﴿الهمزة﴾: داخلة على محذوف تقديره أأنتم مثلهم، و﴿الواو﴾: عاطفة ما بعدها على ذلك المحذوف. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع

مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿مَيۡتٗا﴾: خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أحييناه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾. ﴿وَجَعَلۡنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أحيينا﴾. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلق به، لأن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى خلق. ﴿نُورٗا﴾: مفعول ﴿جعل﴾. ﴿يَمۡشِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يَمۡشِي﴾. ﴿فِي ٱلنَّاسِ﴾: جار ومجرور متعلق به أيضاً، وجملة ﴿يَمۡشِي﴾ في محل النصب صفة لـ﴿نُورٗا﴾. ﴿كَمَن﴾: جار ومجرور في محل الرفع خبر ﴿من﴾ الموصولة في قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ﴾ والجملة من المبتدأ والخبر معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿مَّثَلُهُۥ﴾ مبتدأ ومضاف إليه. ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: جار ومجرور خبره، والجملة صلة الموصول. ﴿لَيۡسَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿بِخَارِجٖ﴾: خبرها، و﴿الباء﴾: زائدة. ﴿مِّنۡهَا﴾: متعلق بـ﴿خارج﴾، وجملة ﴿لَيۡسَ﴾ في محل النصب حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبراً أعني قوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ﴾ تقديره: تزييناً مثل تزيين الإيمان للمؤمنين. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور في محل نصب صفة لمصدر محذوف تقديره: جعلاً مثل جعل أعمال الكافرين مزينة لهم ﴿زُيِّنَ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة. ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿زُيِّنَ﴾. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾، صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما كانوا يعملونه، وجملة ﴿زُيِّنَ﴾ من الفعل المغير ونائب فاعله مستأنفة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، أو عاطفة. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: جعلاً مثل جعل صناديد مكة أكابر فيها. ﴿جَعَلۡنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿زُيِّنَ﴾. ﴿فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلۡنَا﴾. ﴿أَكَٰبِرَ﴾: مفعول ثان. ﴿مُجۡرِمِيهَا﴾ مفعول أول لـ﴿جعل﴾ منصوب بالياء، وقيل في

إعرابه غير ذلك كما مر في بحث التفسير. ﴿لِيَمْكُرُواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿فِيهَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل تقديره: لمكرهم فيها، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ما﴾: نافية. ﴿يَمْكُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَمْكُرُونَ﴾. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من الضمير في ﴿يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾: على كونها فعل شرط لها. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ مستأنفة. ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالُواْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿لَن﴾: حرف نصب. ﴿نُّؤْمِنَ﴾: منصوب بـ﴿لَن﴾، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قَالُواْ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿نُؤْتَىٰ﴾: فعل مضارع مغير الصغية منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، والجملة صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى تقديره: لن نؤمن إلى إيتائنا مثل ما أوتي رسل الله، الجار والمجرور متعلق بـ﴿نُّؤْمِنَ﴾. ﴿مِثْلَ﴾: مفعول ثان لـ﴿نُؤْتَىٰ﴾؛ لأنه بمعنى أعطى، والأول كان نائب فاعل لها. ﴿مِثْلَ﴾: مضاف. ﴿مَآ﴾: موصولة أو موصوفة في محل الجر مضاف إليه. ﴿أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾: فعل ونائب فاعل ومضاف إليه، والمفعول الثاني لأتى محذوف تقديره: مثل ما أوتيه رسل الله، وهو العائد على ﴿مَآ﴾ الموصولة، والجملة صلة لـ﴿مَآ﴾، أو صفة لها. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿حَيْثُ﴾: في محل النصب مفعول به لفعل محذوف دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ تقديره: يعلم حيث يجعل رسالته، والجملة المحذوفة في محل الرفع بدل من ﴿أَعْلَمُ﴾

على كونها خبر المبتدأ، وإنما قدرنا العامل لـ﴿حَيْثُ﴾؛ لأن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به الصريح. ﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ﴾: فعل ومفعول. ﴿أَجْرَمُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿صَغَارٌ﴾: فاعل ﴿يصيب﴾، وجملة ﴿يصيب﴾ مستأنفة. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه صفة لـ﴿صَغَارٌ﴾، أو متعلق به أو بـ﴿يصيب﴾. ﴿وَعَذَابٌ﴾: معطوف على ﴿صَغَارٌ﴾. ﴿شَدِيدٌۢ﴾: صفة لـ﴿عذاب﴾. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَمْكُرُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾، صلة لـ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿الباء﴾ تقديره: بسبب مكرهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يصيب﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

﴿فَمَن﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أن من كان ميتاً فأحييناه ليس كمن مثله في الظلمات، وأردت بيان علامة هداية الله وعلامة إضلاله.. فأقول لك: ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يُرِدِ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿أَن يَهْدِيَهُۥ﴾: ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: فمن يرد الله هدايته. ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾: فعل ومفعول مجزوم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونه جواب شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾: متعلق بـ﴿يَشْرَحْ﴾، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو

هما. ﴿يُرِدْ﴾ فعل مضارع مجزوم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿أَن يُضِلَّهُۥ﴾: ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: ومن يرد إضلاله. ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾: فعل ومفعولان مجزوم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿حَرَجًا﴾: صفة ﴿ضَيِّقًا﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى. ﴿كَأَنَّمَا﴾ ﴿كأن﴾: حرف نصب وتنبيه، ولكن بطل عملها لدخول ﴿ما﴾ الكافة عليه. ﴿ما﴾ كافة لكفها ما قبلها عن العمل فيما بعدها. ﴿يَصَّعَّدُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير يعود على من يرد إضلاله. ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿يَصَّعَّدُ﴾، وجملة التشبيه إما مستأنفة، أو في محل النصب حال من الضمير المستتر في ﴿ضَيِّقًا﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: جعلاً مثل جعل صدر من يرد إضلاله ضيقاً. ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: مفعول أول. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني إن كان جعل بمعنى يصير، والتقدير: يصير الله الرجس مستعلياً عليهم محيطاً بهم، ومتعلق به إن كان بمعنى يلقي؛ لأنه يتعدى حينئذ إلى مفعول واحد، والمعنى كذلك يلقي الله العذاب على الذين لا يؤمنون. وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: حال من ﴿صِرَٰطُ﴾، والعامل فيه اسم الإشارة باعتبار ما فيه من معنى الفعل، فإنه في معنى أشير، فهو على حد قول ابن مالك:

وَعَامِلٌ ضُمِّنَ مَعْنَىٰ ٱلْفِعْلَ لاَ حُرُوْفَهُ مُؤَخَّرَاً لَنْ يَعْمَلاَ

وهي حال مؤكدة لصاحبها لا مبينة؛ لأن صراط الله لا يكون إلا مستقيماً. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلق بـ ﴿فَصَّلْنَا﴾، وجملة ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ صفة ﴿لِقَوْمٍ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢٧﴾.

﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف، والجملة من المبتدأ والخبر مستأنفة استئنافاً بيانياً لا محل لها من الإعراب لوقوعها في جواب سؤال مقدر، كأن سائلاً سأل عما أعد لهم؛ فقيل له ذلك، وفي «الفتوحات» يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة، ويحتمل أن تكون حالاً من فاعل ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾، ويحتمل أن تكون وصفاً لقوم، وعلى هذين الوجهين؛ فيجوز أن يكون الحال، أو الوصف الجار والمجرور فقط، ويرتفع ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ بالفاعلية، وهذا عندهم أولى، لأنه أقرب إلى المفرد من الجملة، والأصل في الوصف والحال والخبر الإفراد فما قرب إليه أولى. ﴿عِندَ رَبِّهِمْۖ﴾: ظرف ومضاف إليه حال من ﴿دَارُ﴾، والعامل فيها الاستقرار في ﴿لَهُمْ﴾ انتهت. ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الجر بالباء الجار والمجرور متعلق بـ﴿وَلِيُّهُم﴾. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما كانوا يعملونه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ﴾.

﴿وَيَوْمَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿يوم﴾: منصوب على الظرفية. ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الهاء، أو توكيد لها، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يوم﴾، والظرف متعلق بقول محذوف تقديره: ويوم يحشرهم جميعاً يقول الله سبحانه وتعالى توبيخاً لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ...﴾ إلخ، وجملة القول المحذوف مستأنفة. ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول للقول المحذوف. ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِۖ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب النداء.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ﴾.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: جار ومجرور حال من ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾. ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ مقول محكي

لـ﴿قال﴾، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء مقول ﴿قال﴾. ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه. ﴿بِبَعْضٍ﴾ متعلق بـ﴿اسْتَمْتَعَ﴾، والجملة الفعلية جواب النداء. ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿اسْتَمْتَعَ﴾. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ﴿أَجَلَنَا﴾. ﴿أَجَّلْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَنَا﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: أجلته لنا.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿خَالِدِينَ﴾: حال من الكاف في ﴿مَثْوَاكُمْ﴾، والعامل فيه فعل مقدر إن جعل ﴿مثوى﴾ اسم مكان؛ لأنه لا يعمل، أو هو نفسه إن جعل مصدراً بمعنى الإقامة، وعلى الثاني يكون في الكلام حذف مضاف ليصح الإخبار؛ أي: ذات إقامتكم، وتكون الكاف فاعلاً بالمصدر ذكره في «الفتوحات». ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَالِدِينَ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة بمعنى الزمن في محل النصب على الاستثناء. ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما شاءه الله تعالى، والمستثنى منه محذوف تقديره: خالدين فيها في كل زمان إلا الزمن الذي شاء الله عدم خلودهم ومكثهم فيها، أو إلا زمناً شاء الله عدم مكثهم فيها. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر أول لها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كذلك﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: تولية مثل تمتيعنا الجن والإنس بعضهم ببعض. ﴿نُوَلِّي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة متسأنفة. ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ﴾: مفعول أول ومضاف

إليه. ﴿بَعْضًا﴾: مفعول ثان. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُوَلِّي﴾: ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَكْسِبُونَ﴾: في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما كانوا يكسبونه.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ منادى مضاف. ﴿وَٱلْإِنسِ﴾: معطوف على ﴿ٱلْجِنِّ﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول لقول محذوف تقديره: ويوم يحشرهم جميعاً يقول: يا معشر الجن والإنس، وجملة القول المحذوف مستأنفة. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري التوبيخي، ﴿لم﴾: حرف جزم. ﴿يأت﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾، و﴿الكاف﴾: مفعول به. ﴿رُسُلٌ﴾ فاعل. ﴿مِّنكُمْ﴾ صفة لـ﴿رُسُلٌ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول للقول المحذوف. ﴿يَقُصُّونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به. ﴿ءَايَٰتِى﴾ مفعول به ومضاف إليه، والجملة في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿رُسُلٌ﴾، أو في محل النصب حال من ضمير ﴿مِّنكُمْ﴾ كما ذكره أبو البقاء؛ أي: من الضمير المستتر في الجار والمجرور. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه. ﴿هَٰذَا﴾: بدل من ﴿يومكم﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿يَقُصُّونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه قيل: فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ؟ فقيل: قالوا: ﴿شَهِدْنَا...﴾ الخ. ﴿شَهِدْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿شَهِدْنَا﴾. ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿الحياة﴾، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿قَالُوا۟﴾، أو جملة معترضة لا محل لها من الإعراب؛ لاعتراضها بين المعطوف الذي هو ﴿وَشَهِدُوا۟﴾، والمعطوف عليه الذي هو ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿وَشَهِدُوا۟﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾:

متعلق به، والجملة معطوفة على ﴿قَالُوا﴾. ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿كَافِرِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: وشهدوا على أنفسهم كونهم كافرين.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿أَن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن تقديره: أنه. ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾: جازم وفعل ناقص واسمه. ﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾: خبر كان ومضاف إليه. ﴿بِظُلْمٍ﴾ جار ومجرور حال من ﴿رَّبُّكَ﴾؛ أي: حالة كونه متلبساً بظلم، أو حال من الضمير في ﴿مُهْلِكَ﴾، أو حال من ﴿الْقُرَىٰ﴾؛ أي: متلبسة بذنوبها، أو متعلق بـ﴿مُهْلِكَ﴾، وجملة ﴿يَكُن﴾ من اسمها وخبرها في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المخففة، وجملة ﴿أن﴾ المخففة في تأويل مصدر مجرور بالباء المحذوفة تقديره: ذلك بسبب انتفاء كون ربك مهلك القرى. ﴿بِظُلْمٍ﴾: الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ تقديره: ذلك كائن بسبب كون ربك الخ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من ﴿الْقُرَىٰ﴾.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾.

﴿وَلِكُلٍّ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿دَرَجَاتٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿دَرَجَاتٌ﴾؛ أي: درجات كائنة مما عملوا. ﴿عَمِلُوا﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: مما عملوه. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾ استئنافية أو عاطفة ﴿ما﴾: حجازية. ﴿رَبُّكَ﴾: اسمها. ﴿بِغَافِلٍ﴾: خبرها و﴿الباء﴾: زائدة. ﴿عَمَّا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿بِغَافِلٍ﴾. ﴿يَعْمَلُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: عما يعملونه، وجملة ﴿ما﴾ الحجازية مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ﴾.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾.

﴿وَرَبُّكَ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْغَنِيُّ﴾: خبر أول. ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: خبر ثان، والجملة مستأنفة، ويجوز أن يكون ﴿ربك﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: وصفان له، ﴿إِن يَشَأْ﴾ وما بعده هو الخبر كما ذكره الكرخي. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَشَأْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ فعل ومفعول مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها، وفاعله ضمير يعود على الله، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة، أو في محل الرفع خبر ﴿ربك﴾ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يذهب﴾، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿مِنۢ بَعْدِكُم﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يستخلف﴾ ﴿مَّا﴾: موصولة أو موصوفة في محل النصب مفعول يستخلف. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة لـ﴿مَّا﴾، أو صفة لها والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما يشاؤه.

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

﴿كَمَآ﴾ ﴿الكاف﴾: حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿أَنشَأَكُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أنشأ﴾. ﴿ءَاخَرِينَ﴾: صفة لـ﴿قَوْمٍ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف تقديره: كإنشائه إياكم من ذرية قوم آخرين، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: ويستخلف من بعدكم، وينشىء إنشاءً كإنشائه إياكم من ذرية قوم آخرين؛ لأن استخلف هنا بمعنى: أنشأ وأوجد.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿تُوعَدُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: إن ما توعدونه. ﴿لَءَاتٍ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿آت﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل؛ لأنه اسم منقوص نظير قاض

وداع، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية. ﴿أَنتُم﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: خبرها، والباء زائدة، وجملة ﴿مَا﴾ الحجازية معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: جار ومجرور حال من واو ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾، أو متعلق به. ﴿إِنِّى﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الياء﴾: اسمها. ﴿عَامِلٌ﴾: خبرها، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَسَوْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية، أو فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان من له العاقبة.. فأقول لكم، ﴿سوف﴾: حرف تنفيس للاستقبال البعيد؛ لتأكيد مضمون الجملة، ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، وهي عرفانية تتعدى لمفعول واحد. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية معللة لما قبلها، أو في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿تَكُونُ﴾ صلة الموصولة، والتقدير: فسوف تعلمون الفريق الذي له عاقبة الدار. ﴿إِنَّهُۥ﴾ ﴿إن﴾: حرف نصب، والهاء ضمير الشأن في محل النصب اسمها، وجملة ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في محل الرفع خبرها، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: وما عاقبتهم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ المثل: الصفة والنعت، والظلمات جمع ظلمة؛ وهي ضد النور، وجمعها هنا؛ لأن المراد بها ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة كما مر.

﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ أكابر جمع أكبر، أو كبير غير منصرف؛ لأنه على زنة مفاعل، والمجرمون فاعلوا الإجرام، والإجرام هو ما فيه الفساد والضرر من الأعمال. والقرية[1]: البلد الجامع للناس ـ العاصمة في عرف هذا العصر ـ وقد تطلق بمعنى الشعب أو الأمة، ويراد فيها البلد في إصطلاح هذا العصر، فيقولون: ثروة البلد مصلحة البلد، ويريدون الأمة.

﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ المكر: صرف المرء غيره عما يريده إلى غيره بضرب من الحيلة في الفعل، أو الخلابة في القول، وقال أبو عبيدة[2]: المكر الخديعة، والحيلة، والفجور والغدر والخلاف.

﴿صَغَارٌ﴾: الصَّغَار[3] والصَّغَر ـ بفتحتين ـ: الذلُّ والهَوان، جزاء الكفر والطغيان، والصغار: قلة في الأمور المعنوية، والصِغَر: ـ بزنة عنب ـ قلة في الأمور الحسية، والصاغر: الراضي بالمنزلة الدنية، يقال فيه[4]: صغر ككرم كما في «القاموس» وصغر كتعب كما في «المصباح» والمصدر صِغَرٌ كعنب، وصغر كقفل، وصغار كسحاب، والصغر ضد الكبر، يقال فيه: صغر ـ بالضم ـ فهو صغير، وصغر كفرح صغراً كعنب، وصغراً كشجر، وصغراناً كعثمان.

﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ يقال[5]: شرح الله صدره فانشرح؛ أي: وسعه لقبول الإيمان والخير فوسع، وذلك أن الإنسان إذا اعتقد في عمل من الأعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر.. مال بطبعه إليه، وقويت رغبته فيه، فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر، وقيل: الشرح: الفتح والبيان، يقال: شرح الله لفلان أمره إذا أوضحه وأظهره، وشرح المسألة إذا كانت مشكلة وأوضحها وبينها، فقد ثبت أن للشرح معنيين:

---

(١) المراغي.

(٢) زاد المسير.

(٣) المراغي.

(٤) الفتوحات.

(٥) الفتوحات.

أحدهما: الفتح ومنه يقال: شرح الكافر بالكفر صدراً؛ أي: فتحه لقبوله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني فتحه ووسعه لقبوله.

والثاني: أن الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد، فيعرف بذلك النور الحق فيقبله، وينشرح صدره له ذكره في «الفتوحات».

﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ والضيق بالتشديد والتخفيف لغتان فيه كهين وهين ضد الواسع، وقيل: المخفف مصدر ضاق يضيق ضيقاً كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ يقال: ضاق يضيق ضِيقاً، وضَيقاً ـ بفتح الضاد وكسرها ـ ففي جعله مصدراً يجيء فيه الأوجه الثلاثة: في المصدر الواقع وصفاً لجثة نحو رجل عدل، وهي حذف مضاف، أو المبالغة، أو وقوعه موقع اسم الفاعل؛ أي: يجعل صدره ذا ضيق، أو ضائقاً، أو نفس الضيق مبالغة.

وقولنا فيه بالتخفيف؛ أي: تخفيف الياء بحذف الياء الثانية التي هي عين الكلمة، فيصير وزنه فَيْلاً بوزن ضرباً، وقولنا بالتشديد؛ أي: تشديد الياء، ووزنه فَيْعِل كهين وميت، وفي «السمين» وإذا قلنا: إنه مخفف من المشدد، فهل المحذوف الياء الأولى أو الثانية؟ فيه خلاف.

حرجاً وحرجاً ـ بفتح الراء وكسرها ـ هو المتزايد في الضيق؛ أي: شديد الضيق، فهو أخص من الأول، فكل حرج ضيق من غير عكس، وعلى هذا فالمكسور والمفتوح بمعنى واحد مأخوذ من الحرجة؛ وهي الشجر الكثير الملتف بعضه ببعض بحيث يصعب الدخول فيه. روي(1) أن عمر ـ رضي الله عنهه ـ سأل أعرابياً من بني مدلج عن الحرجة، فقال: هي الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية، فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

﴿ٱلرِّجْسَ﴾ كل ما يستقذر حساً أو عقلاً أو شرعاً، أو هو ما لا خير فيه، أو

(١) المراغي.

اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾؛ أي: طريقه الذي ارتضاه وسنته التي اقضتها حكمته، والمستقيم ما لا إعوجاج فيه ولا زيغ.

﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ هي الجنة، أو هي دار السلامة من المنغصات والكروب.

﴿وَلِيُّهُم﴾؛ أي: متولي أمورهم وكافيهم كل ما يهمهم.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ المعشر والنفر والقوم والرهط الجمع من الرجال فحسب، ولا واحد لها من لفظها. وقال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد نحو معشر المسلمين، ومعشر الكافرين، ويطلق على الإنس والجن بدليل الآية، ويجمع[1] على معاشر كما ورد: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، وقال الأفوه:

فِيْنَا مَعَاشِرُ لَمْ يَبْنُوْا لِقَوْمِهِمُ ... وَإِنْ بَنَىٰ قَوْمُهُمْ مَا أَفْسَدُوْا عَادُوْا

﴿ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ يقال: استكثر من الشيء إذا أخذ الكثير منه يقال: استكثر من الطعام أكل كثيراً، وهو من استفعل، ثلاثيه كثر. وقال ابن[2] عباس ومجاهد وقتادة: أفرطتم في إضلالهم وإغوائهم.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ وأولياؤهم هم الذين تولوهم؛ أي: أطاعوهم في وسوستهم وما ألقوه إليهم من الخرافات والأوهام. ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا﴾ استمتع من باب استفعل ثلاثيه متع، والاستمتاع بالشيء جعله متاعاً، والمتاع ما ينتفع به انتفاعاً طويلاً ممتداً، وإن كان قليلاً. ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾؛ أي: وصلنا يوم البعث والجزاء.

﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ المثوى مكان الثواء؛ أي: الإقامة والسكنى، أو مصدر ميمي بمعنى الثواء والإقامة، والخلود المكث الطويل غير المؤقت بوقت ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ وفي «المصباح» وقصصت الخبر قصاً من باب رد حدثته

---

(١) البحر المحيط.
(٢) البحر المحيط.

على وجهه، والاسم القَصَص ـ بفتحتين ـ انتهى. فهو من المضاعف المعدى، فقياسه ضم عين مضارعه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ أي: يهلككم من أذهب الرباعي بمعنى أهلك وأعدم.

﴿يستخلف﴾؛ أي: ينشيء الذرية والنسل من استخلف بمعنى يخلف، فالسين والتاء زائدتان.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: جاعلي من طلبكم عاجزاً غير قادر على إدراككم.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ المكانة الحالة التي هم عليها، واختلف في ميم مكان ومكانة، فقيل هي أصلية، وهما من مكن يَمْكُن من باب كرم يقال: مكن مكانة عند الأمير ارتفع وصار ذا منزلة، وقيل: هي زائدة، وهما من الكون، فالمعنى على الأول: اعملوا على ممكنتكم من أمركم وأقصى استطاعتكم، فالمكانة مصدر، وعلى الثاني: اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها، وعلى هذا تكون الميم زائدة، فيكون كل من المكان والمكانة مفعلاً ومفعلةً من الكون. ﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ والدار هي الدنيا، والمراد بالعاقبة عاقبة الخير إذ لا اعتداد بعاقبة الشر؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعل الدنيا مزرعة الآخرة وقنطرة المجاز إليها، وأراد من عباده أعمال الخير لينالوا حسن العاقبة.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة التصريحية التبعية، في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾؛ لأنه استعار الموت للكفر، فاشتق منه ميتاً بمعنى كافراً، وفي قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾؛ لأنه استعار الحياة للإيمان، وفي قوله: ﴿نُورًا﴾؛ لأنه استعار النور للهداية، وفي قوله: ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ لأنه استعار الظلمة للضلال.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿مَيْتًا﴾ وقوله: ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾، وبين قوله: ﴿نُورًا﴾ وقوله: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾.

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾؛ لأن الشرح كناية عن قبول النفس للحق والهدى الذي جاء به الرسول ﷺ.

ومنها: الطباق بين لفظي: الشرح والضيق.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿حَرَجًا﴾ لأنه تأكيد لـ﴿ضيقاً﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾؛ لأنه شبه حال من جعل الله صدره ضيقاً حرجاً عن الإيمان بحال من يكلف نفسه بالصعود إلى السماء المظلمة، أو إلى مكان مرتفع وعر كالعقبة.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾؛ لأنه استعار الصراط بمعنى الطريق لما جاء به محمد ﷺ.

ومنها: الإضافة للتشريف، في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ إذا كان السلام من أسمائه تعالى.

ومنها: الظرفية المجازية في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ﴾ الدالة على شرف الرتبة في المنزلة.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ﴾؛ أي: أفرطتم في إغواء وإضلال الإنس، وفي قوله: ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: استمتع

بعض الإنس ببعض الجن، وبعض الجن ببعض الإنس.

ومنها: تعريف الطرفين لإفادة الحصر في قوله: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾.

ومنها: الاستفهام التقريري التوبيخي في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾.

ومنها: تعويض التنوين عن المحذوف في قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾؛ أي لكل العاملين.

ومنها: دخول إن واللام على الجملة الاسمية للتأكيد، في قوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَٰتٍ﴾؛ لأن المخاطبين منكرون للبعث، فلذا أكد الخبر بمؤكدين.

ومنها: الجناس المغاير بين ﴿اعملوا﴾ و﴿عامل﴾ في قوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ﴾.

ومنها: التهديد والوعيد[1] في قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ وقوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ وقال الشاعر:

إِذَا مَا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْتَقَىٰ ٱلرُّسْلُ بَيْنَنَا ... فَسَوْفَ تَرَىٰ يَا عَمْرُوْ مَا ٱللَّهُ صَانِعُ

وقال آخر:

سَتَعْلَمُ لَيْلَىٰ أَيَّ دَيْنٍ تَدَايَنَتْ ... وَأَيَّ غَرِيْمٍ لِلتَّقَاضِيْ غَرِيْمُهَا

ومعلوم أن هذا التهديد والوعيد مختص بهم.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) البحر المحيط بتصرف.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ
يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا
كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾
قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ
ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ
وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ
إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ
ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ
أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ
وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ
كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ
ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قبح[1] طريقة

(١) البحر المحيط.

مشركي العرب في إنكارهم البعث.. ذكر أنواعاً من جهالاتهم تنبيهاً على ضعف عقولهم، وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ أنه تعالى كان أولى أن يجعل له الأحسن والأجود، وأن يكون جانبه تعالى هو الأرجح إذ كان تعالى هو الموجد لما جعلوا له منه نصيباً، والقادر على تنميته دون أصنامهم العاجزة عن ما يحل بها فضلاً أن تخلق شيئاً أو تنميه.

وعبارة «المراغي» هنا: بعد أن[1] حاجّ الله سبحانه وتعالى المشركينَ وسائر العرب في كثير من أصول الدين، وكان آخرها البعث والجزاء.. ذكر هنا بعض عبادتهم في الحرث والأنعام، والتحليل والتحريم بباعث الأهواء النفسية، والخرافات الوثنية، انتهت.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها[2]: أنه سبحانه وتعالى لما أخبر عنهم أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله.. أخذ يذكر تعالى ما امتن به عليهم من الرزق الذي تصرفوا فيه بغير إذنه تعالى افتراء منهم عليه واختلافاً، فذكر نوعي الرزق النباتي والحيواني، فبدأ بالنباتي كما بدأ به في الآية المشبهة لهذا، واستطرد منه إلى الحيواني إذ كانوا قد حرموا أشياء من النوعين.

وعبارة «المراغي» هنا: علمت[3] فيما سلف أن أصول الدين التي عني الكتاب الكريم بذكرها، واهتم ببيانها، وكررها المرة إثر المرة هي التوحيد والنبوة والبعث والقضاء والقدر، وقد بالغ سبحانه وتعالى في تقرير هذه الأصول، وأتبعها بذكر آراء لهم سخيفة وكلمات فاسدة في التحليل والتحريم تنبيهاً على ضعف عقولهم، وتنفيراً للناس من اتباع آرائهم والسير على أهوائهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله[4] سبحانه وتعالى لما أمر بالأكل من ثماره، وبإيتاء حقه.. نهى

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.

عن مجاوزة الحد، فقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ وهذا النهي يتضمن أفراد الإسراف، فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى منها للزكاة، والإسراف في الصدقة بها حتى لا يبقي لنفسه ولا لعياله شيئاً، وقيده أبو العالية وابن جريج بالصدقة بجميع المال، فيبقى هو وعياله كَلاً على الناس.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ أخرج[1] ابن المنذر وأبو الشيخ عن عكرمة في هذه الآية أنها نزلت فيمن كان يئد البنات من مضر وربيعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أخرج ابن أبي شيبة[2]، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي العالية قال: ما كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير[3] وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جد نخلاً، فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى، وليس له ثمرة، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله لم يكن إسرافاً، ولو أنفقت صاعاً في معصية الله كان إسرافاً.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَجَعَلُواْ﴾؛ أي: وعين شركاء مكة وغيرهم ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾؛ أي: مما خلق الله سبحانه وتعالى وحده ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾؛ أي: من حبوب الزرع وكذا من ثمار الأشجار ﴿و﴾ من نتاج ﴿الأنعام﴾ وهي الإبل والبقر

---

(١) الشوكاني.

(٢) الشوكاني.

(٣) لباب النقول والشوكاني.

والغنم، ومن سائر أموالهم ﴿نَصِيبًا﴾؛ أي: حظاً وقسماً معيناً يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، وجعلوا نصيباً من ذلك لمن أشركوا معه من الأوثان والأصنام ينفقونه على سدنتها، وفي قرابين يذبحون عندها، دل[١] على هذا المحذوف تفصيله القسمين فيما بعد، وهو قوله: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾. ﴿فَقَالُوا﴾ في النصيب الأول ﴿هَٰذَا لِلَّهِ﴾؛ أي: نتقرب به إليه ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: بكذبهم وافترائهم على الله تعالى متعلق بـ﴿قالوا﴾، وإنما نسبوا[٢] للكذب في هذه المقالة مع أن كل شيء لله؛ لأن هذا الجعل لم يأمرهم الله به، فهو مجرد اختراع منهم ﴿و﴾ قالوا في النصيب الثاني ﴿هذا لشركائنا﴾؛ أي: لمعبوداتنا نتقرب به إليها. ومعنى قوله: ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: بقولهم الذي لا بينة لهم عليه، ولا هدي من الله إذ جعله قربة لله يجب أن يكون خالصاً له وحده لا يشرك معه غيره فيه، وأن يكون بإذنه لأنه دين والدين لله ومن الله وحده، فهذا زعم مخترع لا دين مشترع، فيكون باطلاً.

وقد روي أنهم كانوا يجعلون نصيب الله لقرى الضيفان، وإكرام الصبيان والتصدق على المساكين، ونصيب آلهتهم لسدنتها وقرابينها، وما ينفق على معابدها، ثم[٣] إن رأوا ما عينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم، فأعطوا نصيب الله لسدنة الأصنام، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها، فلم يصرفوه للمساكين، بل يصرفونه للسدنة، وكان إذا أصابهم قحط استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لآلهتهم، ولم يأكلوا منه، وإذا هلك ما جعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لها، وإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط شيء مما جعلوه للأصنام في نصيب الله أخذوه وردوه إلى نصيب الصنم، وقالوا: إنه فقير.

وقرأ الكسائي ويحيى بن وثاب والسلمي والأعمش[٤]: ﴿بزُعمهم﴾: ـ بضم الزاي ـ وهي لغة بني أسد، وقرأ الباقون بفتحها؛ وهي لغة أهل الحجاز وهما

---

(١) زاده.
(٢) بيضاوي.
(٣) المراح.
(٤) البحر المحيط والشوكاني.

مصدران. وقيل: الفتح في المصدر، والضم في الاسم، وقرأ ابن أبي عبلة: بفتح الزاي والعين فيهما، والكسر لغة لبعض قيس وتميم، ولم يُقرأ به.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾؛ أي: فيما عينوه لشركائهم وآلهتهم ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يصرف إلى الوجوه التي جعلوها لله لا بالتصدق ولا بالضيافة ولا غيرهما، بل يهتمون بحفظه وإنفاقه على السدنة وذبح الذبائح والقرابين عندها ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾؛ أي: وما عينوه وجعلوه له ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾؛ أي: يجعلونه لآلهتهم وينفقونه في مصالحها للتقرب به إليها ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ أي: قبح الحكم حكمهم في إيثار آلهتهم على الله سبحانه، أو قبح ما يحكمون به بإيثارهم المخلوق العاجز عن كل شيء على الخالق القادر على كل شيء، وبعملهم شيئاً لم يشرعه الله.

وللقبح وجوه متعددة منها:

١ ـ أنه اعتداء على الله بالتشريع، وهو لم يأذن لهم فيه.

٢ ـ الشرك في عبادته تعالى، ولا ينبغي أن يشرك مع الله سواه فيما يتقرب به إليه.

٣ ـ ترجيح ما جعلوه لشركائهم على ما جعلوه لخالقها وخالقهم.

٤ ـ أن هذا حكم لا مستند له من عقل ولا هداية من شرع.

ثم ذكر سبحانه وتعالى من أعمال الشرك أيضاً عملاً لا مستند له من عقل ولا شرع فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومثل تزيين قسمة القرابين من الحرث والأنعام بين الله وآلهتهم، وجعلهم آلهتهم شركاء لله في ذلك ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بوأد إناثهم ونحر ذكورهم ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾؛ أي: أولياؤهم من الشياطين ومن السدنة؛ أي: زين لكثير من المشركين شركاؤهم ـ سدنة الآلهة وخدمها ـ أن يقتلوا أولادهم.

وكان مصدر هذا التزيين وجوهاً مختلفة منها:

١ ـ اتقاء الفقر الحاصل أو المتوقع، وقد أشار سبحانه إلى الأول بقوله:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وأشاء إلى الثاني بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

٢ ـ اتقاء العار بوأد البنات؛ أي: بدفنهن وهن على قيد الحياة خشية أن يكن سبباً للعار أو السباء، أو خشية أن يقترن بأزواج دون آبائهن في الشرف.

٣ ـ التدين بنحر الأولاد للآلهة تقرباً إليها بنذر أو بغير نذر، فقد كان الرجل في الجاهلية ينذر إن ولد له كذا غلاماً.. لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب في قصص طويل أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «أنا ابن الذبيحين».

وسمى الله المزينين لهم الشرك من شياطين الإنس ـ كالسدنة ـ أو شياطين الجن شركاء، وإن كانوا هم لم يسموهم لا آلهة ولا شركاء؛ لأنهم لما أطاعوهم طاعة إذعان وخضوع في التحليل والتحريم، ولا يكون ذلك إلا لله سماهم شركاء كما قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿زَيَّنَ﴾ ـ مبنياً للفاعل ـ و ﴿قَتْلَ﴾ ـ نصباً على المفعولية ـ و ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ ـ خفضاً بالإضافة ـ و ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ ـ رفعاً على الفاعل ـ والمعنى؛ أي: وهكذا زين لهم شياطينهم قتل أولادهم، فأمروا بأن يئدوا بناتهم خشية الفقر والسبي، وبأن ينحروا ذكورهم لآلهتهم، فكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور.. لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب لينحرن عبد الله.

وقرأ ابن عامر وحده: ﴿زُين﴾ ـ مبنياً للمفعول ـ و﴿قتلُ﴾ ـ رفعاً على النيابة عن الفاعل ـ و﴿أولادَهم﴾ ـ نصباً على المفعولية ـ و﴿شركائهم﴾ ـ خفضاً على إضافة المصدر إلى فاعله ـ والمعنى؛ أي: وزين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم. وهذه القراءة متواترة صحيحة، ولا عبرة بقول ابن عطية: وهذه قراءة ضعيفة في لسان العرب، فقد قرأ ابن عامر على أبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع وفضالة بن عبيد، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة المخزومي، وقرأ أيضاً على

---

(١) المراح.

عثمان، وولد هو في حياة رسول الله ﷺ. وقَرأت فرقة[1]، منهم السلمي والحسن وأبو عبيد الملك ـ قاضي الجند وصاحب ابن عامر ـ: ﴿زين﴾ ـ مبنياً للمفعول ـ و﴿قتل﴾ مرفوعاً مضافاً إلى ﴿أولادهم﴾، ﴿شركاؤهم﴾ مرفوعاً على إضمار فعل؛ أي: زينه شركاؤهم هكذا أخرجه سيبويه. أو فاعلاً بالمصدر؛ أي: قتل أولادهم شركاؤهم هكذا خرجه قطرب. فعلى توجيه سيبويه الشركاء مزينون لا قاتلون كما كان كذلك في القراءة الأولى، وعلى توجيه قطرب الشركاء قاتلون، ومجازه أنهم لما كانوا مزينين القتل جعلوا هم القاتلين، وإن لم يكونوا مباشري القتل، وقرأت فرقة من أهل الشام، ورويت عن ابن عامر: ﴿زِيْنَ﴾ ـ بكسر الزاي وسكون الياء ـ على أنه فعل ماض مبني للمفعول على وزن قيل وبيع و﴿قتل﴾ مرفوع على ما لم يسم فاعله و﴿أولادهم﴾ بالنصب، و﴿شركائهم﴾ بالخفض غاية ما في هذه القراءة أنه من زان الثلاثي، وبني للمفعول فأعل كبيع، فهي جارية على القراءة الأولى من الفصل بالمفعول.

ثم ذكر سبحانه وتعالى علة تزيين المنكرات لهم فقال: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾؛ أي: أنهم زينوا لهم هذه المنكرات ليردوهم ويهلكوهم بالإغواء والإضلال ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام، ويفسدوا عليهم فطرتهم، فتنقلب عواطف ود الوالدين من رأفة ورحمة إلى قسوة ووحشية، فينحر الوالد ولده، ويدفن بنته الضعيفة بيده، وهي حية؛ أي: زينوا لهم ليضلوهم وليدخلوا عليهم الشك في دينهم.

والدين[2] الذي لبَّسوه وخلطوه عليهم هو ما كانوا يدعونه من دين إسماعيل وملة إبراهيم عليهما السلام، وقد اختلط عليهم بما ابتدعوه من تقاليد الشرك حتى لم يعرف الأصل الذي كان يتبع من هذه الإضافات التي ضموها إليه، فهذا الذي أتاهم بهذه الأوضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين الحق.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

وقرأ النخعي[1]: ﴿وليَلبسوا﴾ ـ بفتح الياء ـ قال أبو الفتح استعارة من اللباس عبارة عن شدة المخالطة، واللام متعلقة بـ﴿زين﴾، فهي على حقيقة التعليل إن كان التزيين من الشياطين، وعلى معنى الصيرورة إن كان من السدنة.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى عدم قتلهم أولادهم ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾؛ أي: ما فعل كثير من المشركين قتل الأولاد بدفن البنات في حياتها، وبنحر الأولاد الذكور للأصنام ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: إذا عرفت يا محمد ما ذكرته لك، وأردت بيان ما هو الأصلح لك.. فأقول لك: اتركهم وافتراءهم وكذبهم في قولهم: إن الله يأمرهم بقتل أولادهم، أو فذرهم وما يختلقون من الإفك على الله والأحكام التي يشرعونها، وهو أمر تهديد ووعيد؛ أي[2]: ولو شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق الناس مطبوعين على عبادته طبعاً لا يستطيعون غيرها كالملائكة، فلا يؤثر فيه إغواء، ولا تجدي فيهم وسوسة لفعل، ولكن شاء أن يخلقهم مستعدين للتأثر بكل ما يرد على أنفسهم من الأفكار والآراء، وما يشاهدون من المحسوسات، واختيار ما يترجح عندهم أنه الخير على ما يقابله، ومن ثم يؤثر في نفوسهم ما يستفيدونه بالتعليم والاختيار والمعاشرة والمخالطة، والناس يتفاوتون في هذا جدَّ التفاوت، فلا يمكن أن يكونوا على رأي واحد، أو دين واحد، فدعهم أيها الرسول وما ينتحلونه من شرائع وما يفترون من عقائد، وعليك بما أمرت به من التبليغ والله هو الذي يتولى أمرهم، وله سنن في هداية خلقه لا تتبدل، ومن سننه أن يغلب الحق الباطلَ، ثم ذكر نوعاً ثالثاً من آرائهم الفاسدة فقال:

﴿وَقَالُواْ﴾؛ أي: وقال المشركون الذين قسموا نصيب آلهتهم أقساماً ثلاثة: ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾؛ أي: القرابين التي جعلناها للآلهة ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾؛ أي: زروع ﴿حِجْرٌ﴾؛ أي: محرمة ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾؛ أي: لا يأكل هذه الأنعام والحرث إلا خدمة الأوثان والرجال دون النساء ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: قالوا ما ذكر متلبسين بكذبهم، ومن غير حجة ﴿و﴾ هذه ﴿أنعام حرمت ظهورها﴾؛ أي:

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

ركوبها والحمل عليها، وهي البحائر والسوائب والحوامي والوصائل ﴿و﴾ هذه ﴿أنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ إذا ركبت أو حملت أو ذبحت، ونسبوا ذلك التقسيم إلى الله تعالى ﴿ٱفۡتِرَآءً﴾ وكذباً ﴿عَلَيۡهِۚ﴾ سبحانه وتعالى حيث قالوا: إن الله تعالى أمرنا بهذا التقسيم، وهذا إما مفعولٌ له، وعامله: ﴿قالوا﴾، أو حالٌ من ضميره، أو مصدرٌ مؤكد له؛ لأن قولهم ذلك هو الافتراء ﴿سيجزيهم﴾ الله سبحانه وتعالى ويعاقبهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ه ويختلقون عليه؛ أي: أن الله سيكافؤهم بسبب تقولهم عليه وكذبهم، وقرأ أبان بن عثمان: ﴿نَعَم﴾ على الإفراد. وقرأ الجمهور: ﴿حِجۡرٌ﴾ ـ بكسر الحاء وسكون الجيم ـ. وقرأ الحسن وقتادة والأعرج بضم الحاء وسكون الجيم، وقال القرطبي قرأ الحسن وقتادة بفتح الحاء وسكون الجيم، وعن الحسن أيضاً: ﴿حُجر﴾ ـ بضم الحاء ـ. وقرأ أبان بن عثمان وعيسى بن عمر بضم الحاء والجيم. وقال هارون كان الحسن يضم الحاء من ﴿حُجر﴾ حيث وقع إلا ﴿وحِجۡرًا مَّحۡجُورًا﴾ فيكسرها. وقرأ أبي وعبد الله وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعمرو بن دينار والأعمش: ﴿حرج﴾ ـ بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم وسكونها ـ وحرج على القلب معناه: معنى حجر، أو من الحرج، وهو التضييق. ذكره أبو حيان في «البحر». أي: أنهم[1] لغوايتهم وشركهم قسموا أنعامهم وزروعهم أقساماً ثلاثة:

١ ـ أنعام وأقوات من حبوب وغيرها تقتطع من أموالهم، وتجعل لمعبوداتهم تعبداً وتديناً، ويمتنعون من التصرف فيها إلا لها، ويقولون: هي حجر؛ أي: محتجرة للآلهة لا تعطى لغيرهم، وقوله: ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾؛ أي: لا يأكل منها إلا الرجال دون النساء، وقوله: ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾؛ أي: بادعائهم الباطل من غير حجة ولا برهان.

٢ ـ أنعام حرمت ظهورها، فلا تركب ولا يحمل عليها. قال السدي: هي البحيرة وما ذكر معها في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ...﴾ الآية.

---

(١) المراغي.

٣ ـ أنعام لا يذكورن اسم الله عليها في الذبح، بل يهلون بها لآلهتهم وحدها، وكانوا إذا حجوا لا يحجون عليها، ولا يلبون على ظهرها ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾؛ أي: أنهم قسموا هذا التقسيم، وجعلوه من أحكام الدين، ونسبوه إلى الله افتراء عليه، واختلاقاً له، والله منه بريء فهو لم يشرعه لهم، وما كان لغير الله أن يحرم أو يحلل على العباد ما لم يأذن به الله كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩﴾.

﴿سَيَجۡزِيهِم﴾ الجزاء[1] الذي يستحقونه، وينكل بهم شر النكال ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾؛ أي: بسبب هذا الافتراء القبيح، ثم ذكر ضرباً آخر من أحكامهم في التحريم والتحليل ينبىء عن سخفهم وقلة عقلهم فقال: ﴿وَقَالُواْ﴾؛ أي: وقال مشركوا مكة وغيرهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾؛ أي: ما ولد من هذه البحائر والسوائب حياً ﴿خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا﴾؛ أي: حلال لذكورنا خاصة، والهاء في ﴿خَالِصَةٞ﴾ للمبالغة في الخلوص ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ﴾ جنس ﴿أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ وهي الإناث، فيدخل فيه البنات والأخوات ونحوهن ﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ﴾؛ أي: ذكورهم وإناثهم ﴿فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾؛ أي: وإن يكن الذي في بطون الأنعام ميتة.. فهم فيه؛ أي: في الذي في البطون شركاء يأكل منه الذكور والإناث؛ أي: وما ولد منها ميتاً أكله الرجال والنساء جميعاً ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿وَصۡفَهُمۡۚ﴾ لما في بطونها بالتحليل والتحريم والتخصيص والاشتراك من قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ أي: سيوصل الله لهم جزاء ذنوبهم وهو وصفهم له بالتحليل والتحريم، فالواصف بذلك أولاً عمرو بن لُحي، وقد رآه النبي ﷺ يجر قصبه في النار، وكان يعلمهم تحريم الأنعام ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٞ﴾ بخلقه، وهذه الجملة تعليل لمجازاته إياهم؛ أي: فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم.

قوله: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾؛ المراد[2] بالأنعام هنا البحائر؛

---

(١) المراح. (٢) المراغي.

أي: المشقوقة الآذان، والسوائب التي تسيب وتترك للآلهة، فلا يتعرض لها أحد، وكانوا يجعلون لبنها للذكور، ويحرمونه على الإناث، وإذا ولدت ذكراً جعلوه خالصاً للذكور لا تأكل منه الإناث، وإذا كان ميتة اشترك فيه الذكور والإناث، وإذا ولدت أنثى تركوها للنتاج.

قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: سيجزيهم الله تعالى جزاء وصفهم؛ لأن حكمته تعالى في الخلق وعلمه بشؤونهم جعلت عقابهم عين ما يقضيه وصفهم ونعتهم الروحي؛ إذ لكل نفس في الآخرة صفات تجعلها في مكان معين سواء أكان في أعلى عليين، أم في أسفل سافلين.

والخلاصة: أن منشأ الجزاء نفس الإنسان باعتبار عقائدها وسائر صفاتها التي يطبعها عليها العمل، وقيل: المعنى سيجزيهم وصفهم لربهم بما جعلوا له من الشركاء في العبادة والتشريع، أو وصف ألسنتهم الكذب بما افتروا عليه فيهما كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ . . .﴾ الآية.

وقرأ عبد الله وابن جبير وأبو العالية والضحاك وابن أبي عبلة(١): ﴿خالصٌ﴾ - بالرفع بغير تاء - وهو خبر ﴿مَا﴾؛ و﴿لِذُكُورِنَا﴾ متعلق به. وقرأ ابن جبير فيما ذكر ابن جني: ﴿خالصاً﴾ - بالنصب بغير تاء - وانتصب على الحال من الضمير الذي تضمنته الصلة، أو على الحال من ﴿مَا﴾ على مذهب أبي الحسن في إجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً نحو: ﴿زيد قائماً في الدار﴾ وخبر ﴿مَا﴾ على هذه القراءة هو ﴿لِذُكُورِنَا﴾.

وقرأ ابن عباس والأعرج وقتادة وابن جبير أيضاً: ﴿خالصةً﴾ - بالنصب - وإعرابها كإعراب خالصاً بالنصب، وخرج ذلك الزمخشري على أنه مصدر مؤكد كالعافية. وقرأ ابن عباس أيضاً وأبو رزين وعكرمة وابن يعمر وأبو حيوة والزهري: ﴿خالِصَه﴾ بالإضافة إلى الضمير، وهو بدل من ﴿مَا﴾، أو مبتدأ خبره

---

(١) البحر المحيط.

﴿لِذُكُورِنَا﴾، والجملة خبر ﴿مَا﴾. وقرأ الجمهور: ﴿خَالِصَةٌ﴾ ـ بالرفع بالتاء ـ وقرأ أبو بكر[1]: ﴿وإن تكن﴾ ـ بتاء التأنيث ـ ﴿ميتةً﴾ بالنصب؛ أي: وإن تكن الأجنة التي تخرج ميتة. وقرأ ابن كثير: ﴿وإن يكن ميتةٌ﴾ ـ بالتذكير وبالرفع ـ على أنه من كان التامة، وقال الزمخشري: وقرأ أهل مكة: ﴿وإن تكن ميتةٌ﴾ ـ بالتأنيث والرفع ـ انتهى. فإن عنى ابن كثير فهو وهم، وإن عنى غيره من أهل مكة، فيمكن أن يكون نقلاً صحيحاً، وهذه القراءة التي عزاها لأهل مكة هي قراءة ابن عامر. وقرأ باقي السبعة: ﴿وَإِن يَكُن﴾ ـ بالتذكير ـ ﴿مَّيْتَةً﴾ ـ بالنصب ـ على تقدير: وإن يكن ما في بطونها ميتة. وقرأ يزيد: ﴿ميّتة﴾ ـ بالتشديد ـ، وقرأ عبد الله: ﴿فهم فيه سواء﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ بالوأد للبنات وبالنحر للذكور؛ أي: قد خسروا في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم، وإزالة ما أنعم الله به عليهم، وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم، والجملة جواب لقسم محذوف تقديره: وعزتي وجلالي لقد خسروا في الدنيا والآخرة ﴿سَفَهَۢا﴾؛ أي: قتلوهم لأجل السفه والحمق، وقلة العقل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: بغير حجة ولا إذن من الله، وهم ربيعة ومضر، وأمثالهم من العرب، وبنو كنانة لا يفعلون ذلك. وسبب هذا الخسران؛ لأن الولد نعمة عظيمة من الله على العبد، فإذا سعى في إبطاله استحق الذم العظيم في الدنيا؛ لأن الناس يقولون: قتل ولده خوفاً من أن يأكل طعامه، والعقاب العظيم في الآخرة وسببه خفة العقل؛ لأن قتل الولد إنما يكون للخوف من الفقر، والقتل أعظم ضرراً منه، والقتل ناجز، والفقر موهوم، وهذه السفاهة إنما نشأت من الجهل الذي هو أعظم المنكرات.

وقرأ الحسن والسلمي وأهل مكة والشام، ومنهما ابن كثير وابن عامر: ﴿قتّلوا﴾ ـ بالتشديد ـ. وقرأ اليماني: ﴿سفهاء﴾ ـ بصيغة الجمع ـ. ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ تعالى من الأنعام التي سموها بحائر وسوائب، وهو معطوف على ﴿قَتَلُوٓاْ﴾، فهو صلة ثانية ﴿افْتِرَآءً﴾ وكذباً ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ تعالى بنسبة ذلك إليه تعالى

---

(١) البحر المحيط.

﴿قَدْ ضَلُّوا۟﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد ضلوا وأخطؤوا بهذه الأفعال عن الصراط المستقيم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق بعد ضلالهم، فعلم أن فائدته بعد قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟﴾ أنهم بعد ما ضلوا لم يهتدوا مرة أخرى، كما ذكره الكرخي، فإن تحريم الحلال من أعظم أنواع الحماقة؛ لأنه يمنع نفسه تلك المنافع، ويستحق بسبب ذلك المنع أعظم أنواع العقاب، أو أن الجرأة بالافتراء أعظم الذنوب، وهم قد ضلوا عن الرشد في مصالح الدين ومنافع الدنيا، ولم يحصل لهم الاهتداء قط.

والحاصل(١): أن الله سبحانه وتعالى أنكر على مشركي العرب أمرين عظيمين ونعاهما عليهم، وحكم فيهم حكما عدلاً وهما:

١ - قتل أولادهم ووأد بناتهم، وبذلك خسروا خسراناً مبيناً، فإن قتل الأولاد يستلزم خسران كل ما كان يُرجى من العزة والنصرة والسرور والغبطة، والبر والصلة، وخسران العاطفة الأبوية ورأفتها، واستبدال القسوة والغلظة بها إلى نحو أولئك من مساوي الأخلاق التي يضيق بها العيش في الدنيا، وبها يحل العقاب في الآخرة.

٢ - تحريم ما رزقهم الله من الطيبات، وإيضاح هذا: أن الله سبحانه وتعالى قد حكم على من فعل هذين الجرمين بالخسران والسفاهة، وعدم العلم والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء.

أما الخسران: فلأن الولد نعمة من الله على العبد، فإذا سعى العبد في زوالها.. فقد خسر خسراناً عظيماً؛ إذ هو قد استحق الذم في الدنيا، وقال الناس فيه: إنه قتل ولده خوف أن يأكل طعامه، والعقاب في الآخرة؛ لأنه ألحق أعظم أنواع الأذى بأقرب الناس إليه محبة.

وأما السفاهة: وهي اضطراب النفس وحماقتها، فلأنه أقدم على ضرر محقق، وهو القتل خوفاً من ضرر موهوم، وهو الفقر كما مر.

---

(١) المراغي.

وأما عدم العلم بما ينفع وما يضر وما يحسن وما يقبح، فذلك من أقبح القبائح والمنكرات، وأما الافتراء على الله فلأنهم جعلوه ديناً يتقرب به إليه، وهو جرأة عليه، وذلك من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأما الضلال المبين فلأنهم لم يهتدوا إلى مصالح الدين، ولا منافع الدنيا، وأما عدم الاهتداء إلى شيء من الحق والصواب فلأنهم لم يعملوا بمقتضى العقل، ولا بهدي الشرع في منافع الدنيا وسعادة الآخرة.

وفائدة قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ بيان أنهم لم يحصل لهم اهتداء قط، والإنسان أحياناً قد يضل ثم يهتدي، ولكن هؤلاء لم يحصل لهم اهتداء بحال.

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمئة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾. وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة أنه قال في الآية: هذا صنع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة، ويغذو كلبه.

﴿وَهُوَ﴾ ـ سبحانه وتعالى ـ ربكم ﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ وأوجد وابتدع لكم ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ وبساتين من الكروم ﴿مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾؛ أي: مسموكات مرفوعات على العرش والسرير ﴿وَ﴾ جنات ﴿غير معروشات﴾؛ أي: متروكات على وجه الأرض لم تعرش، يقال: عرشت الكرم إذا جعلت لها دعائم وسمكاً تعطف عليه القطبان، واختلفوا في معنى قوله: ﴿مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾ على أربعة[١] أقوال:

أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض فانتشر مما يعرش كالكرم والقرع والبطيخ، وغير معروشات ما قام على ساق كالنخل والزرع وسائر الأشجار.

والثاني: أن المعروشات ما أنبته الناس، وغير معروشات ما خرج في

---

(١) زاد المسير.

البراري والجبال من الثمار، روياً عن ابن عباس.

والثالث: أن المعروشات وغير المعروشات الكرم منه ما عرش ومنه ما لم يعرش. قاله الضحاك.

والرابع: أن المعروشات الكروم التي قد عرش عنبها، وغير المعروشات سائر الشجر التي لا تعرش. قاله أبو عبيدة.

﴿و﴾ أنشأ ﴿النخل والزرع﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ وإنما[1] أفردهما مع أنهما داخلان في الجنات؛ لما فيهما من الفضيلة على سائر ما ينبت في الجنات، والمراد بـ﴿الزرع﴾ جميع الحبوب التي يقتات بها، وتدخر حالة كون كل من النخل والزرع ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾؛ أي: مختلف المأكول منهما، وهو ثمرهما في الهيئة والطعم، واللون والرائحة، والجودة والرداءة، وهو حال مقدرة؛ لأن النخل والزرع وقت خروجه لا أكل منه حتى يكون مختلفاً، أو متفقاً، وهو مثل قولهم، مررت برجل معه صقر صائداً به غداً؛ أي: مقدراً للصيد به غداً.

﴿وَٱلنَّخْلَ﴾[2] وإن كان من قسم الجنات غير المعروشات ذكر على سبيل الانفراد لما فيه من المنافع الكثيرة، ولا سيما للعرب، فإن بسره ورطبه فاكهة وغذاء، وتمره من أفضل الأقوات التي تدخر، ومن أيسرها تناولاً في السفر والحضر، ولا يحتاج إلى طبخ ولا إلى معالجة، ونواه علف لرواحلهم، ويتخذ منه شراب لذيذ إذا نبذ في الماء قليلاً إلى ما في خوصه وليفه من الفوائد والمنافع، وبهذه الفوائد يفضل الكرم الذي هو أقرب الشجر منه تفكهاً وتغذية وشرباً، وأشبهه به شكلاً ولوناً في عنبه وزبيبه ومنافعه.

﴿وَٱلزَّرْعَ﴾ وهو النبات الذي يكون بحرث الناس يشمل كل ما يزرع لكنه خص بما يأتي منه القوت كالقمح والشعير، وقد ذكرت هذه الأنواع على طريق الترقي من الأدنى في التغذية واقتيات الناس إلى الأعلى والأعم، فإن الحبوب هي التي عليها المعول في الاقتيات.

---

(١) زاده.

(٢) المراغي.

﴿و﴾ هو سبحانه وتعالى الذي أنشأ، وخلق لكم ﴿الزيتون والرمان﴾؛ أي: شجرهما معطوف على ﴿جنات﴾ حالة كون كل منهما ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ ورقهما ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ ثمرها في الجنس والطعم، أو يتشابه بعض أفرادهما في اللون والطعم، ولا يتشابه بعضها ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم: ﴿من ثُمُره﴾ وقرأ الباقون بفتحهما؛ أي: كلوا أيها العباد من ثمر كل منهما، أو من ثمر ذلك المذكور كله ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾، وإن لم يدرك وينع؛ أي: كلوا من ثمره إذا حصل منه ثمر، وإن لم يدرك ويبلغ حد الحصاد، والأمر فيه أمر إباحة.

لما ذكر[1] الله سبحانه وتعالى ما أنعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الأصلي، وهو الانتفاع، فقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ وهذا أمر إباحة كما مر آنفاً، وتمسك بهذا بعضهم، فقال: الأمر قد يرد إلى غير الوجوب؛ لأن هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج، وقال بعضهم: المقصود منه إباحة الأكل قبل إخراج الحق؛ لأنه تعالى لما أوجب الزكاة في الحبوب والثمار.. كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئاً قبل إخراج الواجب فيها لمكان شركة الفقراء والمساكين معه، فأباح الله أن يأكل قبل إخراجه؛ لأن رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير، وقيل: إنما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ بصيغة الأمر، ليعلم أن المقصود من خلق هذه الأشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الأكل.

وخلاصة ما سلف[2]: أنه سبحانه وتعالى بعد أن أعلم عباده بأنه هو الذي أنشأ لهم ما في الأرض من الشجر والنبات الذي يستعملون منه أقواتهم.. أعلمهم بأنه أباح ذلك كله لهم، فليس لأحد غيره أن يحرم شيئاً منه عليهم؛ لأن التحريم حق لله الخالق للعباد للأقوات جميعاً، فمن ادعاه لنفسه.. فقد جعل نفسه شريكاً له تعالى، كما أن من أذعن لتحريم غير الله.. فقد أشركه معه سبحانه وتعالى.

---

(١) الخازن. (٢) المراغي.

والتحريم الذي لا يكون إلا لله هو تحريم التشريع إما المنع من بعض هذا الثمر لسبب غير ذلك، فلا شرك، فإذا منع الطبيب بعض المرضى من أكل الثمر أو الخبز مثلاً؛ لأنه يضره يكون منعاً شرعياً أو تحريماً، لا على معنى أن الطبيب هو الذي شرع ذلك، بل الله هو الذي حرم كل ضار، والطبيب هو الذي عرَّف المريض ضرره.

وكذلك منع السلطان من صيد بعض الطيور لمصلحة عامة كالحاجة إلى كثرته لحفظ بعض الزروع؛ لأنه يأكل الحشرات المهلكة مثلاً لا يكون تحريماً ذاتياً، بل تحريماً ما دام السبب، والسلطان هو المكلف شرعاً بصيانة المصالح ودرء المفاسد، وليس له أن يحرم بمحض إرادته، وإذا هو أخطأ في اجتهاده.. وجب على الأمة الإنكار عليه، ووجب عليه أن يرجع إلى الحق.

وفائدة قوله[1]: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ بيان أن أول وقت الإباحة الأكل هو وقت الإثمار، وليس بلازم أن يدرك وينع، فالكرم ينتفع بثمره حصرماً فعنباً فزبيباً، والنخل يؤكل ثمره بسراً فرطباً فتمراً، والقمح يطحن ويؤكل خبزاً، أو يطبخ، أو يعمل حلوى على أشكال شتى.

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾؛ أي[2]: وآتوا الحق المعلوم فيما ذكر من الزرع وغيره لمستحقيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين زمن حصاده وجذاذه وقطعه جملة، ويدخل في الحصاد جني العنب وصرم النخل.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب[3]: ﴿حَصَادِهِۦ﴾؛ أي: يوم جذاذه وقطعه - بفتح الحاء - وهي لغة أهل نجد وتميم، وقرأ باقي السبعة بكسرها، وهي لغة أهل الحجاز. ذكره الفراء؛ أي[4]: اعزموا على إيتاء الزكاة لكل من الزروع والثمار يوم الحصاد، ولا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء. وإنما يجب إخراج الزكاة بعد التصفية والجفاف، والأمر بإيتائها يوم

---

(١) المراغي.
(٢) المراغي.
(٣) البحر المحيط.
(٤) المراح.

الحصاد؛ لئلا يؤخر عن وقت إمكان الأداء، وليعلم أن وجوبها بالإدراك ولو في البعض لا بالتصفية.

والمعنى[1]: آتوا وأعطوا حق كل ما وجب يوم الحصاد بعد التصفية، وفائدة ذكر الحصاد الإشعار والتنبيه على أن الحق لا يجب بنفس الزرع وإدراكه، وإنما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه، وهذا يقتضي وجوب الزكاة في الثمار كلها، كما قاله أبو حنيفة، ويقتضي ثبوت حق في القليل والكثير، فالعشر واجب في القليل والكثير كما قاله أبو حنيفة.

فإن قلت[2]: على هذا التفسير إشكال؛ وهو أن فرض الزكاة كان بالمدينة، وهذه السورة مكية، فكيف يمكن حمل قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ على الزكاة المفروضة؟

قلتُ: ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة، فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة. وإن قلنا: إن هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة؛ لأنه قد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن، وقيل في قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ إنه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر، وهذا قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحماد، قال إبراهيم: هو الضغث، وقال الربيع: هو لقاط السنبل، وقال مجاهد: كانوا يجيئون بالعذق عند الصرام، فيأكل منه من مر، وقال يزيد بن الأصم: كان أهل المدينة إذا صرموا النخل.. يجيئون بالعذق عند الصرام، فيعلقونه في جانب المسجد، فيجيء المسكين، فيضربه بعصاه، فما سقط منه أكله، فعلى هذا القول هل هذا الأمر أمر وجوب أو استحباب وندب؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر وجوب، فيكون منسوخاً بآية الزكاة، وبقوله ﷺ في

---

(١) المراح. (٢) الخازن.

حديث الأعرابي: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع».

والقول الثاني: أنه أمر ندب واستحباب، فتكون الآية محكمة، وقال سعيد بن جبير كان هذا حقاً يؤمر بإخراجه في ابتداء الإسلام، ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر، ولقول ابن عباس: نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن، واختار هذا القول الطبري وصححه، واختار الواحدي والرازي القول الأول وصححاه.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾؛ أي: لا تجاوزوا أيها المؤمنون الحد في الإعطاء والبخل حتى تمنعوا الواجب من الصدقة، أو تعطوا كله، وروي أن ثابت بن قيس بن شماس عمد إلى خمس مئة نخلة فجذها، ثم قسمها في يوم واحد، ولم يرجع منها إلى منزله بشيء، فأنزل هذه الآية: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ وقد جاء في الخبر «ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول»، أو المعنى: كلوا مما رزقكم من غير إسراف في الأكل كما قال في آية أخرى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

والإسراف مجاوزة الحد، والحد الذي ينهى الله سبحانه عن مجاوزته؛ إما شرعي: كتجاوز الحلال من الطعام والشراب وما يتعلق بهما إلى الحرام، وإما فطري طبيعي: وهو تجاوز حد الشبع إلى البطنة الضارة. ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: المجاوزين الحد الذي شرعه في كل شيء، ففيه وعيد وزجر عن الإسراف في كل شيء؛ لأن من لا يحبه الله فهو من أهل النار.

﴿وَ﴾ هو ـ سبحانه وتعالى ـ الذي أنشأ وخلق لكم ﴿مِنَ الْأَنْعَٰمِ﴾ الثلاثة الإبل والبقر والغنم ﴿حَمُولَةً﴾؛ أي: ما يحمل الأثقال. وقرأ عكرمة وأبو المتوكل وأبو الجوزاء: ﴿حُمولة﴾ ـ بضم الحاء ـ. ﴿وَفَرْشًا﴾؛ أي: ما يفرش للذبح، أو ما ينسج من وبره وصوفه وشعره للفرش، أو المعنى: هو الذي أنشأ لكم من الأنعام حمولة؛ أي: كباراً منها تصلح للحمل كالإبل ﴿وفرشاً﴾؛ أي: صغاراً مثل الفصلان الدانية من الأرض لصغر أجرامها كالفرش المفروش عليها ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: كلوا بعض ما رزقكم الله، وهو

ما أحل الله لكم من الحرث والأنعام، أو كلوا من هذه الأنعام وغيرها، وانتفعوا بها بسائر ضروب الانتفاع المباحة شرعاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾؛ أي: ولا تسلكوا السبل التي يُسوّلها لكم الشيطان بتحريم الحرث والأنعام، فتحرموا ما لم يحرمه الله تعالى، فإن ذلك إغواء وإضلال منه، والله المبدع قد أباحها لكم، فليس لغيره أن يحرم أو يحلل، ولا يتعبدكم به، ويقال: لمن اتبع آخر وبالغ في التأسي به: اتبع خطواته، ولا شك أن تحريم ما أحل الله من أقبح المبالغات في اتباع إغواء الشيطان؛ لأنه اتباع له في حرمان النفس من الطيبات لا في الاستمتاع باللذات كما هو أكثر غوايته. ثم علل النهي عن اتباعه بقوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر العداوة، فقد أخرج آدم من الجنة، وقال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا تتبعوه لأنه ظاهر العداوة بينها لا يأمر إلا بكل قبيح يسوء فعله حالاً، أو استقبالاً، ويأمركم بالافتراء على الله بغير علم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وبعد أن ذكر سبحانه أن الأنعام؛ إما حمولة وإما فرش.. فصلها وقسمها إلى ثمانية أزواج، فإن الحمولة؛ إما إبل، وإما بقر، والفراش؛ إما ضأن، وإما معز، وكل من الأقسام الأربعة؛ إما ذكر، وإما أنثى، وكل هذا الإيضاح المحال التي تقولوها على الله تعالى بالتحريم والتحليل، ثم تبكيتهم بإظهار كذبهم وافترائهم في كل محل من هذه المحال بتوجيه الإنكار إليها مفصلة، فقال:

وهو سبحانه وتعالى أنشأ لكم ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾؛ أي: ثمانية أصناف من الأنعام أنشأ لكم ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: زوجين الكبش والنعجة، وقدم الضأن على المعز؛ لغلاء ثمنه، وطيب لحمه، وعظم الانتفاع بصوفه، والضأن ذوات الصوف من الغنم، والمعز ذوات الشعر منها. وقرأ طلحة بن مصرف والحسن وعيسى بن عمر: ﴿من الضأَن﴾ ـ بفتح الهمزة ـ وقرأ أبان بن عثمان: ﴿اثنان﴾ ـ بالرفع على الابتداء والخبر مقدم ـ ﴿و﴾ أنشأ لكم ﴿من المعز اثنين﴾؛ أي: زوجين التيس والعنز. وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو: ﴿من المعَز﴾ ـ بفتح العين ـ وقرأ باقي السبعة بسكونها، وقرأ أبي: ﴿ومن المعزي﴾.

وهذه الأنواع الأربعة تفصيل للفرش فـ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول تبكيتاً وتوبيخاً وإنكاراً عليهم ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾؛ أي: هل حرم الله سبحانه وتعالى الذكرين الكبش والتيس من ذينك النوعين؟ ﴿أَمْ﴾ حرم ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ النعجة والعنز ﴿أم﴾ حرم ﴿ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾؛ أي: ما حملته إناث النوعين ذكراً كان أو أنثى؟ أي: قل لهم إن كان حرم الذكور.. فكل ذكر حرام، وإن كان حرم الإناث.. فكل أنثى حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، يعني؛ من الضأن والمعز.. فكل مولود حرام ذكراً كان أو أنثى، وكلها مولود، فيستلزم أن كلها حرام، فمن أين أخذتم تحريم البحائر والسوائب مثلاً، وتحليل غيرها. وقوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ فيه قراءتان لا غير، مد الهمزة مداً لازماً بقدر ثلاث ألفات، وتسهيل الهمزة الثانية على حد قوله في «الخلاصة»:

وَآيْمُنُ هَمْزِ أَلْ كَذَا وَيُبْدَلُ   مَدًّا فِيْ ٱلاسْتِفْهَامِ أَوْ يُسَهَّلُ

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾؛ أي: أخبروني ببينة وحجة تدل على ذلك من كتاب الله، أو خبر من أنبيائه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعوى التحريم، والمراد من هذا التبكيت لهم، وإلزام الحجة؛ لأنه يعلم أنه لا علم عندهم ﴿و﴾ أنشأ لكم ﴿من الإبل اثنين﴾؛ أي: زوجين الجمل والناقة ﴿و﴾ أنشأ لكم ﴿من البقر اثنين﴾؛ أي: زوجين الثور والبقرة فـ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد تبكيتاً وتقريعاً لهم ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾؛ أي: هل حرم الله سبحانه وتعالى الذكرين الجمل والثور؟ ﴿أَمِ﴾ ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما الناقة والبقرة؟ ﴿أم﴾ حرم ﴿ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾؛ أي: ما حملته إناث النوعين يعني من الإبل والبقر ذكراً كان أو أنثى؟

وخلاصة ذلك: أن المشركين في الجاهلية كانوا يحرمون بعض الأنعام، فاحتج سبحانه على إبطال ذلك بأن لكل من الضأن والمعز، والإبل والبقر ذكراً وأنثى، فإن كان قد حرم منها الذكر.. وجب أن يكون كل ذكورها حراماً، وإن كان حرم جل شأنه الأنثى.. وجب أن يكون كل إناثها حراماً، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الإناث.. وجب تحريم الأولاد كلها؛ لأن الأرحام تشتمل على الذكور والإناث.

وقصارى[1] **ذلك**: أنه تعالى ما حرم عليهم من هذه الأنواع الأربعة، وأنهم كاذبون في دعوى التحريم، وقد فصل ذلك أتم التفصيل مبالغة في الرد عليهم، ثم زاد في الإنكار والتهكم بهم، فقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا﴾؛ أي: هل[2] شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به؟ لا؛ أي: لم تكونوا شهداء، فإنكم لا تقرون بنبوة أحد من الأنبياء، فكيف تنبئون هذه الأحكام، وتنسبونها إلى الله تعالى.

و﴿أَمْ﴾[3] هنا منقطعة بمعنى ﴿بل﴾، وهمزة الإنكار، و﴿بل﴾ للانتقال من توبيخهم بنفي العلم عنهم المستفاد من قوله: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ إذ هو أمر تعجيز؛ أي: لا علم لكم بذلك إلى توبيخهم بنفي حضورهم وقت إيصائهم بالتحريم؛ أي: أعندكم[4] علم يؤثر عن أحد من رسله، فتنبئوني به، أم شاهدتم ربكم، فوصاكم بهذا التحريم مشافهة بغير واسطة؛ كلا ما حصل هذا ولا ذاك، فما هو إلا محض افتراء على الله يقلد فيه بعضكم بعضاً بقوله: إن الله حرم علينا كذا وكذا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والخلاصة: أنكم إذا لم تؤمنوا بنبي.. فلا طريق لكم إلى علم ذلك بحسب ما تقولون إلا أن تشاهدوا ربكم، وتتلقوا منه أحكام الحلال والحرام.

وبعد أن نفى الأمرين بالبرهان.. أثبت أنه افتراء على الله لإضلال عباده، وهو ظلم يجنيه الإنسان على نفسه وعلى غيره، ويجني سوء عاقبته، فقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ والاستفهام للإنكار؛ أي: لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بنسبة التحريم إليه ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾ عن دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ولا حجة حال[5] من فاعل ﴿يضل﴾؛ أي: ليضل الناس حال كونه متلبساً بغير علم بما يؤدي بهم إليه، أو حال من فاعل ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾؛ أي: افترى على الله

---

(1) المراغي.
(2) الخازن.
(3) الفتوحات.
(4) المراغي.
(5) المراح.

تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى؛ أي: فمن افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه كان أظلم ظالم، فما ظنك بمن افترى عليه تعالى؛ وهو يعلم أنه لم يصدر عنه.

أي: لا أحد أظلم منكم لأنكم من هؤلاء المفترين على الله بقصد الإضلال عن جهل تام.

والخلاصة: أن في ذلك تسجيل الغباوة عليهم، وعمى البصيرة باتباعهم محض التقليد من غير عقل ولا هوى، فإن عملهم ليس له إثارة من علم ولا قصد إلى شيء من الهدى إلى حق أو خير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَا يَهْدِى﴾؛ أي: لا يوفق للرشاد ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا يهدي أولئك المشركين؛ أي: لا ينقلهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان؛ أي: لا يهدي من افترى عليه الكذب، وقال عليه الزور والبهتان، ولا يهديه إلى الحق والعدل، لا من طريق الوحي، ولا من طريق العلم، بل يصده عن استعمال عقله فيما يهديه إلى الصواب، وعما فيه صلاحه عاجلاً وآجلاً، وهؤلاء كعمرو بن لحي وأضرابه.

وقد وجد في البشر[1]؛ ناس فكروا وبحثوا فيما يجب عليهم لله من الشكر والعبادة، واتباع الحق والعدل وفعل الخير بحسب ما يرشد إليه عقولهم، وأخطؤوا في بعض، وكانوا خير الناس للناس على حين فترة من الرسل كما فعل قصي؛ إذ وضع للعرب سننا حسنة كسقاية الحاج، ورفادتهم، وإطعامهم، وسن الشورى في مهام الأمور.

الإعراب

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿جعلوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة.

---

(١) المراغي.

﴿لِلَّهِ﴾ جار ومجرور في محل النصب مفعول ثانٍ لـ﴿جعل﴾. ﴿مِمَّا﴾ جار ومجرور حال من ﴿نَصِيبًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿ذَرَأَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: مما ذرأه. ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾: جار ومجرور حال من العائد المحذوف، أو من ﴿ما﴾. ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: معطوف عليه. ﴿نَصِيبًا﴾: مفعول أول لـ﴿جعل﴾، ويحتمل كون[1] ﴿جعل﴾ متعدياً إلى واحد بمعنى عينوا وميزوا نصيباً، وكل من الظرفين متعلق بـ﴿جعلوا﴾، أو الثاني بدل من الأول. ﴿فَقَالُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفصيل، ﴿قالوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ﴿جعلوا﴾. ﴿هَـٰذَا لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قالوا﴾. ﴿وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿هَـٰذَا لِلَّهِ﴾.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿فَمَا﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قالوه في التقسيم، وأردت بيان عاقبة كل من النصيبين.. فأقول لك: ﴿ما﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الرفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص واسمها ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿لِشُرَكَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الخبر بالمبتدأ جوازاً لما في المبتدأ من العموم، ﴿لا﴾: نافية. ﴿يَصِلُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يَصِلُ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في سؤال مقدر كأنه قيل: ما عاقبة النصيبين؟.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

---

(١) الفتوحات.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ أول. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾. ﴿فَهُوَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الخبر بالمبتدأ، ﴿هو﴾: مبتدأ ثان، وجملة ﴿يَصِلُ﴾ خبره. ﴿إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿يَصِلُ﴾، وجملة المبتدأ الثاني خبر للمبتدأ الأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض من أفعال الذم. ﴿مَا﴾: موصولة في محل الرفع فاعل، وجملة ﴿يَحْكُمُونَ﴾ صلتها، والعائد محذوف تقديره: ما يحكمونه، وجملة ﴿سَآءَ﴾ في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف وجوباً هو المخصوص بالذم تقديره: ساء ما يحكمون حكمهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: وتزييننا مثل تزيين قسمة القرابين بين الله وآلهتهم. ﴿زَيَّنَ﴾: فعل ماض. ﴿لِكَثِيرٍ﴾: متعلق به. ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: صفة لـ﴿لِكَثِيرٍ﴾. ﴿قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه، والتقدير: وزين لكثير من المشركين شركاؤهم قتل أولادهم تزييناً مثل تزيين قسمة القرابين بين الله وآلهتهم، والجملة الفعلية مستأنفة.

﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ﴿اللام﴾: لام كي، ﴿يردوهم﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بلام كي تقديره: لإردائهم إياهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿زَيَّنَ﴾. ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿اللام﴾: لام كي، ﴿يلبسوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿دِينَهُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: وللبسهم عليهم دينهم، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور

قبله، فعلل التزيين بشيئين بالإرداء وبالتخليط، وإدخال الشبهة عليهم في دينهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لو﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل والمفعول محذوف تقديره: عدم فعلهم، والجملة فعل شرط لـ﴿لو﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿فَعَلُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب الشرط لـ﴿لو﴾، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿فَذَرْهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أن تزيينهم بمشيئة الله تعالى، وأردت بيان ما هو المطلوب لك.. فأقول لك، ﴿ذرهم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: مصدرية، أو موصولة في محل النصب معطوف على ضمير المفعول. ﴿يَفْتَرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على ضمير المفعول تقديره: فذرهم وافتراءهم، أو صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: فذرهم والذي يفترونه، وجملة ﴿ذرهم﴾: من الفعل والفاعل في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿قالوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾ إلى قوله: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ مقول محكي لـ﴿قالوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿وَحَرْثٌ﴾: معطوف على ﴿أَنْعَٰمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾. ﴿حِجْرٌ﴾: صفة أولى لـ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾؛ لأنه مصدر على فعل يوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث كذبح بمعنى: مذبوح كما سيأتي في مبحث التصريف إن شاء الله تعالى. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ﴾: فعل ومفعول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿مَن﴾: اسم موصول

في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾. ﴿نَّشَآءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين؛ أعني المشركين، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من نشأه. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿قالوا﴾: تقديره: قالوا ذلك حالة كونهم متلبسين بزعمهم الباطل وكذبهم الفاسد، والمقول[1] الجمل الثلاث الأولى ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ. . .﴾ إلخ، الثانية ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ الخ باعتبار أنه خبر لمبتدأ محذوف، والثالث ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ باعتبار المذكور. ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾: معطوف على ﴿أَنْعَٰمٌ﴾ الأولى، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه أنعام الخ. ﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة الفعلية صفة لـ﴿أَنْعَٰمٌ﴾. ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾: معطوف على ﴿أَنْعَٰمٌ﴾ الأولى، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه أنعام؛ لأن العطف بالواو. ﴿لَّا يَذْكُرُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾: مفعول ومضاف إليه. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿يَذْكُرُونَ﴾، والجملة الفعلية صفة لـ﴿أَنْعَٰمٌ﴾، لكنه[2] غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره، بل مسوق من جهته تعالى تعييناً للموصوف، وتمييزاً له عن غيره. ﴿ٱفْتِرَآءً﴾: مفعول لأجله منصوب بـ﴿قالوا﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿ٱفْتِرَآءً﴾. ﴿سَيَجْزِيهِم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سَيَجْزِيهِم﴾. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص واسمه، وجملة ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما كانوا يفترونه.

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قالوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿قالوا﴾ الأولى. ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ مقول محكي لـ﴿قالوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿مَا﴾: موصولة في محل الرفع

---

(١) الفتوحات. (٢) أبو السعود.

مبتدأ. ﴿فِي بُطُونِ هَٰذِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صلة لـ﴿مَا﴾. ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بدل من الإشارة. ﴿خَالِصَةٌ﴾: خبر المبتدأ، والتاء فيه للمبالغة لا للتأنيث كعلامة ونسابة كما سيأتي في مبحث الصرف إن شاء الله تعالى، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾. ﴿لِّذُكُورِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَالِصَةٌ﴾. ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾: معطوف على ﴿خَالِصَةٌ﴾. ﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ متعلق به.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿إن﴾، واسمها ضمير يعود على ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾. ﴿مَّيْتَةً﴾: خبر ﴿يَكُن﴾. ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إنْ﴾ الشرطية، ﴿هم﴾: مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿شُرَكَآءُ﴾. ﴿شُرَكَآءُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجزم جواب ﴿إنْ﴾ الشرطية وجملة ﴿إنْ﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر أول لها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول صلة الموصول. ﴿سَفَهًۢا﴾، مفعول لأجله منصوب بـ﴿قَتَلُوٓا۟﴾. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿قَتَلُوٓا۟﴾؛ أي: حالة كونهم متلبسين بغير علم. ﴿وَحَرَّمُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَتَلُوٓا۟﴾. ﴿مَا﴾: موصولة في محل النصب مفعول به. ﴿رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: إياه. ﴿ٱفْتِرَآءً﴾: مفعول لأجله منصوب بـ﴿حرموا﴾. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿ٱفْتِرَآءً﴾.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿ضَلُّواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مؤكدة لما قبلها. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص واسمه. ﴿مُهْتَدِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كَانُواْ﴾ معطوفة على جملة ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿أَنشَأَ﴾: فعل، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به منصوب بالكسرة. ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: صفة له. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾: معطوف على ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾. ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾: معطوفان على ﴿جَنَّٰتٍ﴾ عطف خاص على عام. ﴿مُخْتَلِفًا﴾: حال من ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾. ﴿أُكُلُهُۥ﴾: فاعل ﴿مُخْتَلِفًا﴾؛ أي: حالة كون كل منهما مختلفاً ثمره المأكول منه. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾: معطوفان على ﴿جَنَّٰتٍ﴾. ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: حال من ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾. ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: معطوف عليه؛ أي: حالة كل من الزيتون والرمان متشابهاً ورقهما، وغير متشابه ثمرهما.

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿كُلُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كُلُواْ﴾. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَثْمَرَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على جميع ما ذكر، والجملة في محل الخفض بـ﴿إِذَآ﴾ على كونه فعل شرط لها، وجواب ﴿إِذَآ﴾ معلوم مما قبله تقديره: إذا أثمر فكلوه، وجملة ﴿إِذَآ﴾ معترضة لاعتراضها بين المعطوف والمعطوف عليه. ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة معطوفة على جملة ﴿كُلُواْ﴾. ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: ظرف ومضاف إليه في محل المفعول الثاني متعلق بـ﴿آتوا﴾، لأنه بمعنى أعطوا. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾: فعل وفاعل معطوف

على ﴿كُلُوا﴾. ﴿إِنَّهُ﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها، وجملة ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ خبرها، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

﴿وَمِنَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿من الأنعام﴾: جار ومجرور حال من ﴿حَمُولَةً﴾ وما بعده، ﴿حَمُولَةً﴾: معطوف على ﴿جنات﴾. ﴿وَفَرْشًا﴾: معطوف على ﴿حَمُولَةً﴾؛ أي: وأنشأ لكم حمولة وفرشاً من الأنعام. ﴿كُلُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: فعل ومفعول أول وفاعل، والمفعول الثاني محذوف تقديره: إياه، وهو العائد على ﴿ما﴾ الموصولة، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كُلُوا﴾. ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿إِنَّهُ﴾: ﴿إنَّ﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر ﴿إن﴾. ﴿مُبِينٌ﴾: صفة ﴿عَدُوٌّ﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

﴿ثَمَانِيَةَ﴾: معطوف بعاطف مقدر على ﴿جنات﴾؛ أي: وأنشأ لكم جنات معروشات، وثمانية أزواج. ﴿أَزْوَاجٍ﴾: مضاف إليه ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنشأ﴾ محذوفاً. ﴿اثْنَيْنِ﴾: منصوبا بـ﴿أنشأ﴾ المحذوف، أو بدل من ﴿ثَمَانِيَةَ﴾ بدل تفصيل من مجمل. ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: معطوف على قوله: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿نَبِّئُونِي﴾ مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي، ﴿الذكرين﴾: مفعول مقدم منصوب بـ﴿حَرَّمَ﴾، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿أَمِ﴾: حرف عطف. ﴿الْأُنْثَيَيْنِ﴾: معطوف على ﴿الذكرين﴾.

﴿أَمَّا﴾: ﴿أم﴾: حرف عطف مبني بسكون على الميم المدغمة ميم ﴿ما﴾، ﴿ما﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ﴿الذكرين﴾. ﴿ٱشْتَمَلَتْ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿نَبِّـُٔونِى﴾: فعل وفاعل ومفعول، والنون للوقاية. ﴿بِعِلْمٍ﴾: متعلق به، والجملة معترضة لاعتراضها بين التفاصيل المذكورة قبلها والتي بعدها على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم على كونه فعل شرط لها. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبرها منصوب، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن كنتم صادقين نبئوني بعلم، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنشأ﴾: محذوفاً. ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: مفعول به لـ﴿أنشأ﴾ المحذوف تقديره: وأنشأ لكم من الإبل اثنين، والجملة الحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ على كونها تفصيلاً لـ﴿ثمانية أزواج﴾. ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾: معطوف على قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي، ﴿الذكرين﴾: مفعول مقدم لـ﴿حَرَّمَ﴾. ﴿حَرَّمَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿أَمِ﴾ حرف عطف. ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: معطوف على ﴿الذكرين﴾.

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ﴾.

﴿أَمَّا﴾: ﴿أم﴾: حرف عطف، ﴿ما﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ﴿الذكرين﴾. ﴿ٱشْتَمَلَتْ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى همزة الإنكار وبل الانتقالية؛ لدخولها على الجملة المستقلة؛ أي:

المنقطعة عما قبلها؛ أي: بل أكنتم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿شُهَدَآءَ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان في محل النصب على الظرفية متعلق بـ﴿شُهَدَآءَ﴾. ﴿وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾. ﴿بِهَٰذَا﴾: متعلق بـ﴿وَصَّىٰكُمُ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَمَنْ﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿من﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَظْلَمُ﴾. ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة ﴿من﴾ الموصولة. ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾: ﴿اللام﴾: لام كي. ﴿يضل الناس﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على ﴿من افترى﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لإضلاله الناس، الجار والمجرور متعلق بـ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾؛ أي: افترى على الله كذباً حالة كونه متلبساً بغير علم، أو متعلق بـ﴿يضل﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْقَوْمَ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ يقال: ذرأ الله الخلق يذرأ ـ من باب فتح ـ ذرأً؛ أي خلقهم على وجه الابتداء والاختراع.

﴿نَصِيبًا﴾ ﴿النصيب﴾: الحظ والقسم، والجزء من الشيء.

﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ وفي «المصباح»[1]: زعم زعماً من باب قتل، وفي الزعم ثلاث لغات فتح الزاي لأهل الحجاز، وضمها لبني أسد، وكسرها لبعض قيس، ويطلق الزعم بمعنى القول، ومنه زَعمت الحنفيةُ، وزعم سيبويه؛ أي: قال، وعليه قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾؛ أي: قلت؛ أي: كما أخبرت، ويطلق على الظن، يقال: في زعمي كذا وعلى الاعتقاد، ومنه قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾. قال الأزهري: أكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقق، وقال بعضهم: هو كناية عن الكذب. قال المرزوقي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً، أو فيه ارتياب. وقال ابن القوطبة: زعم زعماً إذا قال خبراً لا يدري أحقاً هو أو باطلاً. قال الخطابي: ولهذا قيل: زعم مطية الكذب، وزعم غير مزعم، قال غير مقول صالح، وادعى ما لا يمكن اهـ.

وفي «السمين» ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بـ﴿قالوا﴾؛ أي: قالوا ذلك القول بزعم لا بيقين واستبصار.

والثاني: قيل: هو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به قوله ﴿لِلَّهِ﴾. وقرأ العامة بفتح الزاي هنا وفيما يأتي، وهذه لغة أهل الحجاز؛ وهي الفصحى. وقرأ الكسائي: ﴿بزُعمهم﴾ بالضم، وهي لغة بني أسد، وهل المضموم والمفتوح بمعنى واحد أو المفتوح مصدر والمضموم اسم؟ خلاف مشهور. وفي لغة لبعض قيس وبني تميم كسر الزاي، ولم يقرأ بهذه اللغة فيما علمت اهـ.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾؛ أي: يهلكوهم بالإغواء من أردى الرباعي ﴿وَلِيَلْبِسُواْ﴾؛ أي: يخلطوا قرأ[2] الجمهور بكسر الباء من لبست عليه الأمر ألبسه ـ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع ـ من باب ضرب إذا أدخلت عليه فيه الشبهة وخلطته فيه. وقرأ النخعي: ﴿وليلبسوا﴾. ـ بفتح الباء ـ فقيل: هي لغة في المعنى المذكور تقول: لبِسَت عليه الأمر ـ بفتح الباء وكسرها ـ ألبسه وألبسه، والصحيح

(١) الفتوحات.
(٢) الفتوحات.

أن لِبس ـ بالكسر ـ بمعنى لبس الثياب، وبالفتح بمعنى الخلط.

﴿حِجْرٌ﴾ ـ بكسر الحاء وسكون الجيم ـ فعل بمعنى مفعول؛ أي: محجور ممنوع كذبح وطحن بمعنى مذبوح ومطحون يستوي فيه الواحد والكثير والمذكر والمؤنث؛ لأن أصله المصدر، ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث. قال ابن مالك في لامية الأفعال:

مِنْ ذِيْ ٱلثَّلاَثَةِ بِٱلْمَفْعُوْلِ مُتَّزِنَا ... وَمَا أَتَىٰ كَفَعِيْلٍ فَهْوَ قَدْ عُدِلاَ
بِهِ عَنِ ٱلأَصْلَ وَٱسْتَغْنَوْا بِنَحْوِ نَجَا ... وَٱلنَّسْيُ عَنْ وَزْنِ مَفْعُوْلٍ وَمَا عُمِلاَ

وقال شارحها في «مناهل الرجال»: وقد يرد لفظ المصدر بمعنى المفعول كاللفظ والصيد والخلق بمعنى الملفوظ والمصيد والمخلوق؛ لأن إطلاق المصدر بمعنى المفعول مجازاً كثير مطرد، انتهى.

﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ و﴿الهاء﴾[1] في ﴿خَالِصَةٌ﴾ للمبالغة في الخلوص كعلامة ونسابة قاله الكسائي والأخفش. وقال الفراء: تأنيثها لتأنيث الأنعام، ورد بأن ما في بطون الأنعام غير الأنعام، وتعقب هذا الرد بأن ما في بطون الأنعام أنعام، وهي الأجنة و﴿مَا﴾ عبارة عنها، فيكون تأنيث ﴿خَالِصَةٌ﴾ باعتبار معنى ﴿مَا﴾ وتذكير ﴿محرم﴾ باعتبار لفظها. وقرأ الأعمش: ﴿خالص﴾ قال الكسائي: معنى خالص وخالصة واحد إلا أن الهاء للمبالغة كما تقدم عنه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ الإنشاء[2]: إيجاد الأحياء وتربيتها، وكل ما يكمل بالتدريج كإنشاء السحاب والدور والشعر والجنات والبساتين والكروم الملتفة الأشجار؛ لأنها تجن الأرض وتسترها، والمعروشات: المحمولات على العرائش؛ وهي الدعائم التي يوضع عليها مثل السقف من العيدان والقصب. وأصل العرش في اللغة[3]: شيء مسقف يجعل عليه الكرم، وجمعه عروش يقال: عرشت الكرم أعرشه عرشاً ـ من بابي ضرب ونصر ـ

---

(١) الشوكاني.
(٢) المراغي.
(٣) الفتوحات.

وعرشته تعريشاً إذا جعلته كهيئة السقف، واعترش العنب العريش إذا علاه وركبه، وغير المعروشات ما لم يعرش منها. والمراد أن الجنات نوعان: معروشات كالكروم، وغير معروشات من سائر أنواع الشجر الذي يستوي على سوقه ولا يتسلق على غيره.

﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾؛ أي: يوم جذاذه وقطعه. قال سيبويه[1]: جاؤوا بالمصدر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال، وربما قالوا فيه: فعال؛ يعني: أن هذا مصدر خاص دال على معنى زائد على مطلق المصدر، فإن المصدر الأصلي إنما هو الحصد، والحصد ليس فيه دلالة على انتهاء زمان ولا عدمها بخلاف الحَصاد والحِصاد اهـ.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ من الإسراف؛ وهو تجاوز الحد فيما يفعله الإنسان، وإن كان في الإنفاق أشهر. وقيل السرف: تجاوز ما حد لك، وسرف المال إنفاقه في غير منفعة، ولهذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله؛ فهو سرف، وإن كان قليلاً.

﴿ٱلضَّأْنِ﴾ قيل: جمع ضائن للذكر وضائنة للأنثى؛ وقيل: اسم جمع وكذا يقال في المعز سكنت عينه أو فتحت. وفي «المصباح» المعز اسم جنس لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم، الواحدة شاة وهي مؤنثة، وتفتح العين وتسكن، وجمع الساكن أمعز ومعيز مثل عبد وأعبد وعبيد، والمعزى ألفها للإلحاق لا للتأنيث، ولهذا تنون في النكرة، وتصغر على معيز، ولو كانت الألف للتأنيث.. لم تحذف، والذكر ماعز، والأنثى ماعزة اهـ، وفيه أيضاً والعنز الأنثى من المعز إذا أتى عليها حول.

﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ والحمولة الكبير من الإبل، والبقر الذي يحمل عليه الناس الأثقال، والفرش ما يفرش للذبح من الضأن والمعز وصغار الإبل والبقر، أو ما يتخذ الفرش من صوفه ووبره وشعره كما مر.

---

(١) الفتوحات.

﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ والخطوات واحدها خُطوة - بالضم - وهي المسافة التي بين القدمين.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من الفصاحة والبلاغة والبيان والبديع:

فمنها: التقسيم في قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وفي قوله: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ الخ. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

ومنها: التكرار في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿لِشُرَكَآئِنَا﴾.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ لأنه استعار اللبس لشدة المخالطة الحاصلة بينهم وبين التخليط حتى كأنها لبسوها كالثياب، وصارت محيطة بهم.

ومنها: الطباق في قوله تعالى: ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾ لأن الأنعام حيوان، والحرث جماد، وبين قوله: ﴿لذكورنا وأزواجنا﴾؛ أي: إناثنا، وبين قوله: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾، وبين قوله: ﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾، وبين قوله: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ لأن الحمولة الكبار الصالحة للحمل، والفرش الصغار الدانية من الأرض كأنها فرش.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأن الخطوة ما بين القدمين استعارها لتسويل الشيطان ووسوسته، وهي أبلغ(١) عبارة في التحذير من طاعة الشيطان والسير في ركابه.

ومنها: الجناس المغاير في قوله تعالى: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، وفي قوله: ﴿مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

---

(١) تلخيص البيان.

ومنها: المقابلة في قوله تعالى: ﴿من الضأن.. ومن المعز.. ومن الإبل.. ومن البقر﴾.

ومنها: الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ أظهر الاسم الجليل في موضع الإضمار؛ لإظهار كمال عتوهم وضلالهم أفاده أبو السعود.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ لأن المقصود إنكار أن الله حرمها.

ومنها: الاعتراض في قوله تعالى: ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ﴾، وقوله: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ لأنه اعترض بهما بين المعدودات وقعت تفصيلاً لثمانية أزواج.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ
وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ
ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا
حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ
فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا
تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ
وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ
أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟
ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها[1]: أن الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر أنهم حرموا ما حرموا افتراءً على الله.. أمر تعالى نبيه ﷺ أن يخبرهم بأن مدرك التحريم إنما

(١) البحر المحيط.

هو بالوحي من الله تعالى وبشرعه، لا بما تهوى الأنفس وما تختلقه على الله تعالى.

وعبارة «المراغي» هنا: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لمّا ذكر(١) في سابق الآيات أنه ليس لأحد أن يحرم شيئاً من الطعام ولا غيره إلا بوحي من ربه على لسان رسله، ومن فعل ذلك يكون مفترياً على الله معتدياً على مقام الربوبية، ومن اتبعه في ذلك.. فقد اتخذه شريكاً لله تعالى، وأبان أن من هذا ما حرمته العرب في جاهليتها من الأنعام والحرث.. أردف ذلك بذكر ما حرمه على عباده من الطعام على لسان خاتم رسله وألسنة بعض الرسل قبله.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ...﴾ الآية. مناسبة هذه الآية لما قبلها(٢): أنه سبحانه وتعالى لما بين أن التحريم إنما يستند للوحي الإلهي.. أخبر أنه حرم على بعض الأمم السابقة أشياء، كما حرم على أهل هذه الملة أشياء مما ذكرها من الآية قبل.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما كان(٣) الكلام في سالف الآيات في تفصيل أصول الإسلام من توحيد الله والنبوة والبعث، وفي دحض شبهات المشركين التي كانوا يحتجون بها على شركهم وتكذيبهم للرسل، وإنكارهم للبعث، وفي بيان أعمالهم التي هي دلائل على الشرك من التحريم والتحليل بخرافات وأوهام.. ذكر هنا شبهة مثل بمثلها كثير من الكفار، وهم وإن لم يكونوا قالوها وأوردوها على الرسول ﷺ فإن الله المحيط علمه بكل شيء يعلم أنهم سيقولونها، فذكرها وردَّ عليها بما يبطلها، وكان ذلك من إخباره بأمور الغيب قبل وقوعها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها(٤): أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر ما حرموه افتراءً

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.

عليه، ثم ذكر ما أباحه تعالى لهم من الحبوب والفواكه والحيوان.. ذكر ما حرمه تعالى عليهم من أشياء نهاهم عنها، وما أوجب عليهم من أشياء أمرهم بها.

وعبارة «المراغي» هنا: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين لعباده جميع ما حرم عليهم من الطعام، وذكر حجته البالغة على المشركين الذين حرموا على أنفسهم ما لم يحرمه عليهم، ودحض شبهتهم التي احتجوا بها على شركهم بربهم وافترائهم عليه.. ذكر في هذه الآيات أصول المحرمات في الأقوال والأفعال، وأصول الفضائل، وأنواع البر.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه عبد بن حميد عن طاوس[1] قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء، ويستحلون أشياء، فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿قُل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين المفترين على الله الكذب فيما يضرهم من تحريم ما لم يحرم عليهم، وقل لغيرهم من الناس ﴿لَّآ أَجِدُ﴾ ولا أعلم ولا أرى ﴿فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾؛ أي: فيما أوحاه إلي ربي. وروي عن ابن عامر: ﴿فيما أوحى﴾ - بفتح الهمزة والحاء - جعله فعلاً ماضياً مبنياً للفاعل. ذكره أبو حيان في «البحر»؛ أي: فيما أوحاه إلي ربي في القرآن فلا ينافي تحريم ما أوحى إليه في غير القرآن، كذي الناب وذي المخلب من الطيور طعاماً. ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾؛ أي: على آكل يريد أن يأكله وفي قوله: ﴿يطعمه﴾: زيادة تأكيد وتقرير لما قبله. ذكره الشوكاني. وقال أبو بكر الرازي في قوله: ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ دلالة على أن المحرم من الميتة ما يتأتى فيه الأكل منها، وإن لم يتناول الجلد المدبوغ، ولا القرن، ولا العظم، ولا الظلف، ولا الريش ونحوها

(١) المراغي.

انتهى. ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ ذلك الطعام ﴿مَيۡتَةً﴾ لم تذك ذكاة شرعية، وذلك شامل لما مات حتف أنفه، وللمنخنقة والموقوذة والنطيحة ونحوها مما سبق ذكره في المائدة. وقرىء: ﴿يطَّعِمه﴾ ـ بالتشديد وكسر العين ـ والأصل يتطعمه، فأبدلت التاء بطاء، وأدغمت فيها الأولى. ذكره أبو البقاء. وقرأ[1] ابن كثير وحمزة: ﴿تكون﴾ ـ بالتأنيث ـ ﴿مَيۡتَةً﴾ بالنصب على تقدير إلا أن تكون المحرمة ميتة. وقرأ ابن عامر: ﴿تكون﴾ ـ بالتأنيث ـ ﴿ميتةٌ﴾ ـ بالرفع ـ على معنى: إلا أن توجد ميتة، أو إلا أن تكون هناك ميتة. وقرأ الباقون ﴿يَكُونَ﴾ ـ بالتذكير ـ ﴿مَيۡتَةً﴾ ـ بالنصب ـ؛ أي: إلا أن يكون ذلك المحرم ميتة. وعلى قراءة ابن عامر يكون ما بعد هذا معطوفاً على ﴿أن يكون﴾ الواقعة مستثناة؛ أي: إلا وجود ميتة. وعلى قراءة غيره يكون معطوفاً على قوله: ﴿مَيۡتَةً﴾.

﴿أَوۡ﴾ إلا أن يكون ذلك المحرم ﴿دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾؛ أي: سائلاً كالدم الذي يجري من المذبوح، أو من الحي حال حياته، وغير[2] المسفوح معفو عنه كالدم الذي يبقى في العروق بعذ الذبح، ومنه الكبد والطحال.

وفي الحديث: «أحلت لنا ميتتان: السمك والجراد، ودمان: الكبد والطحال». وهكذا ما يتلطخ به اللحم من الدم. وقد حكى القرطبي الإجماع على هذا، وقيل لأبي مجلز[3]: القدر تعلوها الحمرة من الدم، فقال: إنما حرم الله تعالى المسفوح، وقالت نحوَه عائشةُ رضي الله عنها، وعليه إجماع العلماء. وقال أبو بكر الرازي، وفي قوله: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ دلالة على أن دم البق والبراغيث والذباب ليس بنجس انتهى.

﴿أَوۡ﴾ إلا أن يكون ذلك المحرم ﴿لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ وتخصيص[4] اللحم بالذكر؛ للتنبيه على أنه أعظم ما ينتفع به من الخنزير، وإن كان سائره مشاركاً له في التحريم بالتنصيص على العلة من كونه رجساً، أو لإطلاق الأكثر على كله، أو

---

(١) المراح.
(٢) الشوكاني.
(٣) البحر المحيط.
(٤) البحر المحيط.

الأصل على التابع؛ لأن الشحم وغيره يتبع اللحم، وقال الشوكاني: وظاهر تخصيص اللحم أنه لا يحرم الانتفاع منه بما عدا اللحم، انتهى. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: فإن كل ما ذكر من الميتة وما بعدها. وأفرد الضمير؛ لأن العطف بأو ﴿رِجْسٌ﴾؛ أي: نجس أو خبيث مخبث تعافه الطباع السليمة، وهو ضار بالأبدان الصحيحة. وقال الشوكاني: والضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ عائد إلى اللحم أو الخنزير، انتهى؛ أي: قذر لتعوده أكل النجاسة، أو خبيث مخبث ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ معطوف على المنصوب قبله، وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ذكر للتعليل، ﴿أو﴾ كان ذلك المحرم ﴿فسقاً﴾؛ أي: ذبحاً خارجاً عن الحلال لكونه أهل به؛ أي: ذبح به لغير الله بأن ذبح على اسم الأصنام مثلاً، وهو كل ما يتقرب به إلى غير الله سبحانه وتعالى تعبداً، ويذكر اسمه عليه عند ذبحه.

قال أبو حيان[1]: وجاء الترتيب هنا كالترتيب الذي في البقرة والمائدة، وجاءت هنا هذه المحرمات منكرة والدم موصوفاً بقوله: ﴿مَّسْفُوحًا﴾، والفسق موصوفاً بقوله: ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ وفي تينك السورتين معرفة؛ لأن هذه السورة مكية؛ فعلق بالتنكير، وتينك السورتان مدنيتان؛ فجاءت تلك الأسماء معارف بالعهد حوالة على ما سبق تنزيله في هذه السورة انتهى.

فصل[2]

وذكر المفسرون هنا أشياء مما اختلف أهل العلم فيها، ونلخص من ذلك شيئاً، فنقول: أما الحمر الأهلية: فذهب الشعبي وابن جبير إلى أنه يجوز أكلها، وإن تحريم الرسول لها إنما كان لعلة، وأما لحوم الخيل: فاختلف السلف فيها، وأباحها الشافعي وابن حنبل وأبو يوسف ومحمد بن الحسن. وعن أبي حنيفة: الكراهة، فقيل: كراهة تنزيه، وقيل: كراهة تحريم؛ وهو قول مالك والأوزاعي والحكم بن عتيبة وأبي عبيد وأبي بكر الأصم. وقال به من التابعين مجاهد، ومن

(١) البحر المحيط.
(٢) البحر المحيط.

الصحابة ابن عباس، وروي عنه خلافه، وقد صنف في حكم لحومل الخيل جزءاً قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي رحمه الله قرأناه عليه، وأجمعوا على تحريم البغال، وأما الحمار الوحشي إذا تأنس، فذهب أبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح والشافعي: إلى جواز أكله، وروى ابن القاسم عن مالك أنه إذا دُجّن وصار يعمل عليه كما يعمل على الأهلي أنه لا يؤكل.

وقال أبو حنيفة وأبو يوسف وزفر ومحمد: لا يحل أكل ذي الناب من السباع، وذي المخلب من الطير، وقال مالك: لا يؤكل سباع الوحش ولا البر وحشياً كان أو أهلياً، ولا الثعلب ولا الضبع، ولا بأس بأكل سباع الطير الرخم والعقاب والنسور وغيرها ما يأكل الجيفة وما لا يأكل، وقال الأوزاعي: الطير كله حلال إلا أنهم يكرهون الرخم، وقال الشافعي: ما عدا على الناس من ذي الناب كالأسد والذئب والنمر، وعلى الطيور من ذي المخلب كالنسر والبازي لا يؤكل، ويؤكل الثعلب والضبع، وكره أبو حنيفة الغراب الأبقع، لا الغراب الزرعي، والخلاف في الحدأة كالخلاف في العقاب والنسر، وكره أبو حنيفة الضّبّ.

وقال مالك والشافعي: لا بأس به. والجمهور: على أنه لا يؤكل الهر الإنسي، وعن مالك: جواز أكله إنسياً كان أو وحشياً. وعن بعض السلف جواز أكله إنسيه. وقال ابن أبي ليلى: لا بأس بأكل الحية إذا ذكيت. وقال الليث: لا بأس بأكل القنفذ وفراخ النحل ودود الجين ودود التمر ونحوه، وكذا قال ابن قاسم عن مالك في القنفذ. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تؤكل الفأرة. وقال أبو حنيفة: لا يؤكل اليربوع، وقال الشافعي: يؤكل. وعن مالك في الفأر التحريم والكراهة والإباحة. وذهب أبو حنيفة والشافعي وأصحابهما إلى كراهة أكل الجلالة. وقال مالك والليث: لا بأس بأكلها. وقال صاحب «التحرير والتحبير»: وأما المخدرات كالبنج والسيكران واللفاح وورق القنب المسمى بالحشيشة.. فلم يصرح فيها أهل العلم بالتحريم، وهي عندي إلى التحريم أقرب؛ لأنه إن كانت مسكرة فهي محرمة بقوله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» وبقوله: «كل مسكر

حرام». وإن كانت غير مسكرة فإدخال الضرر على الجسم حرام. وقد نقل ابن بخسيشوع في كتابه: إن ورق القنب يحدث في الجسم سبعين داء، وذكر منها أنه يصفر الجلد، ويسود الأسنان، ويجعل فيها الحفر، ويثقب الكبد ويحميها، ويفسد العقل ويضعف البصر، ويحدث الغم ويذهب الشجاعة، والبنج والسيكران كالورق في الضرر. وأما المرقدات كالزعفران والمازريون.. فالقدر المضر منها حرام. وقال جمهور الأطباء: إذا استعمل من الزعفران كثير.. قتل فرحاً، انتهى وفيه بعض تلخيص.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾؛ أي: فمن دفعته ودعته ضرورة الجوع وفقد الحلال إلى أكل شيء من هذه المحرمات حالة كونه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله تارك لمواساته ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: متجاوز قدر حاجة في تناوله، وهو القدر الذي يسد الرمق ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿غَفُورٌ﴾ له، فلا يؤاخذه بالأكل من تلك المحرمات ﴿رَحِيمٌ﴾ له حيث رخص له في الأكل من تلك المحرمات.

ولما[1] كان صدر هذه الآية مفتتحاً بخطابه تعالى لنبيه ﷺ بقوله: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ اختتم الآية بالخطاب له ﷺ، فقال: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ ليدل على اعتنائه تعالى بتشريف خطابه افتتاحاً واختتاماً.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ ورجعوا عن عبادة العجل خاصة لا على غيرهم من الأولين والآخرين ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ﴾ حيوان ﴿ذِى ظُفُرٍ﴾؛ أي: صاحب ظفر وهو كل ما ليس منفرج الأصابع مشقوفها من البهائم والطير كالإبل والنعام والإوز والبط، كما قاله ابن عباس وابن جبير وقتادة ومجاهد، فهذا[2] رد عليهم في قولهم: لسنا أول من حرمت عليهم، وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا. وقرأ أبي والحسن والأعرج: ﴿ظفْر﴾ ـ بسكون الفاء ـ، والحسن وأبو السمال ـ قعنب ـ: ﴿ظِفْر﴾ بسكونها وكسر الظاء.

(١) البحر المحيط. (٢) أبو السعود.

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الخالصة التي تؤخذ بسهولة، وهي ثروبهما جمع ثرب؛ وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾؛ أي: إلا الشحم الذي حملته ظهورهما ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أو إلا الشحم الذي حملته المباعر والمصارين وعلقت بها ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾؛ أي: أو إلا شحماً مختلطاً بعظم مثل شحم الألية، فإنه متصل بالعصعص، وهذا إنما يكون في الضأن، فتلخص: إن الذي حرم عليهم من البقر والغنم شحومهما الخالصة، وهي شحوم الكرشي والكلى، وإن ما عدا ذلك حلال لهم.

والحاصل: أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه، وكل شيء منه، ومن البقر والغنم دون غيرهما مما أحل لهم من حيوان البر والبحر حرمنا عليهم شحومهما الزائدة التي تنزع بسهولة لعدم اختلاطهما بعظم ولا لحم، ولم يحرم عليهم منهما ما حملت الظهور أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. والسبب[1] في تخصيص البقر والغنم بهذا الحكم أن القرابين عندهم لا تكون إلا منهما، وكان يتخذ من شحمهما الوقود للرب، كما ذكر ذلك في الفصل الثالث من سِفْر اللاويين من التوراة، في قرابين السلامة من البقر والغنم: (كل الشحم للرب فريضة في أجيالكم في جميع مساكنهم، لا تأكلوا شيئاً من الشحم والدم).

﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾؛ أي: جعلناه عقوبة وجزاء لهم على بغيهم وظلمهم؛ وهو قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، وليس ذلك التحريم لخبث ذاته، فكانوا[2] كلما ارتكبوا معصية من هذه المعاصي.. عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم وهم ينكرون ذلك، ويدعون أنها محرمة على الأمم قبلهم. ولما كان هذا النبأ عن شريعة اليهود من الأنباء التي لم يكن النبي ﷺ، ولا قومه يعلمون منها شيئاً لأميتهم، وكان مظنة تكذيب المشركين له؛ لأنهم لا يؤمنون بالوحي، ومظنة تكذيب اليهود له بأن الله لم يحرم ذلك عقوبة ببغيهم وظلمهم.. أكده فقال: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾؛ أي: وإنا لصادقون

---

(١) المراغي. (٢) أبو السعود.

في هذه الأخبار عن التحريم وعلته؛ لأن أخبارنا صادرة عن العلم المحيط بكل شيء، ولأن الكذب محال علينا؛ لأنه نقص، فلا يصدر عنا، والمكذبون في قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ إما اليهود، والمعنى عليه: فإن كذبك يا محمد اليهود، وثقل عليهم أن يكون بعض شرعهم عقاباً لهم على ما كان من بغيهم على الناس وظلمهم لهم ولأنفسهم، واحتجوا على إنكار كونه عقوبة بكون الشرع رحمة من الله ﴿فَقُل﴾ لهم في الجواب ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾؛ أي: فأجبهم بما يدحض ويبطل هذه الشبهة بأن رحمة الله واسعة حقاً ﴿و﴾ لكن ﴿لا﴾ يقتضي ذلك أن ﴿يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ ويمنع عقابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فإصابة الناس بالمحق والشدائد عقاباً لهم على جرائم ارتكبوها قد تكون رحمة بهم، وقد تكون عبرة وموعظة لغيرهم؛ لينتهوا عن مثلها، وهذا العقاب من سنن الله المطردة في الأمم، وإن لم يطرد في الأفراد. وإما المشركون، والمعنى عليه: فإن كذبك المشركون فيما فصلناه من أحكام التحليل والتحريم فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة ولا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا به فإنه إمهال لكم لا إهمال لمجازاتكم، وفي هذا تهديد لهم ووعيد إذا هم أصروا على كفرهم وافترائهم على الله تعالى بتحريم ما حرموا على أنفسهم كما أن فيه إطماعاً لهم في رحمته الواسعة إذا رجعوا عن إجرامهم، وآمنوا بما جاء به الرسول ﷺ فيسعدون في الدنيا بحل الطيبات، وفي الآخرة بالنجاة من النار ودخول الجنات.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: سيقول لك يا محمد هؤلاء المشركون عناداً لا اعتذاراً عن ارتكاب هذه القبائح ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى أن لا نشرك به من اتخذنا من الأولياء والشفعاء من الملائكة والبشر، وأن لا نعظم ما عظمنا من تماثيلهم وصورهم، وأن لا يشرك آباؤنا من قبلنا لـ﴿مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا﴾ أشرك ﴿آبَاؤُنَا﴾ من قبلنا ﴿و﴾: لو شاء الله أن ﴿لا﴾ نحرم شيئاً مما حرمنا من الحرث والأنعام وغيرها لـ﴿ما حرمنا من شيء﴾ ولكنه تعالى شاء أن نشرك به هؤلاء الأولياء والشفعاء؛ ليقربونا إليه زلفى، وشاء أن نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب وغيرها، فحرمناها، فإتياننا إياها دليل على مشيئته تعالى وعلى رضاه وأمره بها. وقد رد عليهم شبهتهم، فقال: ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: ومثل ذلك التكذيب

الذي صدر من مشركي مكة لرسوله ﷺ فيما جاء به من إبطال الشرك وإثبات توحيد الله في الألوهية والربوبية، ومنها حق التشريع والتحليل والتحريم ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ لرسلهم تكذيباً غير مبني على أساس من العلم.

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم قد أقاموا الحجج والبراهين العلمية والعقلية على التوحيد وغيره مما ادعوا، وأيدهم الله تعالى بباهر الآيات، ولكن المكذبين لم ينظروا نظرة إنصاف، بل أعرضوا عنها وأصروا على جحودهم وعنادهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ وعذابنا، وأهلكناهم بذنوبهم وصاروا كأمس الدابر.

ولو كانت مشيئة الله تعالى لِما كانوا عليه من الشرك تتضمن رضاه عن فاعلها، وأمره بها.. لما عاقبهم عليها تصديقاً لما قال الرسل، كذلك لو كانت أعمالهم بالجبر المخرج لها عن كونها من أعمالهم.. لما استحقوا العقاب عليها، ولما قال: إنه أخذهم بذنوبهم وأهلكهم بظلمهم وكفرهم، ونحو ذلك مما جاء في كثير من الآيات.

فقوله: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ برهان دال على صدق الرسل في دعواهم، وبطلان شبهات المشركين المكذبين لهم، وبعد أن ذكرهم بالبرهان الواضح أمر رسوله أن يطالبهم بدليل يثبت ما يزعمون، فقال: ﴿هَلْ عِندَكُم﴾ بما تقولون ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ تعتمدون عليه وتحتجون به ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾؛ أي: فتخرجوا ذلك العلم وتظهروه ﴿لنا﴾ لنفهمه، ونوازن بينه وبين ما جئناكم به من الآيات العقلية، والوقائع المحكية عن الأمم قبلكم، ونتبين منها الراجح والمرجوح، وفي هذا الاستفهام من التعجيز والتوبيخ والتهكم ما لا يخفى، وهو بمعنى الإنكار؛ أي: ليس عندكم من علم تحتجون به فتظهرونه لنا ما تتبعون في دعاواكم إلا الظن الكاذب الفاسد، وما أنتم إلا تكذبون.

وقرأ النخعي وابن وثاب: ﴿إن يتبعون﴾ - بالياء - قال ابن عطية: وهذه قراءة شاذة يضعفها قوله: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ﴾؛ لأنه يكون من باب الالتفات. ذكره أبو حيان في «البحر».

ثم أردف ذلك ببيان حقيقة حالهم، فقال: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي:

ما تبعون فيما أنتم عليه إلا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئاً ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾؛ أي: وما أنتم في ذلك إلا تكذبون على الله تعالى؛ أي: أنكم لستم على شيء من العلم، بل ما تتبعون في عقائدكم وآرائكم في الدين والعمل به إلا الحدس والتخمين الذي لا يستقر عنده حكم.

وبعد أن نفى عنهم درجات العلم.. أثبت لذاته الحجة البالغة التي لا تعلوها حجة، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين إن لم تكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾؛ أي: الواضحة التي تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها؛ وهي إرسال الرسل وإنزال الكتب.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الجاهلين بعد تعجيزك إياهم عن أن يأتوا بأدنى دليل أو قول يرقى إلى أضعف درجة من العلم: إن لم يكن عندكم علم في أمر دينكم.. فإن لله وحده أعلى درجات العلم، وله الحجة البالغة على ما أراد من إحقاق الحق وإزهاق الباطل بما بينه في هذه السورة وغيرها من الآيات البينات على أصول العقائد، وقواعد التشريع الموافقة للعقول الحكيمة والفطر السليمة، وسننه في الاجتماع البشري، ولا يهتدي بهذه الآيات إلا المستعد للهداية المحب للحق الحريص على طلبه الذي يستمع القول فيتبع أحسنه دون من أعرض عن النظر فيها استكباراً عنها، وحسداً للمبلغ الذي جاء بها وجموداً على تقليد الآباء واتباع الرؤساء ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ سبحانه وتعالى هدايتكم جميعاً إلى الحجة البالغة ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض.

أو المعنى: ولو شاء سبحانه وتعالى أن يهديكم بغير هذه الطريق التي أقام أمر البشر عليها؛ وهي التعليم والإرشاد بطريق النظر والاستدلال.. لهداكم أجمعين، فجعلكم تؤمنون بالفطرة كالملائكة المفطورين على الحق والخير جل شأنه. وفيه دليل على أن الله سبحانه وتعالى لم يشأ إيمان الكافر، ولو شاء هدايته لهداه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾. ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ وقوله: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي

﴿ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾.

وبعد أن نفى عنهم العلم، وسجل عليهم اتباع الخرص والكذب ليظهر لهم أنهم ليسوا على شيء يعتد به من العلم.. أمر رسوله ﷺ أن يطالب مشركي قومه بإحضار من عساه يعتمدون عليه من الشهداء في إثبات تحريم الله تعالى عليهم ما ادعوه من المحرمات، فقال: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾؛ أي: أحضروا شهداءكم وقدوتكم ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ﴾ ويخبرون عن مشاهدة وعيان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿حَرَّمَ﴾ عليكم ﴿هَٰذَآۖ﴾ الذي حرمتموه على أنفسكم وزعمتم أن الله تعالى حرمه علينا.

والخلاصة: عليكم أن تحضروا من أهل العلم الذين تتلقى عنهم الأمم الأحكام الدينية وغيرها بالأدلة الصحيحة التي تجعل النظريات العلمية كأنها مشاهدات حسية من يشهد لكم بصحة ما تدعون ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ بعد حضورهم بأن الله حرم ذلك ﴿فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ﴾؛ أي فلا تصدقهم فيما يقولون، بل بين لهم فساده؛ لأن السكوت قد يشعر بالرضا.

أي: فإن فرض إحضار هؤلاء الشهداء.. فلا تصدقهم، ولا تقبل لهم شهادة، ولا تسلمها لهم بالسكوت عليها، فإن السكوت على الباطل كالشهادة به ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ﴾ هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المنزلة وبما أرشدت إليه من الآيات الكونية في الأنفس والآفاق؛ أي: إن وقع منهم شهادة، فإنما هي باتباع الهوى، فلا تتبع أنت أهواءهم فهم كذبوا القرآن ﴿وَ﴾ لا أهواء ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: ولا أهواء الذين هم مع جهلهم واتباعهم للأهواء لا يصدقون بالبعث بعد الموت حتى يحملهم الإيمان به على سماع الدليل والحجة إذا ذكروا بها ﴿وَ﴾ لا أهواء الذين ﴿هم بربهم يعدلون﴾؛ أي: يشركون بربهم، ويتخذون له مثلاً وعدلاً يشاركه في جلب الخير والنفع ودفع الضر إما استقلالاً، وإما بحمله الرب على ذلك، وتأثيره في فعله وإرادته.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يتبعون أهواءهم فيما يحللون وما يحرمون لأنفسهم وللناس ﴿تَعَالَوۡاْ﴾ وأقبلوا إليّ أيها القوم ﴿أَتۡلُ﴾ وأقرأ لكم ﴿مَا حَرَّمَ

﴿رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فيما أوحاه إليّ؛ وهو سبحانه وتعالى وحده الذي له حق التحريم والتشريع، وأنا مبلغ بإذنه، وقد أرسلني بذلك. وخص التحريم بالذكر مع أن الوصايا أعم؛ لأن بيان المحرمات يستلزم حل ما عداها، وقد بدأها بأكبر المحرمات وأعظمها وأشدها إفساداً للعقل والفطرة؛ وهو الشرك بالله سواء أكان باتخاذ الأنداد له، أو الشفعاء المؤثرين في إرادته، أو بما يذكر بهم من صور وتماثيل وأصنام وقبور، أو باتخاذ الأرباب الذين يتحكمون في التشريع، فيحللون ويحرمون. وجملة ما تلاه عليهم عشرة بالإجمال:

الأول منها: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ﴾ سبحانه وتعالى ﴿شَيْـًٔا﴾ من الأشياء، وإن عظمت في الخلق كالشمس والقمر والكواكب، أو في القدر كالملائكة والنبيين والصالحين، فإن عظمتها لا تخرجها عن كونها مخلوقة لله مسخرة له بقدرته وإرادته ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ ومن الشرك أيضاً أن يريد بعبادته رياء أو سمعة، ويلزم هذا أن تعبدوه وحده بما شرعه لكم على لسان رسوله لا بأهوائكم، ولا بأهواء أحد من الخلق أمثالكم.

والثاني: ما ذكره بقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ أي: وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً تاماً كاملاً لا تدخرون فيه وسعاً، ولا تألون فيه جهداً، وهذا يستلزم ترك الإساءة وإن صغرت، فما بالك بالعقوق الذي هو من أكبر الكبائر وأعظم الآثام، وقد جاء في القرآن غير مرة قرن التوحيد والنهي عن الشرك بالأمر بالإحسان إلى الوالدين.

وكفى[1] دلالة على عظم عناية الشارع بأمر الوالدين أن قرنه بعبادته، وجعله ثانيها في الوصايا، وأكده بما أكده به في سورة الإسراء، كما قرن شكرهما بشكره في سورة لقمان في قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ وما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

(١) المراغي.

والمراد ببرهما احترامهما احترامَ المحبة والكرامة، لا احترام الخوف والرهبة؛ لأن في ذلك مفسدة كبيرة في تربية الأولاد في الصغر، وإلجاءً لهم إلى العقوق في الكبر، وإلى ظلم الأولاد لهم كما ظلمهم آباؤهم، وليس لهما أن يتحكما في شؤونهم الخاصة بهم لا سيما تزويجهم بمن يكرهون، أو منعهم من الهجرة لطلب العلم النافع، أو لكسب المال والجاه إلى نحو ذلك. وإنما[1] ثنى بالوصية بالإحسان إلى الوالدين؛ لأن أعظم النعم على الإنسان نعمة الله؛ لأنه هو الذي أخرجه من العدم إلى الوجود، وخلقه وأوجده بعد أن لم يكن شيئاً، ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين؛ لأنهما السبب في وجود الإنسان، ولما لهما عليه من حق التربية والنفقة والحفظ من المهالك في حال صغره.

والثالث: ما ذكره بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ أي: وأن لا تقتلوا أولادكم الصغار لفقر حل ونزل ووقع بكم؛ لأنهم كانوا يئدون البنات لخوف الفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ أي: فإن الله سبحانه وتعالى يرزقكم وإياهم؛ أي: يرزق أولادكم تبعاً لكم، وجاء في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

وسر اختلاف الأسلوبين[2]، وتقديم رزق الأولاد هناك على رزق الوالدين على عكس ما هنا: أن ما هناك متعلق بالفقر المتوقع في المستقبل الذي يكون فيه الأولاد كباراً كاسبين، وقد يصير الوالدون في حاجة إليهم لعجزهم عن الكسب بالكبر، ففرق في تعليل النهي في الآيتين بين الفقر الواقع، والفقر المتوقع، فقدم في كل منهما ضمان رزق الكاسب للإيماء إلى أنه تعالى جعل كسب العباد سبباً للرزق، لا كما يتوهم بعضهم، فيزهد في العمل بشبهة كفالته تعالى لرزقهم. وقيل اختلاف أسلوب الآيتين للتفنن، وعبارة الصاوي هنا: وإنما قال هنا: ﴿إِمْلَٰقٍ﴾ وقال في الإسراء: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾؛ لأن ما هنا في الفقر الحاصل بالفعل، وما في الإسراء في الفقر المتوقع، فهو خطاب للأغنياء، وقدم هنا خطاب الآباء، وهناك

---

(١) الخازن.　　(٢) المراغي.

ضمير الأولاد، فقيل: تفنناً، وقيل: قدم هنا خطاب الآباء تعجيلاً لبشارة الآباء الفقراء بأنهم في ضمان الله، وقدم هناك ضمير الأولاد لتطمئن الآباء بضمان رزق الأولاد، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد، وإن كانوا متلبسين بالفقر، والأخرى النهي عن قتلهم وإن كانوا موسرين، ولكن يخافون وقوع الفقر، انتهت.

الرابع: ما ذكره بقوله ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾؛ أي: ولا تقربوا كبائر الذنوب، وهي كل ما عظم قبحه منها سواء كان من الأفعال كالزنا، أو من الأقوال كقذف المحصنات الغافلات، وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ بدل من ﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ بدل تفصيل من مجمل، أو بدل اشتمال؛ أي: لا تقربوا ما ظهر من الفواحش للناس كالزنا والقذف، وما بطن منها واستتر عن الناس كالسرقة. وقيل[1]: الظاهر ما تعلق بأعمال الجوارح، والباطن ما تعلق بأعمال القلوب، كالكبر والحسد والتفكير في تدبير المكايد الضارة، وأنواع الشرور والمآثم.

وقيل: المراد بالفواحش هنا الزنا، وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ علانيته وسره؛ أي[2]: ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم، وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم، وإنما جمع الفواحش بمعنى الزنا للنهي عن أنواعها، ولذلك ذكر ما أبدل منها. وقد روي عن ابن عباس في تفسير الآية أنه قال: كانوا في الجاهلية لا يرون بأساً بالزنا في السر، ويستقبحونه في العلانية، فحرم الله الزنا في السر والعلانية؛ أي: في هذه الآية وما أشبهها. وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال: ما ظهر منها: ظلم الناس، وما بطن منها: الزنا والسرقة؛ أي: لأن الناس يأتونهما في الخفاء. وروى عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» رواه البخاري ومسلم. وفي قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ دقيقة، وهي أن الإنسان إذا احترز عن المعاصي في الظاهر، ولم يحترز منها في الباطن.. دل ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله تعالى

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه، ولكن لأجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم، ومن كان كذلك استحق العقاب، ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً لأجل خوف الله تعالى وتعظيماً لأمره استوجب رضوان الله تعالى.

والخامس منها: ما ذكره بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بالإسلام، أو بالعهد بين المسلمين وغيرهم كأهل الكتاب المقيمين بيننا بعهد وأمان، وقد جاء في الحديث «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وروى الترمذي قوله ﷺ: «من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله.. فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً» وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: إلا قتلاً متلبساً بالحق؛ فإنه مباح، إيماء إلى أن قتل النفس قد يكون حقاً لجرم يصدر منها. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» متفق عليه.

وإنما[1] أفرد قتل النفس بالذكر مع دخوله في جملة الفواحش تعظيماً لأمر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر، وقيل: إنما أفرده بالذكر؛ لأنه تعالى أراد أن يستثني منه، ولا يمكن الاستثناء من جملة الفواحش إلا بإفراده بالذكر ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التكاليف الخمسة من الأوامر والنواهي ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: أمركم به ربكم أمراً مؤكداً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف في الدين والدنيا. والوصية[2] في الأصل أن يعهد إلى إنسان بعمل خير، أو ترك شر، ويقرن ذلك بوعظ يرجى تأثيره؛ أي: أنه سبحانه وتعالى وصاكم بذلك ليعدكم، لأن تعقلوا الخير والمنفعة في فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه إذ هو مما تدركه العقول بأدنى تأمل.

وفي هذا تعريض بأن ما هم عليه من الشرك وتحريم السوائب وغيرها مما

---

(١) الخازن.
(٢) المراغي.

لا تعقل له فائدة ولا تظهر فيه لذوي العقول الراجحة مصلحة.

والسادس: ما ذكره بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: ولا تقربوا مال اليتيم إذا وليتم أمره، أو تعاملتم به ولو بواسطة وليه، أو وصيه إلا بالفعلة التي هي أحسن من غيرها في حفظ ماله وتثميره، ورجحان مصلحته، والإنفاق منه على تربيته، وتعليمه ما به يصلح معاشه ومعاده. قال مجاهد: هي التجارة فيه. وقال الضحاك: هو أن يسعى له فيه، ولا يأخذ من ربحه شيئاً، هذا إذا كان القيم بالمال غنياً غير محتاج، فلو كان الوصي فقيراً.. فله أن يأكل بالمعروف، والنهي عن القرب من الشيء أبلغ من النهي عنه، فإن الأول يتضمن النهي عن الأسباب والوسائل المؤدية إليه، وعن الشبهات التي هي مظنة التأويل، فيبتعد عنه المتقي ويستسيغها الطامع فيه إذ يراها بالتأويل من الوجوه الحلال لا تضر به، أو يرجح نفعها على ضررها كأن يأكل من ماله حين يعمل عملاً له فيه ربح، ولولاه ما ربح.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: احفظوا مال اليتيم إلى أن يبلغ أشده؛ أي: إلى بلوغه رشيداً، فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه ماله، فأما[1] الأشد: فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب إلى حد الرجال. والمراد بالأشد في هذه الآية: هو ابتداء بلوغ الحلم مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته سالكاً مسلك العقلاء لا مسلك أهل السفه والتبذير، وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية.

والمعنى: احفظوا مال اليتيم، ولا تسمحوا له بتبذير شيء من ماله وإضاعته أو الإسراف فيه حتى يبلغ، فإذا بلغ رشيداً فسلموه إليه.

والخلاصة: أن المراد النهي عن كل تعد على مال اليتيم، وهضم لحقوقه من الأوصياء وغيرهم حتى يبلغ سن القوة بدناً وعقلاً؛ إذ قد دلت التجارب على أن الحديث العهد بالاحتلام يكون ضعيف الرأي قليل الخبرة بشؤون المعاش يخدع كثيراً في المعاملات.

---

(١) الخازن.

وقد كان الناس في الجاهلية لا يحترمون إلا القوة ولا يعرفون الحق إلا للأقوياء، ومن ثم بالغ الشارع في الوصية بالضعيفين المرأة واليتيم.

وقد شرط الشارع الحكيم لإيتاء اليتامى أموالهم ببلوغ سن الحلم[1]، وظهور الرشد في المعاملات المالية بالاختبار، كما سلف في سورة النساء من قوله: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الآية.

والقوة التي يحفظ بها المرء ماله في هذا العصر هي إتزان الفكر والرشد العقلي والأخلاقي بكثرة المران والتجارب في المعاملات، لكثرة الفسق والحيل، ووجود أعوان السوء الذين يوسوسون إلى الوارثين، ويزينون لهم الإسراف في اللذات والشهوات على جميع ضروبها حتى لا يتركوهم إلا وهم فقراء، وقلما يستيقظون من غفلتهم إلا إذا بلغوا سن الكهولة التي يكمل فيها العقل، ويفقهون تكاليف الحياة، ويهتمون فيها بأمر النسل.

والسابع: ما ذكره بقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾؛ أي: أتموا الكيل بالكميال ﴿و﴾ الوزن بـ﴿الميزان بالقسط﴾؛ أي: بالعدل والحق من غير نقصان من المعطي، ومن غير طلب الزيادة من صاحب الحق.

والمعنى: وأتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم، وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تبتاعون، أو لغيركم فيما تبيعون فليكن كل ذلك وافياً تاماً بالعدل، ولا تكونوا من أولئك المطففين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

والخلاصة: أن الإيفاء بالكيل والميزان يكون من الجانبين حين البيع وحين الشراء، فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه، وقوله: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ يدل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا ما يسعها فعله بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج، فهو لا يكلف من يبيع أو يشتري الأقوات ونحوها أن يزنها أو يكيلها

(١) المراغي.

بحيث لا تزيد حبة ولا مثقالاً، بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه سواء، بحيث يعتقد أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد بهما عرفاً. والقاعدة الشرعية: أن التكليف إنما يكون بما في وسع المكلف بلا حرج ولا مشقة عليه، ولو اتبع المسلمون هذه الوصية وعملوا بها.. لاستقامت أمور معاملاتهم وعظمت الثقة والأمانة بينهم، ولكن وا أسفا فسدت أمورهم، وقلت ثقتهم بأنفسهم، ووثقوا بغيرهم لاتباعهم هذه الوصية وأمثالَها، وقد قص علينا الكتاب الكريم قصص من طففوا الكيل والميزان، فأخذهم ربهم أخذ عزيز مقتدر بما كان من ظلمهم كقوم شعيب. وقد حكى الله عنهم ما قال لهم نبيهم شعيب عليه السلام: ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ وقال النبي ﷺ لأصحاب الكيل والميزان: «إنكم وليتم أمراً هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم».

والثامن: ما ذكره بقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في الحكم أو الشهادة أو غيرهما ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾؛ أي: فاصدقوا ولو كان المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾؛ أي: صاحب قرابة منكم.

والمعنى[1]: وعليكم أن تعدلوا في القول إذ قلتم قولاً في شهادة أو حكم على أحد، ولو كان المقول له أو عليه ذا قرابة منكم؛ إذا بالعدل تصلح شؤون الأمم والأفراد، فهو ركن ركين في العمران، وأساس في الأمور الاجتماعية، فلا يحل لمؤمن أن يحابي فيه أحداً لقرابة ولا غيرها، فالعدل كما يكون في الأفعال كالوزن والكيل.. يكون في الأقوال، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

والتاسع: ما ذكره بقوله ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾؛ أي: وأتموا عهد الله، وهو شامل بما عهد الله تعالى إلى عباده ووصاهم به، وأوجبه عليهم، وبما أوجبه

---

(١) المراغي.

الإنسان على نفسه كنذر ونحوه، وبما عاهده الناس بعضهم بعضاً. فمن آمن برسول من رسل الله تعالى.. فقد عاهد الله حين الإيمان به أن يمتثل أمره ونهيه، وما شرعه للناس ووصاهم به فهو مما عهده إليهم، وما التزمه الإنسان من عمل البر بنذر أو يمين فهو عهد عاهد عليه ربه كما قال تعالى ناعياً على المنافقين سوء فعلهم: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ الآية. وكذلك من عاهد السلطان وبايعه على الطاعة في المعروف، أو عاهد غيره على القيام بعمل مشروع وجب عليه الوفاء إذا لم يكن من قبيل المعصية. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التكاليف الأربعة المذكورة في هذه الآية ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: أمركم ربكم به أمراً مؤكداً ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لعلكم تتعظون وتتذكرون فتأخذون ما أمركم به.

والتذكر[1] يطلق حيناً على تكلف ذكر الشيء في القلب أو التدرج فيه بفعله المرة إثر الأخرى، وحيناً على الاتعاظ والتدبر كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ وقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

والخلاصة[2]: أن ذلك الذي تلوته عليكم من الأوامر والنواهي وصاكم الله به رجاء أن يذكره بعضكم لبعض في التعليم والتواصي الذي أمر الله به في مثل قوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ لما فيه من مصالح ومنافع كتدارك النسيان والغفلة من كثرة الشواغل الدنيوية، أو رجاء أن يتعظ به من سمعه أو قرأه.

ولما كانت[3] التكاليف الخمسة المذكورة في الآية الأولى أموراً ظاهرة يجب تعقلها وتفهمها.. ختمت بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ولما كانت التكاليف

---

(١) المراغي. (٢) المراغي. (٣) المراح.

الأربعة المذكورة في الآية الأخيرة أموراً غامضة لا بد فيها من الاجتهاد في الفكر حتى يقف على موضع الاعتدال.. ختمت بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وجملة ما ذكر في هاتين الآيتين من المحرمات تسعة أشياء: خمسة بصيغ النهي، وأربعة بصيغ الأمر، وتؤول الأوامر بالنهي؛ لأجل التناسب، وهذه الأحكام لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار.

وقرأ حفص وحمزة والكسائي[1]: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ حيث وقع بتخفيف الذال حَذْف التاء؛ إذ أصله: تتذكرون، وفي المحذوف خلاف، أهي تاء المضارعة أو تاء تفعل؟ وقرأ باقي السبعة: ﴿تذَّكرون﴾ ـ بتشديد الذال ـ أدغم تاء تفعّل في الذال.

والعاشر: ما ذكره بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ الذي[2] وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو ﴿صِرَٰطِى﴾؛ أي: طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي حالة كونه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾؛ أي: قويماً مستوياً لا اعوجاج فيه ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: فاسلكوه واعملوا بمقتضاه من تحريم وتحليل، وأمر ونهي وإباحة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾؛ أي: ولا تسلكوا الطرق المختلفة، والأهواء المضلة، والبدع الرديئة. وقيل: السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأديان المخالفة لدين الإسلام ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾؛ أي: فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده.

وقرأ الجمهور: ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ بتاء خفيفة، وقرأ البزي ﴿فتّفرّق﴾: بتشديدها. فمن خفف حذف إحدى التائين، ومن شدد أدغم وقيل: معنى الآية؛ أي: وإن[3] هذا القرآن الذي أدعوكم إليه، وأدعوكم به إلى ما يحييكم هو صراطي ومنهاجي الذي أسلكه إلى مرضاة الله، ونيل سعادة الدنيا والآخرة حال كونه مستقيماً لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه؛ فاتبعوه وحده؛ ولا تتبعوا السبل الأخرى التي تخالفه ـ وهي كثيرة ـ فتتفرق بكم عن سبيله بحيث يذهب كل منهم في سبيل

(١) البحر المحيط. (٢) الخازن. (٣) المراغي.

ضلالة ينتهي بها إلى الهلكة، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال.

والخلاصة: أن هذا صراطي مستقيماً لا عوج فيه؛ فعليكم أن تتبعوه إن كنتم تؤثرون الاستقامة على الاعوجاج، وترجحون الهدى على الضلال.

وقيل[1]: إن الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصاه به مفصّلاً.. أجمله في هذه الآية إجمالاً يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه، ويدخل فيه أيضاً جميع أحكام الشريعة، وكل ما بينه رسول الله ﷺ من دين الإسلام؛ وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين، وأمرهم باتباع جملته وتفصيله.

وأخرج أحمد والنسائي وأبو الشيخ والحاكم عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً»، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: «وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

وإنما جعل الصراط المستقيم واحداً[2]، والسبل المخالفة متعددة؛ لأن الحق واحد، والباطل وهو ما خالفه كثير، فيشمل الأديان الباطلة سواء أكانت وضعية أو سماوية، محرفة أو منسوخة. ونهى عن التفرق في صراط الحق، وسبيله؛ لأن التفرق في الدين الواحد، وجعله مذاهب يتشيع لكل منها شيعة وحزب ينصرونه، ويتعصبون له ويخطّئون من خالفه، ويرمون أتباعه بالجهل والضلال سبب لإضاعته؛ إذ كل شيعة تنظر فيما يؤيد مذهبها ويظهرها على مخالفيه، ولا يهمها إثبات الحق وفهم النصوص، والحق لا يكون وقفاً على عالِم معين، ولا على أتباعه، بل كل باحث يخطئ ويصيب، وذلك ما دل عليه العقل، وأثبته الكتاب والسنة والإجماع. ولما كان اتباع الصراط المستقيم وعدم التفرق

---

(١) الخازن. (٢) المراغي.

فيه يجمع الكلمة ويعز أهل الحق.. كان التفرق فيه سبب ضعف المتفرقين وذلهم وضياع حقهم.

روى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وإن هذا﴾ ـ بكسر الهمزة على الاستئناف ـ والتقدير: وإن الذي ذكر في هذه الآيات صراطي ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ جملة معطوفة على الجملة المستأنفة. وقرأ ابن عامر ويعقوب وعبد الله بن أبي إسحاق بالفتح والتخفيف على أنها مخففة، واسمها ضمير الشأن. وقرأ الباقون بالفتح مشددة بتقدير اللام على أنه علة مقدمة لقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾. وقرأ ابن عامر: ﴿صراطيَ﴾ ـ بفتح الياء ـ. وقرأ الأعمش: ﴿وهذا صراطي﴾: وفي مصحف عبد الله بن مسعود: ﴿وهذا صراط ربكم﴾ وفي مصحف أبي: ﴿وهذا صراط ربك﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاتباع للصراط المستقيم ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: أمركم ربكم في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؛ أي: لكي تتقوا وتجتنبوا الطرق المختلفة والسبل المضلة. والتقوى:[1] اسم لكل ما يتقى به من الضرر العام والخاص مهما يكن نوعه، وقد ذكرت في القرآن في سياق الأوامر والنواهي المختلفة من عبادات ومعاملات وآداب وعشرة وزواج، وتفسر في كل موضع بما يناسبه. والمعنى: ذلكم الاتباع لصراط الحق المستقيم، والاجتناب عن سبل الضلالات والأباطيل وصاكم ربكم به؛ ليهيئكم لاتقاء كل ما يشقي ويردي في الدنيا والآخرة، ويوصلكم إلى السعادة العظمى والحياة الصالحة.

وقال الرازي[2]: ختمت الآية الأولى بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والثانية بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لأن القوم كانوا مستمرين على الشرك، وقتل الأولاد، وقربان الزنا، وقتل النفس المحرمة بغير حق غير مستنكفين ولا عاقلين قبحها، فنهاهم

---

(١) المراغي. (٢) الفخر الرازي.

سبحانه لعلهم يعقلون قبحها فيستنكفوا عنها ويتركوها، وأما حفظ أموال اليتامى عليهم، وإيفاء الكيل والميزان، والعدل في القول، والوفاء بالعهد؛ فكانوا يفعلونه ويفتخرون بالاتصاف به، فأمرهم الله تعالى بذلك لعلهم يذكرون إن عرض لهم نسيان.

وقال أبو حيان[1] ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف، وقد مر سبحانه باتباعه ونهى عن اتباع غيره من الطرق.. ختم الآية الثالثة بالتقوى لتي هي اتقاء النار؛ إذ من اتبع صراطه نجا النجاة الأبدية، وحصل على السعادة لسرمدية.

فصل

وقد وردت أحاديث كثيرة بشأن هذه الوصايا نقلها الحفاظ الثقات:

منها: ما أخرجه الترمذي وحسنه، وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود قال: من سره أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه.. فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾.

ومنها: ما أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟» ثم تلا: «﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ثلاث آيات ثم قال: «فمن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله، إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه».

ومنها: ما أخرجه عبد بن حميد وأبو عبيد وابن المنذر عن منذر الثوري قال: قال الربيع بن خيثم: أيسرك أن تلقى صحيفة من محمد ﷺ بخاتمه؟ قلت: نعم، فقرأ هؤلاء الآيات من آخر سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ...﴾ إلى آخر الآيات.

---

(١) البحر المحيط.

الإعراب

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

﴿قُل﴾ فعل أمر وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَّآ﴾ نافية. ﴿أَجِدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُل﴾. ﴿فِي مَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَجِدُ﴾. ﴿أُوحِيَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿مُحَرَّمًا﴾: مفعول به لـ﴿أَجِدُ﴾؛ لأنه يتعدى إلى واحد؛ لأنه من وجد الضالة. ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾: متعلق بـ﴿مُحَرَّمًا﴾. ﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿طَاعِمٍ﴾، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿طَاعِمٍ﴾. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿أَن يَكُونَ﴾: ناصب ومنصوب. ﴿مَيْتَةً﴾: بالنصب خبر ﴿يَكُونَ﴾، واسمها ضمير يعود على الشيء المحرم، والجملة في تأويل مصدر منصوب على الاستثناء تقدير: إلا كونه ميتة، والمصدر المؤول ليس مقصود في المعنى، والمعنى: لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم إلا ميتة. ﴿أَوْ دَمًا﴾: معطوف على ﴿مَيْتَةً﴾. ﴿مَّسْفُوحًا﴾: صفة له. ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾: معطوف على ﴿دَمًا﴾. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية، ﴿إنّ﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾ اسمها. ﴿رِجْسٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل الجر بلام التعليل المقدرة المدلول عليها بالفاء التعليلية المتعلقة بمعلول محذوف تقديره: وإنما حرم ذلك المذكور لكونه رجساً ونجساً. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾: معطوف على ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾. ﴿أُهِلَّ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أُهِلَّ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿أُهِلَّ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ﴿فِسْقًا﴾ تقديره: أو فسقاً مهلاً به لغير الله.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط

مقدر تقديره: إذا عرفت حرمة هذه المذكورات، وأردت بيان حكم ما إذا اضطر إليها.. فأقول لك، ﴿من اضطر﴾: ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿ٱضْطُرَّ﴾: فعل ماض مغيّر الصيغة في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿غَيْرَ﴾: منصوب على الحالية من ضمير ﴿ٱضْطُرَّ﴾. ﴿بَاغٍ﴾: مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الياء المحذوفة. ﴿وَلَا عَادٍ﴾: معطوف على ﴿بَاغٍ﴾ مجرور بكسرة مقدرة، وجواب الشرط محذوف تقديره: فمن اضطر إلى أكل شيء مما ذكر، فأكل منه.. فلا مؤاخذة عليه. ﴿فَإِنَّ﴾ ﴿الفاء﴾: تعليلية، ﴿إن﴾: حرف نصب. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾ خبر ثان، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة المدلول عليها بالفاء التعليلة، والتقدير: فلا مؤاخذة عليه؛ لأن ربك غفور له رحيم به.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حَرَّمْنَا﴾: الآتي. ﴿هَادُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿حَرَّمْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ﴾: متعلق بـ﴿حَرَّمْنَا﴾ الآتي. ﴿حَرَّمْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿حَرَّمْنَا﴾ الأولى. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿حَرَّمْنَا﴾. ﴿شُحُومَهُمَآ﴾: مفعول به ومضاف إليه.

﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب على الاستثناء. ﴿حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: إلا ما حملته ظهورهما. ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: معطوف على ﴿ظُهُورُهُمَآ﴾: مرفوع على الفاعلية بضمة مقدرة تقديره: أو ما حملته الحوايا. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف بمعنى الواو كسابقتها. ﴿مَا﴾: موصولة، أو

موصوفة في محل النصب على الاستثناء معطوف على ﴿مَا حَمَلَتْ﴾. ﴿ٱخْتَلَطَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿بِعَظْمٍۚ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱخْتَلَطَ﴾. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة في محل الرفع مبتدأ. ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والعائد محذوف تقديره: جزيناهم به. ﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿بغيهم﴾: مجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جزينا﴾، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَإِنَّا﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿نا﴾ اسمها. ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: خبرها، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ على كونها مستأنفة.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

﴿فَإِن﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا أخبرتهم تحريم ما ذكر، وأردت بيان حكم ما إذا كذبوك.. فأقول لك، ﴿إن كذبوك﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كَذَّبُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿إن﴾. ﴿فَقُل﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿قل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قُل﴾ وإن شئت قلت: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قل﴾. ﴿وَٰسِعَةٍ﴾: صفة لـ﴿رَحْمَةٍ﴾. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُرَدُّ﴾. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْقَوْمِ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل والجملة مستأنفة. ﴿أَشْرَكُوا۟﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿لَوْ شَآءَ﴾ إلى آخره مقول محكي لقالوا، وإن شئت

قلت: ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَشْرَكْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لَوْ﴾، وجملة ﴿لَوْ﴾ في محل النصب مقول قالوا. ﴿وَلَآ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: نافية. ﴿ءَابَآؤُنَا﴾: معطوف على ﴿نا﴾، وجاز العطف لوجود الفصل بـ﴿لا﴾. ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾: معطوف على ﴿أَشْرَكْنَا﴾. ﴿مِن شَيْءٍ﴾: ﴿مِن﴾: زائدة في المفعول ﴿شَيْءٍ﴾؛ أي: ولا حرمنا شيئاً.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور صلة الموصول، والتقدير: كذب الذين من قبلهم تكذيباً مثل ذلك التكذيب لك في أن الله منع من الشرك، ولم يحرم ما حرموه المدلول عليه بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ الخ، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في تأويل مصدر مجرور بحتى تقديره: إلى ذوقهم بأسنا، الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: واستمروا على التكذيب إلى ذوقهم بأسنا. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿هَلْ عِندَكُم﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام الإنكاري. ﴿عِندَكُم﴾: ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿مِّنْ﴾: زائدة. ﴿عِلْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿تخرجوه﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب الاستفهام. ﴿لَنَآ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: هل ثبوت علم عندكم فإخراجكم إياه لنا؟. ﴿إِن﴾: نافية. ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به. ﴿وَإِنْ﴾:

﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: نافية. ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، وجملة ﴿تَخْرُصُونَ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت ﴿الفاء﴾: استئنافية أو رابطة لجواب شرط مقدر تقديره: إن لم تكن لكم حجة فلله الحجة، ﴿لله﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿ٱلْحُجَّةُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: صفة لـ﴿ٱلْحُجَّةُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل الجزم بإن المقدرة على كونها جواباً لها. ﴿فَلَوْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿شَآءَ﴾: فعل ماض، وفاعله يعود على ﴿الله﴾، ومفعول المشيئة محذوف تقديره: هدايتكم. ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لو﴾، ﴿هداكم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لضمير المفعول، والجملة جواب ﴿لو﴾، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية معطوفة مفرعة على جملة إن المقدرة على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هَلُمَّ﴾ اسم فعل أمر بمعنى أحضروا مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنتم. ﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل النصب صفة للشهداء، وجملة ﴿يَشْهَدُونَ﴾ صلة الموصول. ﴿أَنَّ﴾ حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿حَرَّمَ هَٰذَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾،

وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعول شهد تقديره: الذين يشهدون تحريم الله هذا. ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قلت لك، وأردت بيان حكم ما إذا شهدوا.. فأقول لك: ﴿إن شهدوا﴾: ﴿إن﴾ حرف شرط. ﴿شَهِدُواْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَشْهَدْ﴾: مجزوم بـ﴿لا﴾، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿مَعَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق به، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية. ﴿تَتَّبِعْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَلَا تَشْهَدْ﴾ على كونها جواباً لـ﴿إن﴾ الشرطية. ﴿أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَّبُواْ﴾. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِٱلْأَخِرَةِ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿وَهُم﴾: مبتدأ. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: متعلق بـ﴿يَعْدِلُونَ﴾. وجملة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على كونها صلة الموصول الثاني.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿تَعَالَوْاْ﴾ فعل وفاعل مبني على حذف النون، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿أَتْلُ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهي الواو، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿مَا﴾ موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿أَتْلُ﴾. ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط

محذوف تقديره: ما حرمه ربكم. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ﴿حَرَّمَ﴾ لسبقه على مذهب البصريين، أو بـ﴿أَتْلُ﴾ لقربه على مذهب الكوفيين.

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

﴿أَلَّا﴾ ﴿أن﴾: مصدرية. ﴿لا﴾: زائدة. ﴿تُشْرِكُوا﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على كونه بدلاً من ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، والتقدير: تعالوا أتل عليكم ما حرمه ربكم وأتل عليكم تحريم إشراككم به شيئاً، ويصح أن تكون ﴿لا﴾: نافية، و﴿أن﴾ مصدرية، وجلمة ﴿أن﴾ المصدرية مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الخبرية لمبتدأ محذوف تقديره: وذلك المتلو عدم إشراككم بالله شيئاً، ويصح أن تكون ﴿أن﴾ تفسيرية، وجملة: ﴿لا تشركوا﴾ مفسرة لجملة ﴿أتل عليكم﴾، وفي المقام أوجه متلاطمة من الإعراب لا نطيل الكلام بذكرها. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره: وأحسنوا بالوالدين. ﴿إِحْسَانًا﴾: مفعول مطلق لذلك المحذوف، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾، والتقدير: ومن ذلك المتلو أن تحسنوا بالوالدين إحساناً. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. ﴿مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾. ﴿نَّحْنُ﴾: ضمير المتكلم المعظم نفسه في محل الرفع مبتدأ. ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾: معطوف على الكاف، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معترضة لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين المتعاطفين مسوقة لتعليل النهي قبلها.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿أَلَّا

﴿تُشْرِكُوا۟﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب بدل من ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ بدل تفصيل من مجمل. ﴿ظَهَرَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿ظَهَرَ﴾ وهو الرابط بين البدل والمبدل منه، وجملة ﴿ظَهَرَ﴾ صلة ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: معطوف على ﴿مَا ظَهَرَ﴾. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾. ﴿ٱلَّتِى﴾ صفة لـ﴿ٱلنَّفْسَ﴾. ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: التي حرم الله تعالى قتلها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور صفة للمفعول المطلق المحذوف تقديره: لا تقتلوا إلا القتل الملتبس بالحق. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: مبتدأ. ﴿وَصَّىٰكُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مسوقة لتعليل الوصية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾: فعل وفاعل ومفعول ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة على ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِٱلَّتِى﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَقْرَبُوا۟﴾. ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَبْلُغَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلْيَتِيمِ﴾. ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، الجار والمجرور متعلق بمحذوف معلوم من السياق تقديره: احفظوا ماله إلى بلوغه أشده؛ أي: حتى يصير بالغاً رشيداً فحينئذ سلموه إليه. ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْكَيْلَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: جار

ومجرور حال من فاعل ﴿أَوۡفُواْ﴾؛ أي وأوفوا الكيل والميزان حالة كونكم مقسطين؛ أي: متلبسين بالقسط والعدل.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿لَا﴾: نافية. ﴿نُكَلِّفُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿نَفۡسًا﴾: مفعول به، والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿وُسۡعَهَاۖ﴾: منصوب على الاستثناء. ﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل. ﴿قُلۡتُمۡ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض فعل شرط لـ﴿إذا﴾، والظرف متعلق بالجواب. ﴿فَٱعۡدِلُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة، ﴿اعدلوا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إذا﴾، وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾. ﴿وَلَوۡ كَانَ﴾: ﴿الواو﴾ اعتراضية. ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر فيها يعود إلى معلوم من السياق تقديره: ولو كان المقول له أو عليه. ﴿ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ منصوب بالألف، وجواب ﴿لو﴾ معلوم مماقبلها تقديره: ولو كان المقول له ذا قربى فاعدلوا، وجملة ﴿لو﴾ معترضة. ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَوۡفُواْۚ﴾. ﴿أَوۡفُواْۚ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾. ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: مبتدأ. وجملة ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: ناصب ومنصوب، وجملة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

﴿وَأَنَّ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب. ﴿هَٰذَا﴾: في محل النصب اسمها. ﴿صِرَٰطِي﴾: خبرها. ﴿مُسۡتَقِيمًا﴾: حال مؤكدة من ﴿صِرَٰطِي﴾، والعامل فيها اسم الاشارة، وجملة ﴿أن﴾: من اسمها وخبرها في تأويل مصدر

مجرور بلام التعليل المقدرة، الجار والمجرور متعلق بـ﴿اتبعوه﴾؛ أي: واتبعوا هذا المذكور في الآيتين، أو في جميع هذه السورة لكونه صراطي مستقيماً. ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: زائدة. ﴿اتبعوه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾. ﴿فَتَفَرَّقَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿تفرق﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره: هي يعود على ﴿السُّبُلَ﴾. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تفرق﴾ على كونه مفعولاً به. ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: متعلق بـ﴿تفرق﴾ أيضاً، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها تقديره: لا يكن منكم تتبع السبل فتفرقها بكم عن سبيله. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿وَصَّاكُم بِهِ﴾ خبره، والجملة مستأنفة. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب ومنصوب، وجملة ﴿تَتَّقُونَ﴾ خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾ اسم من طعم الثلاثي من باب سمع؛ أي: على آكل أي كان من الذكور أو من الإناث، فهذا[1] رد لقولهم: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا...﴾ الخ. وقوله: ﴿يطعمه﴾ من باب فهم، اهـ «مختار».

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ المسفوح: المصبوب السائل كالدم الذي يجري من المذبوح من سفح يسفح ـ من باب فتح ـ سفحاً وسفوحاً، يقال: سفح الدم أو الدمع سفكه وأراقه وصبه. والسفح[2]: الصب، وقيل: السيلان، وهو قريب من الأول، وسفح يستعمل قاصراً ومتعدياً، يقال: سفح زيد دمعه ودمه؛ أي: أهراقه وسَفَحهُ؛ إلا أن الفرق بينهما وقع باختلاف المصدر، ففي المتعدي يقال: سفح،

---

(١) أبو السعود. (٢) الفتوحات.

وفي اللازم يقال: سفوح، ومن المتعدي قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ فإن اسم المفعول التام لا يبنى إلا من متعد، ومن اللازم ما أنشده أبو عبيدة لكثير عزة:

أَقُولُ وَدْمعِيْ وَأكِفٌ عِنْدَ رَسْمِهَا ... عَلَيْكِ سَلامُ اللهِ وَالدَّمْعُ يُسْفَحُ

﴿اضْطُرَّ﴾؛ أي: أصابته الضرورة الداعية إلى تناول شيء معه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أصله باغي استثقلت الكسرة على الياء، ثم حذفت فالتقى ساكنان، وهما الياء والتنوين، ثم حذفت الياء لبقاء دالها، فصار باغ بوزن قاض، ولم يحذف التنوين لما في حذفه من إجحاف كلمة مستقلة، وكذا يقال في عاد، والمعنى: فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر.. فأكله غير باغ خارج على المسلمين، ولا عاد متعد عليهم بقطع الطريق.

﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وفي الظفر لغات خمسُ أعلاها: ظُفُر - بضم الظاء والفاء - وهي قراءة العامة. وظُفْر: - بسكون العين وهي تخفيف لمضمومها -، وبها قرأ الحسن في رواية، وقرأ أبي بن كعب والأعرج: ﴿ظِفِر﴾ - بكسر الظاء والفاء - ونسبها الواحدي لأبي السمال، وقراءة ﴿ظِفْر﴾ - بكسر الظاء وسكون الفاء وهي تخفيف لمكسروها - ونسبها الناس للحسن أيضاً قراءة، واللغة الخامسة أظفور، ولم يقرأ بها فيما علمت، وجمع الثلاثي أظفار، وجمع أظفور أظافير - وهو القياس - وأظافر من غير مد، وليس بقياس، اهـ «سمين».

﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾: إما جمع[1] حاوياء، كقاصعاء وقواصع، أو جمع حاوية، كزاوية وزوايا، أو جمع حوية كهدية وهدايا، ففي مفرده أقوال ثلاثة، وقال الفارسي: يصح أن يكون جمعاً لكل من الثلاثة، فإن كان مفردها حاوية أو حاوياء.. فوزنها فواعل كضوارب كزاوية وزوايا وقاصعاء وقواصع، والأصل حواوي كضوارب، قلبت الواو التي هي عين الكلمة همزة، ثم قلبت الهمزة ياء، فاستثقلت الكسرة على الياء، فقلبت فتحة، فتحرك حرف العلة وهي الياء التي هي لام الكلمة بعد فتحة، فقلبت ألفاً فصارت حوايا ففيه أربعة أعمال، وإن شئت

(١) الفتوحات.

قلت: قلبت الواو همزة مفتوحة، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً فصارت همزة مفتوحة بين ألفين يشابهانها، فقلبت الهمزة ياء، ففيه ثلاثة أعمال، واختلف أهل التصريف في ذلك، وإن قلنا: إن مفردها حوية فوزنها فعائل كطرائق، والأصل: حوائي فقلبت الهمزة ياء مكسورة، ثم فتحت تلك الياء، ثم قلبت الياء الثانية التي هي لام الكلمة ألفاً، فصار حوايا، ففيه ثلاثة أعمال، فاللفظ متحد والعمل مختلف. اهـ «سمين».

﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ ﴿هَلُمَّ﴾[1] هنا اسم فعل بمعنى أحضروا، و﴿شهداءكم﴾: مفعول به، فإن اسم الفعل يعمل عمل مسماه من تعد ولزوم. واعلم أن هلم فيها لغتان: لغة الحجازيين ولغة التميميين، فأما لغة الحجاز: فإنها فيها بصيغة واحدة سواء أسندت لمفرد أم مثنى أم مجموع، مذكر أو مؤنث نحو: هلم يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات، وهي على هذه اللغة عند النحاة اسم فعل لعدم تغيرها، والتزمت العرب على هذه اللغة فتح الميم وهي حركة بناء بنيت على الفتح تخفيفاً. وأما لغة تميم: وقد نسبها الليث إلى بني سعد فتلحقها الضمائر كما تلحق سائر الأفعال، فيقال: هلما هلموا هلمي هلمت. وقال الفراء: يقال: هلمين يا نسوة، وهي على هذه اللغة فعل صريح لا يتصرف هذا قول الجمهور، وقد خالف بعضهم في فعليتها على هذه اللغة وليس بشيء، والتزمت العرب فيها أيضاً على لغة تميم فتح الميم إذا كانت مسندة لضمير الواحد المذكر، ولم يجيزوا فيها ما أجازوه في رد وشد من الضم والكسر اهـ، «سمين».

﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٍ﴾ والإملاق الفقر في قول ابن عباس، وقيل: الجوع بلغة لخم، وقيل: الإسراف، يقال: أملق إذا أسرف في نفسه. قاله محمد بن نعيم اليزيدي، وقيل: الإنفاق، يقال: أملق ماله إذا أنفقه. قال المنذر بن سعيد: والإملاق الإفساد أيضاً. قاله شمر. قال: وأملق يكون قاصراً ومتعدياً، يقال: أملق الرجل

---

(١) الجمل.

إذا افتقر؛ فهذا قاصر، وأملق ما عنده الدهر؛ أي: أفسده، اهـ «سمين».

وفي «المصباح» أملق إملاقاً افتقر واحتاج، وملقت الثوب ملقاً ـ من باب قتل ـ غسلته وملقته ملقاً، وملقت له: تَوددت له ـ من باب تعب ـ وتملقت له كذلك اهـ.

﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ هما[1] الآلة التي يكال بها ويوزن وأصل الكيل مصدر، ثم أطلق على الآلة والميزان، في الأصل مفعال من الوزن، ثم نقل لهذه الآلة كالمصباح والمقياس لما يستصبح به ويقاس، وأصل ميزان موازن ففعل به ما فعل بميقات؛ أعني: قلبت الواو ياء لوقوعها إثر كسرة، فصار ميزان.

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ والأشد قيل: هم اسم مفرد لفظاً ومعنى، وقيل: هو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل: هو جمع، وعلى هذا فمفرده شدة كنعمة وأنعم. وقيل: شد كفلس وأفلس وكلب وأكلب، أو شد كضر وأضرر، أقول: ثلاثة في مفرده، وأصله من شد النهار إذا ارتفع، وقال سيبويه: واحده شدة، قال الجوهري: وهو حسن في المعنى؛ لأنه يقال: بلغ الكلام شدته، ولكن لا تجمع فعلة على أفعل.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الجناس المغاير بين ﴿طاعم﴾ و﴿يطعمه﴾، وبين ﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾ و﴿يَشۡهَدُونَ﴾.

ومنها: القصر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا﴾.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾؛ لأنه[2] استعار الظفر للحافر على ما قاله القتبي.

---

(1) الجمل.

(2) البحر المحيط.

ومنها: الإضافة لتأكيد التخصيص في قوله تعالى: ﴿شُحُومَهُمَآ﴾ لأنه لو أتى في الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم الشحوم لكان كافياً في الدلالة على أنه لا يراد إلا شحوم البقر والغنم، ولكنه أضاف لتأكيد التخصيص.

ومنها: المبالغة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، لأنهما من صيغ المبالغة؛ أي: مبالغ في المغفرة والرحمة.

ومنها: التعريض في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ لأنه يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا، وإنما اقتدينا بإسرائيل فيما حرم على نفسه، ويتضمن إدحاض قولهم ورده عليهم.

ومنها: الإتيان في مقول قل، أولاً: بالجملة الاسمية، وثانياً: بالجملة الفعلية، فناسبت الأبلغية في الله تعالى بالرحمة الواسعة، وجاءت الجملة الثانية فعلية ولم تأت اسمية، فيكون التركيب وذو بأس لئلا يتعادل الإخبار عن الوصفين، وباب الرحمة واسع فلا تعادل، ذكره أبو حيان في «البحر».

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأن حق العبارة ولا يردُّ بأسه عنكم ويحتمل كون الكلام على عمومه.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾؛ لأن المعنى: فلا تصدقهم، فإن تصديقهم في الشهادة الباطلة بمنزلة الشهادة لذلك الباطل، فأطلق اسم الشهادة على التصديق على سبيل الاستعارة التصريحية، ثم اشتق منه قوله: ﴿فَلَا تَشْهَدْ﴾ فيكون[1] استعارة تبعية، وقيل: هو مجاز مرسل من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم؛ لأن الشهادة من لوازم التسليم، وقيل: هو كناية، وقيل: مشاكلة.

ومنها: ذكر الخاص بعد العام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ اعتناء بشأنه؛ لأن الفواحش يندرج فيها قتل النفس، فجرد منها هذا

---

(١) زاده.

استعظاماً له وتهويلاً، ولأنه قد استثنى منه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: ولو لم يذكر هذا الخاص، لم يصح الاستثناء من عموم الفواحش، فلو قيل في غير القرآن: لا تقربوا الفواحش إلا بالحق لم يكن شيئاً.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ لأنه استعار السبل للبدع والضلالات والمذاهب المنحرفة.

ومنها: التنكير في قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ لإفادة العموم والشمول.

ومنها: الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ للتشريف والتعظيم.

ومنها: التكرار في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ تأكيداً لشأن التوصية.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ فشبه الدين القويم بالصراط بمعنى: الطريق بجامع أن كلاً يوصل للمقصود، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

ومنها: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلاً يوصل صاحبه إلى المهالك، واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، ذكره الصاوي.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما(١) ذكر الحجج العقلية على أصول هذا الدين، ودحض شبهات المعاندين، وأردف ذلك بذكر الوصايا العشر في الآيات الثلاث التي قبل هذه الآيات.. نبه هنا إلى مكانة القرآن من الهداية، أو إلى وجوب اتباعه وذكر أعذار المشركين بما يعلمون أنها لا تصلح

(١) المراغي.

لهم عذراً عند الله تعالى، وافتتح هذا التنبيه والتذكير بذكر ما يشبه القرآن في التشريع ويسير على نهجه في الهداية، وهو كتاب موسى عليه السلام الذي اشتهر عند مشركي العرب، وعرفوا بالسماع خبره.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] بين أنه إنما أنزل الكتاب إزالة للعذر وإزاحة للعلة، وقرن هذا الإعذار بالإنذار الشديد والوعيد بسوء العذاب.. أردف ذلك ببيان أنه لا أمل في إيمانهم البتة، وفصل ما أمامهم وأمام غيرهم من الأمم وما ينتظرونه في مستقبل أمرهم، وأنه غير ما يتمنون من موت الرسل وانطفاء نور الإسلام بموته صلوات الله وسلامه عليه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما وصى[2] هذه الأمة على لسان رسوله باتباع صراطه المستقيم، ونهى عن اتباع غيره من السبل، ثم ذكر شريعة التوراة المشابهة لشريعة القرآن ووصاياه، ثم تلا ذلك تذكيره لهم ولسائر المخاطبين بالقرآن بما ينتظر آخر الزمان من الحوادث الكونية للأفراد والأمم.. أردف ذلك بتذكير هذه الأمة بما هي عرضة له بحسب سنن الاجتماع من إضاعة الدين بعد الاهتداء بالتفرق فيه بالمذاهب والآراء والبدع التي تجعلها أحزاباً وشيعاً تتعصب كل منها لمذهب أو إمام، فيضيع الحق وتنفصم عرى الوحدة، وتصبح بعد أخوة الإيمان أمماً متعادية كما حدث لمن قبلهم من الأمم.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين في السورة أصول الإيمان وأقام عليها البراهين، وفند ما يورده الكفار من الشبهات، ثم ذكر في الوصايا العشر أصول الفضائل والآداب التي يأمر بها الإسلام وما يقابلها من الرذائل والفواحش التي ينهى عنها.. بين هنا الجزاء العام في الآخرة على الحسنات؛ وهي الإيمان

---

(١) المراغي.　(٢) المراغي.

والأعمال الصالحة، وعلى السيئات؛ وهي الكفر والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ...﴾ الآيات إلى آخر السورة، مناسبة هذه الآيات لآخر السورة: لما[1] كانت هذه السورة أجمع السور لأصول الدين، مع إقامة الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وإبطال عقائد أهل الشرك وخرافاتهم.. جاءت هذه الخاتمة آمرة له ﷺ بأن يقول لهم قولاً جامعاً لجملة ما فصل، وهو أن الدين القيم والصراط المستقيم هو ملة إبراهيم دون ما يدعيه المشركون وأهل الكتاب المحرفون، وأنه ﷺ مستمسك به معتصم بحبله يدعو إليه قولاً وعملاً على أكمل الوجوه، وهو أول المخلصين وأخشع الخاشعين، وهو الذي أكمل هذا الدين بعد انحراف جميع الأمم عن صراطه. ثم بين أن الجزاء عند الله على الأعمال، وأن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن المرجع إليه تعالى وحده، وأن له سنناً في استخلاف الأمم واختبارها بالنعم والنقم، وأن الله وحده هو الذي يتولى عقاب المسيئين ورحمة المحسنين.

التفسير وأوجه القراءة

و ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ للترتيب الذكري؛ أي: للترتيب في الذكر والإخبار، لا في الزمان؛ لأن إيتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن، والمعنى: ثم بعد ما أخبرتكم الوصايا المتقدمة.. أخبركم بأنا أعطينا موسى التوراة، أو يقال: إن ﴿ثُمَّ﴾ هنا بمعنى الواو الاستئنافية؛ أي: وأعطينا موسى التوراة ﴿تماماً﴾؛ أي: لأجل إتمام نعمتنا وكرامتنا ﴿عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ وآمن بها من بني إسرائيل وأحسن العمل بأحكامها، يدل على هذا المعنى قراءة عبد الله: ﴿على الذين أحسنوا﴾. وقرأ يحيى بن يعمر بالرفع، وخرج على حذف المبتدأ؛ أي: على الذي هو أحسن ديناً، كقراءة من قرأ ﴿مثلاً ما بعوضةٌ﴾ - بالرفع - ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ وبياناً لهم لكل شيء يحتاج إليه في الدين، فيدخل في

---

(١) المراغي.

ذلك بيان نبوة سيدنا محمد ﷺ ودينه ﴿وَهُدًى﴾؛ أي: وهداية لهم من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ أي: أماناً لهم من العذاب بإنزالها لمن آمن بها ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: آتيناه الكتاب جامعاً لكل ما ذكر من الصفات لكي يؤمنون ويصدقون بلقاء ربهم بالبعث من القبور، ويفوزون بالإيمان بها السعادة الأبدية في دار الكرامة السرمدية التي أعدها الله سبحانه وتعالى لمن آمن بوحيه وتمسك بشريعته.

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى لما أخبر عن القرآن بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾.. أردف بمدح التوراة كما جاء مثل هذا في قوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾، وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ثم قال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الآية.

وقد تكرر في الكتاب الكريم قرنه بالتوراة؛ لما بينهما من التشابه، فكل منهما شريعة كاملة؛ والإنجيل والزبور ليسا كذلك، فإن أكثر الإنجيل عظات وأمثال، وأكثر الزبور ثناء ومناجاة، إلى أن العرب كانوا يعلمون أن اليهود لهم كتاب يسمى التوراة، ولهم رسول يسمى موسى، وأنهم أهل علم، وكان يتمنى كثير من عقلائهم لو أتيح لهم كتاب كما أوتي اليهود التوراة، وأنه لو جاءهم كتاب لكانوا أهدى منهم وأعظم انتفاعاً به، لما يمتازون به من الذكاء وحصافة العقل ورجاحة الرأي.

وهذه الوصايا العشر التي في الآيات الثلاث، والتي لها نظير في سورة الإسراء كانت أول ما نزل بمكة قبل تفصيل أحكام العبادات والمعاملات في السور المدنية، وكذلك كانت أول ما نزل على موسى من أصول دينه، لكن وصايا القرآن أجمع للمعاني، فهي تبلغ العشرات إذا فصلت.

وهذه الوصايا وما أشبهها هي أصول الأديان على ألسنة الرسل يرشد إلى ذلك قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ

﴿إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ وليس هذا الدين المشترك الذي أوصى به هؤلاء الرسل الكرام إلا التوحيد ومكارم الأخلاق، والتباعد عن الفواحش والمنكرات.

وقد يكون معنى الآية[1]: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء الناس: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ووصاكم به، وهو كذا وكذا، ثم قل لهم وأعلمهم أننا آتينا موسى الكتاب إلى آخره ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾؛ أي: آتيناه الكتاب تماماً للنعمة والكرامة على من أحسن في اتباعه واهتدى به كما جاء في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ وقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أو المعنى: آتيناه الكتاب تماماً كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه من الشرائع كقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: مفصلاً لكل شيء من أحكام الشريعة عباداتها ومعاملاتها، مدنية أو حربية أو جنائية، وهذا كقوله في صفة القرآن: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾؛ أي: ودليلاً من دلائل الهداية إلى الحق، وسبباً من أسباب الرحمة لمن اهتدى به، فينجيه الله من الضلال وعمى الحيرة ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: آتيناه الكتاب جامعاً لكل ما ذكر؛ ليجعل قومه محل رجاء للإيمان بالله تعالى، وموضع الفوز في دار الكرامة تلك الدار التي أعدها الله لمن اهتدى بوحيه.

وبعد أن وصف التوراة بتلك الصفات وصف القرآن الكريم، فقال: ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه ﴿كِتَٰبٌ﴾ عظيم شأنه ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﷺ بواسطة الروح الأمين، كما أنزلنا الكتاب على موسى ﴿مُبَارَكٌ﴾؛ أي: كثير الخير ديناً ودنيا جامع لأسباب الهداية الدائمة، وجاء بأكثر مما في كتاب موسى من تفصيل لهدى البشر في معاشهم ومعادهم ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: فاتبعوا يا أهل مكة ما هداكم إليه ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ ما نهاكم عنه وحذركموه ﴿لَعَلَّكُمْ

---

(١) المراغي.

﴿تُرۡحَمُونَ﴾؛ أي: لتكون رحمته مرجوة لكم في الدنيا والآخرة إن قبلتموه ولم تخالفوه. والمعنى[1]: هذا القرآن العظيم كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم نزل مفرقاً على حسب الوقائع مبارك كثير الخير والمنافع في الدنيا بالشفاء به، والأمن من الخسف والمسخ والضلال، وفي الآخرة بتلقي السؤال عن صاحبه وشهادته له وكونه ظُلَّة على رأسه في حر الموقف والرقي إلى الدرجات العلا.

وقال التبريزي[2]: في الكلام إشارة، وهو وصف الله التوراة بالتمام، والتمام يؤذن بالانصرام، قال الشاعر:

إِذَا تَـمَّ أَمْـرٌ بَـدَا نَـقْـصُـهُ ... تَـوَقَّـعْ زَوَالاً إِذَا قِـيْـلَ تَـمّ

فنسخها الله بالقرآن ودينها بالإسلام، ووصف القرآن بأنه مبارك في مواضع كثيرة، والمبارك هو الثابت الدائم في ازدياد، وذلك مشعر ببقائه ودوامه.

وقوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ علة لمعلول محذوف تقديره: وأنزلنا إليكم يا أهل مكة هذا القرآن المرشد إلى توحيد الله وطريق طاعته وتزكية النفوس من أدران الشرك بلغتكم كراهية ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ يوم الحساب والجزاء معتذرين عن شرككم وإجرامكم ما جاءنا كتاب نفهمه بلغتنا ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ أي: التوراة والإنجيل ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ﴾؛ أي: فريقين ﴿مِن قَبۡلِنَا﴾ وهما اليهود والنصارى ﴿وَإِن كُنَّا﴾؛ أي: وقد كنا، وقيل: وإنه كنا ﴿عَن﴾ معرفة ما في كتبهم وفهم ﴿دِرَاسَتِهِمۡ﴾ وقراءتهم للكتاب الذي أنزل عليهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: لجاهلين لا ندري ولا نعلم ما هي؛ لعدم فهمنا ما يقولون، لأنها بلغة غير لغتنا، ولأنهم أهله دوننا، ولأنا لم نؤمر بما فيه، ولغلبة الأمية علينا.

والمراد بهذه الآية: إثبات الحجة على أهل مكة وقطع عذرهم بإنزال القرآن بلغتهم على سيدنا محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا

---

(١) الصاوي.

(٢) البحر المحيط.

على اليهود والنصارى، ولا نعلم ما فيهما، فقطع الله عذرهم بإنزال القرآن عليهم بلغتهم.

والمعنى[1]: وأنزلنا هذا القرآن بلغتكم يا أهل مكة كراهية أن تقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما، فلم نفهم ما فيهما، فقطع الله عذرهم بإنزال القرآن عليهم بلغتهم كي لا يعتذروا عند المجازاة على شركهم وكفرهم بمحمد ﷺ. وقرأ ابن محيصن[2]: ﴿أن يقولوا﴾ - بياء الغيبة - يعني: كفار قريش.

﴿أَوْ﴾ كراهية أن ﴿تَقُولُواْ﴾ يوم القيامة ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: لو أننا أنزل علينا الكتاب بلغتنا كما أنزل على اليهود والنصارى بلغتهم العبرانية أو السريانية، فأمرنا بما فيه ونهينا عما نهى عنه، وبين لنا خطأ ما نحن فيه ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾؛ أي: أصوب ديناً من اليهود والنصارى، وأطوع للحق الذي هو المقصد الأقصى والطريق المستقيم، وأسرع إجابة لأمر الرسول لجودة أذهاننا ومزيد ذكائنا، لأنا أذكى منهم أفئدة وأمضى عزيمة.

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عنهم مثل هذا في قوله: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾؛ أي: من إحدى الأمم المجاورة لهم من أهل الكتاب.

فرد الله تعالى عليهم بجواب قاطع لكل تعلَّة، دافع لكل اعتذار، فقال: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ يا أهل مكة من الله سبحانه وتعالى على لسان محمد ﷺ: ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: قرآن عظيم فيه بيان للحلال من الحرام ﴿وهدى﴾ لما في القلوب من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾؛ أي: نعمة من الله لعباده الذي يتبعونه ويقتفون ما فيه؛ أي: لا تعتذروا بذلك، فقد جاءكم من ربكم كتاب مبين للحق بالحجج والبراهين في العقائد والفضائل والآداب وأمهات الأحكام بما به تصلح أمور البشر وشؤون الاجتماع، وهو هاد لمن تدبره وتلاه حق تلاوته إذ يجذب

---

(١) عمدة التفاسير للشارح.

(٢) البحر المحيط.

ببلاغته وبيانه قلوب الناظرين فيه إلى الحق الذي فصله أتم تفصيل، وإلى عمل الخير والصلاح الذي بين فوائده ومنافعه؛ وهو رحمة عامة لمن يستضيؤون بنوره وتنفذ فيهم شريعته؛ إذ هم يكونون في ظلها آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، أحراراً في عقائدهم وعباداتهم، يعيشون في بيئة خالية من الفواحش والمنكرات، وبعد أن بين عظم قدر هذا الكتاب.. بين سوء عاقبة من كذب به، فقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ والفاء فيه فاء الفصحية؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر تقديره: إذا كانت هذه الآيات مشتملة على الهداية الكاملة والرحمة الشاملة.. فأقول لك: لا أظلم، والاستفهام فيه إنكاري؛ أي: فلا أحد أشد ظلماً ﴿مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنية ولم يؤمن بها ﴿وَصَدَفَ﴾؛ أي: أعرض بنفسه ﴿عَنْهَا﴾؛ أي: عن تلك الآيات؛ أي: عن العمل بما فيها من الأوامر والنواهي.

وقيل المعنى: كذب بآيات الله وصدف عنها؛ أي: صرف الناس ومنعهم عن الإيمان بها، فجمع بين الضلال بالتكذيب، والإضلال بصرف الناس عنها كما كان يفعل كبراء مجرمي قريش بمكة، فقد كانوا يصدفون العرب ويمنعونهم عن النبي ﷺ، ويحولون بينه وبينهم لئلا يسمعوا منه القرآن، فينجذبوا إلى الإيمان، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾. وقرأ ابن وثاب وابن أبي عبلة: ﴿ممن كذَب﴾ بتخفيف الذال. ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ﴾؛ أي: سنعاقب الذين ﴿يَصْدِفُونَ﴾ ويعرضون ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ الواضحة وحججنا الساطعة ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: شديد العذاب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: بسبب إعراضهم عن آياتنا وتكذيبهم لرسلنا، والإضافة في سوء العذاب من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: العذاب السيء أو المعنى[1]: سنجزي الذين يصدفون الناس عن آياتنا ويردونهم عن الاهتداء بها سوء العذاب بسبب ما كانوا يتجرؤون عليه من الصدف عنها؛ إذ هم بذلك يحملون أوزارهم وأوزار من صدفوهم عن الحق، وحالوا بينهم وبين الهداية. وقرأت فرقة: ﴿يصدُفون﴾: بضم الدال.

---

(١) المراغي.

ونحو الآية قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾؛ أي: زدناهم عذاباً شديداً بصدهم الناس عن سبيل الله، فوق العذاب على كفرهم بسبب إفسادهم في الأرض بهذا الصد عن الحق.

والاستفهام في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ إنكاري بمعنى النفي؛ أي: ما ينتظر هؤلاء المشركون من أهل مكة وغيرهم ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ أي: ملائكة الموت الذين يقبضون أرواحهم من عزرائيل وأعوانه، أو ملائكة العذاب. وقرأ الكسائي وحمزة: ﴿إلا أن يأتيهم﴾ ـ بالياء ـ ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ يا محمد يوم القيامة للحكم[1] وفصل القضاء بين الخلائق إتياناً يليق به لا نكيفه ولا نمثله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ كما جاء في آية أخرى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾. وقيل المراد بإتيان الله إتيان ما وعد به من النصر لأوليائه، وأوعد به أعداءه من العذاب في الدنيا كما جاء في قوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾. وقيل أو يأتي أمر ربك بإهلاك ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: بعض علامات ربك الدالة على قرب الساعة، وهي عشرة[2]، وهي العلامات الكبرى، وهي الدجال، والدابة، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونار تخرج من عدن تسوق الناس إلى المحشر. وتقدير الآية[3]: أنهم لا يؤمنون بك يا محمد إلا إذا جاءتهم إحدى هذه الأمور الثلاثة، فإذا جاءتهم إحداها آمنوا، وذلك حين لا ينفعهم إيمانهم.

والخلاصة[4]: أنهم لا ينتظرون إلا أحد أمور ثلاثة: مجيء الملائكة، أو مجيء ربك بحسب ما اقترحوا بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ وقولهم: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، أو مجيء بعض آيات ربك غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ ونحو ذلك من

---

(١) عمدة التفاسير.
(٢) المراح.
(٣) الخازن.
(٤) المراغي.

الآيات العظام التي علقوا بها إيمانهم. وفي الآية إيماء إلى تماديهم في تكذيب آيات الله وعدم اعتدادهم بها، وأنه لا أمل في إيمانهم البتة.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الموجبة للإيمان الاضطراري من الآيات التي اقترحوها، أو ما هو أعم من ذلك، فيدخل فيه ما ينتظرونه، وقيل: هي الآيات العظام التي تدل على قرب الساعة كطلوع الشمس من مغربها قبيل تلك القارعة التي ترج الأرض رجاً، وتبس الجبال بساً، ويبطل هذ النظام الشمسي بحدوث حادث تتحول فيه حركة الأرض اليومية، فيكون الشرق غرباً والغرب شرقاً كما في حديث «الصحيحين». والظرف متعلق بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا﴾؛ أي: نفساً كافرة، أو مؤمنة عاصية ﴿إِيمَٰنُهَا﴾ وقتئذ ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل ذلك ﴿أَوْ﴾ نفساً لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾؛ أي: عملاً صالحاً من قبل ظهور تلك الآيات؛ أي: لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل أن تؤمن حينئذ، ولا ينفع نفساً لم تكن كسبت في إيمانها خيراً وعملاً صالحاً أن تفعل ذلك بعد مجيء تلك الآيات لبطلان التكليف الذي يترتب عليه ثواب الأعمال.

قال ابن كثير: إذا[1] أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك.. فإن كان مصلحاً في عمله؛ فهو بخير عظيم، وإن لم يكن مصلحاً، فأحدث توبة حينئذ.. لم تقبل منه توبته كما دلت عليه الأحاديث. وقرأ ابن عمر وابن الزبير وابن سيرين وأبو العالية[2]: ﴿يوم تأتي﴾ ـ بالفوقية ـ مثل: ﴿تلتقطه بعض السيارة﴾ قال المبرد التأنيث على المجاورة لمؤنث لا على الأصل، ومنه قول جرير:

لَـمَّـا أَتَـىٰ خَـبَـرُ ٱلـزُّبَـيْـرِ تَـوَاضَـعَـتْ   سُـوْرُ ٱلْـمَـدِيْـنَـةِ وَٱلْـجِـبَـالُ ٱلْـخُـشَّـعُ

وقرأ ابن سيرين: ﴿لا تنفع نفساً﴾ ـ بالفوقية ـ. قال أبو حاتم: ذكروا أنها غلط منه، وقال الزمخشري: أنث الفعل؛ لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه. وقرأ زهير القروي: ﴿يومُ يأتي﴾ ـ بالرفع ـ والخبر ﴿لا ينفع﴾

---

(١) ابن كثير.   (٢) البحر المحيط والشوكاني.

والعائد محذوف؛ أي: فيه. ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أيها المعاندون ما تتوقعون إتيانه ووقوعه بنا من اختفاء أمر الإسلام، أو انتظروا ما وعدتم به من مجيء إحدى هذه الآيات ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ معكم وعد ربنا لنا ووعيده لكم، أو منتظرون ما أوعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة، وقيل المعنى: قل لهم يا محمد انتظروا هلاكي إنا منتظرون هلاككم، ونحو الآية قوله: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ وقال ابن كثير: هذا تهديد شديد للكافرين، ووعيد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك، وهو كقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

فصل في ذكر الأحاديث المناسبة للآية

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال جمهور المفسرين[1]: هو طلوع الشمس من مغربها، ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض». أخرجه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدْري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: «طلوع الشمس من مغربها». أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها.. تاب الله عليه». أخرجه مسلم.

وعن صفوان بن غسان المرادي قال: قال رسول الله ﷺ: «باب من قِبَل المغرب، مسيرة عرضه ـ أو قال: يسير الراكب في عرضه ـ أربعين أو سبعين سنة، خلقه الله تعالىٰ يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة، لا يُغلق حتىٰ

(١) الخازن.

تطلع الشمس منه». أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها» وفي رواية: «فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً» متفق عليه.

وعن حذيفة بن أسد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع رسول الله ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون» قلنا: الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات»، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تطرد الناس إلى محشرهم». أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال قبل ست: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة، وخويصة أحدكم، وأمر العامة». أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً». أخرجه مسلم.

وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال: تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين، زاد في رواية عنه: فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، وبسنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ يوماً: «أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئاً حتى

تنتهي، فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش، فيقال لها: اطلعي من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها». قال رسول الله ﷺ: «أتدرون أي يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

وبسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله ﷺ ذات يوم على حمار، فنظر إلى الشمس حيث غربت فقال: «إنها تغرب في عين حمئة، تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها، فإذا أراد أن يطلعها من مغربها.. حبسها، فتقول: يا رب إن مسيري بعيد، فيقول لها: اطلعي من حيث غربت، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».

وروي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ عشية من العشيات، فقال لهم: «عباد الله توبوا إلى الله قبل أن يأتيكم بعذاب، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب، فإذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل»، فقال الناس: هل لذلك من آية يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال، فيستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون له، ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض، ثم يأتون مضاجعهم فينامون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فإذا أصبحوا فطال عليهم.. رأت أعينهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب، فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا ينفع مشركاً إيمانه عند الآيات، وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا اكتسبوا خيراً قبل ذلك.

وقال ابن الجوزي: قيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها: أن الملاحدة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله تعالى قدرته، فيطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، فيتحقق عجزهم. وقيل: بل ذلك بعض الآيات الثلاث: الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

يروى عن ابن مسعود أنه قال: التوبة معروضة على ابن آدم، إن شاء قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث: الدابة، أو طلوع الشمس من مغربها، أو يأجوج ومأجوج.

ويروى عن عائشة قالت: إذا خرج أول الآيات.. طرحت التوبة، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال.

ويروى عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: هي مجموع الآيات الثلاث: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض. وأصح الأقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة، وثبت عن النبي ﷺ أنه طلوع الشمس من مغربها.

قال الضحاك[1]: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه.. قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل من قبل ذلك، فأما من آمن من شرك، أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية.. فلا يقبل منه؛ لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذاباً على أمة.. فآمنوا وصدقوا، فإنهم لا ينفعهم إيمانهم ذلك؛ لمعاينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة.

وفي كتاب «الإشاعة في أشراط الساعة» ما نصه[2]: ومن الأشراط العظام طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهذان أيهما سبق الآخر.. فالآخر على أثره، فإن طلعت الشمس قبل.. خرجت الدابة ضحى يومها أو قريباً من ذلك. وإن خرجت الدابة قبل طلعت الشمس من الغد.

وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة، ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً».

---

(١) الخازن.　　(٢) الفتوحات.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله تعالى غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع، ويستأذن القمر من حيث يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحسبان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم أهل الأوراد وحملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ثم يرسل الله جبرائيل إلى الشمس والقمر، فيقول: إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما، فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس وكذا القمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر، فيطلعان من مغربهما، فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله عز وجل، والغافلون في غفلاتهم إذ نادى مناد: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما، فينظر الناس إليهما، وإذا هما أسودان كالعكمين لا ضوء لهما ولا نور، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾. والعكم ـ بالكسر ـ الغرارة؛ أي: كالغرارتين العظيمتين، ومنه يقال لمن يشد الغرائر على الجمل: العكام، فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين ينازع كل منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها؛ فأما الصالحون والأبرار فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء جاءهما جبريل، فأخذ بقرونهما، فردهما إلى المغرب، فيغربهما في باب التوبة، ثم يرد المصراعين، فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن صدع قط ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة.. لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك يحب أن يفعله قبل ذلك، فإنه يجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا...﴾ الآية.

قال عمر بن الخطاب للنبي ﷺ: وما باب التوبة يا رسول الله؟ فقال: «يا عمر، خلق الله باباً للتوبة جهة المغرب، فهو من أبواب الجنة، مصراعان من

ذهب مكللان بالدر والجواهر، ما بين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع، فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله تعالى إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما، ولم يتب عبد من عباد الله توبةً نصوحاً من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب».

قال أبي بن كعب رضي الله عنه يا رسول الله، فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك، وكيف بالناس والدنيا؟ فقال: «لا يا أبي، إن الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النار، ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك، وأما الناس بعد ذلك فيلحون على الدنيا ويعمرونها، ويجرون فيها الأنهار، ويغرسون فيها الأشجار، ويبنون فيها البنيان، ثم تمكث الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها مئة وعشرين سنة، السنة منها بقدر شهر، والشهر بقدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم بقدر ساعة».

وروى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومئة عام بعد نزول عيسى ابن مريم وبعد الدجال اهـ.

ويستمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه حتى تتم أربعون سنة بعد الدابة، ثم يعود الموت فيهم، ويسرع فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد، وأفضلهم من يقول: لو تنحيت عن الطريق.. لكان أحسن، فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد لأحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكون كلهم أولاد زنا، شرار الخلق عليهم تقوم الساعة.

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إذا طلعت الشمس من مغربها.. خر إبليس ساجداً ينادي ويجهر: إلهي مرني أسجد لمن شئت، فتجتمع إليه زبانيته، فيقولون: يا سيدنا ما هذا التضرع!؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا هو الوقت المعلوم انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: إن الذين فرقوا وبددوا وشتتوا دينهم بأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

قال ابن عباس[1]: هم اليهود والنصارى فرقوا دين إبراهيم الحنيف إذ تفرقوا فرقاً، وكفر بعضهم بعضاً، وأخذوا بعضاً وتركوا بعضاً كما أخبر بذلك الكتاب الكريم بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

وقال الحسن: هم جميع المشركين؛ لأن بعضهم عبدوا الأصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا: إنهم بنات الله، وبعضهم عبدوا الكواكب، فكان هذا تفريق دينهم اهـ.

وقال أبو هريرة في هذه الآية: هم أهل الضلالة من هذه الأمة، وروي ذلك مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء، وليسوا منك؛ هم أهل البدع، وأهل الشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة» أسنده الطبري.

ولا مانع من الجمع بين الآراء[2]، فإنه تعالى ذكر أهل الكتاب وشرعهم، وأمر من استجاب لدعوة الإسلام بالوحدة وعدم التفرق كما تفرق من قبلهم، كما جاء في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ ثم بين أن رسوله بريء من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كما فعل أهل الكتاب، فهو يحذر من صنيعهم، وينهى عن سلوك طريقهم، فمن اتبع سنتهم في هذا التفريق.. فالرسول بريء منه كما هو بريئ من أولئك المفرقين من سالفي الأمم، فعلى[3] هذا يكون المراد من هذه الآية: الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين، ولا يبتدعوا البدع المضلة. وفي حديث رواه أبو داود والترمذي: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

---

(١) ابن كثير.

(٢) المراغي.

(٣) الفتوحات.

وقرأ حمزة والكسائي[1]: ﴿فارقوا دينهم﴾ هنا وفي الروم بألف وهي قراءة علي بن أبي طالب؛ أي: تركوا دينهم وخرجوا عنه. وقرأ باقي السبعة: ﴿فَرَّقُوا۟﴾ بالتشديد. وقرأ إبراهيم النخعي والأعمش وأبو صالح: ﴿فرقوا﴾ بتخفيف الراء.

﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾؛ أي: أحزاباً وفرقاً مختلفة في الضلالة، كل فرقة تشيع وتتبع إماماً لها ﴿لَّسْتَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من تفرقهم، أو من السؤال عن سبب تفرقهم، والبحث عن موجب تحزبهم ﴿فِى شَىْءٍ﴾ من الأشياء، فلا يلزمك من ذلك شيء ولا تخاطب به، إنما عليك البلاغ وهو مثل قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا»؛ أي: نحن براء منه؛ أي: أنت بريء منهم وهم بريئون منك، وهذا على أن المراد من الآية: أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة. وأما على القول بأن المراد من الآية: اليهود والنصارى والكفار، فمعناه لست من قتالهم في شيء، ولست مأموراً بقتالهم، فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية السيف.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ﴾؛ أي: جزاؤهم وعقابهم مفوض ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: أنه تعالى هو الذي يجازيهم على مفارقة دينهم، والتفريق له بما اقتضت به سنة الله تعالى من ضعف المتفرقين، وفشل المتنازعين، وتسليط الأقوياء عليهم، وإذاقة بعضهم بأس بعض، كما بين ذلك سبحانه بقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟﴾. ﴿ثُمَّ﴾ بعد أن يعذبهم بأيديهم وأيدي أعدائهم في الدنيا يبعثهم يوم القيامة فـ﴿يُنَبِّئُهُم﴾ ويخبرهم عند الحساب ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من الاختلاف والتفرق اتباعاً للأهواء، ثم يجازيهم على ذلك أشد الجزاء في النار وبئس القرار.

والخلاصة[2]: أن المراد بالذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؛ هم أهل الكتاب، والمقصود من براءة الرسول منهم تحذير أمته من مثل فعلهم؛ ليعلم أن من فعل فعلهم وحذا حذوهم من هذه الأمة.. فالرسول منه بريئ؛ إذ ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الكفار وأفعالهم ليس خاصاً بهم، بل إذا اتصف

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

المسلمون بمثل ما اتصفوا به.. كان حكمهم كحكمهم؛ لأن الله لا يبيح للمسلمين البدع والضلالات، والتفرق في الدين؛ لأنهم مسلمون، فإن ذلك يكون هدماً لأسس الدين، وخروجاً من سنن المهتدين.

ولدى التحقيق والبحث نجد أن أسباب التفرق في هذه الأمة في دينها وتبعة ضعفها في دنياها ترجع إلى أمور:

منها: التنازع على الملك، وقد حدث هذا من بدء الإسلام واستمر حتى وقتنا هذا.

ومنها: العصبية الجنسية والتعزة القومية في كل شعب وقبيل؛ إذ شمخ كل شعب بأنفه، وأبى أن يخضع لغيره اعتقاداً منه أنه أرقى الشعوب أرومة وأرفعها محتداً، فأنى له أن ينقاد لسواه.

ومنها: عصبية المذاهب والآراء في أصول الدين وفروعه، فأرباب المذاهب من الشيعة ذموا بقية المذاهب الأخرى كالحنفية والشافعية، ورجال الحديث تكلموا في أهل القياس.

ومنها: القول في الدين بالرأي، فإن كثيراً ممن يركن إليهم في الفتيا واستنباط الأحكام الدينية ضعيف عن حمل السنة، والتفقه في فهم الكتاب، فإذا عرضت له حادثة، ولم يفطن إلى مأخذها من الكتاب أو السنة.. أفتى فيها بالرأي، وقد يكون مصادماً للدليل النقلي، أو لفتاوى الصحابة والتابعين إلى أن آراء الناس تختلف باختلاف الزمان والمكان وشؤون المعيشة وأحوال الاجتماع، فأنى تتفق الألوف الكثيرة من الشعوب المختلفة في الأزمنة المتعاقبة.

ومنها: دسائس أعداء هذا الدين وكيدهم له، ووضع كثير من الأحاديث التي نفقت لدى بعض رجال الدين، واتخذوها مرجعاً في استنباط بعض الأحكام، والدين منها براء.

وعن معاوية رضي الله عنه قال(١): قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا إن

---

(١) الخازن.

من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة» زاد في رواية: «وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخلته». أخرجه أبو داود.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على ما أنا عليه وأصحابي». أخرجه الترمذي.

قال الخطابي: في هذا الحديث دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة عن الملة والدين؛ إذ جعلهم من أمته.

﴿مَن جَآءَ﴾ ربه يوم القيامة ﴿بِـ﴾ الخصلة ﴿الحسنة﴾ والأعمال الصالحة من خصال الطاعات التي فعلها، وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿فَلَهُۥ﴾؛ أي: فلذلك العامل عنده تعالى ﴿عَشْرُ﴾ حسنات ﴿أَمْثَالِهَا﴾؛ أي: جوزي عليها بعشر حسنات أمثالها فضلاً من الله سبحانه وتعالى وكرماً منه، وهذا استئناف لبيان قدر جزاء العاملين، والتقييد بالعشرة؛ لأنه أقل مراتب التضعيف، وإلا فقد جاء الوعد به إلى سبعين، وإلى سبع مئة، وإلى أنه بغير حساب، إذ قد وعد بالمضاعفة دون قيد في قوله: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ ووعد بمضاعفة كثيرة في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ ووعد بالمضاعفة إلى سبع مئة ضعف في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

وفي هذا إشارة إلى تفاوت المنفقين وغيرهم من المحسنين في الصفات النفسية كالإخلاص في النية، والاحتساب عند الله، والإخفاء ستراً على المعطي، وتباعداً من الشهرة، والإبداء لحسن القدوة، وتحري المنافع والمصالح، وما

يقابل ذلك من الصفات الرذيلة كالرياء، وحب الشهرة الباطلة، والمن والأذى.

والحاصل: أن العشرة تعطى لكل من أتى بالحسنة، والمضاعفة فوقها تختلف بحسب مشيئته تعالى بما يعلم من أحوال المحسنين، فمن بذل الدرهم ونفسه كئيبة على فقده.. لا تكون حاله كمن يبذله طيبة به نفسه، مسرورة بتوفيق الله تعالى على عمل الخير، ونيل ثواب الآخرة، واعلم أن المضاعفة تابعة للإخلاص، فكل من عظم إخلاصه.. كانت مضاعفة حسناته أكثر ﴿وَمَن جَآءَ﴾ ربه يوم القيامة ﴿بِـ﴾ الخصلة ﴿السيئة﴾ والأعمال القبيحة ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ من دون زيادة عليها على قدرها في الخفة والعظم، فالمشرك يجازى على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات، كما ورد بذلك كثير من الأحاديث المصرحة بأن من عمل كذا فعليه كذا، وما لم يرد لعقوبته تقدير من الذنوب.. فعلينا أن نقول: يجازيه الله بمثله وإن لم نقف على حقيقة ما يجازى به، وهذا إن لم يتب. أما إذا تاب، أو غلبت حسناته سيئاته، أو تغمده برحمته وتفضل عليه بمغفرته.. فلا مجازاة، وأدلة الكتاب والسنة مصرحة بهذا تصريحاً لا يبقى معه ريب لمرتاب. ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: عاملوا الحسنات وعاملوا السيئات ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب حسنات المحسنين، ولا بزيادة عقوبات المسيئين، فالزيادة في الحسنات من باب الفضل، والمجازاة بالمثل في السيئات من باب العدل. أي: أن كلا الفريقين فاعلي الحسنات، وفاعلي السيئات لا يظلم يوم الجزاء، لا من الله ـ لأنه منزه عن الظلم عقلاً ونقلاً، فقد روى مسلم من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه إنه قال: «يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا» الحديث ـ ولا من غيره؛ إذ لا سلطان لأحد من خلقه، ولا كسب في ذلك اليوم يمكنه من الظلم، كما يفعل الأقوياء الأشرار في الدنيا بالضعفاء.

فصل في الأحاديث المناسبة للآية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، وكل سيئة

يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى» متفق عليه.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة بعد أن لا يشرك بي شيئاً.. لقيته بمثلها مغفرة». أخرجه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تبارك وتعالى: «وإذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي.. فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة، فلم يعملها.. فاكتبوها له حسنة، فإن عملها.. فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مئة». متفق عليه. هذا لفظ البخاري.

وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة.. فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها.. فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدث عبدي بأن يعمل سيئة.. فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها.. فأنا أكتبها له بمثلها»، فقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: رب ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: أرقبوه، فإن عملها.. فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها.. فاكتبوها له حسنة، فإنما تركها من جرَّاي»(١) زاد الترمذي: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾.

وقرأ الحسن وابن جبير وعيسى بن عمر والأعمش ويعقوب والقزاز عن عبد الوارث(٢): ﴿عَشرٌ﴾ ـ بالتنوين ـ ﴿أمثالُها﴾ بالرفع على أنه صفة لـ﴿عَشْرٌ﴾.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين لك من قومك ومن سائر البشر ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾؛ أي: إن ربي الذي رباني بالوحي هداني وأرشدني بما أوحاه إلي بفضله ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وطريق قويم لا عوج فيه ولا انحراف، ولا اشتباه

(١) من جرَّاي: خوفاً منّي.
(٢) البحر المحيط.

يهدي سالكه إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهو الذي يدعوكم إلى طلبه منه حين تناجونه، فتقولون: اهدنا الصراط المستقيم، وعرفني ﴿دِينًا قِيَمًا﴾؛ أي: ديناً صادقاً ثابتاً قويماً مصلحاً يستقيم به أمور الناس في معاشهم ومعادهم، وبه يصلحون.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو[1]: ﴿قَيِّماً﴾ بوزن سيد ـ بفتح القاف وكسر الياء المشددة ـ: فيعل من قام؛ كسيد من ساد، وهو أبلغ من قائم. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿قِيَماً﴾ ـ بكسر القاف وتخفيف الياء ـ وهو مصدر كالصغر والكبر، والحول والشبع وصف به مبالغة؛ أي: ديناً ذا قيم؛ أي: صدق، وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: قوماً كما قالوا: عوض وحول، ولكنه شذَّ عن القياس.

الزموا ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: دينه وشريعته وما أوحي به إليه من الحنيفية السمحة حالة كون إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مائلاً من الأديان الباطلة إلى الدين المستقيم ﴿و﴾ حالة كون إبراهيم أيضاً ﴿ما كان من المشركين﴾ بالله يا معشر قريش؛ أي إنه منزه من الشرك وما عليه المبطلون وفيه تكذيب لأهل مكة القائلين: إنهم على ملة إبراهيم، وهم يعتقدون أن الملائكة بنات الله، ولليهود الذين يقولون: عزير ابن الله، وللنصارى القائلين: إن عيسى ابن الله، وهذا كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾.

وهذا الدين هو دين الإخلاص لله وحده، وهو الدين الذي بعث به جميع رسله، وقرره في جميع كتبه، وجعله ملة إبراهيم؛ لأنه هو النبي الذي أجمع على الاعتراف بفضله وصحة دينه مشركوا العرب وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكانت قريش ومن لف لفها من العرب يسمون أنفسهم الحنفاء مدعين أنهم على ملة إبراهيم، وهكذا فعل أهل الكتاب حين ادعوا اتباعه واتباع موسى وعيسى

---

(١) زاد المسير.

عليهما السلام، كما قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ المفروضة علي وعلى أمتي التي أعبد بها ربي، وكذا الصلاة المستحبة؛ لأن المراد بالصلاة ما يشمل المفروض منها والمستحب ﴿وَنُسُكِي﴾؛ أي: جميع أنواع عبادتي من صوم وحج وزكاة وغيرها من سائر العبادات، فعطفه على ما قبله على هذا التفسير من عطف العام على الخاص، أو حجي وعمرتي. وكثر استعماله في عبادة الحج، أو ذبيحتي التي أذبح بها في الحج، أو في غيره؛ أي: إن صلاتي ونسكي مخلصان لله لا شركة لغيره فيهما ﴿و﴾ إن ﴿محياي﴾؛ أي: حياتي، أو ما أوتيته في حياتي من العمل الصالح والنعم ﴿وَمَمَاتِي﴾؛ أي: وفاتي، أو ما أموت عليه من الإيمان، وقيل: معناه أن طاعتي في حياتي لله، وجزائي بعد مماتي من الله؛ أي: كلاهما منسوبان ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى خلقاً وإيجاداً ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: معبود العالمين وخالقهم ومالكهم.

وحاصل هذا الكلام(١): أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يبين للمشركين ويخبرهم أن صلاته ونسكه وسائر عبادته وحياته وموته كلها مخلصة لله، وواقعة بخلق الله وقضائه وقدره، فهو مخالف لهم في عبادة الأصنام وذبحهم لها ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ سبحانه وتعالى في شيء من ذلك من الصلاة والنسك، والمحيا والممات في الخلق والتقدير.

وقرأ الحسن وأبو حيوة(٢): ﴿نسْكي﴾ بإسكان السين، وقرأ الباقون بضمها، وقرأ نافع: ﴿محيايْ﴾: بسكون الياء، وقرأ الباقون بفتحها؛ لئلا يجتمع ساكنان. قال النحاس: لم يجزه؛ - أي: السكون - أحد من النحويين إلا يونس، وإنما أجازه؛ لأن المدة التي في الألف تقوم مقام الحركة. قال أبو حيان: وما روي عن نافع من سكون يا المتكلم في ﴿محيايْ﴾ هو جمع بين ساكنين أجري الوصل

---

(١) الخازن. (٢) البحر المحيط والشوكاني.

فيه مجرى الوقف، والأحسن في العربية الفتح. قال أبو علي: هي شاذة في القياس؛ لأنها جمعت بين ساكنين، وشاذة في الاستعمال.

وروى أبو خالد عن نافع ﴿ومحيايِ﴾ - بكسر الياء -، وقرأ ابن إسحاق وعيسى بن عمرو الجحدري: ﴿ومحييّ﴾ - من غير ألف - على لغة هذيل؛ وهي لغة عليا مضر، ومنه قول الشاعر:

سَبَقُوْا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوْا لِهَوَاهُمُ   فَتُخُرِّمُوْا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

وقرأ عيسى بن عمر: ﴿صلاتيَ ونسكيَ ومحيايَ ومماتيَ﴾ - بفتح الياء -، وروي ذلك عن عاصم.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ سبحانه وتعالى في شيء من ذلك من الصلاة والنسك والمحيا والممات، ولا شريك له في الخلق والقضاء والقدر وسائر أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه ﴿و﴾ قل لهم يا محمد ﴿بذلك﴾ التوحيد أو الإخلاص ﴿أُمِرْتُ﴾؛ أي: أمرني ربي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي سابق على إسلام أمته؛ لأنهم منه يأخذون شريعته. قاله قتادة؛ أي: وأنا أول من أقر بالوحدانية، وأذعن وخضع لله سبحانه وتعالى، وأخلص في التوحيد والعبادة لله من هذه الأمة، وقيل معناه: وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره تعالى. والمراد[1] من كون محياه ومماته لله تعالى أنه قد وجه وجهه، وحصر نيته وعزمه في حبس حياته لطاعته ومرضاته، وبذلها في سبيله، فيموت على ذلك كما يعيش، والآية جامعة لكل الأعمال الصالحة التي هي غرض المؤمن الموحد من حياته وذخيرته لمماته، ويكون فيها الإخلاص لله رب العالمين، فينبغي للمؤمن أن يوطن نفسه على أن تكون حياته لله ومماته لله، فيتحرى الخير والصلاح، والإصلاح في كل عمل من أعماله، ويطلب الكمال في ذلك لنفسه رجاء أن يموت ميتة ترضي ربه، ولا يحرص على الحياة لذاتها، فلا يرهب الموت فيمتنع من الجهاد في سبيل الله، كما أن عليه أن يقيم ميزان العدل، فيأخذ على أيدي أهل الجور،

---

(١) المراغي.

ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وأفرد[1] الصلاة بالذكر مع دخولها في النسك؛ لأن روحها ـ وهو الدعاء، وتعظيم المعبود، وتوجيه القلب إليه والخوف منه ـ مما يقع فيه الشرك..

والخلاصة: أنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لله رب العباد وخالقهم، فمن توجه إليه وإلى غيره من عباده المكرمين، أو إلى غيرهم مما يستعظم من خلقه.. كان مشركًا، فالله لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

ومعنى ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾؛ أي: لا شريك له في ألوهيته، فيستحق أن يشركه في العبادة ويتوجه إليه معه للتأثير في عبادته، وبذلك أمرني ربي، وأنا أول المسلمين المنقادين إلى امتثال ما أمره به، وترك ما نهى عنه. وفي هذا بيان إجمالي لتوحيد الألوهية بالعمل بعد بيان أصل التوحيد في العقيدة، ثم انتقل إلى برهانه الأعلى، وهو توحيد الربوبية بما أمره به، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ الذي خلق الخلق ورباهم ﴿أَبْغِى﴾ وأطلب ﴿رَبًّا﴾ آخر أشركه في عبادتي له بدعائه والتوجه إليه لينفعني، أو يمنع الضر عني، أو ليقربني إليه زلفى؛ أي: هل أطلب رباً ومالكا وإلهاً غير الله سبحانه وتعالى أعبده وأتخذه إلهاً ومعبوداً؟ ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ أي: والحال أنه سبحانه وتعالى رب كل شيء مما عبد، ومما لم يعبد، ومالكه وخالقه، فكيف يليق بي أن أتخذ إلهاً غير الله؟ فهو الذي خلق الملائكة والمسيح، والشمس والقمر، والكواكب والأصنام، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ وإذا كان هو الخالق والمدبر، فكيف أسفه نفسي، وأكفر بربي بجعل المخلوق المربوب مثلي رباً لي، وجميع المشركين يعترفون بأن معبوداتهم مخلوقة لله رب العالمين وخالق الخلق أجمعين.

والمعنى: أي[2] لا أطلب إلهاً غيره ولا أتوكل إلا عليه، فهو رب كل شيء

---

(١) المراغي.

(٢) الجمل.

ومليكه وخالقه، فكيف يكون المملوك شريكاً لمالكه ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ أي: ولا تحمل نفس ذنباً ﴿إِلَّا﴾ كان ﴿عَلَيْهَا﴾ جزاؤه لا على غيرها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾؛ أي: ولا تعمل كل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾؛ أي: آثمة؛ أي: ولا غير وازرة أيضاً ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: ذنب نفس أخرى؛ أي: فلا تحمل آثمة ولا طائعة ذنب غيرها، وإنما[1] قيد في الآية بالوازرة موافقة لسبب النزول، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، وهو وازر وآثم إثماً كبيراً. وفي الآية رد لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذة القريب بذنب قريبه، والواحد من القبيلة بذنب الآخر، وقد قيل: إن المراد بهذه الآية في الآخرة والأولى حمل الآية على ظاهرها؛ أعني: العموم، وما ورد من المؤاخذة بذنب الغير كالدية التي تحملها العاقلة، ونحو ذلك.. فيكون في حكم المخصص بهذا العموم، ويقر في موضعه، ولا يعارض هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ فإن المراد بالأثقال التي مع أثقالهم هي أثقال الذين يضلونهم كما في الآية الأخرى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ذكره الشوكاني.

والخلاصة: أن الدين أرشدنا أن نجري على ما أودعته الفطرة في النفوس من أن سعادة الناس وشقاءهم في الدنيا بأعمالهم، والعمل يؤثر في النفس التأثير الذي يزكيها إن كان صالحاً، أو التأثير الذي يدسيها ويفسدها إن كان سيئاً، والجزاء مبني على هذا التأثير، فلا ينتفع أحد، ولا يتضرر بعمل غيره.

ومن كان قدوة صالحة في عمل، أو معلماً له.. فإنه ينتفع بعمل من أرشدهم بقوله أو فعله زيادة على انتفاعه بأصل ذلك القول أو الفعل، ومن كان قدوة سيئة في عمل، أو دالاً عليه ومغرياً به.. فإن عليه مثل إثم من فعله، وبيّن النبي ﷺ هذا بقوله: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان

---

(١) الفتوحات.

عليه وزرها، ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». رواه مسلم.

وهذه قاعدة من أصول كل دين بعث الله به رسله كما جاء في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾. وهذه الوصية من أعظم دعائم الإصلاح في المجتمع البشري، وهادمة لأسس الوثنية، وهادية للناس جميعاً إلى ما تتوقف عليه سعادتهم في الدنيا والآخرة، فإن العمل وحده هو وسيلة الفوز وطريق النجاة، لا كما يزعم الوثنيون من طلب رفع الضر وجلب النفع بقوة من وراء الغيب، وهي وساطة بعض المخلوقات الممتازة ببعض الخواص والمزايا بين الناس وربهم ليعطيهم ما يطلبون في الدنيا بلا كسب ولا سعي من طريق الأسباب التي جرت بها سنته في خلقه، وليحملوا عنهم أوزارهم حتى لا يعاقبوا بها، أو ليحملوا الخالق على رفعها عنهم، وترك عقابهم عليها، وعلى إعطائهم نعيم الآخرة، وإنقاذهم من عذابها.

ومما ينتفع به المرء من عمل غيره ـ لأنه في الحقيقة كأنه عمله، إذ كان سبباً فيه ـ دعاء أولاده وحجهم وتصدقهم عنه وقضاؤهم لصومه، كما ورد في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة. ذاك أن الله قد ألحق ذرية المؤمنين بهم بنص الكتاب، وصح في السنة أن ولد الرجل من كسبه.

﴿ثُمَّ﴾ بعد اختلافكم في الدنيا في الأديان والملل ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ لا إلى غيره ﴿مَّرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: رجوعكم يوم القيامة للمجازاة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾؛ أي: يخبركم ويعلمكم ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من الأديان والملل، فيثيب المسلمين ويعذب الكافرين؛ أي: ثم إن رجوعكم في الحياة الآخرة إلى ربكم دون غيره مما عبدتم من دونه، فينبئكم بما كنتم تختلفون فيه من أمر أديانكم المختلفة، ويتولى جزاءكم عليه وحده بحسب علمه وإرادته القديمين،

ويضل عنكم ما كنتم تزعمون من دونه، ونحو الآية قوله: ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿الَّذِى جَعَلَكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ عن الأمم الماضية والقرون السالفة يخلف بعضكم عن بعض. وقال الطبري: أي[1] استخلفكم بعد أن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية، فجعلكم خلائف منهم في الأرض تخلفونهم فيها أو[2] إنكم خلفاء الله في أرضه تتصرفون فيها، على أن الخطاب عام للنوع الإنساني ﴿و﴾ هو الذي ﴿رفع بعضكم﴾؛ أي: الحسن والغني والشريف والعالم والقوي مثلاً ﴿فَوْقَ بَعْضٍ﴾ آخر؛ أي: فوق القبيح والفقير والوضيع والجاهل والضعيف مثلاً ﴿دَرَجَٰتٍ﴾؛ أي: في الجمال والمال، والشرف والعلم والقوة مثلاً. وقال ابن كثير: أي فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوي، والمناظر والأشكال والألوان، وله الحكمة في ذلك، انتهى. وقال في «الخازن» والمعنى: خالف بين أحوال عباده، فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة، وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز عن التسوية، أو الجهل، أو البخل، فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص، وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان كما ذكره بقوله: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ كَانَ﴾؛ أي: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾؛ أي: فيما أعطاكم من نعمة المال والجاه والقوة، هل تشكرون عليها فلكم الثواب والزيادة، أو تكفرون فلكم العقاب والحرمان، ولينظر كيف يصنع الشريف بالوضيع، والغني بالفقير، والمالك بالمملوك، وليختبر الفقير والوضيع والمملوك هل يصبرون أم لا؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه وكفر بنعمته، ووصف العقاب بالسرعة؛ لأن ما هو آت قريب، أو سريع عند إرادته تعالى، والمعنى: سريع العقاب إذا جاء وقته فلا يرد، كيف قال: سريع العقاب مع أنه حليم، والحليم هو الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وأنه سبحانه وتعالى ﴿لَغَفُورٌ﴾ لمن آمن به ﴿رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها.

---

(١) الطبري. (٢) البيضاوي.

والمعنى: أنه سبحانه[1] وتعالى سريع العقاب لمن كفر به، أو كفر بنبيه وخالف شرعه وتنكب عن سنته، وهذا العقاب السريع شامل لما يكون في الدنيا من الضرر في النفس أو العقل أو العرض أو المال، أو غير ذلك من الشؤون الاجتماعية، وهذا مطرد في الدنيا في ذنوب الأمم، وأكثريّ في ذنوب الأفراد، ومطرد في الآخرة بتدسية النفس وتدنيسها.

وهو[2] سبحانه وتعالى على سرعة عقابه وشديد عذابه للمشركين غفور للتوابين، رحيم بالمؤمنين المحسنين؛ إذ سبقت رحمته غضبه، ووسعت كل شيء، ومن ثم جعل جزاء الحسنة عشر أمثالها، وقد يضاعفها بعد ذلك أضعافاً كثيرة لمن يشاء، كما جعل جزاء السيئة سيئة مثلها وقد يغفرها لمن تاب منها، كما قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾.

ولما[3] كان الابتلاء يظهر به المسيء والمحسن، والطائع والعاصي.. ذكر هذين الوصفين وختم بهما. ولما كان الغالب على فواصل الآي قبلها هو التهديد.. بدأ قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ يعني لمن كفر ما أعطاه الله تعالى، وسرعة عقابه إن كان في الدنيا فالسرعة ظاهرة، وإن كان في الآخرة فوصفه بالسرعة لتحققه؛ إذ كل ما هو آت قريب، ولما كانت جهة الرحمة أرجى.. أكد ذلك بدخول اللام في الخبر، ويكون الوصفان بنيا بناء مبالغةٍ، ولم يأت في جهة العقاب بوصفه بذلك، فلم يقل: إن ربك معاقب وسريع العقاب من باب الصفة المشبهة.

فائدة: في خلاصة ما اشتملت عليه هذه السورة من العقائد والأحكام[4]:

أولاً: العقائد وأدلتها بالأسلوب الجامع بين الإقناع والتأثير كبيان صفات الله بذكر أفعاله وسننه في الخلق، وآياته في الأنفس والآفاق، وتأثير العقائد في الأعمال مع إيراد الحقائق بطريق المناظرة والجدل، أو ورودها جواباً بعد سؤال،

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

(٤) المراغي.

وفي أثناء ذلك يرد شبهات المشركين، ويهدم هياكل الشرك ويقوض أركانه.

ثانياً: الرسالة والوحي، وتفنيد شبهات المشركين على الرسول ﷺ، وإلزامهم الحجة بآية الله الكبرى؛ وهي القرآن المشتمل على الأدلة العقلية، والبراهين العلمية، وقد كان كثير من الكفار مشركين وغير مشركين يكفرون بالرسل، ويستبعدون إنزال الوحي عليهم.

ثالثاً: البعث والجزاء والوعد والوعيد، بذكر ما يقع يوم القيامة من العذاب للمجرمين، والبشارة للمتقين بالفوز والنعيم، مع ذكر عالم الغيب من الملائكة والجن والشياطين، والجنة والنار، وقد كانت العرب كغيرها من الأمم تؤمن بالملائكة وبوجود الجن، ويعتقدون بأنهم يظهرون لهم أحياناً بصورة الغيلان، ويسمعون أصواتهم وعزفهم، وأنهم يلقون الشعر في هواجس الشعراء.

رابعاً: أصول الدين ووصاياه الجامعة في الفضائل والآداب، والنهي عن الرذائل، وإذا نحن فصلنا القول فيها نرجعها إلى الأصول الآتية:

١ ـ أن دين الله واحد، فتفريقه بالمذاهب والأهواء، وجعل أهله فرقاً وشيعاً خروج عن هدي الرسول الذي جاء به، وموجب لبراءته من فاعليه.

٢ ـ أن سعادة الناس وشقاوتهم منوطتان بأعمالهم النفسية والبدنية، وإن الجزاء على الأعمال يكون بحسب تأثيرها في الأنفس، وإن الجزاء على السيئة بمثلها، وعلى الحسنة بعشر أمثالها فضلاً من الله ونعمة، وجزاء السيئات على الإنسان وحده، وجزاء الحسنات له وحده، فلا يحمل أحد وزر غيره.

٣ ـ أن الناس عاملون بالاختيار والإرادة ولكنهم خاضعون للسنن والأقدار، فلا جبر ولا اضطرار، ولا تعارض بين عملهم باختيارهم ومشيئة الخالق سبحانه؛ إذ المراد من خلقه الأشياء بقدر وتقدير: أنه تعالى خلقها على وجه جعل فيه المسببات على قدر الأسباب بناء على علم وحكمة، فهو لم يخلق شيئاً جزافاً بغير تقدير ولا نظام يجري عليه.

٤ ـ أن لله سنناً في حياة الأمم وموتها، وسعادتها وشقائها، وإهلاكها

بمعاندة الرسل، والظلم والفساد في الأرض، وتربيتها بالنعم تارة، وبالنقم أخرى.

٥ ـ أن التحليل والتحريم وسائر الشعائر التعبدية من حق الله تعالى، فمن وضع حكماً لا يستند إلى شرع الله.. فقد افترى إثماً عظيماً.

٦ ـ الأمر بالسير في الأرض، وقد تكرر ذلك في الكتاب الكريم للنظر في أحوال الأمم، وعواقب الأقوام التي كذبت الرسل.

٧ ـ الترغيب في معرفة ما في الكون، والإرشاد إلى معرفة سنن الله فيه، وآياته الكثيرة الدالة على علمه وقدرته.

٨ ـ أن التوبة الصحيحة مع ما يلزمها من العمل الصالح موجبةٌ لمغفرة الذنوب.

٩ ـ استيلاء الناس بعضهم ببعض؛ ليتنافسوا في العلوم والأعمال النافعة، وإعلاء كلمة الحق والدين، ورفعة شأنه وإعزاز أهله.

الإعراب

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف بمعنى الواو. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل وفاعل، وهو بمعنى أعطينا. ﴿مُوسَى﴾: مفعول أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ثان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾، ﴿تَمَامًا﴾: مفعول لأجله؛ أي: لأجل إتمام النعمة. ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَمَامًا﴾. ﴿أَحْسَنَ﴾: فعل، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: معطوف على ﴿تَمَامًا﴾. ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تفصيلاً﴾. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: معطوفان عليه أيضاً؛ أي: لأجل الهداية والرحمة للذي أحسن وآمن به. ﴿لَّعَلَّهُم﴾: ناصب واسمه. ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق

بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة، مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع صفة أولى لـ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿مُبَارَكٌ﴾: صفة ثانية. وفي «الفتوحات»[1]: يجوز أن يكون ﴿كِتَٰبٌ﴾ و﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ و﴿مُبَارَكٌ﴾ أخباراً عن اسم الإشارة عند من يجيز تعدد الخبر مطلقاً، أو بالتأويل عند من لم يجوز ذلك، ويجوز أن يكون ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ و﴿مُبَارَكٌ﴾ وصفين لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ عند من يجيز تقديم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح اهـ «سمين». ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿اتبعوه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾. ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿اتبعوه﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تُرْحَمُونَ﴾ خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوق لتعليل ما قبلها.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾.

﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَقُولُوٓا۟﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة مصدر مقدر معلل لفعل محذوف جوازاً تقديره: وأنزلنا عليكم هذا القرآن كراهية قولكم يوم القيامة، والجملة المحذوفة المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر ونفي. ﴿أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لـ﴿تَقُولُوٓا۟﴾. ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾. ﴿مِن قَبْلِنَا﴾: جار ومجرور

(١) الفتوحات.

ومضاف إليه صفة لـ﴿طَآئِفَتَيْنِ﴾. ﴿وَإِن كُنَّا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: مخففة من الثقيلة ولكنهما مهملة لا عمل لها. فلا يقدر لها اسم وهي هنا بمعنى قد التي للتحقيق وفي «السمين» ﴿وَإِن كُنَّا﴾: ﴿إن﴾: مخففة من الثقيلة عند البصريين، وهي هنا مهملة، ولذلك وليتها الجملة الفعلية، انتهى. وقال أبو حيان: إن المخففة إذا لزمت اللام في أحد جزأيها، ووليها الناسخ.. فهي مهملة انتهى. ﴿كُنَّا﴾ فعل ناقص واسمه ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بقوله: ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾. ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿غافلين﴾: خبر كان، وجملة كان واسمها في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿تَقُولُوٓاْ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿تَقُولُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَقُولُوٓاْ﴾ السابق منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿تَقُولُوٓاْ﴾ السابق على كونها في تأويل مصدر ومجرور بإضافة المصدر المقدر تقديره: أو كراهية قولكم يوم القيامة. ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ مقول محكي لـ﴿تَقُولُواْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿أَنَّآ﴾: ناصب واسمه. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مغيَّر الصيغة. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به. ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مرفوع على كونه فاعلاً لفعل محذوف تقديره: لو ثبت إنزال الكتاب علينا، والجملة المحذوفة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿لَكُنَّآ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية، ﴿كنا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿أَهْدَىٰ﴾: خبره. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَهْدَىٰ﴾، وجملة كان الناقصة جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول لـ﴿تَقُولُواْ﴾. ﴿فَقَدْ﴾: ﴿الفاء﴾[1]: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا

(١) الفتوحات.

صدقتم فيما تظنون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب.. فأقول لكم: قد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة من ربكم، وإن شئت قلت: ﴿الفاء﴾: تعليلية لمحذوف تقديره: لا تعتذروا بذلك، فقد جاءكم بينة من ربكم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿بَيِّنَةٌ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: معطوفان على ﴿بَيِّنَةٌ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿فَمَنْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة. ﴿مِمَّن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَظْلَمُ﴾. ﴿كَذَّبَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿وَصَدَفَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿عَنْهَا﴾: متعلق بـ﴿صدف﴾. ﴿سَنَجْزِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل النصب مفعول أول مبني على الفتح على الأصح، وقيل: مبني على الياء، وقيل: منصوب بالياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم على لغة هذيل أو عقيل نحو قول الشاعر:

نَحْنُ اللَّذُوْنَ صَبَّحُوْا الصَّبَاحَا   يَوْمَ النُّخَيْلِ غَارَةً مِلْحَاحَا

﴿يَصْدِفُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلق ﴿يَصْدِفُونَ﴾. ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: مفعول ثان لـ﴿يَصْدِفُونَ﴾. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص واسمه، وجملة ﴿يَصْدِفُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿ما﴾

المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء تقديره: بصدفهم، الجار والمجرور متعلق بقوله: ﴿سَنَجْزِى﴾، والمعنى: سنجزيهم بسبب صدفهم وإعراضهم عن آياتنا سوء العذاب.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام الإنكاري. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ناصب وفعل ومفعول وفاعل، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: هل ينظرون إلا إتيان الملائكة. ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. وكذلك جملة قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ معطوفة عليها، والتقدير: ما ينتظرون إلا إتيان الملائكة إياهم، أو إتيان ربك، أو إتيان بعض آيات ربك.

﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بقوله: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ الآتي، وهو مضاف. ﴿يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَكُنْ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، واسمها ضمير يعود على ﴿نَفْسًا﴾. ﴿ءَامَنَتْ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿نفساً﴾، وجملة ﴿ءَامَنَتْ﴾ في محل النصب خبر ﴿تَكُنْ﴾، وجملة ﴿تَكُنْ﴾ في محل النصب صفة ﴿نَفْسًا﴾ تقديره: نفساً عادمة إيمانها من قبل، ولا يضر الفصل بين الصفة والموصوف؛ لضرورة اتصال الفاعل بضمير المفعول؛ لامتناع عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنَتْ﴾. ﴿أَوْ كَسَبَتْ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿نَفْسًا﴾. ﴿فِىٓ إِيمَٰنِهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كَسَبَتْ﴾. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿كَسَبَتْ﴾: من الفعل والفاعل في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ءَامَنَتْ﴾ على كونها خبراً لـ﴿تَكُنْ﴾ تقديره: لم تكن

مؤمنة من قبل، أو كاسبة في إيمانها خيراً. ﴿قل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱنتَظِرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾. ﴿إِنَّا﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب وتوكيد مبني بفتحة مقدرة على النون المدغمة في نون ﴿نا﴾ منع من ظهورها السكون العارض للإدغام. ﴿نا﴾: ضمير المتكلمين في محل النصب اسمها. ﴿مُنتَظِرُونَ﴾: خبرها مرفوع بالواو، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول. ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كان﴾ معطوفة على جملة ﴿فَرَّقُواْ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿لَّسْتَ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿ليس﴾ تقديره: كائنا منهم. ﴿فِى شَىْءٍ﴾: جار ومجرور متعلق بما تعلق به الجار والمجرور قبله، والمعنى: لست مستقراً منهم في شيء؛ أي: من تفريقهم، ويجوز أن يكون ﴿فِى شَىْءٍ﴾ هو الخبر، و﴿مِنْهُمْ﴾: حال مقدمة عليه، وذلك على حذف مضاف، والمعنى: لست كائناً في شيء كائن من تفرقهم، فلما قدمت الصفة نصبت حالاً انتهى من «السمين»، وجملة ﴿ليس﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾: تقديره: إنَّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً عادم أنت كونك منهم في شيء، ولكنه خبر سببي، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر ونفي. ﴿أَمْرُهُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ تقديره: إنما أمرهم مفوض إلى الله والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل الرفع معطوفة بعاطف مقدر على جملة ﴿ليس﴾ على كونها خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب مع تراخ. ﴿يُنَبِّئُهُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: مصدرية أو موصولة. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص

واسمه، وجملة ﴿يَفۡعَلُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كَانُوا﴾، وجملة ﴿كَانُوا﴾ صلة ﴿ما﴾ المصدرية تقديره: بفعلهم، أو صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: بما كانوا يفعلونه، والجار والمجرور على كلا التقديرين متعلق بـ﴿يُنَبِّئُهُم﴾، ويحتمل كون الباء زائدة، وما بعدها في محل المفعول الثاني لـ﴿نبأ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: متعلق به. ﴿فَلَهُۥ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً، ﴿له﴾: خبر مقدم. ﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط أو الجواب. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماضٍ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: متعلق به. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب جوازاً مشاكلة للجملة السابقة، ﴿لا﴾: نافية. ﴿يُجۡزَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغيَّر الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَن﴾. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء مفرغ. ﴿مِثۡلَهَا﴾: مفعول ثان لـ﴿يُجۡزَىٰٓ﴾ ومضاف إليه والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ على كونها جواباً لها وإنما لم يجزم لفظه مشاكلة مع فعل الشرط وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿مَن﴾ الأولى. ﴿وَهُمۡ﴾: ﴿الواو﴾: واو الحال. ﴿هم﴾: مبتدأ. ﴿لا﴾: نافية ﴿يُظۡلَمُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من الضمير في ﴿يُجْزَىٰ﴾، وجمع الضمير هنا اعتباراً لمعنى ﴿مَن﴾.

﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّنِي﴾: ناصب واسمه ونون وقاية؛ لأنها تقي الحرف المبني على الفتح من الكسرة. ﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾: فعل ومفعول وفاعل ونون وقاية. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: جار ومجرور صفة متعلق بـ﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾ على كونه مفعولاً ثانياً لها، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿دِينٗا﴾: بدل من محل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ﴾؛ لأن المعنى: هداني ربي صراطاً مستقيماً ديناً قيماً، وهدى يتعدى تارة بإلى كما هنا، وتارة بنفسه كما في قوله: ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ وقيل: إنه منصوب على المصدرية المعنوية؛ أي: هداني هداية دين قيم، أو على إضمار عرفني ديناً قيماً، أو الزموا ديناً قيماً. ﴿قِيَمٗا﴾ صفة لـ﴿ديناً﴾. ﴿مِّلَّةَ﴾: عطف بيان لـ﴿دِينٗا﴾، أو بدل منه، أو على إضمار أعني. ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة عوضاً عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعجمة. ﴿حَنِيفٗاۚ﴾: حال من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض، واسمه ضمير يعود على ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿كَانَ﴾، والجمل في محل النصب معطوفة على ﴿حَنِيفٗاۚ﴾ على كونها حالاً من ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ تقديره: وحالة كونه عادماً كونه من المشركين.

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة، أو معطوفة بعاطف مقدر على جملة القول الأول. ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ إلى آخر الآيتين مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿صَلَاتِي﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه. ﴿وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾: معطوفات على ﴿صَلَاتِي﴾: جرياً على القاعدة المشهورة عند النحاة: إن المعطوفات إذا كثرت، وكان العاطف غير مرتب كالواو.. ويكون العطف على الأول، وإلا فكل على ما قبله. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: صفة للجلالة ومضاف إليه،

وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿شَرِيكَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾ تقديره: لا شريك موجود له، وجملة ﴿لَا﴾ في محل النصب حال من الجلالة تقديره: حالة كونه عادم الشريك له في ذلك. ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بقوله: ﴿أُمِرْتُ﴾. ﴿أُمِرْتُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من التاء في ﴿أُمِرْتُ﴾.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾ للاستفهام الإنكاري، ﴿غير الله﴾: مفعول مقدم ومضاف إليه. ﴿أَبْغِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿رَبًّا﴾: منصوب على التمييز كما صرح به القرطبي، والكرخي، أو على الحال كما في «الجمل». ﴿وَهُوَ﴾: ﴿الواو﴾: واو **الحال**. ﴿هو﴾: ضمير للمفرد المنزه عن الذكورة والأنوثة والغيبة في محل الرفع مبتدأ. ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب حال من الجلالة تقديره: هل أطلب رباً غير الله حالة كونه رب كل شيء وخالقه، فهو كافيَّ وحسبي. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَكْسِبُ﴾، ويحتمل كونه حالاً من المفعول المحذوف تقديره: ولا تكسب كل نفس الذنب إلا حالة كون ذنبها مكتوباً عليها. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾: فعل وفاعل. ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، أو مستأنفة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب مع تراخ. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَّرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية المذكورة قبلها. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب، ﴿ينبئكم﴾: فعل ومفعول،

وفاعله ضمير يعود على الرب جل جلاله، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ لأن العاطف هنا مرتب. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ينبئكم﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾. ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب خبر ﴿كان﴾ تقديره: بما كنتم مختلفين فيه، وجملة ﴿كان﴾ من اسمها وخبرها صلة لـ﴿ما﴾، أو وصفة لها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾: فعل ومفعولان ومضاف إليه، والإضافة فيه على معنى في، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿جَعَلَكُمْ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿فَوْقَ بَعْضٍ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿رفع﴾. ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: تمييز محول عن المفعول منصوب بـ﴿رفع﴾؛ لأن الأصل: ورفع درجات بعضكم فوق بعض. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يبلوكم﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لبلائه إياكم؛ أي: لابتلائه إياكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿رفع﴾. ﴿فِى مَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يبلوكم﴾. ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على الله، والمفعول الثاني محذوف تقديره: فيما آتاكم إياه، وهو العائد على ﴿ما﴾ الموصولة، أو الموصوفة، والجملة الفعلية صلمة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ ومضاف إليه، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَغَفُورٌ﴾: ﴿اللام﴾: لام ابتداء، ﴿غفور﴾، خبر أول لـ﴿إِنَّ﴾. ﴿رَّحِيمٌۢ﴾: خبر ثان لها، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى على كونها مستأنفة، والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ تماماً اسم مصدر لأتم الرباعي، أو مصدر له على حذف الزوائد؛ أي: إتماماً لنعمتنا على الذي أحسن العمل بما في ذلك الكتاب بالقيام به.

﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ صدف هنا لازم بمعنى أعرض عنها، ويحتمل كونه متعدياً. ولذا قال أبو السعود: ﴿وَصَدَفَ﴾؛ أي: صرف الناس عنها. وفي «القاموس»: وصدف عنه يصدف ـ من باب ضرب ـ أعرض، وصدف فلاناً صرفه كأصدفه اهـ. وفي «المختار»: صدف عنه أعرض ـ وبابه ضرب وجلس ـ وأصدفه عن كذا: أماله عنه اهـ.

﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والأمثال جمع مثل، وهو مذكر، فكان قياسه عشرة بالتاء على القاعدة المشهورة عندهم: إن المعدود إذا كان مذكراً تؤنث الآحاد من أسماء العدد، وبالعكس؛ لأنها تجري على خلاف القياس مطلقاً ركبت أم لا، إلا لفظ العشرة في حالة التركيب كما قال ابن مالك في «الخلاصة»:

ثَلاَثَةٌ بِالتَّاءِ قُلْ لِلْعَشَرَهْ ... فِي عَدِّ مَا آحَادُهُ مُذَكَّرَهْ

فالجواب: إن الكلام على حذف موصوف تقديره: عشر حسنات أمثالها، فالحسنات مؤنث، فناسب تذكير العدد.

وفي «السمين» إنما ذكر اسم العدد هنا مع أن المعدود مذكر لأوجه:

منها: أن الإضافة لها تأثير، فاكتسب المذكر من المؤنث التأنيث، فأعطي حكم المؤنث في سقوط التاء من عدده، ولذلك يؤنث فعله حالة إضافته لمؤنث نحو: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾.

ومنها: أن هذا المذكر عبارة عن مؤنث فروعي المراد منه دون اللفظ.

ومنها: أنه روعي الموصوف المحذوف، والتقدير: فله عشر حسنات أمثالها، ثم حذف الموصوف، وأقيمت صفته مقامه، وترك العدد على حاله، ومثله مررت بثلاثة نسابات، ألحقت التاء في عدد المؤنث مراعاة للموصوف

المحذوف؛ إذ الأصل: بثلاثة رجال نسابات.

وقال أبو عليّ: اجتمع هنا أمران كل منهما يوجب التأنيث، فلما اجتمعا قوي التأنيث:

أحدهما: أن الأمثال في المعنى حسنات، فجاز التأنيث.

والآخر: أن المضاف إلى المؤنث قد يؤنث وإن كان مذكراً. اهـ.

﴿قِيَمًا﴾ ـ بكسر[1] القاف وفتح الياء ـ على قراءة ابن عامر وعاصم والأخوين كما مر على أنه مصدر نعت به، وكان قياسه قوماً بالواو كعوض؛ لأنه من قام يقوم، فأعل لإعلال فعله. وقُرِىء: ﴿قيماً﴾ ـ بتشديد الياء ـ على وزن فَيْعل كسيد من ساد يسود، وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة، والمستقيم أبلغ منه باعتبار الصيغة.

﴿حَنِيفًاۚ﴾ الأصل[2] في الحنيف: المائل عن الضلالة إلى الاستقامة، والعرب تسمي كل من اختتن أو حج حنيفاً تنبيهاً على أنه على دين إبراهيم. اهـ «خازن». وفي «القاموس»: الحنيف كأمير: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه، وكل من حج، أو كان على دين إبراهيم عليه السلام. وتحنف إذا عمل عمل الحنيفية، أو اختتن، أو اعتزل عبادة الأوثان، واحتنف إليه: مال. اهـ. وفي «المختار»: الحنيف المسلم، وتحنف الرجل إذا عمل عمل الحنيفية، ويقال احتنف؛ أي: اعتزل الأصنام وتعبد اهـ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أصل[3] الوزر الحمل الثقيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ وهو هنا الذنب كما في قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾. قال الأخفش: يقال: وَزِرَ يَوْزَرْ كوَجِلَ يَوْجَل، ووزر يَزِر كوعَدَ يَعِد وزراً، ويجوز فيه إزراً بقلب الواو همزة، يقال: وزره يزره؛ أي: حمله يحمله.

﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ الخلائف جمع خليفة كصحيفة وصحائف، فهذا من قبيل قول ابن مالك:

---

(١) البيضاوي. (٢) الفتوحات. (٣) الشوكاني بزيادة.

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

والخليف: هو من يخلف من كان قبله في مكان أو عمل أو ملك. وفي «القرطبي»: والخلائف جميع خليفة ككرائم جمع كريمة، وكل من جاء بعد من مضى؛ فهو خليفة اهـ. وفي «المصباح»: والخليفة: أصله خليف بغير هاء؛ لأنه بمعنى الفاعل دخلته الهاء للمبالغة كعلامة ونسابة، ويكون وصفاً للرجل خاصة، ويقال: خليفة آخر بالتذكير، ومنهم من يقول: خليفة أخرى بالتأنيث، ويجمع باعتبار أصله على خلفاء مثل شرفاء، وباعتبار اللفظ على خلائف اهـ.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ والابتلاء الاختبار والامتحان، يقال: بلا يبلو بلاء وبلوى من باب عدا، يقال: بلاه بلوى وبلاء جربه واختبره، وبلاه الله يبلوه بلاء ـ بالمد ـ إذا اختبره، وهو يكون بالخير والشر، اهـ «مختار».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التكرار في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾، ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ وفي: و﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ وفي: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ وفي: ﴿يَأْتِيَ﴾ وفي: ﴿جَآءَ﴾.

ومنها: الجناس المماثل في قوله تعالى: ﴿لكنا أهدى﴾ ﴿وهدى﴾ وفي قوله: ﴿وصدف﴾ ﴿ويصدفون﴾.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ وقوله: ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾، وبين: ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ استعار التفريق الذي هو حقيقة في الأجسام لاختلافهم في الآراء، ثم اشتق منه فرقوا بمعنى: اختلفوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، وفي قوله: ﴿هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لأن الصراط حقيقة في الطريق الحسي استعارة للدين.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لأنه عرض بشركهم.

ومنها: عطف العام على الخاص، في قوله: ﴿خَلَقَ﴾ إذا فسرنا النسك بالعبادة الشاملة للصلاة.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في عدة مواضع كقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾.

ومنها: التهديد والوعيد في قوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، وفيه أيضاً الجناس المغاير.

ومنها: ما هو المعروف باللف عند البيانيين في قوله: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ وأصل الكلام فيه يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد، إلا أنه لَفَّ الكلامين، فجعلهما كلاماً واحداً بلاغة وإعجازاً واختصاراً، أفاده صاحب «الانتصاف» حاشية «الكشاف».

ومنها: الاستعارة اللطيفة في قوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لأنه ليس هناك في الحقيقة أحمال على الظهور، وإنما هي أثقال الآثام والذنوب. ذكره الشريف الرضي.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا﴾ وحق العبارة يصدفون عنها لتسجيل شناعة وقباحة طغيانهم.

ومنها: زيادة التأكيد باللام، في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ ترجيحاً لجانب الغفران على سرعة العقاب.

وعبارة «الفتوحات» هنا: باللام في الجملة الثانية فقط، وقال في الأعراف باللام المؤكدة في الجملتين؛ لأن ما هنا وقع بعد قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ...﴾ الخ، وبعد قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ﴾ فأتى باللام المؤكدة في الجملة الثانية فقط ترجيحاً للغفران على سرعة العقاب، وما هناك وقع بعد قوله: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ وقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فأتى باللام في الجملة الأولى لمناسبة ما قبلها، وفي الثانية تبعاً للام في الأولى، اهـ «كرخي».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع[1].

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) إلى هنا تم تفسير سورة الأنعام بمنه وكرمه وتوفيقه في تاريخ: ١٤١٠/١/١٩هـ.

سورة الأعراف

وهي مكية كلها إلا خمس آيات، أو ثماني آيات؛ فهي مدنية. وروي[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها مكية إلا خمس آيات أولها: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ وبه قال قتادة. وقال مقاتل: ثمان آيات في سورة الأعراف مدنية أولها: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إلى قول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾.

وعدد آياتها مئتان وست آيات أو خمس، وعدد كلماتها ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمس وعشرون كلمة، وعدد حروفها أربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف؛ وهي أطول السور المكية، وسميت هذه السورة بالأعراف؛ لذكر لفظ الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه.

وقد روي[2]: أنها نزلت قبل سورة الأنعام، وأنها نزلت مثلها دفعة واحدة، لكن سورة الأنعام أجمع لما اشتركت فيه السورتان؛ وهو أصول العقائد وكليات الدين التي قدمنا القول فيها.

المناسبة: ومناسبة ذكرها بعد سورة الأنعام؛ لأن هذه[3] كالشرح والبيان لما أوجز في سورة الأنعام، ولا سيما عموم بعثة النبي ﷺ، وقصص الرسل قبله، وأحوال أقوامهم، وقد اشتملت سورة الأنعام على بيان الخلق كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ وعلى بيان القرون كما قال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وعلى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم، وجاءت هذه مفصلة لذلك، فبسطت فيها قصة آدم، وفصلت قصص المرسلين وأممهم، وكيفية هلاكهم أكمل تفصيل.

---

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

الناسخ والمنسوخ: وقال أبو عبد الله محمد بن حزم في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: سورة الأعراف كلها محكمة إلا آيتين:

أولاهما: قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية (١٨٠). نسخت بآية السيف.

ثانيتهما: قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ الآية (١٩٩). وهذه الآية من عجيب المنسوخ؛ لأن أولها منسوخ، وآخرها منسوخ، وأوسطها محكم قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يعني: الفضل من أموالهم والأمر بالمعروف محكم، وتفسيره معروف، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: منسوخ بآية السيف انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) البحر المحيط.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ
وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ
إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ
فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن
شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ۝١٨﴾ .

المناسبة

مناسبة أول هذه السورة لآخر السورة السابقة: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[1] في السورة السابقة ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ واستطرد منه لما بعده إلى قوله في آخر السورة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم، وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية.. ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي بقوله: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وذكر الأمر باتباعه بقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ كما أمر به في قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ وهذا وجه المناسبة بين آخر الأولى وأول الثانية. وأما وجه المناسبة بين جملة

(١) البحر المحيط.

السورتين؛ فقد تقدم بيانه آنفاً.

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أن هذا الكتاب أنزل إلى الرسول.. أمر الأمة باتباعه، وما أنزل إليكم يشمل القرآن والسنة لقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ ونهاهم عن ابتغاء أولياء من دون الله كالأصنام والرهبان، والكهان والأحبار، والنار والكواكب وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين[1] فيما سلف أنه أنزل الكتاب إلى الرسول ﷺ؛ لينذر به الناس ويكون موعظة وذكرى لأهل الايمان، وأنه طلب إليه أن يأمر الناس باتباع ما أنزل إليهم من ربهم، وأن لا يتبعوا من دونه أحداً يتولونه في أمر التشريع.. أردف هذا التخويف من عاقبة المخالفة لذلك، ولما يتبعه من أصول الدين وفروعه، والتذكير بما حلَّ بالأمم قبلهم بسبب إعراضهم عن الدين، وإصرارهم على أباطيل أوليائهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أمر[2] الرسل في الآية السالفة بالتبليغ، وأمر الأمم بالقبول والمتابعة، وذكرهم بعذاب الأمم التي عاندت الرسل في الدنيا.. قفى على ذلك بذكر العذاب الآجل يوم القيامة، وأنه في ذلك اليوم يسأل كل إنسان عن عمله.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين[3] فيما سلف أن واضع الدين هو الله سبحانه وتعالى، فيجب اتباعه دون ما يأمر به غيره من الأولياء والشفعاء، وقفى على ذلك بذكر عذاب الدنيا بقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وذكر عذاب الآخرة بقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ وبقوله:

(١) المراغي. (٢) المراغي. (٣) المراغي.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.. أردف ذلك بذكر نعمه على عباده بتمكينهم في الأرض، وخلق أنواع المعايش فيها مع بيان أن كثرة النعم توجب عليهم الطاعة له.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[1] عباده في الآية السابقة بنعمه عليهم بالتمكين لهم في الأرض، وخلق أنواع المعايش لهم فيها.. قفى على ذلك ببيان أنه خلق النوع الإنساني مستعداً للكمال، وأنه قد تعرض له وسوسة من الشيطان تحول بينه وبين هذا الكمال الذي يبتغيه.

قال أبو حيان: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه سبحانه وتعالى لما قدم[2] ما يدل على تقسيم المكلفين إلى طائع وعاص، فالطائع ممتثل ما أمر الله به مجتنب ما نهى عنه، والعاصي بضده.. أخذ ينبه على أن هذا التقسيم كان في البدء الأول من أمر الله للملائكة بالسجود، فامتثل من امتثل، وامتنع من امتنع، وأنه تعالى أمر آدم ونهى، فحكى عنه ما يأتي خبره، فنبه أولاً على موضع الاعتبار، وإبراز الشيء من العدم الصِّرف إلى الوجود والتصوير في هذه الصورة الغريبة الشكل المتمكنة من بدائع الصانع.

التفسير وأوجه القراءة

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ هذه حروف تكتب بصورة كلمة ذوات الأربعة الأحرف، لكنَّا نقرؤها بأسماء هذه الأحرف، فنقول: ألف لام ميم صاد، وحكمة افتتاح هذه السورة وأمثالها بأسماء الحروف التي ليس لها معنى مفهوم غير مسماها الذي تدل عليه.. تنبيه السامع إلى ما سيلقى إليه بعد هذا الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء، فكأنه أداة استفتاح بمنزلة (ألا) و(ها) التنبيه.

وبالاستقراء نرى أن السور التي بدئت بها وبذكر الكتاب هي التي نزلت

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

بمكة لدعوة المشركين إلى الإسلام وإثبات النبوة والوحي، وما نزل منها بالمدينة كالزهراوين البقرة وآل عمران؛ فالدعوة فيها موجهة إلى أهل الكتاب، وهكذا الحال في بعض السور كمريم والعنكبوت والروم وصٓ ونٓ، فإن ما فيها يتعلق بإثبات النبوة والكتاب كالفتنة في الدين بإيذاء الضعفاء؛ لإرجاعهم عن دينهم بالقوة القاهرة، والإنباء بقصص فارس والروم، ونصر الله للمؤمنين على المشركين، وكان هذا من أظهر المعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ، ويرى بعض العلماء أنها أسماء للسور والأسماء المرتجلة لا تعلل، كما يرى آخرون أن الحكمة في ذكرها بيان إعجاز القرآن بالإشارة إلى أنه مركب من هذه الأحرف المفردة التي يتألف منها الكلام العربي، ومع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثله ليؤديهم النظر إلى أنه ليس من كلام البشر، بل من كلام خالق القوى والقدر.

وروي[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال معناه: أنا الله أفصِّل، وعنه: أنا الله أعلم وأفصِّل، وعنه: أن ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ قسم أقسم الله به، وهو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ اسم من أسماء القرآن. وقال الحسن: هو اسم للسورة. وقال السدي: هو بعض اسمه تعالى المصور. وقال أبو العالية: الألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد، والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور. وقيل: هي حروف مقطعة استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز؛ وهذا القول هو الأصح الأسلم. وقيل: هي حروف اسمه الأعظم. وقيل هي حروف تحتوي معاني دل الله بها خلقه على مراده، وقد بسط الكلام على معاني الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة البقرة. قال أبو حيان[2]: وهذه الأقوال في الحروف المقطعة، لولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفاً عن سلف.. ضربنا عن ذكرها صفحاً، فإن ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية، وأصحاب الألغاز والرموز.

---

(١) الخازن.

(٢) البحر المحيط.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: هذا القرآن كتاب أنزل إليك من عند ربك يا محمد، ووصفه بالإنزال من عنده تعالى دال على عظم قدره وقدر من أنزل إليه؛ أي: هذا القدر الذي[1] كان قد نزل منه وقت نزول هذه الآية كتاب أنزل؛ أي: أنزل الله تعالى إليك يا محمد ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ﴾ وقلبك ﴿حَرَجٌ﴾ وضيق ﴿مِّنۡهُ﴾؛ أي: من تبليغه خوفاً من تكذيب قومك؛ أي: لا يضيق[2] صدرك من الإنذار به وإبلاغه من أمرت بإبلاغه إليهم، واصبر لأمري فيما حملتك من عبء النبوة كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن الله مَعَك.

وقد كلف ﷺ هداية الثقلين، وكان من المتوقع أن يلقى أشد الإيذاء والمقاومة والطعن والإعراض، وتلك أمور توجب ضيق الصدر كما قال في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ وقال في سورة النحل: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ وقال في سورة هود: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾.

ويراد بالنهي عن مثل هذا الأمر الطبيعي الاجتهاد في مقاومته، والتسلي عنه بوعد الله، والتأسي بمن سبقه من الرسل أولي العزم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقوله: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾؛ أي: أنزل إليك ذلك الكتاب لتنذر وتخوف به الكافرين من عذاب الله تعالى ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: ولتذكر وتعظ به المؤمنين به. وقال «الخازن»: وهذا من المؤخر الذي معناه التقدير، تقديره: كتاب أنزلناه إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه، والمراد بالمؤمنين هنا من كتب الله لهم الإيمان، سواء أكانوا مؤمنين حين نزول هذه السورة أم لا.

---

(١) عمدة التفاسير.

(٢) المراغي.

والخلاصة[1]: أنه أنزل إليك الكتاب لتنذر به قومك وسائر الناس، وتذكر به أهل الإيمان ذكرى نافعة مؤثرة.

قل يا محمد لهؤلاء المشركين، أو للناس كافة: ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مَآ أُنزِلَ﴾؛ أي: الوحي الذي أنزل ﴿إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الذي فيه الهدى والنور والبيان بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ وهو القرآن وسنة رسوله ﷺ؛ أي: قل لهم أيها الرسول: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم وخالقكم ومدبر أموركم، فهو وحده الذي له الحق في شرع الدين لكم، وفرض العبادات عليكم، وتحليل ما ينفعكم، وتحريم ما يضركم؛ إذ هو العليم بما فيه الفائدة أو الضر لكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾؛ أي: ولا تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ تعالى؛ أي: غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تولونهم أموركم وتطيعونهم فيما يشرعونه لكم من الشياطين والكهان، والرهبان والأحبار، وقال «الخازن»: ولا تتخذوا[2] الذين يدعونكم إلى الكفر والشرك أولياء، فتتبعوهم، والمعنى: ولا تتولوا من دونه شياطين الإنس والجن، فيأمروكم بعبادة الأصنام، واتباع البدع والأهواء الفاسدة، انتهى. وفي «البيضاوي»: وقيل: الضمير في ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ لما أنزل؛ أي: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ من دون دين الله دين أولياء انتهى.

والمعنى: أي ولا تتخذوا من أنفسكم، ولا من الشياطين الذين يوسوسون لكم أولياء تولونهم أموركم، وتطيعونهم فيما يرومون منكم من ضلال التقاليد، والابتداع في الدين، فيضعوا لكم أحكام الحرام والحلال زاعمين أنهم منكم، فيجب عليكم تقليدهم، ولا أولياء ينجونكم من الجزاء على ذنوبكم، وتقصدونهم في جلب النفع لكم، أو رفع الضر عنكم زاعمين أنهم يقربونكم إلى الله زلفى، أو يشفعون لكم عنده في الآخرة.

والخلاصة: أن الله وحده هو الذي يتولى أمر العباد بالتدبير والخلق والتشريع، وله وحده الخلق والأمر، وبيده النفع والضر. وقرأ الجحدري: ﴿ابتغوا ما أنزل إليكم﴾ من الابتغاء. وقرأ مجاهد ومالك بن دينار: ﴿ولا

---

(١) المراغي. (٢) الخازن.

تبتغوا﴾ من الابتغاء أيضاً.

﴿قَلِيلًا مَّا﴾؛ أي: تذكراً قليلاً؛ أي: قلة أو زماناً قليلاً؛ أي: قلة ﴿تذكرون﴾؛ أي: تتعظون أيها المشركون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره. والمعنى[1]: أنتم ما تتعظون بقليل ولا كثير، والمراد: نفي التذكر من أصله، لا إثبات القليل منه. وفي هذا إيماء إلى النهي عن طاعة الخلق في أمر الدين غير ما أنزل الله من وحيه، كما فعل أهل الكتاب في طاعة أحبارهم ورهبانهم فيما أحلوا لهم، وزادوا على الوحي من العبادات، وما حرموا عليهم من المباحات كما جاء في قوله: ﴿اتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فكل من أطاع أحداً في حكم شرعي لم ينزله الله.. فقد اتخذه رباً.

واتباع الرسول ﷺ فيما صح عنه من بيان الدين داخل في عموم ما أنزل إلينا على رسوله؛ لأنه تعالى أمرنا باتباعه وطاعته، وأخبرنا أنه مبين لما نزل إليه كما قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وقد صح الحديث أنه ﷺ قال: «إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر» رواه مسلم (٢٣٦٢) عن رافع بن خديج في مسألة تأبير النخل - تلقيح النخلة بطلع الذكر -.

وقرأ حفص وحمزة والكسائي[2]: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ - بتاء واحدة وتخفيف الذال -. وقرأ ابن عامر ﴿يتذَكرون﴾ - بالياء والتاء وتخفيف الذال -. وقرأ باقي السبعة: ﴿تذَّكّرون﴾ بتاء الخطاب وتشديد الذال. وقرأ أبو الدرداء وابن عباس وابن عامر في رواية بتائين. وقرأ مجاهد بياء وتشديد الذال.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وكثير من أهل قرية وبلدة ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾؛ أي: أردنا إهلاك أهلها لما كذبوا رسلنا ﴿فَجَآءَهَا﴾؛ أي: فجاء أهلها ﴿بَأْسُنَا﴾؛ أي: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾؛ أي: حالة كونهم بائتين واقعين في الليل كقوم لوط ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾؛ أي: أو حالة كونهم قائلين؛ أي: مستريحين أو نائمين وقت الظهيرة كقوم

---

(١) تنوير المقياس. (٢) البحر المحيط.

شعيب، مأخوذ من القيلولة؛ وهي استراحة وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم. قال أبو حيان[1]: وخص مجيء البأس بهذين الوقتين؛ لأنهما وقتان للسكون والدعة والاستراحة، فمجيء العذاب فيهما أشق وأفظع؛ لأنه على حين غفلة من المهلكين من غير تقدم أمارة تدلهم على وقت نزول العذاب بهم، وفيه وعيد وتخويف للكفار، فكأنه قيل لهم: لا تغتروا بأسباب الأمن والراحة والفراغ، فإن عذاب الله إذا نزل دفعة واحدة، فلا تغتروا بأحوالكم فلا يجمل بالعاقل أن يأمن غدر الليالي، ولا خدع الأيام، ولا يغتر بالرخاء فيعده علامة على أنه مستحق له، فهو مظنة الدوام.

وفي ذلك[2]: تعريض بغرور كفار قريش بقوتهم وثروتهم وعزهم وعصبيتهم، وأن ذلك من دلائل رضا الله عنهم كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دعاءهم وتضرعهم واستغاثتهم، أو ما كان قولهم: ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾؛ أي: حين جاءهم عذابنا، ورأوا أمارته في الدنيا إلا أن قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي: مشركين؛ أي: ما كان قولهم وقتئذ إلا اعترافهم بظلمهم تحصراً وندامة، وهيهات أن ينفع الندم.

أي: فما كان دعاءهم ربهم واستغاثتهم به حين جاءهم العذاب إلا أن اعترفوا بظلمهم فيما كانوا عليه، وشهدوا ببطلانه تحسراً وندامة، وطمعاً في الخلاص، ولكن أنى ينفع الندم، وقد أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة. وفي الآية من العبرة أن كل مذنب يقع عليه عقاب ذنب فعله في الدنيا.. يعترف بجرمه، ويندم على ما فرط منه إذا هو علم أنه سبب العقاب، وقلما يشعر المرء بعقاب في الدنيا على الذنوب؛ لأنه يأتي على التراخي غالباً، فالأمراض التي تتولد من شرب الخمر كأمراض القلب والكبد والجهاز التناسلي، وضعف النسل واستعداده للأمراض إلى نحو ذلك من الأمراض الجسدية والعقلية تحصل ببطء،

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

وقلما يعرفها غير الأطباء، ومن ثم لا يشعر بها السكارى، وإنما يشعرون بما يعقب الشرب من صداع وغشيان يسهل عليهم احتماله، وترجيح لذة النشوة عليه إلى أنه لو علمها بعد، فقلما يفيد علمه بها شيئاً بعد بلوغ تأثيرها هذه الدرجة في السكر حتى تحمله على التوبة إذ داء الخُمّار يزمن، وحب السكر يضعف الإرادة. وعقاب الأفراد على الذنوب في الدنيا لا يطرد في الأمم، فعقابها في الدنيا على ما تجترح حتم لا شبهة فيه، ولكن له آجال ومواقيت أطول مما يكون في الأفراد، ويختلف باختلاف أحوال الأمة في القوة والضعف، فأمة نشأ فيها الظلم والطغيان، وعدمت الثقة بين أفرادها، واختلَّ نظام الأمن فيها، وكثر فيها الفسق والفجور.. تسوء حالها، وتنحل قواها، وتتفكك روابط الألفة والمودة بين أفرادها، وتضعف منعتها، فتحسب أهلها جميعاً وقلوبهم شتى، ولا يزال أمرها يأخذ في التدهور - السقوط في مهواة التسفل - والفساد حتى يستولى عليها العدو القاهر، ويمتص ثروتها، ويجعل أهلها أذلة مستضعفين، وقلما تشعر أمة بعاقبة ذنوبها قبل وقوع العقوبة كما لا يجديها نفعاً أن يقول حكماؤها: يا ويلنا إنا كنا ظالمين.

وربما عمَّها الجهل، وران على قلوبها الفساد، فلا تشعر بأن ما حل بها إنما كان جزاء وفاقاً، ونكالاً من الله على ما قدمت من عمل، واقترفت من إثم، فترضى باستذلال الغاصب واستعباده واستثماره، كما رضيت من قبل بما اجترحت من الآثام والذنوب، كما هو مشاهد في بعض شعوب إفريقيا، وإذا أرادت لها علاجاً، وتمنت لها دواء من دائها الدوي، وتلفتت يمنة ويسرة سراً وعلانيةً.. لم تجده إلا ما وصفه الكتاب الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ولن يكون ذلك إلا بالإقلاع عما ترتكب من الجرائم، والتوبة الصادقة، والعمل الطيب الذي تصلح به القلوب، وتستقيم الأمور، وهاكم ما قاله العباس عم النبي ﷺ حين توسل به عمر والصحابة بتقديمه لصلاة الاستسقاء لما انقطع الغيث، وعم الجدب: اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة.

وفي هذا عبرة أيما عبرة للشعوب الإسلامية التي ثُلَّت عروشها، وخوت صروح عظمتها، وقد كانت أجدر بهدى القرآن، ولكن أنى لها بذلك، وقد هجره

الخاصة، وتبعهم العامة؛ إذ جهلوا أحكامه وحكمه حتى لقد بلغ الأمر بنابتتها، ألا ترى سبباً لركود ريحها إلا اتباع القرآن، والعمل بهذا الدين: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

﴿فـ﴾ وعزتي وجلالي ﴿لنسألن﴾ الأمم ﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: الأمم التي أرسلت إليهم الرسل جميعاً في موقف الحساب يوم القيامة توبيخاً وتقريعاً لهم هل بلغت الرسل إليكم أوامري، وماذا أجبتم، وماذا عملتم من إيمان وكفر؟ ولا[1] معارضة بين هذه الآية التي تثبت السؤال العام، وبين قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لأن ليوم القيامة مواقف متعددة، والسؤال والجواب والاعتذار يكون في بعضها دون بعض.

﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: الرسل عن إبلاغ تكاليفي إلى الأمم تأنيساً واستشهاداً لهم. قال ابن عباس: معناه نسأل الناس عما أجابوا المرسلين، ونسأل المرسلين عما بلغوه، والمراد بالسؤال حينئذ تقريع الكفار وتوبيخهم كما مر.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾؛ أي: على المرسلين والأمم حين سكتوا بما عملوا في الدنيا ﴿بِعِلْمٍ﴾؛ أي: فلنخبرنهم حين سكتوا عن الجواب بما فعلوا في الدنيا إخباراً ناشئاً عن علم ويقين.

أي: فلنقصن على الرسل، وعلى أقوامهم الذين أرسلوا إليهم كل ما وقع من الفريقين قصصاً بعلم منا محيط بكل ما كان منهم، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، وقد روي عن ابن عباس أنه يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما يعملون.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل، وعما أجابت به أممهم حتى يخفى علينا شيء من أحوالهم؛ أي: وما كنا غائبين عنهم في وقت من الأوقات، ولا حال من الأحوال، بل كنا معهم نسمع ما يقولون، ونبصر ما يعملون، ونحيط

---

(١) المراغي.

علماً بما يسرون وما يعلنون كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾. وقال ابن كثير: يخبر[1] تعالى عباده يوم القيامة بما قالوا، وبما عملوا من قليل وكثير، وجليل وحقير؛ لأنه تعالى الشهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، انتهى. وقال أبو حيان: والمعنى: نسرد عليهم أعمالهم قصة قصة بعلم منا لذلك، واطلاع عليه، وما كنا غائبين عن شيء منه، بل علمنا محيط بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، وهذا من أعظم التوبيخ والتقريع، حيث يقرون بالظلم، وتشهد عليهم أنبياؤهم، ويقص عليهم أعمالهم انتهى. وفي هذا إيماء إلى أن السؤال لم يكن للاستعلام والاستبانة لشيء مجهول عنه تعالى، بل للإعلام والإخبار بما حدث منهم توبيخاً لهم، وتأنيباً على إهمالهم. وهذا القصص[2] هو الذي يكون به الحساب، ويتلوه الجزاء، وقد دل عليه الكتاب الكريم في مواضع عدة، ودلت عليه السنة، فمن ذلك ما رواه ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع يسأل عن الناس، والرجل راع يسأل عن أهله، والمرأة تسأل عن بيت زوجها، والعبد يسأل عن مال سيده».

وما رواه المقدام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يكون رجل على قوم إلا جاء يقدمهم يوم القيامة بين يديه راية يحملها، ويتبعونه فيسأل عنهم ويسألون عنه».

وما رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي مرفوعاً «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».

وروى الحاكم وابن ماجه حديث شداد بن أوس مرفوعاً «الكيس من دان - حاسب - نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

---

(١) ابن كثير.
(٢) المراغي.

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾؛ أي: وزن[1] الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها، أو وزن صحائف الأعمال، أو وزن فاعليها ثلاثة أقوال: والأول هو الراجح، والوزن: هو عمل يراد به تعرف مقدار الشيء بالميزان، وهو مبتدأ خبره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وقوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفة للوزن؛ أي: والوزن العدل السوي واقع يومئذ؛ أي: يوم إذ يسأل الله تعالى الرسل وأممهم؛ وهو يوم القيامة ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ ويصح أن يكون الظرف صفة له، والخبر الحق؛ أي: والوزن[2] الواقع في ذلك اليوم الذي يسأل الله فيه الرسل والأمم، ويقص عليهم كل ما كان منهم هو الحق؛ أي الذي تعرف به حقائق الأمور وما يستحقه كل أحد من ثواب وعقاب.

فإن قلت: أليس[3] الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد، فما الحكمة في وزنها؟.

قلتُ: فيه حكم كثيرة:

منها: إظهار العدل، وأن الله تعالى لا يظلم عباده.

ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في العقبى.

ومنها: تعريف العباد ما لهم من خير وشر، وحسنة وسيئة.

ومنها: إظهار علامة السعادة والشقاوة، ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ، ثم في صحائف الملائكة الموكلين ببني آدم من غير جواز النسيان عليه تعالى.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾ ورجحت ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: حسناته على سيئاته؛ فهو[4] جمع موزون، وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات والحسنات، أو المعنى: فمن رجحت وثقلت موازين أعماله بالإيمان وكثرة الحسنات؛ أي: ثقلت كفة اليمين بسبب قوة الإيمان وكثرة الحسنات على كفة الشمال؛ فهو جمع ميزان، فجمعه حينئذ

---

(١) مدارك التنزيل.
(٢) المراغي.
(٣) الخازن.
(٤) البيضاوي.

للتعظيم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي[1]: الناجون غداً من عذاب الله، والفائزون بجزيل ثوابه.

أي: فمن رجحت موازين أعماله بالإيمان وكثرت الحسنات.. فأولئك هم الفائزون بالنجاة من العذاب، والحائزون للنعيم في دار الثواب ﴿وَمَنْ خَفَّتْ﴾ ونقصت ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: حسناته، أو موازين أعماله الحسنة بسبب الكفر وكثرة المعاصي ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ وغبنوا ﴿أَنفُسَهُم﴾ وحرموها سعادتها، وحظوظها من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته ﴿بِ﴾ سبب ﴿ما كانوا بآياتنا يظلمون﴾؛ أي: يجحدون؛ أي: بسبب كفرهم وجحودهم، وتكذيبهم بمحمد ﷺ وبالقرآن؛ وهم الكفار، يعني[2]: سبب ذلك الخسران أنهم كانوا بحجج الله وأدلة توحيده يجحدون ولا يقرون بها.

والمعنى: ومن خفت موازين أعماله بسبب خفة الحسنات في الميزان أو بسبب الأعمال التي لا اعتداد بها في الوزن، أو بسبب كفره وكثرة ما اجترح من السيئات.. فأولئك الموصوفون بخفة الموازين هم الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بآياتنا؛ إذ حرموها السعادة التي كانت مستعدة لها لو لم يفسدوا فطرتها بالكفر والمعاصي، وإصرارهم على ذلك إلى نهاية أعمارهم،

والخلاصة[3]: أن المؤمنين على تفاوت درجاتهم في الأعمال هم المفلحون، فمن مات مؤمناً فهو مفلح، وإن عذب على بعض ذنوبه بمقدارها، وإن الكافرين على تفاوت دركاتهم هم في خسران عظيم، وهناك فريق ثالث استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف، وسيأتي ذكرهم بعد.

والحكمة في وضع ذلك الميزان[4]: أن يظهر ذلك الرجحان لأهل الموقف، فإن كان ظهور الرجحان في طرف الحسنات ازداد سروره بسبب ظهور فضله، وكمال درجته لأهل الموقف، فإن كان ظهور الرجحان في طرف السيئات، فيزداد حزنه وخوفه في الموقف.

---

(١) الخازن.

(٢) الخازن.

(٣) المراغي.

(٤) المراح.

ثم اختلفوا في كيفية ذلك الرجحان، فبعضهم قال: يظهر هناك نور في رجحان الحسنات، وظلمة في رجحان السيئات. وآخرون قالوا: بل يظهر رجحان في الكفة.

قال العلماء: الناس في الآخرة ثلاث طبقات: متقون لا كبائر لهم، وكفار، ومخلّطون وهم الذين يأتون الكبائر:

فأما المتقون: فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم لا يجعل الله لها وزناً، بل تكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر، وتثقل الكفة النيرة، ويؤمر بهم إلى الجنة، ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته.

وأما الكافر: فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة، ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة، فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره.

وأما الذين خلطوا: فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل، ولو بصؤأبةٍ دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصوأبة دخل النار إلا أن يعفو الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف. هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كان عليه تبعات، وكانت له حسنات كثيرة جداً، فإنه يؤخذ من حسناته فيرد على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه، ثم يعذب على الجميع.

قال أبو إسحاق الزجاج[1]: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال. وقال القرطبي: التي توزن هي الصحائف التي تكتب فيها الأعمال، والحق أن التي توزن هي الأعمال. فقد أخرج أبو داود والترمذي عن جابر مرفوعاً: «توضع الموازين يوم القيامة، فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على

(١) المراغي.

سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار». قيل: ومن استوت حسناته وسيئاته قال: أولئك أصحاب الأعراف.

والذي[1] عليه المعول في الإيمان بعالم الغيب أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة؛ فهو حق لا ريب فيه، فنؤمن به ولا نحكم رأينا في كيفيته، فنؤمن بأن في الآخرة وزناً للأعمال بميزان يليق بعالم الآخرة توزن به الأعمال، والإيمان، والأخلاق، ولا نبحث عن صورته وكيفيته.

﴿و﴾ عزتي وجلالي ﴿لقد مكناكم﴾ يا بني آدم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعلنا لكم في الأرض مكاناً وقراراً، وأقدرناكم على الصرف فيها بالزراعة والغراس والبناء. وقال البيضاوي: أي مكناكم من سكناها وزرعها، والتصرف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿مَعَٰيِشَۗ﴾ جمع معيشة، وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها؛ أي: جعلنا لكم فيها أسباباً تعيشون بها أيام حياتكم مما تأكلون وتشربون وتلبسون ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الله تعالى؛ أي: تشكرون شكراً قليلاً؛ أي: قلة على هذا الفضل والإنعام بالتمكين والجعل المذكورين.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿مَعَٰيِشَۗ﴾ - بالياء - وهو القياس؛ لأن الياء في المفرد هي أصل لا زائدة، فتهمز، وإنما تهمز الزائدة نحو صحائف في صحيفة. وقرأ الأعرج وزيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر في رواية: ﴿معائش﴾ - بالهمز - وليس بالقياس، لكنهم رووه وهم ثقات، فوجب قبوله، وشذ هذا الهمز كما شذ في منائر جمع منارة، وأصلها منورة، وكان القياس مناور.

والمعنى[3]: وعزتي وجلالي لقد جعلنا لكم يا بني آدم في الأرض أوطاناً تتبؤونها وتستقرون فيها، وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة مني عليكم، وإحساناً مني إليكم، وأنشأنا لكم فيها ضروباً شتى من المنافع التي تعيشون بها عيشة راضية من نبات وأنعام، وطير وسمك، ومياه عذبة وأشربة مختلفة الطعوم والروائح، ووسائل مختلفة للتنقل والارتحال

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.

من جهة إلى أخرى، تتقدم بتقدم العلم والاختراع من طيارات وسيارات، وقطر برية، وبواخر وسفن بحرية، وسبل متعددة لمداواة المرضى بالعقاقير المختلفة على يد نطس الأطباء إلى نحو ذلك، وكل ذلك يقتضي منكم الشكر الكثير، ولكن الشكر من العباد قليل كما قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ ومن ثم عقب هذا بقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: وأنتم قليلوا الشكر على هذه النعم التي أنعمت بها عليكم لا كثيروه كثرة تناسب كثرة الانتفاع بها، فقد عبدتم سواي واتخذتم الأولياء والشفعاء من دوني.

وشكر النعمة يكون بمعرفة المنعم بها، ثم حمده والثناء عليه بما هو له أهل، ثم التصرف فيها بما يحبه ويرضاه وتحقيق الأغراض التي أسداها لأجلها، فهذه النعم المُعْيِشَة ما خلقت إلا لحفظ الحياة الروحية التي بها تزكو النفس، وتستعد للحياة الأخرى الأبدية التي فيها النعيم المقيم، والسعادة المستقرة إلى غير نهاية.

وبالجملة: فنعم الله على الإنسان كثيرة، فلا إنسان إلا ويشكر الله تعالى في بعض الأوقات على نعمه، وإنما التفاوت في أن بعضهم يكون كثير الشكر، وبعضهم يكون قليل الشكر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ...﴾ إلخ. تذكير[1] لنعمة عظيمة على آدم سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافةً؛ أي: وعزتي وجلالي لقد خلقنا أباكم آدم، وأوجدناه من العدم حين كان طيناً غير مصور ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾؛ أي: ثم بعد خلقه صورناه حين كان بشراً بتخطيطه وشق حواسه، فالكلام على حذف مضاف كما قدرناه، فالخطاب لبني آدم، والمراد أبوهم، فهو من باب الخطاب لشخص مراداً به غيره. وقيل: الخطاب لآدم، فكأنه قال: ولقد خلقناك يا آدم، ثم صورناك، وإنما خاطبه بصيغة الجمع، وهو واحد تعظيماً له، ولأنه أصل الجميع.

والمعنى: ولقد خلقنا مادة هذا النوع الإنساني من الصلصال والحماء المسنون؛ أي: من الماء والطين اللازب، فمنه خلق الإنسان الأول، ثم جعلنا

---

(١) أبو السعود.

من تلك المادة صورة بشر سوي قابل للحياة، وقد يكون المعنى: إنا قدرنا إيجادكم تقديراً، ثم صورنا مادتكم تصويراً، ذلك شامل لخلق آدم وخلق مجموع الناس إذ أن كل فرد يقدر الله خلقه، ثم يصور المادة التي يخلقه منها في بطن أمه.

﴿ثُمَّ﴾ بعد إكمال خلقه وتصويره ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾؛ أي: أمرنا الملائكة بالسجود لآدم تكريماً له ولذريته سجود تحية وإكرام بالانحناء. فالمراد[1] به السجود اللغوي، وهو الانحناء، وقيل: إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض للّهِ، وآدم قبلة كالكعبة ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾؛ أي: سجد الملائكة بعد الأمر؛ أي: سجد جميعهم لآدم، وذلك قبل دخول الجنة ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان مفرداً مستوراً بألوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم، فَغُلِّبوا عليه في قوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ...﴾ الخ، وقيل: هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد؛ أي: سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى وامتنع من السجود له تكبراً وعناداً، فالاستثناء منقطع ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ له؛ أي: ممن سجدوا له.

والمعنى: وبعد أن سويناه ونفخنا فيه من روحنا، وصار مستعداً لأن يكون خليفة في الأرض، وعلمناه الأسماء كلها.. قلنا لجماعة الملائكة: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ أي: سجد الملائكة جميعاً إلا إبليس أبى واستكبر، وهو من الجن لا منهم، وهذا السجود سجود تكريم وتعظيم من الله لآدم، لا سجود عبادة، فقد قامت الدلائل القاطعة على أنه لا معبود إلا الله وحده.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى توبيخاً للَّعين ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ يا إبليس ﴿أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ بالسجود لآدم مع الملائكة؛ أي: أيُّ شيء منعك من السجود لآدم حين أمرتك بالسجود له؟ فعلى[2] هذا التأويل تكون ﴿لا﴾ زائدة في قوله: ﴿أن لا تسجد﴾ كما في قوله تعالى: ﴿لا أقسم﴾؛ أي: أقسم زيدت لتأكيد معنى النفي في منعك بدليل قوله في سورة صٓ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ بحذفها، وهو الأصل؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فيصير المعنى؛ أي شيء منعك من امتثال أمري،

---

(١) الصاوي. (٢) الخازن.

فرفضت أن تسجد لآدم مع الساجدين؟ وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج. وقد تكون ﴿لا﴾ غير زائدة، والمنع بمعنى الحمل والاضطرار، وعليه فالمعنى: ما حملك واضطرك ودعاك إلى أن لا تسجد.

وخلاصة ذلك: أي شيء عرض لك، فحملك على أن لا تكون مع الملائكة في امتثال أمري؟ وقال ابن[1] كثير: واختار ابن جرير أن ﴿مَنَعَكَ﴾ مضمن معنى فعل آخر تقديره: ما أحوجك وألزمك واضطرك أن لا تسجد إذ أمرتك، وهذا القول قوي حسن، لأنه[2] لا يجوز أن يقال: إن كلمة من كتاب الله تعالى زائدة أو لا معنى لها.

﴿قَالَ﴾ اللعين الخبيث مجيباً للمولى عما سأله عنه ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: إنما لم أسجد لآدم؛ لأني أنا خير وأفضل من آدم وأشرف منه، فكيف يسجد الفاضل ويعظم المفضول ولو أمره ربه؟ وإنما[3] قال في الجواب: أنا خير منه، ولم يقل منعني كذا؛ لأنّ في هذه الجملة التي جاء بها مستأنفة ما يدل على المانع، وهو اعتقاده أنه أفضل منه، والفاضل لا يفعل مثل ذلك للمفضول مع ما تفيده هذه الجملة من إنكار أن يؤمر مثله بالسجود لمثله، ثم علل ما ادعاه من الخيرية بقوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾؛ أي: وإنما كنت خيراً منه؛ لأنني خلقتني من نار نورانية، فهي أغلب أجزائي ﴿وَخَلَقْتَهُۥ﴾؛ أي: وخلقت آدم ﴿مِن طِينٍ﴾ ظلماني، وهو أغلب أجزائه، فالنار أفضل من الطين؛ لأن النار مشرقة علوية لطيفة يابسة، مجاورة لجواهر السموات، والطين مظلم سفلي كثيف بعيد عن مجاورة السموات، والمخلوق من الأفضل أفضل.

وقد أخطأ إبليس اللعين طريق الصواب، فإن عنصر الطين أفضل من عنصر النار من جهة رزانته وسكونه وطول بقائه، والنار خفيفة مضطربة سريعة النفاد، ومع هذا فهو موجود في الجنة دونها، وهي عذاب دونه، وهي محتاجة إليه لتتحيز فيه، وهو مسجد وطهور، وهو سبب للحياة من إنبات النبات، وهي سبب لهلاك الأشياء، وهو سبب جمع الأشياء، وهي سبب تفريقها، ولولا سبق شقاوته

---

(١) ابن كثير. (٢) الخازن. (٣) الشوكاني.

وصدق كلمة الله عليه.. لكان له بالملائكة المطيعين لهذا الأمر أسوة وقدوة، فعنصرهم النوري أشرف من عنصره الناري، ومع ذلك سجدوا طاعةً لربهم.

ولا شك[1] أن في جوابه هذا ضروباً من الجهالة، وأنواعاً من الفسوق والعصيان، تتجلى وتتضح لك فيما يلي:

١ ـ اعتراضه على مولاه وخالقه بما تضمنه جوابه.

٢ ـ احتجاجه عليه بما يؤيد به اعتراضه، والمؤمن المذعن لأمر ربه يعلم أن لله الحجة البالغة والحكمة الكاملة فيما يفعل، ويأمر وينهى.

٣ ـ أنه جعل امتثال الأمر موقوفاً على استحسانه له، وموافقته لهواه، وهذا رفض لطاعة الخالق، وترفع عن مرتبة العبودية، والمرؤوس في الدنيا إذا لم يطع أمر الرئيس إلا فيما يوافق هواه.. صار الأمر فوضى، والعاقبة وخيمة. فلا يصح عمل، ولا يتم الفوز والنجاح.

وقد روى أبو نعيم في «الحلية» عن جعفر الصادق أن رسول الله ﷺ قال: «أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس، قال الله تعالى له: اسجد لآدم. قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين». قال جعفر: فمن قاس أمر الدين برأيه قربه الله يوم القيامة بإبليس.

٤ ـ استدلاله على خيريته بالمادة التي منها التكوين، وخيرية المواد بعضها على بعض أمور اعتبارية تختلف فيها الآراء، ولا تثبت بالبرهان إلى أن كثيراً من المواد النفسية خسيسة الأصل، ألا ترى أن أصل المسك الدم؛ وهو أطيب الطيب إلى أن الملائكة خلقوا من النور، وهو قد خلق من النار، والنور خير من النار، وهم قد سجدوا امتثالاً لأمر ربهم.

٥ ـ أن جميع الأحياء النباتية والحيوانية التي في هذه الأرض إما من الطين مباشرة، أو بالواسطة، وهي خير ما فيها، وليس للنار شيء من هذه المزايا ولا ما يقرب منها.

---

(١) المراغي.

٦ ـ أنه قد جهل ما خص به آدم من استعداده العلمي والعملي أكثر من سواه، ومن تشريفه بأمر الملائكة بالسجود له، فكان بذلك أفضل منهم، وهم أفضل من إبليس بعنصر الخلقة وبالطاعة لربهم، وكل ما قدمنا مبني على أن الأمر بالسجود أمر تكليف، وأنه قد وقع حوار بين الله وإبليس، ويرى كثير من العلماء أن القصة بيان لغرائز البشر والملائكة والشيطان؛ إذ جعل الملائكة ـ وهم المدبرون لأمور الأرض بإذن ربهم ـ مسخرين لآدم وذرتيه، وجعل هذا النوع الإنساني مستعداً للانتفاع بالأرض كلها بعلمه بسنن الله فيها وعمله بهذه السنن، فالانتفاع بمائها وهوائها، ومعادنها ونباتها وحيوانها، وكهربائها ونورها، وبذلك ظهرت حكمة الله وآياته فيها كما اصطفى بعض أفراده، وخصهم بوحيه ورسالته، وجعلهم مبشرين بدينه وهديه، وجعل الشيطان عاصياً متمرداً على الإنسان وعدواً له، وجعل النفوس البشرية وسطاً بين النفوس الملكية المفطورة على طاعة الله تعالى، وإقامة سننه في صلاح الخلق، وبين روح الجن الذي يغلب على شرارهم ـ وهم الشياطين ـ التمرد والعصيان، كما أنه آتى الإنسان إرادة واختياراً وإن شاء صعد إلى أفق الملائكة، وإن أراد هبط إلى أفق الشيطان.

فائدة: قال هنا[1]: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ وفي سورة الحجر: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وفي سورة صٓ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ . .﴾ الآية. اختلاف العبارات عند الحكاية: دل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم. وقد وبخ على كل واحدة منها، لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه: اكتفاء بما ذكر في موطن آخر، وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة والإسراء والكهف وطه اهـ «أبو السعود» انتهت.

﴿قَالَ﴾ المولى سبحانه وتعالى للعين عليه لعائن الله ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾؛ أي[2]: بسبب عصيانك لأمري وخروجك عن طاعتي اهبط وانزل من الجنة، وقيل: من

---

(١) الصاوي. (٢) ابن كثير.

السموات إلى الأرض. والهبوط[1]: الإنزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾؛ أي: فما ينبغي لك ويليق بك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ﴾ وتتعظم وتعصي ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة، أو في السموات، فإنها[2] مكان الخاشع والمطيع، وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة، وأنه سبحانه وتعالى إنما طرده وأهبطه؛ لتكبره لا لمجرد عصيانه. وقال الخازن: يعني: فليس لك أن تتكبر في الجنة عن أمري وطاعتي؛ لأنه لا ينبغي أن يسكن في الجنة، أو في السماء متكبر مخالف لأمر الله عز وجل، فأما غير الجنة والسماء.. فقد يسكنها المتكبر عن طاعة الله تعالى، وهم الكفار الساكنون في الأرض. وجملة قوله: ﴿فَاخْرُجْ﴾ لتأكيد الأمر بالهبوط. وجملة قوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ تعليل للأمر بالخروج؛ أي: فاخرج يا إبليس من الجنة، أو من السموات إنك يا لعين من الصاغرين؛ أي: من المهانين الذليلين بالعقوبة. وقال النسفي: أي[3] من أهل الصغار والهوان على الله، وعلى أوليائه يذمك كل إنسان، ويلعنك كل لسان؛ لتكبرك، وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار، وهكذا كل من تردى برداء الاستكبار.. عوقب بلبس رداء الهوان والصغار، ومن لبس رداء التواضع.. ألبسه الله رداء الترفع. وفي الحديث: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله».

﴿قَالَ﴾ اللعين عند أمر المولى له بالخروج ﴿أَنظِرْنِي﴾؛ أي: أجلني وأمهلني وأخرني، فلا تمتني، أو لا تعجل عقوبتي ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: قال رب أمهلني إلى يوم يبعث فيه آدم وذريته من قبورهم، فأكون أنا وذريتي أحياء ما داموا أحياء، وأشهد انقراضهم وبعثهم، وهو يوم النفخة الثانية عند قيام الساعة، ولا موت حينئذ؛ لأن الموت قد تم عند النفخة الأولى، فغرضه الفرار من الموت، والنجاة من ذوق مرارته، فطلب البقاء والخلود، فلم يجب إلى ما سأل، بل غاية ما أمهله الله تعالى إلى النفخة الأولى ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى في جواب سؤاله: ﴿إِنَّكَ﴾ يا إبليس ﴿مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾؛ أي: من المؤجلين والمؤخرين

---

(١) الخازن. (٢) البيضاوي. (٣) النسفي.

والممهلين إلى يوم النفخة الأولى حين يموت الخلائق كلهم بدليل قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ وهو وقت النفخة الأولى، والموت حينئذ ممكن فيموت كغيره.

والخلاصة: أن إبليس يموت عقب النفخة الأولى التي يتلوها خراب هذه الأرض كما قال في سورة الحاقة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ ولا يبقى إلى يوم البعث.

﴿قَالَ﴾ إبليس اللعين ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ وأضللتني؛ أي: فبسبب إغوائك وإضلالك إياي يا رب؛ لأجل آدم وذريته أقسم لك بقولي: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾؛ أي: لأجلسن مترصداً ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لآدم وذريته ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي: على طريقك الحق الموصل لهم إلى الجنة مترصداً لهم كما يقعد القطاع على الطريق انتهاباً للمارة. قال في «الجمل»: فغرض[1] إبليس اللعين بهذا أخذ ثأره منهم؛ لأنه لما طرد ومقت بسببهم على ما تقدم.. أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر. وفي «السمين»: والمعنى: فبسبب وقوعي في الغيِّ لأجتهدن في غوايتهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم.

والمعنى: فبسبب إغوائك إياي لأجلهم؛ لأقعدنّ لهم على صراطك المستقيم، فأصدنهم عنه وأقطعنه عليهم بأن أزين لهم طرقاً أخرى أشرعها لهم من جوانب هذا الطريق حتى يضلوا عنه، وهذا ما عناه سبحانه بقوله: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: لأشككنهم[2] في الآخرة بأن لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾؛ أي: لأرغبنهم في الدنيا، وأزيننها لهم بأنها لا تفنى، وآمرنهم بالجمع لها، والمنع والبخل والفساد ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: ولأُشبِّهنَّ عليهم أمر دينهم وأمنعنهم من الحسنات ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾؛ أي: ولأُزينن لهم المعاصي، وآمرنهم بالسيئات، قال الطبري: معناه: لآتينهم[3] من جميع وجوه الحق والباطل، فأصدنهم عن الحق، وأحسنن لهم الباطل. قال ابن عباس: ولا

---

(١) الفتوحات. (٢) تنوير المقباس. (٣) ابن جرير.

يستطيع أن يأتيهم من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى. وقال النسفي: ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم؛ لمكان الرحمة والسجدة ﴿وَلَا تَجِدُ﴾ يا رب ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: أكثر بني آدم ﴿شَٰكِرِينَ﴾ لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم في عقولهم ومشاعرهم ومعايشهم وفي كل ما يهديهم إلى تكميل فطرتهم من تعاليم رسلك لهم، بل الأقلون منهم هم الذين يتبعون ذلك، وقد قال إبليس ذلك عن ظن، فأصاب لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾. وقيل: رآه في اللوح المحفوظ، وقيل: سمعه من الملائكة، وقيل: معنى ﴿شَٰكِرِينَ﴾ مطيعين لك، أو مؤمنين بك.

قال أبو حيان[1]: والظاهر أن إتيانه من هذه الجهات الأربع كناية عن وسوسته وإغوائه له، والجد في إضلاله من كل وجه يمكن، ولما كانت هذه الجهات يأتي منها العدو غالباً ذكرها، لا أنه يأتي من الجهات الأربع حقيقة، وإنما خص بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان؛ لأنهما أغلب ما يجيء العدو منهما، فينال فرصته وقدم بين الأيدي على الخلف؛ لأنها الجهة التي تدل على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قرنه غير خائف منه، والخلف من جهة غدر ومخاتلة، وجهالة القرن بمن يغتاله، ويتطلب غرته وغفلته، وخص الأيمان والشمائل بالحرف الذي يدل على المجاوزة؛ لأنهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك، وقدمت الأيمان على الشمائل؛ لأنها الجهة التي هي القوية في ملاقاة العدو، وبالأيمان البطش والدفع، فالقرن الذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع والشمائل جهة ليست في القوة والدفع كالإيمان انتهى.

﴿قَالَ﴾ سبحانه وتعالى لإبليس اللعين حين طرده عن بابه، وأبعده عن جنابه، وذلك بسبب مخالفته وعصيانه ﴿ٱخْرُجْ﴾ يا إبليس ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الجنة،

---

(١) البحر المحيط.

أو من السموات، فإنه لا ينبغي أن يسكن فيها العصاة حالة كونك ﴿مذؤماً﴾؛ أي: مذموماً مبغوضاً معيباً مهاناً عند كل أحد. وفي «ابن كثير» قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ ما نعرف المذؤوم والمذموم إلا واحداً انتهى. وحالة كونك ﴿مَّدْحُورًا﴾؛ أي: مطروداً مبعداً من رحمتي، والأمر بالخروج هنا تأكيد لقوله سابقاً: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ وتوطئة لما بعده وعزتي وجلالي ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ وأطاعك يا إبليس ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي؛ من بني آدم ومن الجن، فاللام موطئة للقسم، واللام في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ للقسم أيضاً مؤكدة لِلاَّم الأولى؛ أي: والله لأملان وادي جهنم ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: منك ومنهم، فغلب ضمير الحاضر؛ لأنه رئيسهم، وقوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد لضمير المخاطبين، فهذا وعيد بالعذاب لكل من أطاع الشيطان، وترك طاعة الرحمن.

والمعنى: أقسم أن من يتبعك من بني آدم فيما تزينه له من الشرك والفجور، ويصدق ظنك عليه.. ليكونن معك في جهنم دار العذاب، ولأملأنها منك، وممن تبعك منهم أجمعين. وفي قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ إشارة إلى أن الملء يكون من بعضهم، فإن بعض من يتبعه في بعض المعاصي من المؤمنين الموحدين يغفر الله لهم، ويعفو عنهم، ونحو الآية قول في سورة ص: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقرأ الزهري وأبو جعفر والأعمش(١): ﴿مذُوما﴾ ـ بضم الذال من غير همز ـ فتحتمل هذه القراءة وجهين:

أحدهما ـ وهو الأظهر ـ: أن تكون من ذأم المهموز سهل، وحذفها وألقى حركتها على الذال.

والثاني: أن يكون من ذام يذيم ـ كباع يبيع ـ فأبدل الياء بواو كما قالوا: في مكيل مكول. وقرأ الجمهور: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ ـ بفتح اللام ـ والظاهر أنها اللام الموطئة للقسم، و﴿من﴾ شرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب الشرط

---

(١) البحر المحيط.

محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة، ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء، و﴿من﴾ موصولة، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم محذوف بعد ﴿من تبعك﴾ وذلك القسم المحذوف، وجوابه في موضع رفع خبر ﴿من﴾ الموصولة. وقرأ الجحدري وعصمة عن أبي بكر عن عاصم ﴿لِمن تبعك منهم﴾ ـ بكسر اللام ـ واختلفوا في تخريجها، فقال ابن عطية: المعنى: لأجل من تبعك منهم لأملأن انتهى. وقال الزمخشري: بمعنى: لمن تبعك منهم الوعيد، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على أن ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ في محل الابتداء، ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ خبره، وهذا خطأ. وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي: اللام متعلقة بالذأم والدحر، ومعناه: أخرج بهاتين الصفتين لأجل اتباعك. ذكر ذلك في كتاب «اللوامح في شواذ القراءات».

الإعراب

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾: تقدم لك في نظيره من الحروف المقطعة أنه لا يوصف بإعراب ولا بناء؛ لأن الحكم على الكلمة بالإعراب، أو البناء فرع عن إدراك المعنى، وليس معناه معلوماً لنا هذا على القول بأنه مما استأثر الله بعلمه، وأما على القول بأنه اسم للسورة؛ فهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا المص، أو مبتدأ خبره: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ﴾ إلى آخر السورة، والجملة الاسمية مستأنفة، وعلى القول الأول ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هذا القرآن كتاب أنزل إليك، والجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿كِتَٰبٌ﴾، والجملة الفعلية صفة لـ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾. ﴿فَلَا يَكُن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت يا محمد أن هذا القرآن كتاب أنزل إليك للإنذار به وللتذكير، وأردت بيان ما هو الأرشد والأصلح لك.. فأقول لك: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ لأنه لا بد من تبليغه، ﴿لا﴾: ناهية جازمة.

﴿يَكُن﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿فِي صَدْرِكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر مقدم لِـ﴿يَكُن﴾. ﴿حَرَجٌ﴾: اسمها مؤخر. ﴿مِّنْهُ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿حَرَجٌ﴾، والتقدير: فلا يكن حرج كائن منه كائناً في صدرك، وجملة ﴿يَكُن﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة معترضة بين الجار والمجرور ومتعلقه لا محل لها من الإعراب. ﴿لِتُنذِرَ﴾: ﴿اللام﴾: لام كي، ﴿تنذر﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تنذر﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام المتعلقة بـ﴿أُنزِلَ﴾ تقديره: أنزل إليك لإنذارك به ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: معطوف على المصدر المؤول من أن المصدرية، وفعلها مجرور بالكسرة المقدرة للتعذر تقديره: أنزل إليك للإنذار به وللتذكير، ويجوز[1] أن يكون مرفوعاً عطفاً على ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هذا كتاب وذكرى، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو ذكرى للمؤمنين، وأن يكون منصوباً بفعل من لفظه تقديره: وتذكر به ذكرى؛ أي: تذكرة. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿اللام﴾: إما زائدة في المفعول به تقوية له؛ لأن العامل فرع، والتقدير: وتذكر المؤمنين، وإما متعلقة بمحذوف صفة لـ﴿ذِكْرَىٰ﴾ كما في «السمين»، ﴿المؤمنين﴾: مجرور باللام.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

﴿اتَّبِعُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾ أيضاً، وتكون ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية المجازية، أو متعلق بمحذوف حال؛ إما من الموصول، أو من عائده القائم مقام الفاعل. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾:

---

(١) عمدة المعربين للشارح.

الناهية، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿لَا تَتَّبِعُواْ﴾، أو متعلق بمحذوف حال من ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليه، وإليه ميل الزمخشري، لأنه قال في «تفسيره» أي: لا تتولوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن؛ ليحملوكم على الأهواء والبدع. ﴿قَلِيلٗا﴾: صفة لمصدر محذوف، أي: تذكراً قليلاً تذكرون، أو صفة لظرف زمان محذوف أيضاً؛ أي: زماناً قليلاً تذكرون، فالمصدر، أو الظرف منصوب بالفعل بعده. وَ﴿مَّا﴾: زائدة زيدت لتأكيد القلة. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، أو في محل النصب حال من فاعل ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾؛ أي: ولا تتبعوا من دونه أولياء حالة كونكم متذكرين قليلاً؛ أي: غير متذكرين أصلاً.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾.

﴿وَكَم﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كَمْ﴾: خبرية بمعنى عدد كثير، ولم ترد في القرآن إلا خبرية في محل النصب مفعول مقدم وجوباً؛ لكونه مما يلزم الصدارة حملاً على الاستفهامية لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور بعدها تقديره: وكم من قرية أهلكنا أهلكناها، أو في محل الرفع مبتدأ مبني على السكون لِشبهها بالحرف شبهاً معنوياً؛ لشبهها برب التكثيرية، أو لشبهها بالحرف شبهاً وضعياً. ﴿مِّن﴾: زائدة. ﴿قَرۡيَةٍ﴾: تمييز لـ﴿كم﴾ منصوب بها، وعلامة نصبه فتحة مقدرة. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، أو جملة مفسرة للفعل المحذوف، والجملة الاسمية أو الفعلية المحذوفة مستأنفة. ﴿فَجَآءَهَا﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب، ﴿جاءها﴾ فعل ومفعول. ﴿بَأۡسُنَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾. ﴿بَيَٰتًا﴾: حال من مفعول ﴿جاء﴾، ولكنه بعد تأويله بمشتق تقديره: حال كونهم بائتين. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف وتنويع. ﴿هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب معطوفة على بياتاً على كونها حالاً من مفعول ﴿جاء﴾ تقديره: أو حالة كونهم قائلين.

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾.

﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب، ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ ومضاف إليه. ﴿إِذْ﴾: ظرف زمان بمعنى حين مجرد عن معنى المضي في محل النصب على الظرفية مبني على السكون. ﴿جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾: فعل ومفعول وفاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾، والظرف متعلق بـ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أَن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿كَانَ﴾ تقديره: فما كان دعواهم وقت مجيء بأسنا إياهم إلا قولهم: إنا كنا ظالمين، وجملة ﴿كَانَ﴾ من اسمها وخبرها معطوفة على جملة قوله: ﴿جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾. ﴿إِنَّا﴾ ﴿إن﴾: حرف نصب، ﴿نا﴾: اسمها. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ تقديره: إنا ظالمون، وجملة ﴿إن﴾: من اسمها وخبرها في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية في الذكر حسب ترتيبها عليها في الوجود انتهى. «أبو السعود»، ﴿اللام﴾: موطئة لقسم محذوف جوازاً تقديره: فأقسم بعزتي وجلالي، ﴿نسألن﴾: فعل مضارع في محل الرفع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد حرف لا محل لها من الإعراب مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف مع جوابه معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم موصول في محل النصب مفعول أول لسأل مبني على الفتح والمفعول الثاني محذوف تقديره عما أجابوا الرسل. ﴿أُرْسِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿اللام﴾: موطئة لقسم محذوف،

﴿نسألن﴾: فعل مضارع في محل الرفع مبني على الفتح، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول أول لسأل، والثاني محذوف تقديره: عما أجيبوا، والجملة الفعلية جواب القسم وجملة القسم معطوفة على جملة القسم المذكورة قبلها. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿اللام﴾ موطئة للقسم. ﴿نقصن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة جواب القسم، وجملة القسم المحذوف معطوفة على جملة القسم المذكورة قبلها. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نقصن﴾. ﴿بِعِلْمٍ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿نقصن﴾ تقديره: حالة كوننا متلبسين بعلم ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: واو الحال. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿غَآئِبِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾ في محل النصب حال ثانية من فاعل ﴿نقصن﴾.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.

﴿وَٱلْوَزْنُ﴾: ﴿الواو﴾ استنافية. ﴿الوزن﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يوم﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، وهو مضاف، ﴿إذ﴾: ظرف لما مضى من الزمان في محل الجر مضاف إليه مبني بسكون مقدر منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين، والظرف متعلق بواجب الحذف؛ لوقوعه خبراً تقديره: والوزن كائن، أو مستقر يومئذ؛ أي: يومئذٍ يسأل الرسل والمرسل إليهم، فحذفت الجملة المضاف إليها إذ وعوض عنها التنوين هذا مذهب الجمهور خلافاً للأخفش. وفي ﴿ٱلْحَقُّ﴾ على هذا الوجه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه نعت للوزن؛ أي: الوزن الحق كائن في ذلك اليوم.

والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه جواب سؤال مقدر من قائل يقول: ما ذلك الوزن؟ فقيل: هو الحق لا الباطل.

والثالث: أنه بدل من الضمير المستكن في الظرف، وهو غريب ذكره المكي، ويصح أن يكون خبر المبتدأ ﴿ٱلْحَقُّ﴾، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متعلق بـ﴿ٱلْوَزْنُ﴾.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أن الوزن يومئذ الحق، وأردت بيان أحوال الخلائق.. فأقول لك: ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً لكون الجواب جملة اسمية، ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَمَنْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب، أو الشرط، أو هما. ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة، ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ ﴿من﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة. ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَظْلِمُونَ﴾، وجملة ﴿يَظْلِمُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلق بـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾، والتقدير: فأولئك الذين خسروا أنفسهم بسبب: ظلمهم لآياتنا.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿مَكَّنَّٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية جواب القسم لا

محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف مع جوابه مستأنفة. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مَكَّنَّٰكُمۡ﴾. ﴿وَجَعَلۡنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿مَكَّنَّٰكُمۡ﴾. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جعلنا﴾، وكذا قوله ﴿فِيهَا﴾ متعلق به. ﴿مَعَٰيِشَۗ﴾: مفعول به لـ﴿جعلنا﴾؛ لأنه بمعنى خلقنا، فلا يتعدى إلا إلى مفعول واحد. ﴿قَلِيلٗا﴾: صفة لمصدر محذوف منصوب بـ﴿تَشۡكُرُونَ﴾. ﴿مَّا﴾: زائدة زيدت لتأكيد القلة. ﴿تَشۡكُرُونَ﴾: فعل وفاعل؛ أي: تشكرون شكراً قليلاً؛ أي: قلة، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ضمير المخاطبين، والتقدير: وجعلنا لكم فيها معايش حال كونكم شاكرين شكراً قليلاً.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَلَقَدۡ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿اللام﴾: موطئة لقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب لقسم محذوف تقديره: أقسم بعزتي وجلالي لقد خلقناكم، وجملة القسم المحذوف مستأنفة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ على كونها جواباً للقسم. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿قُلۡنَا﴾ فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾. ﴿لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلق بـ﴿قُلۡنَا﴾. ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾: مقول محكي لـ﴿قُلۡنَا﴾، وإن شئت قلت ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قُلۡنَا﴾. ﴿لِأٓدَمَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾. ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب. ﴿سجدوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿قُلۡنَا﴾. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿إِبۡلِيسَ﴾ مستثنى منقطع منصوب بـ﴿إِلَّآ﴾. ﴿لَمۡ﴾: حرف جزم. ﴿يَكُن﴾: فعل ناقص مجزوم بـ﴿لَمۡ﴾، واسمه ضمير يعود على ﴿إِبۡلِيسَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: خبر ﴿يَكُن﴾، وجملة ﴿يَكُن﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب حال من ﴿إِبۡلِيسَ﴾ تقديره: حالة كونه ممتنعاً من السجود، كما قاله أبو البقاء، وقيل: هذه الجملة مستأنفة؛ لأنها جواب سؤال مقدر.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، والاستفهام فيه للتوبيخ. ﴿مَنَعَكَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: هو يعود على ﴿مَا﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ تقديره: أي شيء مانع إياك، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَلَّا﴾ ﴿أَن﴾: مصدرية. ﴿لَا﴾: زائدة زيدت لتأكيد معنى النفي في ﴿مَنَعَكَ﴾. ﴿تَسْجُدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَن﴾. وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: ما منعك من سجودك. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان في محل النصب على الظرفية، والظرف متعلق بـ﴿تَسْجُدَ﴾. ﴿أَمَرْتُكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾، والتقدير: ما منعك من السجود وقت أمري إياك به. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿مِّنْهُ﴾ متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لـ﴿قَالَ﴾. ﴿خَلَقْتَنِي﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِن نَّارٍ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَخَلَقْتَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿خَلَقْتَنِي﴾. ﴿مِن طِينٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خلق﴾.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿الفاء﴾: سببية، ﴿اهبط﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وقال النسفي: والفاء في قوله:

﴿فَٱهْبِطْ﴾ جواب لقوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: إن كنت تتكبر فاهبط انتهى. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تعليلية، ﴿ما﴾: نافية. ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿يكون﴾. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَتَكَبَّرَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ﴿تَتَكَبَّرَ﴾، والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿يَكُونُ﴾ مؤخراً، والتقدير: فما يكون تكبرك فيها كائناً لك، ولائقاً بك، وجملة ﴿يَكُونُ﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَٱهْبِطْ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾.

﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فَٱخْرُجْ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿اخرج﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿إِبْلِيسَ﴾، والجملة في محل النصب معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ مؤكدة لجملة قوله: ﴿فَٱهْبِطْ﴾ ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ مسوقة لتعليل الخروج. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿إبليس﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿أَنظِرْنِىٓ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنظِرْنِىٓ﴾، وجملة ﴿يُبْعَثُونَ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمِ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿إبليس﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ إلى قوله: ﴿شَٰكِرِينَ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿فَبِمَآ﴾:

﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا حكمت علي يا رب بالغَيّ والصَّغَار.. فأقول لك: ﴿بما أغويتني﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وقسم، أو حرف جر وسبب كما أشار إليه الزمخشري، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: فعل وفاعل ومفعول ونون وقاية، والجملة الفعلية مع ﴿ما﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بباء القسم، أو بباء السبب، وعلى كلا الوجهين فهي متعلقة بفعل قسم محذوف جوازاً تقديره: فأقسم بإغوائك إياي، أو أقسم بسبب إغوائك إياي. ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أقعدن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على ﴿إبليس﴾، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم مع جوابه في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بـ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾. ﴿صِرَٰطَكَ﴾: منصوب على المفعولية، أو منصوب بنزع الخافض تقديره: على صِرَاطِكَ ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: صفة لـ﴿صراط﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم أيضاً، ﴿آتينهم﴾: فعل ومفعول ونون توكيد، وفاعله ضمير يعود على الشيطان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ على كونها جواباً لقسم محذوف. ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿آتين﴾. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: جار ومجرور معطوف على الجار والمجرور قبله، وكرر حرف الجر إشارة إلى أن كل جهة من الجهتين مقصودة استقلالاً. ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه معطوف على الجار والمجرور ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾. ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، أو ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، وكرر الجار هنا أيضاً إشارة إلى استقلال كل من الجهتين بالقصد، وإنما[1] عَدَّى الفعل إلى الأولين بـ﴿مِّنْ﴾ الابتدائية؛ لأنه منهما متوجه إليهم، وعدى إلى

(١) الفتوحات.

الأخيرين بحرف المجاوزة؛ لأن الآتي منهما كالمنحرف المار على عرضهم، انتهى «أبو السعود»، وإشارة إلى نوع تباعد منه في الجهتين الأخيرتين، لقعود ملك اليمين، وملك اليسار فيهما، وهو ينفر من الملائكة، اهـ شيخنا. ﴿وَلَا تَجِدُ﴾: ناف وفعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ . . .﴾ إلخ. فتكون من جملة المقسم عليه، ويكون اللعين قد أقسم على جملتين مثبتتين، وأخرى منفية. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: مفعول وجد إن كان وجد من الوجدان بمعنى اللقاء والمصادفة. ﴿شَٰكِرِينَ﴾: حال من الضمير، والمعنى: ولا تصادف أكثرهم ولا تلاقيهم حالة كونهم شاكرين، ويحتمل كون وجد من أفعال اليقين، و﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: مفعول أول، ﴿شَٰكِرِينَ﴾: مفعول ثان.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿ٱخْرُجْ﴾: منها إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿ٱخْرُجْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على إبليس، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿ٱخْرُجْ﴾. ﴿مَذْءُومًا﴾: حال أولى من فاعل ﴿ٱخْرُجْ﴾. ﴿مَّدْحُورًا﴾: حال ثانية منه عند من يجوز تعدد الحال لذي حال واحد، وأما عند من لا يجوزه فـ﴿مَّدْحُورًا﴾: صفة لـ﴿مَذْءُومًا﴾. ﴿لَّمَن﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم المحذوف تقديره: والله لمن تبعك.

فائدة: سميت[1] لام القسم موطئة؛ لأنها وطأت الجواب للقسم المحذوف؛ أي: مهدته له، وتسمى أيضاً المؤذنة؛ لأنها تؤذن بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها، لا على الشرط.

﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿تَبِعَكَ﴾: فعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على

---

(١) الفتوحات.

كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿تَبِعَكَ﴾. ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم أيضاً مؤكدة للأولى، ﴿أملأن﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد حرف لا محل لها من الإعراب، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنا يعود على الله سبحانه، والجملة من الفعل والفاعل جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده تقديره: لمن تبعك أعذبه، وهذا الوجه أظهر في الإعراب كما قاله «الجمل». والوجه الثاني أن اللام في قوله ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾: لام الابتداء، و﴿من﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، و﴿تَبِعَكَ﴾: صلتها. و﴿مِنۡهُمۡ﴾: حال من فاعل ﴿تَبِعَكَ﴾، وقوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾: جواب قسم محذوف بعد قوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾، وذلك القسم المحذوف وجوابه في محل الرفع خبر المبتدأ الذي هو ﴿من﴾ الموصولة، والتقدير: للذي تبعك منهم، والله لأملأن جهنم منكم، فإن قلت[1]: أين العائد من الجملة القسمية الواقعة خبراً عن المبتدأ؟.

قلتُ: هو متضمن في قوله: ﴿منكم﴾ لأنه لما اجتمع ضميران غيبة وخطاب.. غلب الخطاب كما تقدم. ﴿جَهَنَّمَ﴾: منصوب على الظرفية المكانية، والظرف متعلق بـ﴿أملأن﴾. ﴿مِنكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أملأن﴾. ﴿أَجۡمَعِينَ﴾: توكيد لضمير المخاطبين مجرور بالياء؛ لأنه جمع مذكر سالم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ الحرج: الضيق من عاقبة المخالفة. ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ والذكرى: التذكر النافع والموعظة المؤثرة، وهو اسم مصدر لذكر يذكر تذكرة وذكرى.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ وولاية[2] الله لعباده تولي أمورهم فيما لا يصل إليه كسبهم من هدايتهم ونصرهم على أعدائهم، وشرعه لهم عبادته، وبيان الحلال والحرام. ﴿قَلِيلٗا مَّا﴾ ﴿مَّا﴾: حرف زائد يؤكد به معنى القلة. ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أصله

---

(١) الفتوحات. (٢) المراغي.

تتذكرون بتاءين أولاهما تاء المضارعة، والثانية تاء المطاوعة، فحذفت إحداهما على الخلاف في المحذوفة منهما.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ ﴿كم﴾: اسم يفيد التكثير، وهي خبرية: هنا، وكذا في جميع القرآن حيثما وقعت، وكم في كلام العرب قسمان: **خبرية**: وهي التي بمعنى عدد كثير، **واستفهامية**: وهي التي تكون بمعنى أي عدد، وهي اسم[1] بسيط لا مركب من كاف التشبيه، وما الاستفهامية حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها، وسكنت كما قالوا: لم؛ تركيباً لا ينفك، كما ركبت في كأين مع أي، ولم يأت تمييزها في القرآن إلا مجروراً وأحكامها في نوعيها مذكورة في كتب النحو.

والقرية تطلق على الموضع الذي يجتمع فيه الناس وعلى الناس معاً، وتطلق على كل منهما كما جاء في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾؛ أي: أهل القرية، والقرية هنا تصلح لأن يراد بها القوم أنفسهم، وأن يراد بها المكان؛ لأنه يهلك كما يهلك أهله. ﴿بَأْسُنَا﴾ البأس العذاب.

﴿بَيَٰتًا﴾ والبيات: الإغارة على العدو ليلاً، والإيقاع به على غرة، وهو في الأصل مصدر بات يبيت بيتاً وبيتةً وبياتاً وبيتوتةً. قال الليث: البيتوتة دخولك في الليل، فقوله: بياتاً؛ أي: بائتين.

﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ والقائلون: هم الذين يستريحون، أو ينامون وسط النهار؛ أي: حين القائلة، وقال الليث: القيلولة نوم نصف النهار؛ وهي القائلة، وقال الأزهري: القيلولة الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن نوم. وقال الفراء: يقال: قال يقيل قيلاً ـ كباع يبيع بيعاً ـ وقائلةً وقيلولةً إذا استراح نصف النهار، فألفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول، فهي منقلبة عن واو.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ والدعوى: ما يدعيه الإنسان، وتطلق على القول أيضاً.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعلنا لكم[2] فيها أمكنة تتبوؤنها، وتتمكنون من الإقامة فيها.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء[1] باتفاق السبعة، وإن قرىء شاذاً بالهمزة، وليس كصحائف؛ لأن المد فيه زائد؛ لأنه من صحف بخلاف معيشة، فإن المد فيها أصلي؛ لأنه من عاش يعيش عيشاً ومعاشاً وعيشةً ومعيشةً ومعيشاً. قال رؤبة:

إِلَيْكَ أَشْكُو شِدَّةَ ٱلْمَعِيشِ   وَجُهْدَ أَيَّامٍ نَتَفْنَ رِيشِي

فأصل معيشة مَعْيُشَة كمكرمة، أو مَعْيِشَة كمنزلة، أو مَعْيَشَة كمتربة، فالياء فيه أصلية على كل حال، وقد قال في «الخلاصة»:

والمد زيد ثالثاً في الواحد   همزاً يرى في مثل كالقلائد

وياء معيشة عين الكلمة، ثم إنه على الوجه الأول قلبت ضمة الياء كسرة، ثم نقلت للعين، وعلى الثاني نقلت كسرة الياء إلى العين، والوجه الثالث لا صحة له في التصريف. اهـ من «السمين».

وفي «المصباح»: عاش يعيش عيشاً ـ من باب سار ـ صار ذا حياة، فهو عائش، والأنثى عائشة، وعيَّاش أيضاً مبالغة، والمعيش والمعيشة مكسب الإنسان الذي يعبش به، والجمع معايش هذا على قول الجمهور أنه من عاش، فالميم زائدة، ووزن معايش مفاعل، فلا يهمز، وبه قرأ السبعة، وقيل: إنه من معش، فالميم أصلية، ووزن معيش ومعيشة فعيل وفعيلة، ووزن معائش فعائل، فيهمز كصحائف، وبه قرأ أبو جعفر المدني والأعرج. اهـ.

وفي «القاموس»: العيش الحياة، يقال: عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشةً وعِيشةً ـ بالكسر ـ وعيشوشة، والعيش أيضاً الطعام وما يعاش به والخبز، والمعيشة أيضاً ما يتعيش به من المطعم والمشرب، وما تكون به الحياة، وما يعاش به وفيه، والجمع معايش، والمتعيش من له بلغة من العيش. اهـ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ الخلق: التقدير[2]، يقال: خلق الخياط الثوب إذا قدره قبل قطعه، وخلق الله الخلق أوجدهم على تقدير أوجبته الحكمة.

---

(١) الفتوحات البحر المحيط.   (٢) المراغي.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ مأخوذ من أبلس إبلاساً بمعنى أيس؛ لأنه آيس من رحمة الله تعالى.

﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ والهبوط الانحدار والسقوط من مكان إلى ما دونه، أو من منزلة إلى ما دونها؛ فهو إما حسي، وإما معنوي.

﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ والتكبر جعل الإنسان نفسه أكبر مما هي عليه. ﴿مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ والصغار: الذلة والهوان ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾: يقال: أنظره إذا أمهله وأخره.

﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾: والإغواء: الإيقاع في الغواية، وهي ضد الرشاد، يقال: غوى يغوي ـ من باب رمى ـ غياً وغواية إذا فسد عليه أمره، وفسد هو في نفسه، ومنه غوى الفصيل إذا أكثر من شرب لبن أمه حتى فسد جوفها، وأشرف على الهلاك، وقيل: أصله الهلاك، ومنه: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾. ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ الشمائل[1]: جمع شمال، وهو جمع كثرة، وجمعه في القلة على أشمل. قال الشاعر:

يَـأْتِـيْ لَـهَـا مِـنْ أَيْـمُـنٍ وَأَشْـمُـلِ

وشمال يطلق على اليد اليسرى، وعلى ناحيتها، والشمائل أيضاً جمع شمال؛ وهي الريح، والشمائل أيضاً: الأخلاق. يقال: هو حسن الشمائل.

﴿مذؤوما﴾ بالهمز[2]: اسم مفعول من ذأمه يذأمهُ ذَأْماً ـ كقطعه يقطعه قطعاً ـ إذا عابه ومقته، وفي «المختار»: الذأم: العيب يهمز ولا يهمز، يقال: ذأمه ـ من باب قطع ـ إذا عابه وحقره، فهو مذؤوم. اهـ. وفيه مقته إذا أبغضه من باب نصر، فهو مقيت، ويجوز[3] إبدال الهمزة ألفاً. قال الشاعر:

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِيْ عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ   فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِيْ أَذِيْمُهَا

وفي المثل: لن يعدم الحسناء ذأما، وقيل: أردت أن تذيمه فمدحته، وقال الليث: ذأمته حقرته، وقال ابن الأنباري وابن قتيبة: ذأمه ذمه وعابه.

﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ يقال: دحره إذا أبعده وأقصاه، ودحر الجند العدو إذا طرده

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الفتوحات.
(٣) البحر المحيط.

وأبعده. قال الشاعر:

دَحَرْتُ بَنِيْ ٱلْحَصِيْبِ إِلَىٰ قَدِيْدِ وَقَدْ كَانُوْا ذَوِيْ أَشَرٍ وَفَخْرِ

يقال: دحره يدحره دحراً ودحوراً ـ من باب خضع ـ ومنه: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ لما فيه من إطلاق المسبب وإرادة السبب؛ لأن المراد النهي عن أسباب الحرج. قال أبو السعود: توجيه[1] النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه ﷺ عنه؛ إما للمبالغة في تنزيهه ﷺ عن وقوع مثل الحرج منه، فإن النهي لو وجه له لأوهم إمكان صدور المنهي عنه منه، وإما للمبالغة في النهي، فإن وقوع الحرج في صدره سبب لاتصافه به، والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني، ونفي له من أصله بالمرة، فالمراد نهيه عما يورث الحرج انتهى.

ومنها: المجاز المرسل أيضاً في قوله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: لما فيه من إطلاق المحل وإرادة الحال؛ أي: وكم من أهل قرية أهلكناهم.

ومنها: الاعتراض بين الجار ومتعلقه، في قوله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾، لأنه معترض بين قوله: ﴿أُنزِلَ﴾ وبين قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾.

ومنها: التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة لضمير المخاطبين، في قوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لمزيد اللطف بهم وترغيبهم في امتثال الأمر.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، وبين قوله: ﴿بَيَاتًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾؛ لأن البيات معناه ليلاً، وقائلون معناه نهاراً وقت الظهيرة.

---

(١) أبو السعود.

ومنها: المجاز بالحذف قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾؛ أي: خلقنا أباكم آدم، وصورنا أباكم.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن الصراط حقيقة في الطريق الحسي، فاستعارة لطريق الهداية الموصل إلى جنات النعيم.

ومنها: المقابلة بين قوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ وقوله: ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، وبين قوله: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، وبين قوله: ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾.

ومنها: تغليب الحاضر على الغائب في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ لأن فيه تغليب الحاضر الذي هو إبليس على الغائب، وهو الناس.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾، وقوله: ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾، وفي قوله: ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿ٱسْجُدُوا﴾ ﴿فَسَجَدُوٓا﴾.

ومنها: المغاير في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓا﴾ وقوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، وفي قوله: ﴿أَنظِرْنِىٓ﴾ وقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه لا يزال[1] الحديث متصلاً في الكلام في النشأة الأولى للبشر، وفي شياطين الجن، وقد ذكرت تمهيداً لهداية الناس بما يتلوها من الآيات في وعظ بني آدم وإرشادهم إلى ما به تكمل فطرتهم، وفي ذلك امتنان عليهم، وذكر لكرامة أبيهم.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ...﴾ الآية، مناسبة

---

(١) المراغي.

هذه الآيات لما قبلها[1]: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أنه أنزل له ولبنيه كل ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم كاللباس الذي يستترون به عوراتهم، ويتخذونه للزينة واللباس الذي يستعملون في الحرب كالمغافر والجواشن ونحوها، . . فعليكم أن تشكروه سبحانه وتعالى على هذه المنن العظام، وتعبدوه وحده لا شريك له.

وعبارة أبي حيان هنا: مناسبة هذه الآيات لما قبلها[2]: هو أنه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة آدم، وفيها ستر السوءات، وجعل له في الأرض مستقراً ومتاعاً. . ذكر ما امتن به على بنيه، وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يواري السوءات، والرياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خولهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله تعالى، لما[3] بين أنه جعل الشياطين قرناء للكافرين مسلطين عليهم متمكنين من إغوائهم. . ذكر هنا أثر ذلك التسليط عليهم؛ وهو الطاعة لهم في أقبح الأشياء مع عدم شعورهم بذلك القبح.

التفسير وأوجه القراءة

وقوله: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ معطوف على قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ عطف قصة على قصة؛ أي: وقلنا يا آدم اسكن أنت ﴿وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: انزل أنت وزوجك حواء في الجنة، وهذا القول بعد إخراج إبليس من الجنة، أو من السماء، أو من بين الملائكة، وقيل: معطوف[4] على ﴿ٱخْرُجْ﴾؛ أي: وقلنا يا إبليس اخرج منها مذؤوماً مدحوراً، ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، ومعنى

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.
(٣) المراغي.
(٤) المراح.

اسكن؛ أي: اتخذ أنت وزوجك حواء الجنة مسكناً لكما؛ أي: محل سكون وإقامة لكما. وتخصيص[1] الخطاب في قوله: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ به للإيذان بأصالته في تلقي الوحي، وتعاطي المأمور به، وتعميمه في قوله: ﴿فَكُلَا﴾ وفي وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ للإيذان بتساويهما في مباشرة المأمور به، وتجنب المنهى عنه، فحواء مساوية له فيما ذكر بخلاف السكنى؛ فإنها تابعة له فيها.

وفي «شرح المواهب» للزرقاني ما نصه[2]: واختلفوا في أن حواء خلقت في الجنة، فقال ابن إسحاق: خلقت قبل دخول آدم الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقيل: خلقت في الجنة بعد دخول آدم الجنة؛ لأنه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من شقه الأيسر؛ ليسكن إليها، ويأنس بها. قاله ابن عباس، وينسب لأكثر المفسرين، وعلى هذا قيل: قال الله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بعد خلقها، وهما في الجنة، وقيل: قبل خلقها، وتوجه الخطاب للمعدوم لوجوده في علم الله تعالى. اهـ.

وقال المراغي: الجنة هي[3] التي خلق فيها آدم لا جنة الجزاء، فآدم خلق من الأرض في الأرض. وقد[4] تكررت هذه القصة في سبعة مواضع من الكتاب العزيز، ولم يرد في موضع منها أن الله رفعه إلى الجنة التي هي دار الجزاء، وإن كان الجمهور على أنها جنة الجزاء على الأعمال، ويرده أنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة، ولا تكليف في دار الجزاء، ولأنه نام فيها، وأخرج منها، ودخل عليه إبليس، ولا نوم في الجنة، ولا خروج بعد الدخول، ولا يمكن دخول الشيطان فيها بعد الطرد والإخراج.

والآية تدل على أن آدم كان له زوج في الجنة، وفي التوراة: أن الله ألقى على آدم سباتاً، فانتزع في أثنائه ضلعاً من أضلاعه، فخلق منه حواء امرأته، وأنها سميت امرأة؛ لأنها من امرىء أخذت وليس في القرآن ما يدل على هذا، وما

---

(١) أبو السعود.
(٢) الفتوحات.
(٣) المراغي.
(٤) المراغي.

روي من ذلك مأخوذ من الإسرائيليات، وما روي في «الصحيحين» عن أبي هريرة من قوله ﷺ: «فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج» فهو من باب التمثيل على حد قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ والدليل على ذلك قوله بعد: «فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً».

فإنه لا شك أن المراد منه: لا تحاولوا تقويم النساء بالشدة والغلظة في المعاملة انتهى.

﴿فَكُلَا﴾؛ أنتما يا آدم وحواء من ثمار الجنة ﴿مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؛ أي: من أي مكان أردتما الأكل منه، وفي أي وقت شئتما ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ من حيث الأكل منهما ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم الضارين لها بتعريضها للعقوبة؛ أي: فتصيرا من الضارين لها.

والنهي عن القرب إلى الشيء أبلغ أثراً من النهي عن الشيء نفسه؛ إذ أنه يقتضي البعد عن موارد الشبهات التي تغرى به، كما جاء في الحديث: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

وقد أبهم سبحانه وتعالى هذه الشجرة، ولو كان في تعيينها خير لنا لعينها، وقد علل القرآن النهي عنها بأنهما إذا اقتربا منها كانا من الظالمين، لأنفسهما بفعلهما ما يعاقبان عليه، ولو بالحرمان من رغد العيش، وما يعقبه من التعب والمشقة.

فإن قلت: لِمَ قال هنا: ﴿فَكُلَا﴾ بالفاء، وفي البقرة ﴿وَكُلَا﴾ بالواو؟

قلت: لا منافاة بين الحرفين؛ لأن الواو للجمع المطلق، فتحمل على إحدى معانيها التي هي عطف اللاحق على السابق، فتتحد مع الفاء في المعنى الذي هو الترتيب. فإن قلت[1]: لِمَ حذف ﴿رَغَدًا﴾ هنا على سبيل الاختصار، وأثبت في البقرة؟

قلت: لأن تلك مدنية وهذه مكية، فوفى المعنى هنا باللفظ.

---

(١) البحر المحيط.

وقرىء[1]: ﴿هذي﴾ وهو الأصل لتصغيره على ذيا، والهاء بدل من الياء.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ﴾؛ أي: حدَّث[2] لهما في أنفسهما، وفي «الخازن» يعني: فوسوس إليهما، والوسوسة: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان يقال: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً مكرراً، ومعنى وسوس لهما: فعل الوسوسة وألقاها إليهما. وقال المراغي: **أي: زين لهما ما يضرهما ويسؤهما إذا هما رأيا ما يؤثران ستره، وأن لا يرى مكشوفاً. والأرجح أن هذه الوسوسة كانت بأن تمثل الشيطان لآدم وزوجه وكلَّمهما. انتهى.**

فإن قلت: كيف وسوس إليهما وآدم وحواء في الجنة، وإبليس قد أخرج منها؟

قلت: أجيب عن هذا السؤال بأجوبة:

منها: أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه.

ومنها: أنه كان على باب الجنة، وهما على بابها من داخلها.

ومنها: ما قال الحسن: إنه وصلت وسوسته لهما في الجنة، وهو في الأرض بالقوة التي خلقها الله له، وقيل: كان يدخل إليهما في فم الحية، وهذان القولان ضعيفان؛ لمخالفتهما لفظ القرآن، ولكن البحث عن هذه المسألة ليس مما كلفنا الله بعلمه، فالكلام فيه لا يعنينا.

﴿لِيُبْدِيَ﴾؛ أي: ليظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾؛ أي: ما ستر عنهما بلباس النور، أو بثياب الجنة. وقال الصاوي: واختلف في ذلك اللباس، فقيل: غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين تذكرة وزينةً وانتفاعاً، ولذلك قالوا: إن النظر إلى الأظفار في حال الضحك يقطعه، وقيل: كان نوراً، وقيل: كان من ثياب الجنة. انتهى.

﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾؛ أي: من عوراتهما، أراد الشيطان أن يسوءهما بظهور ما

---

(١) البيضاوي. (٢) الواحدي.

كان مستوراً عنهما من عوراتهما، فإنهما كانا لا يريان عورة أنفسهما، ولا يراها أحدهما من الآخر. قيل: إنما بدت عوراتهما لهما لا لغيرهما، وكان عليهما نور يمنع رؤيتها، وإنما لم تقلب[1] الواو في ﴿وُرِىَ﴾ همزة؛ لأن الثانية مدة مأخوذة من المواراة؛ وهي الستر يقال: واريته بمعنى سترته، والسوءة فرج الرجل والمرأة، سمي بذلك؛ لأن ظهوره يسوء الإنسان. وفي الآية دليل على أن كشف العورة من المنكرات المحرمات، واللام في قوله: ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾: لام العاقبة؛ وذلك لأن إبليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما، وإنما كان حملهما على المعصية فقط، فكان عاقبة أمرهما أن بدت عوراتهما. ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لآدم وحواء فيما وسوسهما به ﴿ما نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ أي: ما منعكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة ﴿إِلَّآ﴾ لأحد أمرين كراهة ﴿أَن تَكُونَا﴾ بالأكل منها ﴿مَلَكَيْنِ﴾؛ أي: كالملكين فيما أوتي الملائكة من الخصائص والمزايا كالقوة، وطول البقاء، وعدم التأثر بتأثيرات الكون المؤلمة المتعبة ﴿أَوْ﴾ كراهة أن ﴿تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ في الجنة؛ أي: من الذين لا يموتون البتة، ويبقون في الجنة ساكنين يعني[2]: إنما نهاكما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر، أو تكونا من الباقين الذين لا يموتون، وإنما أطمع إبليس آدم بهذه الآية؛ لأنه علم أن الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش، فاستشرف لذلك آدم، وأحب أن يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم، أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون أبداً.

وفي الآية[3]: إيماء إلى تفضيل الملائكة على آدم، وخصصه بعضهم بملائكة السماء والعرش والكرسي، من العالين المقربين، دون ملائكة الأرض المسخرين لتدبير أمورها، وإحكام نظامها.

وقرأ الجمهور[4]: ﴿وُرِىَ﴾ وقرأ عبد الله: ﴿أوري﴾ ـ بإبدال الواو همزة وهو بدل جائز ـ. وقرأ ابن وثاب: ﴿ما وُري﴾ ـ بواو مضمومة من غير واو

---

(١) الشوكاني.
(٢) الخازن.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.

بعدها ـ على وزن كُسِي. وقرأ مجاهد والحسن: ﴿من سوتِهما﴾ ـ بالإفراد وتسهيل الهمزة بإبدالها واواً وإدغام الواو فيها ـ. وقرأ الحسن أيضاً وأبو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح: ﴿من سوّاتهما﴾ ـ بتسهيل الهمزة وتشديد الواو ـ. وقرىء: ﴿من سواتهما﴾ ـ بواو واحدة وحذف الهمزة ـ ووجهه أنه حذفها وألقى حركتها على الواو، فمن قرأ بالجمع؛ فهو من وضع الجمع موضع التثنية كراهة اجتماع مثلين، ومن قرأ بالإفراد؛ فمن وضعه موضع التثنية، ويحتمل أن يكون الجمع على أصل وضعه باعتبار أن كل عورة الدبر والفرج، وذلك أربعة فهي جمع.

وقرأ ابن عباس والحسن بن علي والضحاك ويحيى بن كثير والزهري وابن حكيم عن ابن كثير[1]: ﴿ملِكين﴾ ـ بكسر اللام ـ ويدل لهذه القراءة ما في سورة طه من قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾؛ أي: أقسم وحلف إبليس لهما، والمفاعلة ليس على بابها بقوله: والله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾؛ أي: إني لناصح لكما فيما رغبتكما فيه من الأكل من الشجرة، وأكد ذلك بأشد المؤكدات وأغلظها؛ إذ كان عندهما محل الظنة والتهمة في نصحه؛ لأن الله أخبرهما أنه عدو لهما. وقرىء: ﴿وقاسمهما بالله﴾.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾؛ أي: جرأهما إبليس على أكل الشجرة ﴿بِغُرُورٍ﴾؛ أي: بسبب غروره وتزيينه لهما أكل الشجرة بالحلف لهما بالله، أو المعنى: فأسقطهما وحطهما عما كانا عليه من سلامة الفطرة وطاعة المولى بما غرهما به، وزين لهما من أكل الشجرة، وقد اغترا به وانخدعا بقسمه، وصدقا قوله اعتقاداً منهما أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً. وفي «الشوكاني» التدلية[2] والإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل، يقال: أدلى دلوه أرسلها، والمعنى: أنه أهبطهما بذلك من الرتبة العلية إلى الأكل من الشجرة، وقيل معناه: أوقعهما في الهلاك، وقيل

---

(١) البحر المحيط.
(٢) الشوكاني.

معناه: جرأهما على المعصية، فخرجا من الجنة انتهى.

وقيل معناه: فخدعهما[1] بزخرف من القول الباطل حتى أكلا قليلاً قصداً إلى معرفة طعم ذلك الثمر؛ لغلبة الشهوة، لا لكونهما صدقا قول إبليس.

ويرى بعض العلماء[2] أن الغرور كان بتزيين الشهوة، فإن من غرائز البشر وطبائعهم كشف المجهول، والرغبة في الممنوع، فقد نفخ الشيطان في نار هذه الشهوات الغريزية، وأثار النفس إلى مخالفة النهي حتى نسي آدم عهد ربه، ولم يكن له من قوة العزم ما يكفه عن متابعة امرأته، ويعتصم به من تأثير شيطانه كما قال في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾. وجاء في الصحيح عن أبي هريرة: «ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»؛ أي: لأنها هي التي زينت له الأكل من الشجرة، وقد فطرت المرأة على تزيين ما تشتهيه للرجل، ولو بالخيانة له.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾؛ أي: فلما تناولا من ثمر تلك الشجرة يسيراً لمعرفة طعمه ﴿بَدَتْ لَهُمَا﴾؛ أي: ظهرت لكل منهما ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾؛ أي: سوْته وسوْة صاحبه، وكانت مستورة عنهما؛ أي: ظهر لكل منهما قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره، وزال عنهما ثوبهما من حلل الجنة، فدبت فيهما شهوة التناسل بتأثير الأكل من الشجرة، فنبهتهما إلى ما كان خفياً عنهما من أمرها، فخجلا من ظهورها، وشعرا بالحاجة إلى سترها ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: وشرعا يلزقان ويربطان على أبدانهما من ورق أشجار الجنة العريض ما يسترها.

والخلاصة[3]: أن الشيطان لما وسوس لهما بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا...﴾ إلخ، ولم يقبلا منه ما قال.. لجأ إلى اليمين كما دل على ذلك قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ فلم يصدقاه أيضاً، فعدل بعد ذلك إلى الخداع كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾؛ أي: أنه شغلهما بتحصيل اللذات، فجعلاها نصب أعينهما، ونسيا النهي كما يدل على ذلك قوله: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

---

(١) المراح. (٢) المراغي. (٣) المراغي.

قال ابن عباس: الورق الذي خصفا منه ورق الزيتون، وقيل: ورق شجر التين، وقيل ورق الموز، ولم يثبت تعيينها لا في القرآن، ولا في حديث صحيح. وقد قيل فيهما شعر:

لِـلَّـهِ دَرُّهُـمُ مِـنْ فِـتْـيَـةٍ بَـكَـرُوْا مِثْلِ ٱلْـمُـلُوْكِ وَرَاحُوْا كَـٱلْـمَـسَاكِيْنِ

وقرأ أبو السمال[1]: ﴿وطفَقا﴾ ـ بفتح الفاء ـ وقرأ الزهري: ﴿يخصفان﴾ من أخصف، فيحتمل أن يكون أفعل بمعنى فعل، ويحتمل أن تكون الهمزة للتعدية من خصف؛ أي: يخصفان أنفسهما. وقرأ الحسن والأعرج ومجاهد وابن وثاب: ﴿يُخصِّفان﴾ ـ بفتح الياء وكسر الخاء والصاد وشدها ـ وقرأ الحسن فيما روى عنه محبوب كذلك، إلا أنه فتح الخاء. ورويت عن ابن بريدة وعن يعقوب، وقرىء: ﴿يخصِّفان﴾ ـ بتشديد ـ من خصف على وزن فعل. وقرأ عبد الله بن يزيد: ﴿يُخُصِّفان﴾ ـ بضم الياء والخاء وتشديد الصاد وكسرها ـ وتقرير هذه القراءات في علم العربية. وقد عاتبه الله سبحانه وتعالى على تركه التحفظ والحيطة والتدبر في عواقب الأمور فقال: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ معاتباً لهما، وموبخاً لهما، وقال: يا آدم ويا حواء ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ أي: عن أن تقربا هذه الشجرة وعن الأكل من ثمرها ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر العداوة لكما حيث أبى السجود، فإن أطعتماه أخرجكما من الجنة حيث العيش الرغد إلى حيث الشقاء في العيش والتعب، والنصب في الحياة. والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ تقريري. قيل: لما كان وقت الهناء.. شرف بالتصريح باسمه في النداء، فقيل: ويا آدم اسكن، وحين كان وقت العتاب أخبر أنه ناداه، ولم يصرح باسمه. والظاهر أنه تعالى كلمهما بلا واسطة. وقال الجمهور: إن النداء كان بواسطة الوحي.

روي[2]: أنه تعالى قال لآدم: ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً،

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراح.

قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدًّا، فأهبط وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث، فحرث وسقى وحصد، ودرس وذرى وعجن وخبز.

قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: لما أكل آدم من الشجرة.. قيل له: لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني. قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرهاً قال: فرنت ـ صاحت ـ حواء عند ذلك رنة ـ صيحة ـ فقيل لها: الرنة عليك وعلى بناتك، وقال محمد بن قيس: ناداه ربه: يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء، فقال: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، فقال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله تعالى: أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين كل شهر، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك، فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون مطرود مدحور عن الرحمة. وقيل: ناداه ربه يا آدم أما خلقتك بيدي، أما نفخت فيك من روحي، أما أسجدت لك ملائكتي، أما أسكنتك جنتي في جواري.

﴿قَالَا﴾؛ أي: قال آدم وحواء ﴿رَبَّنَا﴾ ويا مالك أمرنا ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾؛ أي: أضررنا أنفسنا بطاعتنا للشيطان ومعصيتنا لأمرك، وقد أنذرتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ ما ظلمنا به أنفسنا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ بالرضا عنا، وتوفيقنا إلى الهداية وترك الظلم، وبقبول توبتنا إذا نحن أنبنا إليك، وإعطائنا من فضلك فوق ما نستحق، والله ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لأنفسنا الهالكين لها بتعريضها للعقوبة.

والخلاصة[2]: أن الظفر بالمقصود والفوز بالسعادة لا ينالهما أحد بمغفرتك ورحمتك إلا من ينيب إليك، ويتبع سبيلك، ولا ينالهما من يصر على ذنبه ويحتج على ربه، كما فعل الذي أبى واستكبر فكان من الخاسرين.

وقال الضحاك في قوله[3]: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا...﴾ الخ. قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه عز وجل. ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى لآدم وحواء وإبليس والحية، كما قاله الطبري. ﴿ٱهْبِطُوا﴾؛ أي: انزلوا من السماء

---

(١) الخازن. (٢) المراغي. (٣) الخازن.

إلى الأرض. وقال الفخر الرازي: إن الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وإبليس، فقوله: ﴿ٱهْبِطُوا﴾ يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة، قيل: هبط آدم في الهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة ـ بضم الهمزة الموحدة وبتشديد اللام ـ جبل بقرب البصرة، والحية بأصبهان. وقال المراغي: يرى كثير من سلف الأمة أن هذا الخطاب لآدم وحواء وإبليس عليه اللعنة؛ أي: اهبطوا من هذه الجنة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ أي: حالة كون بعضكم عدواً لبعض آخر؛ أي: إن الشيطان عدو للإنسان، فعلى الإنسان أن لا يغفل عن عداوته، ولا يأمن وسوسته وإغواءه كما جاء في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ فالعداوة ثابتة بين آدم وإبليس، وذرية كل منهما. وهذا[1] الإخراج من ذلك النعيم عقاب على تلك المعصية التي بها ظلما أنفسهما، وقد قضت به سنة الله في الخلق، إذ جعله أثراً طبيعياً للعمل السيء مترتباً عليه إما العقاب الأخروي على عصيان الرب، فقد غفره الله له بالتوبة التي أذهبت أثره من النفس، وجعلتها محلاً لاصطفائه كما قال في سورة طه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿وَلَكُمْ﴾ يا آدم وحواء وإبليس مع ذريتكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: استقرار وبقاء إلى زمن مقدر في علم الله؛ وهو الأجل الذي تنتهي فيه أعماركم، وتقوم فيه القيامة ﴿و﴾: لكم فيها أيضاً ﴿متاع﴾؛ أي: ما تستمتعون وتنتفعون به من المطاعم والمشارب والملابس وغيرها ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ أي: إلى حين انقضاء آجالكم، ونحو الآية قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾.

ومعنى الآية[2]: أن الله سبحانه وتعالى أخبر آدم وحواء وإبليس والحية أنه إذا أهبطهم إلى الأرض، فإن بعضهم لبعض عدو، وأن لهم في الأرض موضع قرار يستقرون فيه إلى انقضاء آجالهم، ثم يستقرون في قبورهم إلى انقطاع الدنيا. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني: إلى يوم القيامة،

---

(١) المراغي. (٢) الخازن.

وإلى انقطاع الدنيا.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى لآدم وذريته، وإبليس وأولاده ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في هذه الأرض التي خلقتم منها ﴿تَحْيَوْنَ﴾؛ أي: تعيشون مدة العمر المقدر لكل منكم، وللنوع بأسره ﴿وَفِيهَا﴾؛ أي: وفي الأرض ﴿تَمُوتُونَ﴾؛ أي: تكون وفاتكم، وموضع قبوركم حين انتهاء أعماركم ﴿وَمِنْهَا﴾؛ أي: ومن الأرض ﴿تُخْرَجُونَ﴾؛ أي: يخرجكم ربكم بعد موتكم كلكم حين ما يريد أن يبعثكم من مرقدكم للنشأة الآخرة، ويحشركم للحساب يوم القيامة. وهذا الكلام[1] كالتفسير لقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ ولذلك جاء ﴿قَالَ﴾ بغير واو العطف، وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان: ﴿تخرجون﴾ ـ بالبناء للفاعل هنا ـ وفي الجاثية والزخرف وأول الروم، وعن ابن ذكوان في أول الروم خلاف. وقرأ باقي السبعة مبنياً للمفعول. ونحو الآية قوله تعالى في سورة طه: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

فصل في مغزى هذا القصص

قص الله ـ سبحانه وتعالى ـ علينا خبر النشأة الأولى[2]؛ ليرشدنا إلى ما فطرنا عليه، وإلى ما يجب علينا من شكره وطاعته، ويبين لنا أنه خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وجعله مستعداً لعلم كل شيء فيها، وتسخير ما فيها من القوى لمنافعه، وليهدينا إلى أنه كان في نشأته الأولى في جنة النعيم وراحة البال، وقد جعله مستعداً للتأثر بالأرواح الملكية التي تجذبه إلى الحق والخير، والأرواح الشيطانية التي تجذبه إلى الباطل والشر، وعاقبة التأثر الأولى سعادة الدارين، ونتيجة الثاني الشقاء فيهما، وهو أيضاً محتاج إلى الوحي لإرشاده وهدايته. فعلينا أن نعرف غرائزنا، ونربي أنفسنا على أن نتذكر عهد الله إلينا بأن نعبده وحده، ولا نعبد معه أحداً سواه، ولا ننساه فننسى أنفسنا، ونغفل عن تزكيتها، ونتركها كالريشة في مهاب أهواء الشهوات، ووساوس شياطين

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

الضلالات، وعلينا أن نعرف أن آدم لم يكن نبياً ولا رسولاً عند بدء خلقه، ولا موضعاً للرسالة في ذلك الحين، بل أنكر بعضهم أن يكون رسولاً مطلقاً، وقال: إن أول الرسل نوح عليه السلام كما تدل على ذلك الآيات الواردة في الرسل والأحاديث، وما ورد في هذه القصة من التفسير بالمأثور، فأكثره مدخول مأخوذ من الإسرائيليات عن زنادقة اليهود الذين دخلوا في الإسلام للكيد له، وكان الرواة ينقلون عن الصحابي أو التابعي ما مصدره من الإسرائيليات؛ فيغتر به بعض الناس فيظنون أنه لا بد له من أصل مرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأنه لا يعرف بالرأي.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ بقدرتنا من سمائنا لتدبير أموركم ﴿لِبَاسٗا يُوَٰرِي﴾ ويستر ﴿سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ وعوراتكم التي قصد إبليس إبداءها من أبويكم حتى اضطروا إلى لزق الأوراق، فأنتم مستغنون عن ذلك باللباس يعني: ثياب القطن وغيره كالصوف والوبر والشعر ﴿و﴾ أنزلنا عليكم لباساً ﴿ريشاً﴾ لكم؛ أي: يكون زينة لكم؛ أي: لباساً يزين لابسه كالريش الذي يزين الطائر، استعير من ريش الطائر؛ لأنه لباسه وزينته، وذلك كالحرير والخز والقز وحلي الذهب والفضة؛ أي أنزلنا عليكم لباسين؛ لباساً يواري سؤاتكم ولباساً يزينكم؛ لأن الزينة غرض صحيح. والمعنى[1]: خلقناه لكم بتدبيرات سماوية، وأسباب نازلة منها كالمطر، فهو سبب لنبات القطن والكتان وغيرهما كالتوت، ولمعيشة الحيوانات ذوات الصوف وغيره فبهذا الاعتبار كأن اللباس نفسه أنزل من السماء، ونظير هذا: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ...﴾ إلخ. ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ...﴾ إلخ. ومعنى إنزال ما ذكر من السماء: إنزال مادته من القطن والصوف والوبر والحرير وريش الطير وغيرها مما ولدته الحاجة، وافتن الناس في استعماله بعد أن تعلموا وسائل صنعه بما أوجد فيهم من الغرائز والصفات التي بها غزلوا ونسجوا وحاكوا ذلك على ضروب شتى، وخاطوه على أشكال لا حصر لها ولا عد، ولا سيما في هذا العهد الذي وفيت فيه الصناعات إلى أقصى مدى وأبعد غاية. ولا شك أن امتنانه علينا بلباس الزينة دليل على إباحتها والرغبة في استعمالها، والإسلام دين

---

(١) أبو السعود.

الفطرة، وليس فيه ما يخالف ما تدعو إليه الحاجة وحب الزينة من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم إلى إظهار سنن الله في الخليقة.

وقرأ عثمان وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسلمي وعلي بن الحسين وابنه زيد وأبو رجاء وزر بن جيش وعاصم في رواية وأبو عمرو في رواية[1]: ﴿ورياشاً﴾ فقيل: هما مصدران بمعنى واحد، يقال: راشه الله يريشه ريشاً ورياشاً إذا أنعم عليه.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بالرفع مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: اللباس الناشيء عن تقوى الله تعالى وخوفه، وهو العمل الصالح والإخلاص فيه ذلك خير؛ أي: هذا اللباس الأخير خير من اللباسين الأولين؛ لأن الإنسان يكسى من عمله يوم القيامة، وإنما كان خيراً لأنه يستتر من فضائح الآخرة. وفي[2] الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، فإذا كان كذلك فينبغي للإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة، وباطنه بالإخلاص، فإنه محل نظر لله تعالى، ولذلك قال بعضهم: إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه، وزين سري بالإسرار، وعن الأغيار فصنه. وقال المراغي: المشهور من كلام التابعين أن لباس التقوى لباس معنوي لا حسي. فقد قال ابن زيد: لباس هو التقوى خير، وعن ابن عباس أنه هو الإيمان والعمل الصالح، فإنهما خير من الريش واللباس، وروي عن زيد بن علي بن الحسين أنه لباس الحرب كالدرع والمغفر والآلات التي يتقى بها العدو، واختاره أبو مسلم الأصفهاني، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾.

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بنصب[3] ﴿لباس﴾ عطفاً على ﴿لِبَاسًا﴾؛ أي: وأنزلنا عليكم لباس التقوى، وهو الإيمان كما قاله قتادة والسدي وابن جريج، أو العمل الصالح كما قاله ابن عباس، أو السمت الحسن كما قاله

---

(١) البحر المحيط. (٢) الصاوي. (٣) المراح.

عثمان بن عفان، أو خشية الله تعالى كما قاله ابن الزبير، أو الحياء كما قاله معبد والحسن.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اللباس ﴿خَيْرٌ﴾ لصاحبه من اللباسين الأولين؛ لأنه يستر من فضائح الآخرة، وقرأ باقي السبعة بالرفع كما مر. ﴿ذلك﴾: المنزل من اللباسين ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من دلائل قدرته؛ أي: ذلك الذي تقدم ذكره من النعم بإنزال الملابس من آيات الله الدالة على قدرته، وعظيم فضله، وعميم رحمته لعباده، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، والمعنى: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم أنواع الملابس؛ لكي تذكرون وتعرفون عظيم النعمة في ذلك اللباس، وتقومون بما يجب عليكم من الشكر والابتعاد من فتنة الشيطان، وإبداء العورات، أو لإسراف في استعمال الزينة.

ولما ذكر سبحانه وتعالى نعمة اللباس.. أراد أن ينبههم على أن الشيطان حسود وعدو لهم كما أنه حسود وعدو لأبيهم، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: لا يخرجنكم الشيطان عن طاعتي بفتنه ووسوته، فتمنعوا من دخول جنتي ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ آدم وحواء ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: إخراجاً مثل إخراجه أبويكم من الجنة بفتنته بأمره لهما بمخالفة أمري، فمنعا من سكنى الجنة. وهذا في الظاهر نهي للشيطان، وفي الحقيقة نهي لبني آدم عن الإصغاء لفتنته ووسوسته واتباعه، فليس المراد النهي عن تسلطه؛ إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك؛ لأنه قضاء مبرم، بل المراد النهي عن الميل إليه.

والمعنى(١): أي لا تغفلوا يا بني آدم عن أنفسكم، فتمكنوا الشيطان من وسوسته لكم، والتحيل في خداعكم، وإيقاعكم في المعاصي كما وسوس لأبويكم آدم وحواء، فزين لهما معصية ربهما، فأكلا من الشجرة التي نهاهم عنها، وكان ذلك سبباً في خروجهما من الجنة التي كانا يتمتعان بنعيمها ودخولهما في طور آخر يكابدان فيه شقاء المعيشة وهمومها.

---

(١) المراغي.

وقرأ ابن وثاب وإبراهيم: ﴿لا يُفتننكم﴾ ـ بضم حرف المضارعة ـ من أفتنه بمعنى حمله على الفتنة. وقرأ زيد بن علي: ﴿لا يفتنكم﴾ ـ بغير نون توكيد ـ اهـ «سمين» وقوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال من الضمير في ﴿أَخْرَجَ﴾، أو من ﴿أَبَوَيْكُم﴾؛ لأن الجملة فيها ضمير الشيطان، وضمير الأبوين؛ أي: حالة كون الشيطان ينزع ويسقط عن أبويكم لباسهما؛ أي: حالة كونه تسبب في سقوط لباسهما عنهما بأمرهما بالأكل من الشجرة ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾؛ أي: ليظهر لهما ﴿سَوْءَاتِهِمَآ﴾؛ أي: عوراتهما أي: ليري آدم سوأة حواء، وترى هي سوأة آدم؛ أي: أنه أخرجهما من الجنة، وكان سبباً في نزع لباسهما من ثياب الجنة، أو مما اتخذاه لباساً لهما من ورق الجنة؛ لأجل أن يريهما سؤاتهما، وفي ذلك إيماء إلى أنهما كانا يعيشان عريانين بعدما أهبطا إلى الأرض؛ لأنه ليس في الأرض ثياب تصنع، وليس هناك إلا أوراق الأشجار، وعلماء العاديات والآثار يحكمون حكماً جازماً بأن البشر قبل اهتدائهم إلى الصناعات كانوا يعيشون عراة، ثم اكتسوا بورق الشجر وجلود الحيوان التي يصطادونها، ولا يزال المتوحشون منهم إلى الآن يعيشون كذلك.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾ تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهي، كأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾؛ أي أن إبليس وجنوده وأعوانه من شياطين الجن يرونكم يا بني آدم من مكان لا ترونهم فيه، والضرر إذا جاء من حيث لا يرى كان خطره أشد، ووجوب العناية باتقائه أعظم، كما يرى ذلك في بعض الأوبئة التي ثبت وجودها في هذا العصر بالمجهر، فإنها تنفذ إلى الأجسام بنقل الذباب، أو البعوض، أو مع الطعام أو الشراب، أو الهواء، فتتوالد وتنمو بسرعة، وقد تسبب للإنسان أمراضاً مستعصية العلاج كالحمى الصفراء، والسل والسرطان إلى غير ذلك.

وفعل جنة الشياطين في أرواح البشر كفعل هذه الجنة التي يسميها الأطباء الميكروبات في الأجسام، فكلاهما يؤثر من حيث لا يرى فيتقى، والثانية تتقى بالأخذ بنصائح الأطباء، واستعمال الوسائل العلاجية الواقية، والأولى تتقى أيضاً

بتقوية الأرواح بالإيمان بالله وصفاته، وإخلاص العبادة له، والتخلق بالأخلاق الكريمة، وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فتبتعد تلك الأرواح الشيطانية عنها، ولا تستطيع القرب منها.

والحاصل: أن الشياطين يرون بني آدم لكثافة أجسامهم وتلونهم، وبنو آدم لا يرونهم للطافتهم وعدم تلونهم، فأجسام الشياطين كالهواء، وأما رؤية الشياطين بعضهم بعضاً، فحاصلة لقوة في أبصارهم. قال مجاهد: قال إبليس: جعل لنا أربع: نرى، ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شاباً. وقال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المجاهدة إلا من عصمه الله.

وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا بغيرهم فنراهم؛ لأن الله تعالى جعل لهم قدرة على التشكل بالصور الجميلة أو الخسيسة، وتحكم عليهم الصورة كما في الأحاديث الصحيحة، فالآية ليست على عمومها، فالفرق بينهم وبين الملائكة أن الملائكة لا يتشكلون إلا في الصورة الجميلة، ولا تحكم عليهم، بخلاف الجن. وقد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم إلا من عصمه الله تعالى. وقرأ اليزيدي: ﴿وقبيلَه﴾ ـ بالنصب ـ عطفاً على اسم ﴿إن﴾.

ثم زاد في التحذير من الشيطان، وبيَّن شديد عداوته للإنسان، فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ وصيرنا ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ وأعواناً وأصحاباً ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لغير المؤمنين؛ أي: مكناهم من إغوائهم، فتحرزوا أنتم أيها المؤمنون منهم؛ أي: إنا صيرنا الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن مسلطين عليهم؛ أي: أن[1] سنتنا جرت بأن يكون الشياطين الذين هم شرار الجن أولياء لشرار الإنس؛ وهم الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى وملائكته إيمان إذعان تزكو به نفوسهم لما بينهما من التناسب والتشاكل.

واكتساب الكفار لولاية الشياطين جاءت بسبب استعدادهم لقبول وسوستهم

(١) المراغي.

وإغوائهم، وعدم احتراسهم من الخواطر الرديئة، كاكتساب ضعفاء البنية للأمراض باستعدادهم لها، وعدم احتراسهم من أسبابها، كتناول الأطعمة والأشربة الفاسدة، والوجود في جو مملوء بالجراثيم القاتلة بعدم تعرضه للشمس والنور والهواء المتجدد.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا﴾؛ أي: وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ممن جعلوا الشياطين أولياء لأنفسهم فعلة ﴿فَٰحِشَةً﴾؛ أي: فعلاً قبيحاً شرعاً وعقلاً من الأفعال التي تدينوا بها كتعريهم حين الطواف بالبيت، وسجودهم للأصنام، فلامهم لائم على ذلك ونهاهم عنه. قال أكثر المفسرين: المراد بالفاحشة هنا هي طواف المشركين بالبيت عراة. وقيل: هي الشرك، والظاهر أنها تصدق على ما هو أعم من الأمرين جميعاً، والفاحشة في أصلها هي الذنوب التي بلغت الغاية في فحشها وقبحها. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال الذين لا يؤمنون بالله في جواب اللائم والناهي محتجين بأمرين، تقليد الآباء والافتراء على الله ﴿وَجَدْنَا﴾ ورأينا ﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي: على هذه الفاحشة ﴿ءَابَآءَنَا﴾ وأجدادنا وأسلافنا؛ أي: قالوا: وجدنا آباءنا يفعلون مثل ما نفعل، فنحن نقتدي بهم ونستن بسنتهم ﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَمَرَنَا بِهَا﴾؛ أي: بهذه الفعلة، فنحن نتبع أمره، فإن أجدادنا إنما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها، وقد رد تعالى عن الأمر الثاني بأمر رسوله أن يدحضه بقوله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد في جوابهم رداً عليهم في المقالة الثانية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ أي: إن هذا الفعل من الفحشاء، والله سبحانه بكماله منزه عن أن يأمر بالفحشاء، فإن عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأعمال، والحث على نفائس الخصال، وإنما يأمر بالفحشاء الشيطان، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾.

ثم رد عليهم المقالة الأولى، ووبخهم على تقليد الآباء والأجداد بقوله: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ، وهذا من جملة المأمور به في الجواب؛ أي: وقل لهم يا محمد: إنكم باتباعكم للآباء والأجداد في الآراء والشرائع غير المستندة إلى الوحي تقولون على الله ما لا تعلمون أنه

شرعه لعباده يعني: أنكم[1] ما سمعتم كلام الله مشافهة، ولا أخذتموه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وعباده في تبليغ أوامره ونواهيه؛ لأنكم تنكرون نبوة الأنبياء، فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون.

والخلاصة[2]: أنهم في عملهم الفاحشة استندوا إلى أمرين: أمر الله تعالى بها، وتقليد الآباء والأجداد، وقد رد الله عليهم في كل منهما، فرد على الأول ببيان أن الله لا يأمر بفاحشة، وأن الذي يأمر بها إنما هو الشيطان، ورد على الثاني بأن التشريع لا يعلم إلا بوحي من عنده إلى رسول يؤيده بالآيات البينات، وهو لم ينزل عليهم بفعل الفاحشة، فقولهم هذا إنما هو اتباع للأهواء فيما هو قبيح تنفر منه الطباع السليمة، وتستنقصه العقول الراجحة الحكيمة.

واعلم: أن في هذه الآية الشريفة لأعظم[3] زاجر وأبلغ واعظ للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق، فإنهم القائلون: إنا وجدنا آباؤنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون، والقائلون: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، والمقلد لولا اغتراره بكونه وجد أباه على ذلك المذهب مع اعتقاده بأنه الذي أمر الله به، وأنه الحق لم يبق عليه، وهذه الخصلة هي التي بقي بها اليهودي على اليهودية، والنصراني على النصرانية، والمبتدع على بدعته، فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا كونهم وجدوا آباءهم في اليهودية أو النصرانية أو البدعية، وأحسنوا الظن بهم بأن ما هم عليه هو الحق الذي أمر الله به، ولم ينظروا لأنفسهم، ولا طلبوا الحق كما يجب، ولا بحثوا عن دين الله كما ينبغي، وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص، فيا من نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية إنا لك النذير المبالغ في التحذير من أن تقول هذه المقالة، وتستمر على الضلالة، فقد اختلط الشر بالخير، والصحيح بالسقيم، وفاسد الرأي بصحيح الرواية، ولم يبعث الله إلى هذه الأمة إلا نبياً واحداً أمرهم باتباعه، ونهى عن مخالفته، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

(١) الخازن. (٢) المراغي. (٣) الشوكاني.

﴿نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ ولو كان محض رأي أئمة المذاهب واتباعهم حجة على العباد.. لكان لهذه الأمة رسل كثيرة متعددون بعدد أهل الرأي المكلفين للناس بما لم يكلفهم الله به، وإن من أعجب الغفلة، وأعظم الذهول عن الحق اختيار المقلدة لآراء الرجال مع وجود كتاب الله، ووجود سنة رسوله ﷺ، ووجود من يأخذونهما عنه، ووجود آلة الفهم لديهم، وملكة العقل عندهم.

وبعد أن أنكر عليهم أن يكونوا على علم بأمر الله فيما فعلوا.. بين ما يأمر به من محاسن الأعمال، ومكارم الأخلاق بقوله لرسوله: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: إنما ﴿أمر﴾ني ﴿رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾؛ أي: بالاستقامة، والعدل في الأمور كلها، فأطيعوه، وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ معطوف على المحذوف المقدر، أو على معنى ﴿بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ قال لهم: أمرني ربي بالقسط، فأقسطوا في الأمور كلها، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد؛ أي[1]: وجهوا وجوهكم في الصلاة إلى القبلة في أي مسجد كنتم فيه، أو في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود على أن المراد بالسجود الصلاة، أو المعنى[2] أعطوا توجهكم إلى الله تعالى حقه من صحة النية، وحضور القلب، وصرف الشواغل عند كل مسجد تعبدونه فيه سواء كانت العبادة طوافاً، أو صلاة، أو ذكراً ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: واعبدوه وحده حالة كونكم ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ والعبادة، ولا تتوجهوا إلى غيره من عباده المكرمين زعماً منكم أنهم يشفعون لكم عند ربكم، ويقربونكم إليه زلفى، وقد جعلتم هذا من الدين افتراء على الله، وقولاً عليه بغير علم.

وبعد أن أبان أصل الدين ومناط الأمر والنهي فيه.. ذكرنا بالبعث والجزاء على الأعمال، فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ﴾ وأنشأكم ربكم خلقاً وتكويناً بقدرته ﴿تَعُودُونَ﴾ إليه سبحانه وتعالى بالبعث يوم القيامة، وأنتم فريقان سعداء وأشقياء ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ﴾ه الله سبحانه وتعالى في الدنيا ببعثة الرسل، فاهتدى بهديهم، وأقام

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

وجهه له وحده في العبادة، ودعاه مخلصاً له الدين لا يشرك به أحداً ﴿و﴾ أضل ﴿فريقاً﴾ آخر منكم ﴿حَقَّ﴾ وثبت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أزلاً؛ لاتباعهم إغواء الشيطان، وإعراضهم عن طاعة بارئهم، وكل فريق يموت على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه.

وقرأ أبي: ﴿تعودون فريقين فريقاً هدى﴾. وقيل المعنى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ في[1] الخلق شقياً وسعيداً، فكذلك ﴿تَعُودُونَ﴾ سعداء وأشقياء يدل على صحة هذا المعنى قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾؛ أي: أرشد إلى دينه، وهم أولياؤه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾؛ أي: أضلهم، وهم أولياء الشياطين، أو المعنى: كما بدأكم من تراب تعودون إلى التراب.

وإنما حقت على الفريق الثاني الضلالة؛ لأنهم اقترفوا أسبابها، فوجدت نتائجها ومسبباتها، لا أنها جعلت لهم غرائز، فكانوا عليها مجبورين يرشد إلى ذلك قوله: ﴿إِنَّهُمُ﴾؛ أي: إن هؤلاء الفريق الثاني ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ وجعلوا لأنفسهم ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تعالى يطيعونهم في معصية الله، وهذه الجملة تعليل لقوله: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾؛ أي: أنهم حين أطاعوا الشياطين فيما زينوا لهم من الفواحش والمنكرات، فكأنهم ولّوهم أمورهم من دون الله الذي يأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴿و﴾ هم مع عملهم هذا ﴿يحسبون﴾ ويظنون ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ راشدون فيما تلقنهم الشياطين من الشبهات، كجعل التوجه إلى غير الله، والتوسل إليه في الدعاء مما يقربهم إلى الله زلفى قياساً على الملوك الجاهلين الذين لا يقبلون الصفح عن مذنب إلا بواسطة بعض المقربين عنده، ودلت هذه الآية على أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في حصة الدين، بل لا بد من الجزم والقطع؛ لأنه تعالى ذم الكفار بأنهم بحسبون كونهم مهتدين، ولولا أن هذا الحسبان مذموم لما ذمهم بذلك، ودلت أيضاً على أن كل من شرع في باطل؛ فهو مستحق للذم سواء حسب كونه هدى، أو لم

(١) الواحدي.

يحسب ذلك اهـ «كرخي». والكثير[1] من أهل الضلال يحسبون أنهم مهتدون، وهم ما بين كافر جحود للحق كبراً وعناداً ـ كأعداء الرسل في عصورهم وحاسديهم على ما آتاهم الله من فضله، كما حكى سبحانه عن فرعون وملئه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ وكالكبراء من قريش أمثال أبي جهل، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث في جمع كثير منهم، وهم الذين قال فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ وهؤلاء هم الأقلون عدداً. وكافر بالتقليد واتباع نزغات الشيطان، أو باتباع الآراء الخاطئة والنظريات الفاسدة، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ وهؤلاء هم جمهرة الناس في جميع الأمم، وذهب كثير من العلماء إلى أن من بذل جهده في البحث والنظر في الحق، ثم اتبع ما ظهر له أنه الحق بحسب ما وصلت إليه طاقته، وكان مخالفاً في شيء منه لما جاءت به الرسل لا يدخل في مدلول هذه الآية ونحوها، بل يكون معذوراً عند الله تعالى لقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾.

الإعراب

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿يا آدم﴾: منادى مضافاً، وجملة النداء في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قلنا﴾، والتقدير: ثم قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم، وقلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، كما ذكره صاحب «زاده» ﴿ٱسْكُنْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر وجوباً. ﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل مؤكد لضمير الفاعل؛ ليصح عطف ما بعده عليه كما قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل   عطفت فافصل بالضمير المنفصل

---

(١) المراغي.

﴿وَزَوْجُكَ﴾: معطوف على الضمير المستتر. ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلف بـ﴿ٱسْكُنْ﴾، والجملة الفعلية جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿فَكُلَا﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وترتيب، ﴿كلا﴾: فعل وفاعل معطوف على اسكن. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كلا﴾. ﴿شِئْتُمَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَقْرَبَا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَكُلَا﴾. ﴿هَٰذِهِ﴾: في محل النصب مفعول به. ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾: بدل من اسم الإشارة. ﴿فَتَكُونَا﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب، ﴿تكونا﴾: فعل ناقص، واسمه معطوف على ﴿تَقْرَبَا﴾ مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿تكونا﴾ وإن شئت قلت ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿تكونا﴾: فعل ناقص، واسمه منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي، وعلامة نصبه حذف النون، والتقدير على هذا الوجه: لا يكن منكما قربان هذه الشجرة فكونكما من الظالمين.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿فَوَسْوَسَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أن الله سبحانه وتعالى نهاهما عن تلك الشجرة، وأوردت بيان هل امتثلا لذلك النهي أم لا.. فأقول لك: ﴿وسوس لهما الشيطان﴾: ﴿وسوس﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمَا﴾ جار ومجرور متعلق به. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿لِيُبْدِيَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وعاقبة، ﴿يبدي﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿لَهُمَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لإبدائه لهما ما ووري، الجار والمجرور متعلق بـ﴿وسوس﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به

لـ﴿يبدي﴾. ﴿وُرِىَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾. ﴿عَنْهُمَا﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط الضمير المستتر في ﴿ووري﴾ ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من ضمير ﴿وُرِىَ﴾. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿وسوس﴾ على أنها عطف بيان لها. ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قال﴾، وإن شئت قلت: ﴿ما﴾ نافية. ﴿نَهَىٰكُمَا﴾ فعل ومفعول. ﴿رَبُّكُمَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿عَنْ هَٰذِهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نَهَىٰكُمَا﴾. ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان منه. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَكُونَا﴾: فعل ناقص، واسمه منصوب بـ﴿أَن﴾. ﴿مَلَكَيْنِ﴾: خبرها، والجملة الفعلية صلة ﴿أَن﴾ المصدرية، ﴿أَن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بإضافة المصدر المقدر المنصوب على أنه مفعول لأجله تقديره: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهية كونكما ملكين. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿تَكُونَا﴾: فعل ناقص، واسمه معطوف على ﴿تَكُونَا﴾. ﴿مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: خبر ﴿تَكُونَا﴾، والتقدير: أو كراهية كونكما من الخالدين.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الشيطان، والجملة معطوفة على جملة ﴿قال﴾. ﴿إِنِّى﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، والياء اسمها. ﴿لَكُمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. ﴿لَمِنَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿من الناصحين﴾: جار ومجرور خبر ﴿إن﴾ تقديره: إني لكائن من الناصحين لكما، وجملة ﴿إن﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿دلى﴾: فعل ماض من باب فعل المضعف،

و﴿الهاء﴾: مفعول به، وفاعله ضمير يعود على الشيطان، والجملة معطوفة على جملة ﴿قاسمهما﴾. ﴿بِغُرُورٍ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿دلى﴾ تقديره: فدلاهما الشيطان حالة كونه متلبساً بغرور وخداع لهما. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾ عاطفة، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة فعل شرط لـ﴿لما﴾ لا محل لها من الأعراب. ﴿بَدَتْ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمَا﴾: متعلق به. ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾. ﴿وَطَفِقَا﴾: فعل ناقص واسمه؛ لأنه من أفعال الشروع، وجملة ﴿يَخْصِفَانِ﴾ خبره، وجملة ﴿وَطَفِقَا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿بَدَتْ﴾ على كونها جواب ﴿لما﴾. ﴿عَلَيْهِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَخْصِفَانِ﴾. ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَخْصِفَانِ﴾ أيضاً.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ فعل ومفعول وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿بَدَتْ﴾. ﴿أَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾ للاستفهام التقريري، ﴿لم﴾: حرف جزم ونفي. ﴿أَنْهَكُمَا﴾ فعل ومفعول مجزوم بـ﴿لم﴾، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة جملة مفسرة للنداء لا محل لها من الإعراب. ﴿عَن تِلْكُمَا﴾: ﴿عَن﴾: حرف جر. ﴿تِ﴾: اسم إشارة يشار بها للمفردة المؤنثة البعيدة في محل الجر بـ﴿عَن﴾ مبني على الكسر لشبهه بالحرف شبهاً معنوياً، ﴿اللام﴾: لبعد المشار إليه، و﴿الكاف﴾: حرف دال على الخطاب، و﴿الميم﴾: حرف عماد، و﴿الألف﴾: حرف دال على التثنية. ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان له، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَنْهَكُمَا﴾. ﴿وَأَقُل﴾: فعل مضارع معطوف على أنه مجزوم بـ﴿لم﴾، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿لَّكُمَآ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ إلى آخره مقول محكي لـ﴿أقل﴾، وإن شئت قلت ﴿إِنَّ﴾ حرف نصب. ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: اسمها. ﴿لَكُمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر إن ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة ﴿عَدُوٌّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول القول لـ﴿أقل﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قَالَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب النداء على كونها مقول القول. ﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿لَّمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَغْفِرْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَّمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَغْفِرْ﴾. ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾: فعل ومفعول معطوف على ﴿تَغْفِرْ﴾، وفاعله ضمير يعود على الله، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم المقدر تقديره: نكن من الخاسرين، وجملة الشرط مع جوابه المحذوف معطوفة على جملة ﴿ظَلَمْنَآ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿لَنَكُونَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة لقسم محذوف تقديره: والله لئن لم تغفر لنا لنكونن، ﴿نكونن﴾: فعل مضارع ناقص في محل الرفع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واسمها ضمير يعود على آدم وحواء. ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿نكون﴾، وجملة ﴿نكونن﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب.

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿لِبَعْضٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عَدُوٌّ﴾. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ تقديره: اهبطوا حالة كونكم موصوفين بعداوة بعضكم لبعض. ﴿وَلَكُمْ﴾ ﴿الواو﴾: واو الحال، أو عاطفة. ﴿لكم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾. ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: معطوف عليه. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: جار

ومجرور تنازع فيه ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال ثانية من فاعل ﴿ٱهْبِطُواْ﴾، أو معطوفة على جملة ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَحْيَوْنَ﴾. ﴿تَحْيَوْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿وفيها﴾: متعلق بـ﴿تَمُوتُونَ﴾. ﴿تَمُوتُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَحْيَوْنَ﴾. ﴿وَمِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تُخْرَجُونَ﴾. ﴿تُخْرَجُونَ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿تَحْيَوْنَ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء مستأنفة. ﴿قَدْ أَنزَلْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَنزَلْنَا﴾. ﴿لِبَاسًا﴾: مفعول به لـ﴿أَنزَلْنَا﴾. ﴿يُوَٰرِى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿لِبَاسًا﴾. وجملة ﴿يُوَٰرِى﴾ صفة لـ﴿لِبَاسًا﴾ ﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَرِيشًا﴾: معطوف على ﴿لِبَاسًا﴾. ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: بالنصب معطوف على ﴿لِبَاسًا﴾ أيضاً. ﴿لباسُ﴾ ـ بالرفع ـ: مبتدأ أول، ومضاف إليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر للمبتدأ الثاني، وجملة المبتدأ الثاني وخبره خبر للأول، والجملة مستأنفة. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل جملة ﴿أَنزَلْنَا﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾: منادى مضاف، والجملة مستأنفة. ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾:

فعل ومفعول وفاعل، والجملة جواب النداء لا محل لها من الإعراب، ﴿كَمَآ﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر وتشبيه، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾: فعل ومفعول. ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ متعلق بـ﴿أَخْرَجَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، والتقدير: لا يفتننكم الشيطان فتنة مثل إخراج أبويكم، أو لا يفتننكم فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم، أو لا يخرجنكم بفتنته إخراجاً مثل إخراجه أبويكم. ﴿ينزع﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿عَنْهُمَا﴾ متعلق به. ﴿لِبَاسَهُمَا﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿أَخْرَجَ﴾ تقديره: حالة كونه ينزع عنهما لباسهما، أو في محل النصب حال من ﴿أَبَوَيْكُم﴾. ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾: فعل ومفعول أول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿سَوْءَٰتِهِمَآ﴾: مفعول ثان لأرى؛ لأن رأى بصرية تعدت إلى مفعولين بالهمزة، وجملة أرى صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَنزِعُ﴾ تقديره: ينزع عنهما لباسهما لإزالته إياهما سؤاتهما.

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿يَرَىٰكُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل الجر باللام المقدر مسوقة لتعليل النهي المستفاد من قوله: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فكأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم. ﴿هُوَ﴾: تأكيد لضمير الفاعل المستتر في ﴿يَرَىٰكُمْ﴾ ليصح العطف عليه كما قيل. ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: بالرفع معطوف على ضمير الفاعل، وبالنصب معطوف على اسم ﴿إن﴾. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَرَىٰكُمْ﴾. ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حَيْثُ﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾: مفعولان لـ﴿جَعَلْنَا﴾، وجملة ﴿جَعَلْنَا﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ جملة معللة مؤكدة لجملة قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار

ومجرور صفة لـ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، أو متعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾، وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ صلة الموصول.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿قَالُوا۟﴾ فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾ مستأنفة. ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالُوا۟﴾، وإن شئت قلت ﴿وَجَدْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهَآ﴾: متعلق به. ﴿ءَابَآءَنَا﴾: مفعول به ومضاف إليه؛ لأن وجد هنا بمعنى أصاب، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿أَمَرَنَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿أَمَرَنَا﴾، وجملة ﴿أَمَرَنَا﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَأْمُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿أَتَقُولُونَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبخي، وفيه معنى النهي، ﴿تقولون﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تقولون﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به لـ﴿تقولون﴾؛ لأنه بمعنى تذكرون وتفترون. ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما لا تعلمونه.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾ وإن شئت قلت: ﴿أَمَرَ رَبِّي﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: متعلق بـ﴿أَمَرَ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على محذوف معلوم من السياق: قل أمر ربي بالقسط فأقسطوا وأقيموا وجوهكم. ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أقيموا﴾. ﴿وَادْعُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أقيموا﴾. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو ﴿وَادْعُوهُ﴾. ﴿لَهُ﴾: متعلق بـ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿الدِّينَ﴾: مفعول لـ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿كَمَا﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿بَدَأَكُمْ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾. ﴿تَعُودُونَ﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿بَدَأَكُمْ﴾ صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف، والتقدير: كبدئه إياكم، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: تعودون عوداً مثل بدئه إياكم في كونه عن عدم محض، وجملة ﴿تَعُودُونَ﴾ مستأنفة.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

﴿فَرِيقًا﴾: مفعول مقدم لـ﴿هَدَىٰ﴾. ﴿هَدَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، والجملة مستأنفة، أو حال من فاعل بدأ؛ أي: تعودون كما بدأكم حال كونه هادياً فريقاً، ومضلاً فريقاً، وقد مضمرة هنا. ﴿وَفَرِيقًا﴾: مفعول لفعل محذوف تقديره: وأضل فريقاً، وجملة ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ صفة لـ﴿فَرِيقًا﴾، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ على كونه مستأنفة، أو حالاً من فاعل بدأ تقديره: تعودون كما بدأكم حال كونه هادياً فريقاً، ومضلاً فريقاً حق عليهم الضلالة.

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمُ﴾: ناصب واسمه. ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور

ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أو حال من فاعل ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾، والتقدير: اتخذوا الشياطين أولياء حالة كونهم مجاوزين الله. ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع معطوفة على ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾، أو حال من فاعل ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾. ﴿أَنَّهُم﴾: ناصب واسمه. ﴿مُّهْتَدُونَ﴾: خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿حسب﴾، والتقدير: ويحسبون هدايتهم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قرب يستعمل لازماً، فيكون بضم الراء في الماضي والمضارع، ويستعمل متعدياً كما هنا فيكون بكسرها في الماضي، وفتحها في المضارع، وبفتحها في الماضي وضمها في المضارع، وفي «المصباح» قرب الشيء منا قرباً؛ أي: دنا إلى أن قال: وقربت الأمر أقربه ـ من باب تعب، وفي لغة من باب قتل ـ قِرباناً ـ بالكسر ـ فعلته، أو دانيته، اهـ.

﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ أصل الوسوسة: الصوت الخفي المكرر، ومنه قيل لصوت الحلي: وسوسة، ووسوسة الشيطان للبشر ما يجدونه في أنفسهم من الخواطر الرديئة التي تزين لهم ما يضرهم في أبدانهم أو أرواحهم، يقال: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً مكرراً.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مأخوذ من شاط إذا احترق، أو من شطن بمعنى بعد.

﴿مَا وُۥرِيَ﴾؛ أي: غطى وستر، وهو بوزن فوعل؛ لأنه مغير وارى على وزن فاعل كضارب، فلما بني للمفعول أبدلت الألف واواً كضورب، فالواو الأولى فاء الكلمة، والثانية: زائدة، فحينئذ لا يجب قلب الأولى همزة، وإنما يجب قلبها لو كانت الثانية أصلية كما أوضحوه في قول «الخلاصة»: وهمزا أول الواوين رد.

وقرأ عبد الله[1]: ﴿أوري﴾ ـ بإبدال الأولى همزة ـ وهو بدل جائز لا واجب، وهذه قاعدة كلية، وهي أنه إذا اجتمع في أول الكلمة واوان، وتحركت الثانية، أو كان لها نظير متحرك.. وجب إبدال الأولى همزة تخفيفاً، فإن لم

---

(١) الفتوحات.

تتحرك، ولم تحمل على متحرك جاز الإبدال كهذه الآية الكريمة.

﴿من سوءاتهما﴾ جمع سوءة، والسوءة ما يسوء الإنسان أن يراه غيره من أمر شائن، وعمل قبيح، وإذا أضيفت إلى الإنسان أريد بها عورته الفاحشة؛ لأنه يسوءه ظهورها بمقتضى الحياء الفطري. ﴿مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾؛ أي: من الذين لا يموتون أبداً.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾؛ أي: أقسم وحلف لهما، وفي «السمين» المفاعلة هنا يحتمل أن تكون على بابها. فقال الزمخشري: كأنه قال لهما: أقسم لكما إني لمن الناصحين، فقالا له: أتقسم بالله أنت إنك لمن الناصحين لنا، فجعل ذلك مقاسمة بينهم، أو أقسم لهما بالنصيحة، وأقسما له بقَبولها، أو أخرج قسم إبليس على وزن المفاعلة؛ لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم. وقال ابن عطية: وقاسمهما؛ أي: حلف لهما، وهي مفاعلة؛ إذ قَبول المحلوف له، وإقباله على معنى اليمين، وتقديره: كالقسم وإن كان بادىء الرأي يعطي أنها من واحد، ويحتمل أن يكون فاعل بمعنى أفعل كباعدته وأبعدته، وذلك أن الحلف لما كان من إبليس دونهما كان فاعل بمعنى أصل الفعل. انتهى.

﴿لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ جمع ناصح اسم فاعل من نصح، ونصح يتعدى لواحد؛ تارة بنفسه، وتارة بحرف الجر، ومثله شكر وكال ووزن، وهل الأصل التعدي بحرف الجر، أو التعدي بنفسه، أو كل منهما أصل؟ الراجح الثالث، وزعم بعضهم أن المفعول في هذه الأفعال محذوف، وأن المجرور باللام هو الثاني، فإذا قلت: نصحت لزيد، فالتقدير: نصحت لزيد الرأي، وكذلك شكرت له صنيعه، وكلت له طعامه، ووزنت له متاعه، فهذا مذهب رابع، وقال الفراء: العرب لا تكاد تقول: نصحتك إنما يقولون: نصحت لك، وأنصح لك، وقد يجوز نصحتك، اهـ «سمين». والنصيحة: هي إرادة الخير للغير، وإظهاره له.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ يقال: دلى الشيء تدلية ـ كزكى تزكية ـ إذا أرسله، وأنزله من أعلى إلى أسفل رويداً رويداً، وقال الأزهري: وأصله أن الرجل العطشان يتدلى في البئر ليأخذ الماء، فلا يجد فيها ماء، فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه. والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش، وقيل: حطهما من منزلة

الطاعة إلى حالة المعصية؛ لأن التدلي لا يكون إلا من علو إلى سفل.

ومعنى الآية[1]: أن إبليس لعنه الله غر آدم باليمين الكاذبة، وكان آدم عليه السلام يظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، فلما حلف إبليس ظن آدم أنه صادق فاغتر به، والغرور: مصدر حذف فاعله ومفعوله، والتقدير بغروره إياهما.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: شرعا وأخذا يلزقان عليهما؛ أي: على القبل والدبر؛ أي: جعل كل منهما يستر عورتيه. يخصفان؛ أي[2]: يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة، من قولهم: خصف الإسكافي النعل إذا وضع عليها مثلها. وفي «المختار»: طفق يفعل كذا؛ أي: جعل يفعل كذا، وبابه طرب، وبعضهم يقول: هو من باب جلس. اهـ. وفي «المصباح»: خصف الرجل نعله خصفاً ـ من باب ضرب ـ فهو خصاف، وهو فيه كرقع الثوب.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ من حيي[3] من باب رضي، فتحيون أصله تحييون بوزن ترضيون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فوزنه تفعون بحذف لام الكلمة.

﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ الريش: لباس[4] الحاجة والزينة، ولباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحرب.

وفي «الفتوحات»: والريش فيه قولان:

أحدهما: أنه اسم لهذا الشيء المعروف.

والثاني: أنه مصدر يقال: راشه يرشه ريشاً إذا جعل فيه الريش، فينبغي أن يكون الريش مشتركاً بين المصدر والعين، وهذا هو التحقيق.

وقرىء: ﴿ورياشاً﴾ وفيه تأويلان[5]:

---

(١) الفتوحات.
(٢) المراغي.
(٣) الفتوحات.
(٤) المراغي.
(٥) الفتوحات.

أحدهما: وبه قال الزمخشري: أنه جمع ريش كشعب وشعاب.

والثاني: أنه مصدر أيضاً، فيكون ريش ورياش مصدرين لراشه الله ريشاً ورياشاً؛ أي: أنعم عليه. وقال الزجاج: هما اللباس، فعلى هذا هما اسمان للشيء الملبوس كما قالوا: لبس ولباس.

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ الفتنة: الابتلاء والاختبار من قولهم: فتن الصائغ الذهب، أو الفضة إذا عرضهما على النار ليعرف الزيف من النضار.

﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ والقبيل: الجماعة يكونون من ثلاثة فصاعداً من جماعة شتى، هذا قول أبي عبيد، والقبيلة: الجماعة من أب واحد، فليست القبيلة تأنيث القبيل لهذه المغايرة اهـ «سمين». وفي «المصباح»: والقبيل: الجماعة ثلاثة فصاعدا من قوم شتى، والجمع قبل بضمتين، والقبيلة لغة فيه، وقبائل الرأس القطع المتصل بعضها ببعض، وبها سميت قبائل العرب، الواحدة قبيلة، وهم بنو أب واحد. اهـ.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الفاحشة[1]: الفعلة المتناهية في القبح، والمراد بها هنا طواف أهل الجاهلية عراة كما ولدتهم أمهاتهم، ويقولون لا نطوف بيت ربنا في ثياب عصيناه بها.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ والقسط الاعتدال في جميع الأمور، وهو الوسط بين الإفراط والتفريط.

﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ وإقامة الشيء: إعطاؤه حقه، وتوفيته شروطه كإقامة الصلاة، وإقامة الوزن بالقسط، والوجه قد يطلق على العضو المعروف من الإنسان كما في قوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وقد يطلق على توجه القلب وصحة القصد كما في قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: وفي «القاموس»: والفِرقة ـ بالكسر ـ الطائفة من الناس، والجمع فرق، والفريق كأمير أكثر منها، والجمع أفرقاء وأفرقة وفروق. اهـ.

---

(١) المراغي.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾؛ أي: وقلنا يا آدم، وفي قوله: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾؛ أي: فكلا منها؛ أي: من ثمارها حيث شئتما.

ومنها: المبالغة في النهي عن الأكل في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾؛ لأنه عبر عن النهي من الأكل بالنهي عن القربان مبالغة.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ وفي قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أكد الخبر بالقسم وبـ﴿إن﴾ وباللام وبإسمية الجملة؛ لدفع شبهة الكذب، وهو من الضرب الذي يسمى إنكارياً؛ لأن السامع متردد.

ومنها: تخصيص الخطاب بآدم(١)، في قوله: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ للإيذان بأصالته في تلقي الوحي، وتعاطي المأمور به، وتعميمه في قوله: ﴿فَكُلَا﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ للإيذان بتساويهما في مباشرة المأمور به، وتجنب المنهى عنه.

ومنها: المجاز المرسل، في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ لأنه مجاز عن الأكل من إطلاق المسبب وإرادة السبب.

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ وهو(٢) حمل المخاطب على الإقرار بما علم عنده ثبوته أو نفيه. والمعنى(٣): أقر بذلك على حد ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَرِيشًا﴾ شبه لباس الزينة بريش الطائر بجامع الزينة في كل؛ لأن الريش زينة الطائر، كما أن اللباس زينة الأدميين، فاستعير اسم المشبه به للمشبه على طريقة الاستعارة التصريحية.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ لأنه من إضافة المشبه به إلى المشبه، فهو من قبيل إضافة لجين الماء، وقال الشوكاني(٤): ومثل هذه الاستعارة كثير

---

(١) الفتوحات.

(٢) الصاوي.

(٣) الصاوي.

(٤) فتح القدير.

الوقوع في كلام العرب، ومنه قوله:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانا، وإن كان كاسياً

ومثله قوله:

تغط بأثواب السخاء فإنني أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ وكان[1] مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون، ونكتته دفع الثقل في الكلام.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾؛ لأن بين الجملتين طباقاً، وهو من المحسنات البديعية.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾؛ لأنه أسند النزع إليه لتسببه فيه.

ومنها: حكاية الحال الماضية، في قوله: ﴿ينزع﴾: عبر[2] بلفظ المضارع وعلى أنه حكاية حال؛ لأنها قد وقعت وانقضت.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

---

(١) الصاوي.

(٢) الفتوحات.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي
ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى
ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ
ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ
كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ
أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ
عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ
لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا
لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ
أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ...﴾ الآية، مناسبة[1]

(١) المراغي.

هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أمر عباده في الآية السالفة بالعدل في كل الأمور، واتباع الوسط منها.. طلب إلينا أن نأخذ بالزينة في كل مجتمع للعبادة، فلنستعمل الثياب الحسنة في الصلاة والطواف ونحو ذلك، كما أباح لنا أن نأكل ونشرب مما خلق الله، بشرط أن لا نسرف في شيء من ذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أنكر في الآية السالفة على المشركين وغيرهم من أرباب الملل الأخرى تحريم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق.. ذكر هنا أصول المحرمات التي حرمها على عباده لضررها، وجميعها من الأعمال الكسبية، لا من المواهب الخلقية؛ ليستبين للناس أن الله لم يحرم على عباده إلا ما هو ضار لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين جماع المحرمات على بني آدم لما فيها من المفاسد والمضار للأفراد والمجتمع إثر بيان المباحات من الزينة والطيبات من الرزق بشرط عدم الإسراف فيها.. ذكر هنا حال الأمم في قبول هذه الأصول، أو ردها، والسير على منهاجها بعد قبولها، أو الزيغ عنها.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي...﴾ الآيتين، مناسبة هاتين الآيتين لما قبلها[1]: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أن لكل أمة أجلاً لا تعدوه.. حكى هنا ما خاطب به كل أمة على لسان رسولها، وبينه لها من أصول الدين الذي شرعه لهدايتها، وتكميل فطرتها، وأرشدها إلى أنها إن كانت مطيعة تتقي الله فيما تأتي وتذر، وتصلح أعمالها، فلا يحصل لها في الآخرة خوف ولا حزن، وإن هي تمردت واستكبرت، وكذبت الرسل كانت عاقبتها النار، وبئس القرار.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه

---

(١) المراغي.

الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر في الآية السابقة عاقبة المكذبين بآياته المستكبرين عن قبولها والإذعان لها.. ذكر هنا أن من أشدهم ظلماً من يتقولون على الله الكذب، فينسبون إليه ما لم يقله كمن يثبت الشريك لله تعالى سواء كانت صنماً، أو كوكباً، أو يضيف إليه أحكاماً باطلة، أو يكذب ما قاله، كمن ينكر أن القرآن نزل من عند الله تعالى على رسوله محمد ﷺ. وقال أبو حيان: مناسبتها لما قبلها[1]: أنه تعالى لما ذكر المكذبين.. ذكر من هو أسوأ حالاً منهم، وهو من يفتري الكذب على الله، وذكر أيضاً من كذب بآياته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن هذه الآية من تتمة ما سلف من وعيد الكفار، وجزاء المكذبين بالقرآن المستكبرين عن الايمان، بين بها أنهم خالدون في النار، وأنهم يلاقون فيها من الشدائد والأهوال ما لا يدرك العقل حقيقة كنهه، وأن هذا كفاء ظلمهم لأنفسهم، واستكبارهم عن طاعة ربهم، واتباع أوامره.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها، أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[2] وعيد أهل الكفار والمعاصي.. أردفه وعد أهل الطاعات، وقد جرت سنة القرآن بالجمع بينهما، فيبدأ بأحدهما لمناسبة سياق الكلام قبله، ثم يقفوه بالآخر.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾ الآية، سبب نزولها[3]: ما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية، وهي عريانة وعلى فرجها خرقة، وهي تقول:

الْيَوْمَ يَبْدُوْ بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ   فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

(١) البحر المحيط.   (٢) المراغي.   (٣) لباب النقول.

فنزلت: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ...﴾ الآيتين.

وأخرج(١) عبد بن حميد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الناس يطوفون بالبيت عراة، ويقولون لا نطوف في ثياب أذنبنا فيها، فجاءت امرأة فألقت ثيابها، فطافت ووضعت يدها على قبلها، وقالت:

الْيَوْمَ يَبْدُوْ بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية.

وقال مجاهد(٢): كان حي من أهل اليمن، كان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه، فيقول: من يعيرني مئزراً، فإن قدر عليه، وإلا طاف عرياناً، فأنزل الله تعالى فيه ما تسمعون: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

وقال الزهري: إن العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس، وهم قريش وأحلافهم، فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه، وطاف في ثوب أحمسي، ويرى أنه لا يحل له أن يلبس ثيابه، فإن لم يجد من يعيره من الحمس، فإنه يلقي ثيابه، ويطوف عرياناً، وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها؛ أي: جعلها حراماً عليه؛ فلذلك قال الله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة.

قال مجاهد: ما يواري عوراتكم ولو عباءة. وقال الكلبي: الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة، وقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ أمر، وظاهره الوجوب، وفيه دليل على أن ستر العورة واجب في الصلاة، والطواف، وفي كل حال من الأحوال، وإن كان الرجل خالياً كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

---

(١) المراغي. (٢) الخازن.

التفسير وأوجه القراءة

والخطاب في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ عام[١] لجميع بني آدم، وإن كان وارداً في سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذي ينبغي للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾؛ أي: البسوا ثيابكم التي تستر عوراتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؛ أي: في كل وقت صلاة وطواف، والزينة ما يزين الشيء، أو الشخص، ومعنى أخذها: التزين بها، والمراد بالزينة هنا: الثياب الحسنة كما يدل على ذلك سبب نزول الآيات. وأقل هذه الزينة ما يدفع عن المرء أقبح ما يشينه بين الناس، وهو ما يستر عورته، وهو الواجب لصحة الصلاة والطواف، وما زاد على ذلك من التجمل بزينة اللباس عند الصلاة ـ ولا سيما صلاة الجمعة والعيد ـ فهو سنة لا واجب.

ويرى بعض العلماء[٢] وجوب الزينة عند كل مسجد بحسب عرف الناس في تزينهم في المجامع والمحافل؛ ليكون المؤمن حين عبادة ربه مع عباده المؤمنين في أجمل حال، لا تقصير فيها ولا إسراف. أخرج الطبراني والبيهقي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم.. فليلبس ثوبيه، فإن الله عز وجل أحق من تزين له، فإن لم يكن له ثوبان. فليتزر إذا صلى، ولا يشتمل أحدكم في صلاته اشتمال اليهود».

وأخرج الشافعي وأحمد والبخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لا يصلين أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء».

وعلى الجملة: فالزينة تختلف باختلاف حال الناس في السعة والضيق، فمن عنده ثوب واحد يستر جميع بدنه.. فليستر به جميع بدنه، وليصل به، فإن لم يستر إلا العورة كلها، أو الغليظة منها؛ وهي السوءتان... فليستر به ما يستره، ومن وجد ثوبين، أو أكثر فليصل بهما.

وهذا[٣] الأمر بالزينة عند كل مسجد أصل من الأصول الدينية والمدنية عند

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي. (٣) المراغي.

المسلمين، وكان سبباً في تعليم القبائل المتوحشة القاطنة في الكهوف والغابات أفراداً وجماعات لبس الثياب عند دخولها في حظيرة الإسلام، وكانوا قبل ذلك يعيشون عراة الأجسام رجالاً ونساءً حتى ذكر بعض المنصفين من الإفرنج أن لانتشار الإسلام في إفريقية منه على أوروبا بنشره للمدينة بين أهلها؛ إذ ألزمهم ترك العرى، وأوجب لبس الثياب، فكان ذلك سبباً في رواج تجارة المنسوجات. وبهذا نقل الإسلام أمماً وشعوباً كثيرة من الوحشية إلى الحضارة الراقية؛ أي: خذوا زينتكم عند المساجد وأداء العبادات ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ من الطيبات ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾ فيها بالتعدي إلى الحرام، أو بتحريم الحلال، أو بالإفراط في الطعام، بل عليكم بالاعتدال في جميع ذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: لأن الله سبحانه وتعالى الخالق لهذه النعم لا يحب المسرفين؛ أي: لا يرتضي عنهم فعلهم، بل يعاقبهم على هذا الإسراف بمقدار ما ينشأ عنه من المضار والمفاسد؛ لأنهم قد خالفوا سنن الفطرة، وجنوا على أنفسهم في أبدانهم وأموالهم، وجنوا على أسرهم وأوطانهم إذ هم أعضاء في جسم الأسرة والأمة.

روى النسائي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة ـ كبر وإعجاب بالنفس ـ ولا سرف، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمه على عبده».

وعن ابن عباس أنه قال: كل ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت إذا أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة. والإسراف تجاوز الحد في كل شيء، والحدود لها أقسام:

منها: طبيعي كالجوع والشبع، والظمأ والري، فمن أكل إذا أحس بالجوع، أو كف عن الأكل إذا شعر بالشبع، وإن كان يستلذ الاستزادة أو شرب إذا شعر بالظمأ، واكتفى بما يزيله، ولم يزد على ذلك.. لم يكن مسرفاً في أكله وشربه، وكان طعامه وشرابه نافعين له.

ومنها: اقتصادي؛ وهو أن تكون النفقة على نسبة معينة من دخل الإنسان بحيث لا تستغرق كسبه.

ومنها: شرعي، فإن الشارع حرم من الطعام الميتة والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله، وحرم من الشراب الخمر، وحرم من اللباس الحرير الخالص، أو الغالب على الرجال دون النساء، وحرم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، وعده من السرف المنهي عنه، فهذه الأشياء لا يباح استعمالها إلا لضرورة تقدر بقدرها.

والمعول عليه في الإنفاق في كل طبقة عرف المعتدلين فيها، فمن تجاوز طاقته مباراة لمن هم أغنى منه وأقدر كان مسرفاً، وكم جر الإسراف إلى خراب بيوت عامرة، ولا سيما في المهور، وتجهيز العرائس، وحفل العرس والمأتم[1]، والزار، قال الشاعر:

ثَلاثَةٌ تَشْقَىٰ بِهَا ٱلدَّارُ ... ٱلْعُرْسُ وَٱلْمَأْتَمُ وَٱلزَّارُ

وهذا السرف كبير الضرر، عظيم الخطر على الأمم، أكثر من ضرره على الأفراد، ولا سيما في البلاد التي تأتي إليها أنواع الزينة من البلاد الأجنبية عنها، إذ تذهب الثروة إلى غير أهلها، وربما ذهبت إلى من يستعين بها على استذلالهم، والعدوان عليهم.

والخلاصة: أن الطعام والشراب من ضرورات الحياة الحيوانية، ولكن ضل في ذلك فريقان:

١ ـ فريق البخلاء والغلاة في الدين، تركوا الأكل والشرب من الطيبات المستلذة؛ إما بخلاً وشحاً، أو تحرجاً وتأثماً؛ إما دائماً، أو في أوقات مخصوصة من السنة.

٢ ـ فريق المترفين الذين أسرفوا في اللذات البدنية، وجعلوها جل هممهم، فهم يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام، وليس لهم غاية يقفون عندها،

---

(١) والمأتم عند العرب نساء يجتمعن في الخير والشر، والجمع مآتم، وعند العامة المصيبة يقولون: كنا في مأتم فلان، والصواب كنا في مناحة فلان اهـ «مختار».

أو نهاية ينتهون إليها.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة ﴿مَنْ حَرَّمَ﴾؛ أي: من الذي حرم عليكم ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ﴾ها وخلقها ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾ من النبات كالقطن والكتان، ومن الحيوان كالحرير والصوف، ومن المعادن كالدروع ﴿و﴾ من الذي حرم عليكم ﴿الطيبات﴾؛ أي: المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾؛ أي: من المآكل والمشارب، والاستفهام فيه إنكاري توبيخي؛ أي: لا أحد حرم عليكم أن تتزينوا بها، وتلبسوها في الطواف وغيره، ولا أن تأكلوا المستلذات من الرزق في الحج وغيره.

ومعنى إخراج الله للزينة[1]: خلق موادها، وتعليم طرق صنعها بما أودع في فطرهم من حبها، والميل إلى الافتتان في استعمالها؛ إذ خلقهم مستعدين لإظهار آياته في جميع ما خلق في هذا العالم الذي يعيشون فيه بما أودع في غرائزها من الميل إلى البحث في كشف المجهول، والاطلاع على خفايا الأمور، فهم لا يدعون شيئاً عرفوه بحواسهم أو عقولهم حتى يبحثوه من طرق شتى، وأوجه لا نهاية لها، ولم تنتهي بحوثهم ما دام الإنسان على ظهر البسيطة.

وغريزة حب الزينة، وحب التمتع بالطيبات كانت من أهم الأسباب في اتساع أعمال الفلاحة والزراعة، ورقي ضروب الصناعة، واتساع وسائل العمران، ومعرفة سنن الله وآياته في الأكوان، وهما لا يذمان إلا بالإسراف فيهما، والغفلة عن شكر المنعم بهما.

والخلاصة: أن الدين لم يحرمهما إلا إذا كانا عائقين عن الكمال الروحي، والكمال الخلقي، وأنه لم يجعل تركهما قربة إلى الله كما جرى على ذلك الوثنيون من البراهمة وغيرهم، وقلدهم في ذلك بعض المسلمين، وصاروا يبثون في الأمم الإسلامية تعاليم تقضي بأن روح الدين ومخ العبادة في التقشف، وحرمان النفس من التمتع بلذات الحياة. وقد بين الله سبحانه وتعالى وجه

---

(١) المراغي.

الصواب في ذلك بقوله لرسوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأمتك ﴿هِيَ﴾؛ أي: الزينة والطيبات ثابتة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله بطريق الأصالة، فالضمير عائد على الزينة والطيبات من الرزق، لكن على وجه أعم بأن يراد بها الأعم من الدنيوية والأخروية؛ لأجل أن يصح الإخبار عنها بقوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وبقوله: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ غير خالصة لهم؛ لأنه يشركهم فيها المشركون، وإن لم يستحقوها مثلهم حالة كونها ﴿خَالِصَةً﴾ لهم ومختصة بهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم؛ لأنه لاحظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق. وقيل[1]: معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيض والغم؛ لأنه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص، فأعلمهم أنها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله.

وقرأ قتادة[2]: ﴿قل هي لمن آمن﴾ وقرأ نافع: ﴿خالصة﴾ ـ بالرفع ـ، وقرأ باقي السبعة ﴿خالصةً﴾ بالنصب، فأما النصب فعلى الحال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبراً، وأما الرفع فعلى أنه خبر بعد خبر، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: وهي خالصة.

وقصارى ذلك: أن الدين يورث أهلها سعادة الدنيا والآخرة جميعاً كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾، وقوله: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾.

ذاك أن المؤمن يزداد علماً وإيماناً بربه، وشكراً له كلما عرف شيئاً من سننه وآياته في نفسه، أو في غيرها من الكائنات، ومن أهم أركان الشكر استعمال النعمة فيما وهبها المنعم لأجله من شكر الجوارح، كشكر اللسان بالثناء عليه، وشكر سائر الأعضاء كذلك.

ففي حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي والحاكم: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر» والسر في هذا: أن الأكل والشرب من الطيبات بدون

---

(١) الخازن. (٢) الخازن.

إسراف هما قوام الحياة والصحة، وهما الدعامتان اللتان يتوقف عليهما القيام بجميع الأعمال الدينية والدنيوية من عقلية وبدنية، ولهما التأثير في جودة النسل الذي به يكثر سواد الأمة، والملابس الجيدة النظيفة لها فوائد:

١ ـ حفظ الصحة.

٢ ـ كرامة من يتجمل بها في نفوس الناس.

٣ ـ إظهار نعمة الله على لابسها، والمؤمن يثاب بنيته على كل ما هو محمود من هذه الأمور بالشكر عليها.

روى أبو داود عن أبي الأحوص قال: أتيت رسول الله ﷺ في ثوب دون، فقال: «ألك مال»؟ قلت: نعم. قال: «من أي المال»؟ قال: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق قال: «فإذا آتاك الله.. فلير أثر نعمته عليك وكرامته لك».

وأخرج الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» وقد كانت العرب تحرم زينة اللباس في الطواف تعبداً، وتحرم الادهان ونحوه حال الإحرام بالحج كذلك، وتحرم من الأنعام والحرث ما ذكر في سورة الأنعام، وحرم أهل الكتاب كثيراً من الطيبات، فجاء الدين الإسلامي الجامع بين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة، والمطهر للنفوس، والمهذب للأخلاق، فأنكر هذا التحكم المخالف لسنن الفطرة، وبين أن هذا التحريم لم يكن إلا من وساوس الشيطان، ولم يوح به الله تعالى إلى أنبيائه ورسله المصطفين الأخيار.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كتفصيلنا هذا الحكم المذكور وتبييننا إياه ﴿نُفَصِّلُ﴾ ونبين ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾؛ أي: الأحكام من الحلال والحرام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أني أنا الله وحدي لا شريك لي، فأحلوا حلالي، وحرموا حرامي.

أي: أن هذا التفصيل لحكم الزينة والطيبات، الذي ضل فيه كثير من الأمم والأفراد ما بين إفراط وتفريط، لا يعقله إلا الذين يعلمون سنن الاجتماع وطبائع

البشر ومصالحهم، ونحن قد فصلناه على لسان هذا النبي الأمي، الذي لم يكن يعرف شيئاً من تاريخ البشر في أطوار بداوتهم وأطوار حضارتهم قبل أن ننزلها عليه، فكان ذلك آية دالة على نبوته؛ إذ ما كان لمثله أن يعلمها إلا بالوحي من عندنا، ولولا الكتاب الكريم.. لما خرجت العرب من ظلمات الوثنية والجهالة إلى ذلك النور الذي صلحت به، وأصلحت أمماً كثيرة بالدين والفنون والآداب، وما أحيت من علوم الأوائل.

ولكن وا أسفا قد أضحى المسلمون من أجهل الشعوب بسنن الله في الأكوان، وبالعلوم والمعارف اللازمة لتقدم الحضارة والمدنية، وأصبحوا في مؤخرة الأمم، وصاروا مضرب الأمثال في التأخر والخمول والكسل، وبذلك استكانوا وذلوا، وصاروا أفقر الأمم وأضعفهم وأقلهم خدمة لدينهم، وخالفوا ما رسمه لهم ذلك من أن لهم زينة الدنيا وطيباتها وسعادتها وملكها، وأن عليهم أن يشكروا الله على ما يؤتيهم من ذلك، وأن عليهم أن يقوموا بما يرضيه من اتباع الحق والعدل، وكل ما تقتضيه خلافتهم في الأرض.

ولقد بلغ الجهل بكثير من المسلمين أن ظن - وبعض الظن إثم - أن دين الإسلام هو سبب ضعف المسلمين وجهلهم ومسكنتهم، وذهاب ملكهم، واستعباد الكفار لهم حتى رغب الجهال منهم الدخول في المسيحية والشيوعية؛ لطول ما عليهم من الاستئمار، كما رأينا ذلك في بعض القبائل من الشعوب الآرومية في شرقي إفريقيا؛ لاستعباد الجيوش لهم بأخذ أراضيهم، وضرب الجزية عليهم استعباداً لا نظير له إلا استعباد فرعون لبني إسرائيل، ولكن كتاب الله وسنة رسوله وتاريخ هذه الأمة شاهد صدق على فساد هذه القضية، وتزييف تلك الدعوى فليس لها من دعائم تستند إليها وتقف بها على رجليها.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم في الطواف، والذين يحرمون أكل الطيبات ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾؛ أي: الزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: جهرها وسرها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾؛ أي: شرب الخمر ﴿وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: الظلم على الناس بغير الحق، فالقتل والقهر بالحق ليس بغياً ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: وحرم أن تسووا بالله في العبادة معبوداً ليس على ثبوته حجة، ولا يخفى ما فيه من التهكم بالمشركين[١] والكفار؛ لأنه لا يجوز أن ينزل حجة وبرهاناً بأن يشرك به غيره؛ لأن الإقرار بشيء ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع، فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك.. وجب أن يكون باطلاً على الإطلاق ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالإلحاد في صفاته، والافتراء عليه في التحريم والتحليل؛ أي: أن تقولوا على الله ما لا تعلمون حقيقته، وأن الله قاله، مثل ما كانوا ينسبون إلى الله سبحانه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها.

فالجنايات محصورة في خمسة أنواع[٢]:

أحدها: الجناية على الأنساب؛ وهي المرادة بالفواحش الظاهرة والباطنة، وقد تقدم تفسيرها في سورة الأنعام، وهي إحدى الوصايا التي ذكرت هناك، وقد تقدم تخصيصها بفاحشة الزنا، وإن كان الأولى التعميم.

وثانيها: الجناية على العقول؛ وهي المشار إليها بالإثم والإثم[٣] يتناول كل معصية يتسبب عنها الإثم والذم، وعطفه على ما قبله من عطف العام على الخاص، والثلاثة بعده معطوفة عليه عطف خاص على عام؛ لمزيد الاعتناء بها، وقيل: هو الخمر خاصة ومنه قول الشاعر:

شَرِبْتُ ٱلإِثْمَ حَتَّىٰ ضَلَّ عَقْلِيْ ... كَذَاكَ ٱلإِثْمُ تَذْهَبُ بِٱلْعُقُوْلِ

ومثله قول الآخر:

يَشْرَبُ ٱلإِثْمُ بِٱلصَّوَاعِ جِهَارَا

وقد أنكر جماعة من أهل العلم على من جعل الإثم خاصاً بالخمر. قال النحاس: فأما أن يكون الإثم الخمر.. فلا يعرف ذلك، وحقيقته أنه جميع المعاصي كما قال الشاعر:

---

(١) المراح والمراغي والشوكاني.

(٢) الشوكاني.

إِنِّـــيْ وَجَـــدْتُ ٱلْأَمْـــرَ أَرْشَـــدُهُ   تَـــقْـــوَىٰ ٱلْإِلْـــهِ وَشَـــرُّهُ ٱلْإِثْـــمُ

قال في «الصحاح»: وقد يسمى الخمر إثماً، وأنشد: شربت الإثم... البيت، وكذا أنشده الهروي قبله في غريبته.

وثالثها: الجناية على النفوس والأموال والأعراض، وإليها الإشارة بقوله: ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو[1] الإثم الذي فيه تجاوز لحدود الحق، أو اعتداء على حقوق الأفراد أو جماعتهم، ومن ثم قرن بالعدوان في قوله: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وقيد البغي بكونه بغير الحق؛ لأن تجاوز الحدود المعروفة قد يكون فيما لا ظلم فيه ولا فساد، ولا هضم لحقوق الأفراد والجماعات كما في الأمور التي ليس لهم فيها حقوق، أو التي تطيب أنفسهم فيها عن بعض حقوقهم، فيبذلونها عن رضى وارتياح لمصلحة لهم يرجونها.

ورابعها: الجناية على الأديان؛ وهي من وجهين:

إما بالطعن في توحيد الله تعالى؛ وهو الشرك، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وهو أقبح الفواحش، فلا تقوم عليه حجة من عقل ولا برهان من وحي، وسميت الحجة سلطاناً؛ لأن لها سلطاناً على العقل والقلب.

وفي هذا إيماء إلى أن أصول الإيمان لا تقبل إلا بوحي من الله يؤيده البرهان كما قال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ كما أن فيه إرشاداً إلى عظم شأن الدليل والبرهان في الدين، حتى كأن من جاء بالبرهان على الشرك يصدق، وهذا من فرض المحال مبالغة في فضل الاستدلال كما قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وإما بالقول في دين الله بغير معرفة، وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: وهو من أسس المحرمات التي حرمت على ألسنة الرسل جميعاً؛ إذ هو منشأ تحريف الأديان المحرفة، وسبب الابتداع في الدين الحق، وقد انتشر الابتداع بين أهله، وتحكمت بينهم الأهواء، واتبعوا سنن من قبلهم

(١) المراغي.

كما جاء في الحديث: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحْر ضب لتبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»». رواه الشيخان. ورأس البلية في هذا الابتداع القول في الدين بالرأي، فما من أحد يبتدع، أو يتبع مبتدعاً إلا استدل على بدعته بالرأي. وقد ظهرت مبادىء هذه البدع والأهواء في القرون الأولى قرون العلم بالسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما زال أمرها يستفحل حتى وصلت إلى ما نراه الآن. وما شرع[1] من اجتهاد الرأي في حديث معاذ وغيره؛ فهو خاص بالقضاء لا بأصول الدين وعباداته، فقد أكمل الله دينه، فلم يترك فيه نقصاً يكمله غيره بظنه ورأيه بعد وفاة رسوله، وليس لقاض ولا مفت أن يسند رأيه الاجتهادي إلى الله، فيقول: هذا حكم الله، وهذا دينه، بل يقول: هذا مبلغ اجتهادي، فإن كان صواباً فمن توفيق الله وإلهامه، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان.

والخلاصة: أنه لا ينبغي لأحد أن يحرم شيئاً تحريماً دينياً على عباد الله، أو يوجب عليهم شيئاً إلا بنص صريح عن الله ورسوله، ومن تهجم على ذلك.. فقد جعل نفسه شريكاً لله، ومن تبعه في ذلك.. فقد جعله رباً له، ومن ثم كان فقهاء الصحابة والتابعين يتحامون القول في الدين بالرأي، وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾.

وهذه الجنايات الخمسة المذكورة في هذه الآية أصول الجنايات، وأما غيرها فهي كالفروع.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من الأمم التي كذبت الرسل ﴿أَجَلٌ﴾؛ أي: وقت معين لهلاكها ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: وقت هلاكهم؛ أي: أجل واحد اندرج تحت الأمة ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾؛ أي: لا يتركون بعد الأجل طرفة عين ﴿وَلَا

(١) المراغي.

﴿يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾؛ أي: ولا يهلكون قبل الأجل طرفة عين، فقوله: ﴿سَاعَةً﴾؛ أي: شيئاً قليلاً من الزمان؛ فهي مثل يضرب لغاية القلة من الزمان. ذكره أبو السعود. فالجزاء[1] مجموع الأمرين، لا كل واحد على حدته، والمعنى: أن الوقت المحدود لا يتغير، وهذا وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم السابقة؛ إذ خالفوا أمر ربهم؛ يعني[2]: فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة، وإنما ذكرت الساعة؛ لأنها أقل أسماء الأوقات في العرف يقول المستعجل لصاحبه: في ساعة، يريد في أقصر وقت وأقربه، وإنما أفرد[3] الأجل؛ لأنه اسم جنس، أو لتقارب أعمال أهل كل عصر، أو لكون التقدير: لكل واحد من أمة. وقرأ الحسن وابن سيرين: ﴿فإذا جاء آجالهم﴾ بالجمع.

والمعنى[4]: قل يا محمد لقومك ولغيرهم لكل أمة أمد مضروب لحياتها مقدر لها بحسب السنن التي وضعها الخالق لوجودها، وهذا الأجل على ضربين: أجل لوجودها في الحياة الدنيا، وأجل لعزها وسعادتها بين الأمم:

الأول: أجل لأمة بعث فيها رسول لهدايتها، فردوا دعوته كبراً وعناداً، واقترحوا عليه الآيات فأعطوها مع إنذارهم بالهلاك إذا لم يؤمنوا، فاستمروا في تكذيبهم، فأخذهم ربهم أخذ عزيز مقتدر، كما وقع لقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وإخوان لوط وغيرهم.

وهذا النوع من الهلاك كان خاصاً بأقوام الرسل أولي الدعوة الخاصة بأقوامهم، وقد انتهى ذلك ببعثة النبي ﷺ الذي خاطبه الله بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.. وقد مضت سنة الله في الأمم أن الذين يقترحون الآيات لا يؤمنون بها، ومن ثم لم يعط الله تعالى رسوله شيئاً مما كانوا يقترحونه عليه.

---

(١) المراح.
(٢) الخازن.
(٣) البحر المحيط.
(٤) المراغي.

والثاني: أجل مقدر لحياة الأمم سعيدة عزيزة باستقلالها ومكانتها بين الأمم، وهذا منوط بسنن الله في الاجتماع البشري، وعوامل الرقي والعمران، وأسباب انتهاء هذا الاجتماع لا تعد، ومخالفة ما أرشدت إليه الآيات السالفة كإسراف في الزينة، أو إسراف في التمتع بالطيبات، أو باقتراف الفواحش والآثام والبغي على الناس، أو بالتوغل في خرافات الشرك والوثنية، أو بالكذب على الله بإرهاق الأمة بما لم يشرعه لها من الأحكام. فالأمم التي ترتكب هذه الضلالات والمفاسد يسلبها الله سعادتها، ويسلط عليها من يستذلها كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ وهاكم شاهد صدق على ما نقول، إن الأمم التي كان لها شأن يذكر في التاريخ كالرومان والفرس والعرب والترك وغيرهم، ممن سلب ملكهم كله أو بعضه، لم يكن لذلك من سبب سوى ما أسلفنا، وهذا الضرب من الأجل، وإن عرفت أسبابه لا يمكن أن يحد بالسنين والأعوام والليالي والأيام، ولكن الله يعلم تحديده بما أوجده من الأسباب التي تنتهي بمسبباتها، وبالمقدمات التي تترتب عليها نتائجها كما قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

الساعة لغة: أقل مدة من الزمن؛ أي: فإذا جاء الوقت الذي وقته الله لهلاكهم، وحلول العقاب بهم لا يتأخرون عنه بالبقاء في الدنيا أقل تأخر، كما أنهم لا يتقدمون أيضاً عن الوقت الذي جعله لهم وقتاً للفناء والهلاك. فإن قلت: لم أتى بالفاء هنا وفي سائر المواضع إلا في يونس فحذفها؟

قلت: لأن مدخولها في غير يونس جملة معطوفة على أخرى مصدرة بالواو، وبينهما اتصال وتعقيب، فحسن الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب بخلاف ما في يونس. انتهى من «الفتوحات».

وفي الآية إيماء إلى أن الأمة قد تملك طلب تأخير الهلاك قبل مجيئه؛ أي: قبل أن تغلبها على إرادتها أسباب الهلاك بأن تترك الفواحش والآثام والظلم والبغي، والإسراف المفسد للأخلاق، وخرافات الشرك المفسدة للعقول، وتترك البدع في التحريم والتحليل بما لم يخاطب به المولى بأن يقوم فيها جماعة من

المصلحين، فيرشدوها إلى تغير ما بأنفسها من الفساد، فيغير الله ما بها، وهذا من استئخار الهلاك، أو منعه عنها قبل مجيء أهلها.

وخلاصة معنى الآية: أن لكل أمة أجلاً لا يتأخرون عنه إذا جاء ولا يتقدمون عليه أيضاً، فيهلكوا قبل مجيئه، ونحو الآية قوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾؛ أي يا بني آدم إن يأتكم رسل من أبناء جنسكم من البشر ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾؛ أي: يتلون عليكم آياتي التي أنزلتها عليكم لبيان ما آمركم به من صالح الأعمال، وترك ما أنهاكم عنه من الشرك والرذائل وقبيح الأعمال ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ واجتنب منكم ما نهيته عنه ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ نفسه بفعل ما أوجبته عليه ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من عذاب الآخرة حين يخاف غيرهم ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ حين الجزاء على ما فاتهم في الدنيا، أما حزنهم على عقاب الآخرة فيرتفع بما حصل لهم من زوال الخوف.

وحكمة كون الرسول منهم[1]: أنه أقطع لعذرهم، وأظهر في الحجة عليهم إذ معرفتهم بأحواله تبين لهم أن المعجزات التي ظهرت على يديه إنما هي بقدرة الله لا بقدرته إلى ما في ذلك من حصول الألفة، فالجنس يألف بالجنس ويركن إليه، ومن ثم قال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾.

وقرأ أبيّ والأعرج[2]: ﴿إما تأتينكم﴾ - بالتاء على تأنيث الجماعة - و﴿يَقُصُّونَ﴾ محمول على المعنى إذ ذاك؛ إذ لو حمل على اللفظ لكان تقص.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المنزلة على أحد من رسلنا ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾؛ أي: امتنعوا عن اتباع من جاء بها حسداً له على الرياسة، وتفضيلاً لأنفسهم عليه، أو لقومهم على قومه فـ﴿أولئك﴾ المكذبون المستكبرون عنها ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ ملازمون لها ﴿هُمۡ فِيهَا﴾؛ أي: ماكثون فيها مكثاً لا نهاية له.

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

ومعنى الاستكبار عن قبول الآيات: رفضها كبراً وعناداً لمن جاء بها، كما حدث من رؤساء قريش حين استكبروا أن يكون محمد ﷺ إماماً لهم، إذ رأوا أنفسهم أحق بالرياسة منه؛ لأنهم أكثر منه مالاً وأعز نفراً.

والخلاصة: أن جميع الرسل قد بلغوا أممهم أن اتقاءهم لما يفسد فطرتهم من الشرك والمعاصي، وإصلاح أنفسهم بالطاعة يوجب الأمن وعدم الخوف مما يتوقع، وعدم الحزن على ما وقع منهم في الدار الأولى، وأن تكذيب ما جاؤوا به من الآيات والاستكبار عن اتباعها يترتب عليه المكث في نار جهنم خالدين فيها أبداً كفاء ما فعلوا من التمرد وعصيان أوامر الديان.

والاستفهام في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ إنكاري؛ أي: لا أحد أظلم وأقبح وأشنع ممن افترى واختلق على الله الكذب بأن أوجب على عباده من العبادات ما لم يوجبه، أو حرم عليهم من الدين ما لم يحرمه، أو عزا إلى دينه أحكاماً لم تنزل على رسله، أو بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ المنزلة عليهم سواء أكان بالقول، أو بما هو أدل منه كالاستهزاء بها، أو الاستكبار عن اتباعها، أو بتفضيل غيرها عليها.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ المفترون المكذبون بآيات الله ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ أي يصيبهم، ويوفى لهم نصيبهم وحظهم من الكتاب؛ أي: من الأعمار والأرزاق المكتوبة لهم في اللوح المحفوظ، فهم مع ظلمهم وافترائهم على الله لا يحرمون مما قدر لهم من الأرزاق إلى انقضاء آجالهم تفضلاً منه سبحانه وتعالى؛ لكي يصلحوا ويتوبوا، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾، وقوله: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾. و﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ غاية[1] لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له، وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام هنا الجملة الشرطية، وهي ﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾: أي: يوفى لهم نصيبهم من الأرزاق والأعمار المكتوبة لهم في اللوح

---

(١) النسفي.

المحفوظ مدةَ حياتهم، حتى إذا جاءتهم رسلنا ملك الموت وأعوانه حالة كون رسلنا ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾؛ أي: يقبضون أرواحهم؛ أي: يوفى لهم نصيبهم الذي كتب لهم مدة حياتهم حتى إذا ما انتهى بانتهاء آجالهم، وجاءتهم رسلنا يقبضون أرواحهم ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قالت رسلنا لأولئك المفترين المكذبين بآيات الله تعالى على سبيل التوبيخ والتقريع: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أين الشركاء والآلهة التي كنتم تعبدونهم في الدنيا من دون الله سبحانه وتعالى لقضاء الحاجات، ودفع المضرات، فادعوهم لينجوكم وينقذوكم مما أنتم فيه من الشدائد والعذاب ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قال المفترون للملائكة ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾؛ أي: غابت الآلهة عنا وذهبوا، لا ندري أين مكانهم؛ أي: غابوا عنا، فلا نرجوا منهم الآن جلب النفع، ولا دفع الضر ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: واعترفوا على أنفسهم بـ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ بدعائهم إياهم وعبادتهم لهم؛ إذ هم قد زعموا أنهم عنده تعالى كأعوان الأمراء والسلاطين، وحاش الله أن يتخذ الأعوان والمساعدين، فالله غني بعلمه المحيط وقدرته الكاملة عن أن يحتاج إلى الأعوان والمساعدين، فإنما يحتاج إليها من يجهل أمور الناس، ويعجز عن معرفة أحوالهم، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لاحتمال ذلك من طوائف، أو في أوقات مختلفة.

وخلاصة هذا: زجر الكافرين عما هم عليه من الكفر، وحملهم على النظر والتأمل في عواقب أمورهم، والتحذير من التقليد الذي سيرديهم في الهاوية.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه وتعالى يوم القيامة؛ أي: يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب، وجعلوا له شركاء بواسطة الملائكة ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾؛ أي: ادخلوا بين أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ ومضت وسبقت ﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: أمم تقدم زمانهم على زمانكم؛ أي: ادخلوا في النار فيما بين الأمم الكافرين الذين تقدم زمانهم زمانكم من هذين النوعين الجن والإنس.

وفي هذا إيماء إلى أنه تعالى، لا يسوق الكفار بأجمعهم إلى النار دفعة

واحدة، بل يدخلهم فوجاً فوجاً، فيكون منهم سابق ومسبوق، ويشاهد من الأمة في النار من سبقه ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾؛ أي: كلما دخلت جماعة منهم في النار، ورأت ما حل بالسابقة من الخزي والنكال ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ في الدين والملة؛ إذ هي قد ضلت باتباعها والاقتداء بها في كفرها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.

والخلاصة: فيلعن المشركون المشركين، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوس المجوس.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾؛ أي: حتى إذا تداركوا في النار وتلاحقوا فيها، واجتمع بعضهم بعضاً، واستقروا فيها ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾؛ أي: قالت أخرى كل أمة منزلة وهم الأتباع والسفلة ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾؛ أي: لأجل أولاهم منزلة، وهم القادة والرؤساء ﴿رَبَّنَا﴾ ويا مالك أمرنا ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ الرؤساء والقادة ﴿أَضَلُّونَا﴾ عن الحق باتباعنا لهم، وتقليدنا إياهم فيما كانوا عليه من أمر الدين وسائر أعمالنا ﴿فَـَٔاتِهِمْ﴾؛ أي: أعطهم ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾؛ أي: عذاباً مضاعفاً مزاداً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ مثلي عذابنا لإضلالهم إيانا فوق العذاب على ضلالهم في أنفسهم حتى يكون عذابهم ضعفي عذابنا ضعفاً للضلال، وضعفاً للإضلال؛ أي: عذبهم مثل عذابنا مرتين.

ومعنى قوله: ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾؛ أي: في شأنهم، ولأجل إضلالهم، وليس المراد أنهم ذكروا هذا القول لأولاهم؛ لأنهم ما خاطبوهم، بل خاطبوا الله سبحانه بهذا الكلام.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾؛ أي: يقول الله سبحانه وتعالى جواباً لأخراهم: لكل منهم ومنكم[1] ضعف؛ أي: عذاب مضاعف، فكل ألم يحصل له يعقبه ألم آخر إلى غير نهاية، فالآلام متزايدة من غير نهاية، أما القادة فلكفرهم وإضلالهم، وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم. ﴿وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ أيها السائلون ما لكل فريق

---

(١) المراح.

منكم من العذاب، أو المعنى: ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك.

وقيل معنى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾؛ أي: يقول الله تعالى للأتباع السائلين: لكل[1] من الرؤساء القادة ضعف من العذاب بإضلاله فوق عذابه على ضلاله، ولكن أيها الأتباع لا تعلمون عذابهم، فإن العذاب روحي ونفسي، والأول أنكى وأشد ألماً، فالرئيس العزيز في قومه إذا دخل السجن مع السفلة، وأوشاب الناس لا يكون ألمه كألمهم، وإن كان يشركهم فيما يأكلون ويشربون، وفي جميع ما يعملون؛ إذ يشعر بعذاب النفس وقهر الذل مما لا يشعر به الآخرون، وإن كانوا يظنون أن عقوبتهما واحدة في ألمها كما هي في صورتها، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وقرأ أبو عمرو[2]: ﴿اداركوا﴾ ـ بقطع ألف الوصل ـ قال أبو الفتح: هذا مشكل، ولا يسوغ أن يقطعها ارتجالاً، فذلك إنما يجيء شاذاً في ضرورة الشعر في الاسم أيضاً، لكنه وقف مثل وقفة المستنكر، ثم ابتدأ فقطع. وقرأ مجاهد بقطع الألف وسكون الدال وفتح الراء بمعنى أدرك بعضهم بعضاً. وقرأ حميد: ﴿أُدرِكوا﴾ ـ بضم الهمزة وكسر الراء ـ؛ أي: ادخلوا في أدراكها. وقرأ ابن مسعود والأعمش: ﴿تداركوا﴾ ورويت عن أبي عمرو وقال أبو البقاء، وقرىء: ﴿إذا ادّركوا﴾ ـ بألف واحدة ساكنة والدال بعدها مشددة ـ، وهو جمع بين ساكنين، وجاز في المنفصل كما جاز في المتصل.

وقرأ الجمهور: ﴿لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ـ بالتاء على الخطاب للسائلين ـ كما مر تفسيره آنفاً. وقرأ أبو بكر والمفضل عن عاصم بالياء في: ﴿لا يعلمون﴾؛ أي: لا يعلم كل فريق قدر ما أعد له من العذاب، أو قدر ما أعد للفريق الآخر من العذاب قال أبو حيان: وهذه الجملة رد على أولئك السائلين، وعدم إسعاف لما طلبوا.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ﴾ في الكفر، أو في الدخول يعني القادة مخاطبة ﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ يعني الأتباع حين سمعوا جواب الله تعالى لهم، إذا كان الأمر كما قلتم من أننا

---

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.

أضللناكم ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾؛ أي: أدنى فضل في الدنيا؛ أي: إنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب؛ لأنكم كفرتم اختياراً، لا أنا حملناكم على الكفر إجباراً، فلا يكون عذابنا ضعفاً ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أيتها الأخرى ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: بما كنتم تقولونه وتعملونه في الدنيا من الشرك والمعاصي، فلا يكون عذابكم دون عذابنا مع أن الذنب واحد، وقد اعترفتم بتلبسكم بالضلال المقتضي، فذوقوا بكسبكم له مهما يكن سببه.

وقد جاء في سورة الصافات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: كذبوا بدلائل توحيدنا، ولم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا﴾؛ أي: وتكبروا عن الإيمان بها، والتصديق لها، وأنفوا عن اتباعها، والانقياد لها، والعمل بمقتضاها تكبراً ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: لا تفتح لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء، ولا يصعد لهم إلى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل؛ لأن أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة، وإنما يصعد إلى الله سبحانه وتعالى الكلم الطيب، والعمل الصالح كما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما[١]: لا تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار، وتفتح لأرواح المؤمنين. وفي رواية عن ابن عباس أيضاً قال: لا يصعد لهم قول ولا عمل. وقال ابن جريج: لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم ولا لأرواحهم.

وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب[٢]: أن رسول الله ﷺ ذكر قبض

(١) الخازن.

(٢) الخازن.

روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء. قال: «فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ قال: فيقولون: فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾. وقيل في معنى الآية: لا تنزل عليهم البركة والخير؛ لأن ذلك لا ينزل إلا من السماء، فإذا لم تفتح لهم أبواب السماء، فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شيء.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: ولا يدخل هؤلاء المكذبون المستكبرون الجنة ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾؛ أي: حتى يدخل ذكر الإبل ﴿فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾؛ أي: في ثقب الإبرة، والجمل معروف؛ وهو الذكر من الإبل، وسم الخياط: ثقب الإبرة. قال الفراء: الخياط والمخيط ما يخاط به، والمراد به في هذه الآية: الإبرة، وإنما خص[1] الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات؛ لأنه أكبر من سائر الحيوانات جسماً عند العرب. قال الشاعر:

جِسْمُ ٱلْجِمَالِ وَأَحْلَامُ ٱلْعَصَافِيْرِ

وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل، فجسم الجمل من أعظم الأجسام، وثقب الإبرة من أضيق المنافذ، فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالاً، فكذلك دخول الكفار الجنة محال؛ لأن المعلق بالمحال محال؛ لأن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز، وهذا كقوله: لا آتيك حتى يَشِيبَ الغرابُ، ويَبْيَضَّ القَارُ. ومنه قول الشاعر:

إِذَا شَابَ ٱلْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِيْ وَصَارَ ٱلْقَارُ كَٱللَّبَنِ ٱلْحَلِيْبِ

وقال آخر:

مَنْ رَامَ ٱلْعِلْمَ بِلَا كَدٍّ سَيُدْرِكُهَا حِينَ شَابَ ٱلْغُرَابْ

---

(١) الخازن.

والمعنى: كما[1] يستحيل دخول الذكر من الإبل في خرق الإبرة يستحيل دخول الكفار الجنة، ويقال: حتى يدخل القلس الغليظ ـ وهو الحبل الذي تشد به السفينة ـ في خرق الإبرة.

وقرأ أبو عمرو: ﴿لا تُفْتَح﴾ ـ بتاء التأنيث والتخفيف ـ. وقرأ الكسائي وحمزة: ـ بالياء والتخفيف ـ. وقرأ باقي السبعة: بالتاء من فوق التشديد. وقرأ أبو حيوة وأبو البرهسم بالتاء من فوق مفتوحة والتشديد.

وقرأ ابن عباس[2] فيما روى عنه شهر بن حوشب ومجاهد وابن يعمر وأبو مجلز والشعبي ومالك بن الشخير وأبو رجاء وأبو رزين وابن محيصن وأبان عن عاصم: ﴿الجُمَّل﴾ ـ بضم الجيم وفتح الميم مشددة ـ وفسر بالقلس الغليظ؛ وهو حبل السفينة تجمع حبال وتفتل وتصير حبلاً واحداً. وقيل: هو الحبل الغليظ من القنب. وقيل: الحبل الذي يصعد به في النخل.

وقرأ ابن عباس في رواية مجاهد وابن جبير وقتادة وسالم الأفطس بضم الجيم وفتح الميم مخففة. وقرأ ابن عباس في رواية عطاء والضحاك والجحدري بضم الجيم والميم مخففة. وقرأ عكرمة وابن جبير في رواية بضم الجيم وسكون الميم. وقرأ المتوكل وأبو الجوزاء بفتح الجيم وسكون الميم. ومعناه في هذه القرآت كلها: القلس الغليظ؛ وهو حبل السفينة. وقراءة الجمهور: ﴿ٱلْجَمَلُ﴾ ـ بفتح الجيم والميم ـ أوقع لأن سم الإبرة يضرب بها المثل في الضيق، والجمل وهو هذا الحيوان المعروف يضرب به المثل في عظم الجثة كما ذكرناه سابقاً. وقرأ عبد الله بن مسعود[3]: ﴿حتى يلج الجمل الأصغر في سم الخياط﴾.

وقرأ عبد الله وقتادة وأبو رزين وابن مصرف وطلحة بضم سين[4]: ﴿سم﴾. وقرأ أبو عمران الحوفي وأبو نهيك والأصمعي عن نافع بكسر السين. وقرأ عبد الله وأبو رزين وأبو مجلز: ﴿المِخْيَط﴾ ـ بكسر الميم وسكون الخاء وفتح

---

(١) المراح.
(٢) البحر المحيط.
(٣) الشوكاني.
(٤) البحر المحيط.

الياء ـ. وقرأ طلحة بفتح الميم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: ونجزي كل من صار الإجرام والشرك وصفاً له جزاء مثل جزاء هؤلاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء، وعدم دخولهم الجنة، لا من أجرموا جرماً بثورة غضب، أو نزوة شهوة، ثم لا يلبثون أن يندموا على ما فرط منهم كما قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ وقال أيضاً: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

ولما بين الله سبحانه وتعالى أنَّ الكفار لا يدخلون الجنة أبداً.. بين أنهم من أهل النار، ووصف ما أعد لهم فيها، فقال ﴿لَهُم﴾: أي: لهؤلاء المكذبين المستكبرين ﴿مِّن﴾ نار ﴿جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾؛ أي: فرش من تحتهم ﴿و﴾ لهم ﴿من فوقهم﴾ منها ﴿غَوَاشٍ﴾؛ أي: لحف وأغطية تغطيهم، والمراد: أنها محيطة بهم مطبقة عليهم من كل جانب، فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف، وأصل المهاد المتمهد الذي يقعد عليه، ويضطجع عليه كالفراش والبساط، والغواش جمع غاشية، وهي الغطاء كاللحاف ونحوه. وقرىء: ﴿غواشٌ﴾ ـ بالرفع ـ كقراءة عبد الله: ﴿وله الجوارُ المنشآتُ﴾. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: ونجزي كل من صار الظلم لنفسه وللناس وصفاً لازماً له جزاء مثل جزاء المكذبين المستكبرين من كون جهنم مهاداً وغطاء لهم.

والآيتان تدلان على أن المجرمين والظالمين الراسخين في صفتي الإجرام والظلم هم الكافرون كما قال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والمؤمنون لا يكونون كذلك بحال.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: والذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بما جاءهم به من وحيه وتنزيله وشرائع دينه ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك واجتنبوا ما نهاهم عنه، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾؛ أي: ولا نكلف نفساً مكلفة إلا ما يسهل عليها من الأعمال، وما يدخل في قدرتها، ولا يضيق فيه عليها، كلام معترض بين المبتدأ والخبر، اعترض به لأنه من جنس ما قبله، فإنه بيان أن ذلك العمل غير خارج عن قدرتهم، وتنبيه على أن

الجنة مع عظم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل الصعب، والتقدير: والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ لا غيرهم ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: ماكثون فيها مكثاً مؤبداً لا يخرجون منها، ولا يسلبون نعيمها.

﴿وَنَزَعۡنَا﴾؛ أي: وقلعنا وأخرجنا، وأزلنا وصفينا ما في صدور المؤمنين ﴿مِّنۡ غِلٍّ﴾ وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا، فجعلناهم إخواناً على سرر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خص الله تعالى به بعضهم دون بعض. ومعنى نزع الغل: تصفية الطباع، وإسقاط الوساوس، ودفعها عن أن ترد على القلوب، والمراد خلقناهم في الجنة على هذه الحالة، وليس المراد أنهم دخلوا الجنة بما ذكر، ثم نزع منهم فيها، بل المراد أنهم دخلوها مطهرين منه. قاله أبو حيان.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقّوا أذن الله لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا». أخرجه البخاري.

وجملة قوله: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ حال[1] من ضمير ﴿صُدُورِهِم﴾، والعامل فيها معنى الإضافة؛ أي حالة كونهم تجري وتسيل من تحت أشجارهم وقصورهم أنهار الخمر والعسل واللبن والماء زيادة في لذتهم وسرورهم، فيرونها وهم في غرفات قصورهم تتدفق في جناتها وبساتينها، فيزدادون حبوراً وسروراً، لا تشوب صفاءهم شائبة كدر. قال أبو حيان: والظاهر أن جملة ﴿تَجۡرِي﴾ خبر مستأنف عن صفة حالهم.

---

(١) النسفي.

﴿وَ﴾ إذا دخلوا الجنة، واستقروا في منازلهم ﴿قالوا﴾ شاكرين لله بألسنتهم معبرين عن غبطتهم وبهجتهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾: ؛ أي: وفقنا وأرشدنا في الدنيا للعمل الذي هذا ثوابه، وتفضل علينا به رحمة منه وإحساناً إلينا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ ونرشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه ﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى إليه؛ أي: لولا أنه سبحانه وتعالى أرشدنا إليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه؛ أي: وما كان من شأننا ولا مقتضى فكرنا أن نهتدي إليه بأنفسنا لولا أن هدانا الله إليه بتوفيقه إيانا لاتباع رسله ومعونته لنا عليه، ورحمته الخاصة بنا إلى هدايته التي فطرنا عليها، وهداية ما خلق لنا من المشاعر والعقل. وفي الآية دليل على أن المهتدي من هداه الله، ومن لم يهده الله.. فليس بمهتد.

وقرأ ابن عامر[1]: ﴿ما كنا﴾ بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل الشام، وذلك لأنه جار مجرى التفسير لقوله: ﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾ فلما كان أحدهما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف.

وقالوا أيضاً حين رأوا ما وعدهم به الرسل عياناً تبجحاً بما نالوه: والله ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ في الدنيا ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب صدق، فقد حصل لنا عياناً، وهذا مصداق ما وعدنا به في الدنيا على التوحيد وصالح العمل ﴿وَنُودُوا﴾؛ أي: نادتهم الملائكة عند رؤيتهم الجنة من مكان بعيد ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾؛ أي: تلك الدار التي ترى لكم من بعد هي الجنة التي وعدتكم الرسل بها في الدنيا، فـ﴿أنْ﴾ مفسرة لما في النداء، وكذا في سائر المواضع الخمسة الآتية. وجملة قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾؛ أي: أعطيتموها حال من الجنة، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة؛ أي: حالة كونها موروثة معطاة لكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي: بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا، فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمة الله تعالى، فإذا دخلوها بأعمالهم.. فقد ورثوها برحمته، ودخلوها برحمته؛ إذ أعمالهم رحمة منه لهم، وتفضل منه عليهم.

---

(١) البحر المحيط والمراح.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال[1]: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة». زاد في: «رواية فذلك قوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾».

وأخرج ابن جرير عن السدي قال[2]: ليس من مؤمن ولا كافر إلا وله في الجنة والنار منزل مبين، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ودخلوا منازلهم رفعت الجنة لأهل النار، فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال: يا أهل الجنة، أورثتموها بما كنتم تعملون، فيقتسم أهل الجنة منازلهم.

وفي الآية[3]: دلالة واضحة على أن الجنة تنال بالعمل، وفي معناها آيات وأحاديث كثيرة. أما حديث أبي هريرة الذي رواه الشيخان: «لن يدخل أحداً عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته» فيراد منه أن عمل الإنسان مهما كان عظيماً.. فلا يستحق به الجنة لذاته لولا رحمة الله وفضله حين جعل هذا الجزاء العظيم على ذلك العمل القليل، فدخول الجنة بالعمل دخول بفضل الله ورحمته، ومن ثم قال بعده: «فسددوا وقاربوا»؛ أي: لا تبالغوا ولا تغلوا في دينكم، ولا تتكلفوا من العمل ما لا طاقة لكم به.

وأدغم النحويان[4] ـ أبو عمرو والكسائي ـ وحمزة وهشام الثاء المثلثة في التاء الفوقية في قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ وأظهرها باقي السبعة.

الإعراب

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

(٤) البحر المحيط.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: منادى مضاف منصوب بالياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وجملة النداء مستأنفة. ﴿خُذُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿زِينَتَكُمۡ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿خُذُواْ﴾، والكلام على[1] حذف مضاف تقديره: عند قصد كل مسجد. ﴿وَكُلُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿خُذُواْ﴾. وكذلك قوله: ﴿وَٱشۡرَبُواْ﴾ معطوف عليه. ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة ﴿خُذُواْ﴾. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة لتعليل النهي المذكور قبلها.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾.

﴿قُلۡ﴾ فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلۡ﴾ مقول محكي لـ﴿قل﴾، وإن شئت قلت: ﴿مَنۡ﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل الرفع مبتدأ. ﴿حَرَّمَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنۡ﴾. ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول القول. ﴿ٱلَّتِيٓ﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ﴿زِينَةَ﴾. ﴿أَخۡرَجَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَخۡرَجَ﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: أخرجها لعباده. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: معطوف على ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾. ﴿مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾: جار ومجرور حال من ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مقول محكي لـ﴿قل﴾، وإن شئت قلت: ﴿هِيَ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول

(١) العكبري.

القول. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾. ﴿خَالِصَةً﴾ بالنصب: حال من الضمير المستكن في الخبر المحذوف؛ أي: هي كائنة لهم في الدنيا حالة كونها خالصة يوم القيامة، وبالرفع: خبر ثان لـ﴿هِيَ﴾. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَالِصَةً﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة، والتقدير: نفصل الآيات تفصيلاً مثل ذلك التفصيل السابق. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُفَصِّلُ﴾، وجملة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ صفة لـ﴿قوم﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر بمعنى ما النافية، وإلا المثبتة. ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ﴾: فعل وفاعل. ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة في محل النصب بدل من ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ بدل تفصيل من مجمل. ﴿ظَهَرَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿ظَهَرَ﴾. ﴿وَمَا﴾: معطوف على ﴿مَا﴾ الأولى. ﴿بَطَنَ﴾: صلته. ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ عطف عام على خاص. ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾: معطوف على ﴿الإثم﴾ عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء به، وكذلك ما بعده. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿البغي﴾. ﴿وَأَن تُشْرِكُوا﴾: فعل وفاعل وناصب. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على ﴿الإثم﴾ عطف خاص على عام تقديره: وإشراككم بالله. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة. ﴿لَمْ يُنَزِّلْ﴾: فعل وجازم، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يُنَزِّلْ﴾. ﴿سُلْطَٰنًا﴾: مفعول به لـ﴿يُنَزِّلْ﴾، والجملة الفعلية صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط ضمير

﴿به﴾. ﴿وَأَن تَقُولُوا﴾: فعل وفاعل وناصب. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق به، والجملة صلة ﴿أن﴾ المصدرية، ﴿أن﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على ﴿الإثم﴾ عطف خاص على عام تقديره: وقولكم على الله. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿به﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما لا تعلمونه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿أَجَلٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، أو فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت لكل أمة أجلاً، وأردت بيان كيفية ذلك الأجل.. فأقول لك: ﴿إذا جاء أجلهم﴾ ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: فعل وفاعل والجملة في محل جر مضاف إليه لجواب ﴿إذا﴾، على كونها فعل شرط لها والظرف متعلق بالجواب الآتي ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ فعل وفاعل والجملة جواب ﴿إذا﴾ ولم يؤت هنا بالفاء الرابطة للجواب مع اقترانه بلا النافية؛ لأن المضارع المنفي بلا إذا وقع جواباً لإذا في الظاهر.. جاز أن يتلقى بالفاء، وأن لا يتلقى بها. قال الشيخ: وينبغي أن يعتقد أن بين الفاء والفعل بعدها اسماً مبتدأ، فتصير الجملة اسمية، ومتى كانت كذلك.. وجب أن تتلقى بالفاء أو إذا الفجائية ذكره في «الفتوحات». ﴿سَاعَةً﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾. ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾: على كونها جواباً لـ﴿إذا﴾، وجملة ﴿إذا﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء مستأنفة. ﴿إِمَّا﴾ ﴿إنْ﴾: حرف شرط جازم مبني بسكون على النون المدغمة في ميم ﴿ما﴾ الزائدة، ﴿ما﴾:

زائدة. ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ﴿يأتين﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد الثقيلة: حرفٌ لا محل له من الإعراب، و﴿الكاف﴾: ضمير المخاطبين في محل النصب مفعول به. ﴿رُسُلٌ﴾: فاعل. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور صفة أولى لـ﴿رُسُلٌ﴾. ﴿يَقُصُّونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به. ﴿ءَايَٰتِى﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿رُسُلٌ﴾. ﴿فَمَنِ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب جملة اسمية. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب أو الشرط أو هما، أو ﴿من﴾ موصولة في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ...﴾ إلخ. ﴿ٱتَّقَىٰ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿وَأَصْلَحَ﴾: معطوف على ﴿ٱتَّقَىٰ﴾. ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية، ﴿لا﴾: نافية تعمل عمل ليس. ﴿خَوْفٌ﴾: اسمها مرفوع. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لا﴾، وفيه مراعاة لمعنى ﴿من﴾ بعد مراعاة لفظها في ﴿ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾، وجملة ﴿لا﴾ في محل الجزم جواب ﴿من﴾ الشرطية، أو خبر ﴿من﴾ الموصولة، وعلى هذا الوجه، فجملة ﴿ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾ صلة ﴿من﴾ الموصولة، وجملة ﴿من﴾ الشرطية من فعل شرطها وجوابها في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، أو جملة ﴿من﴾ الموصولة من المبتدأ والخبر جواب ﴿إن﴾ الشرطية، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية من فعل شرطها وجوابها جواب النداء لا محل لها من الإعراب. ﴿وَلَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: نافية تعمل عمل ليس. ﴿هُمْ﴾: في محل الرفع اسمها، وجملة ﴿يَحْزَنُونَ﴾: في محل النصب خبر ﴿لا﴾، وجملة ﴿لا﴾ من اسمها وخبرها في محل الجزم معطوف على جملة ﴿لا﴾ الأولى.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ أول. ﴿كَذَّبُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَّبُوا۟﴾. ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كَذَّبُوا۟﴾. ﴿عَنْهَآ﴾: متعلق بـ﴿استكبروا﴾. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ

ثان. ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾: خبر للمبتدأ الثاني ومضاف إليه، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره في محل الجزم معطوفة على جملة قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ على كونها جواب ﴿إن﴾ الشرطية، وإيراد الاتقاء في الجواب الأول للإيذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب، بل هو الاتقاء والاجتناب، وإدخال الفاء في الجزاء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد، والمسامحة في الوعيد. اهـ «كرخي». ﴿هُمۡ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدُونَ﴾. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾.

﴿فَمَنۡ﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿من﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَظۡلَمُ﴾: خبره، والجملة مستأنفة. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَظۡلَمُ﴾. ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به. ﴿أَوۡ﴾ حرف عطف. ﴿كَذَّبَ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ على كونها صلة لـ﴿من﴾ الموصولة. ﴿بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يَنَالُهُمۡ﴾ فعل ومفعول. ﴿نَصِيبُهُم﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾: جار ومجرور حال من قوله: ﴿نَصِيبُهُم﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: غائية لكونها غاية لما قبلها، ابتدائية لدخولها على الجملة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾: فعل ومفعول. ﴿رُسُلُنَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة في محل الخفض فعل شرط لـ﴿إِذَا﴾، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب حال

من ﴿رُسُلُنَا﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ مستأنفة من حيث اللفظ، وغاية لما قبلها من حيث المعنى. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالُوٓاْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام للاستفهام الاستخباري في محل الرفع خبر مقدم. ﴿مَا﴾: موصولة في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل النصب مقول القول. ﴿كُنتُمْ﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من الضمير المحذوف في ﴿تَدْعُونَ﴾، أو متعلق به، وجملة ﴿تَدْعُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: أين الآلهة التي كنتم تدعونهم من دون الله.

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ضَلُّواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَنَّا﴾: متعلق به، والجملة مقول لـ﴿قَالُواْ﴾. ﴿وَشَهِدُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالُواْ﴾. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿شهدوا﴾. ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿شهدوا﴾ تقديره: وشهدوا على أنفسهم كونهم كافرين.

﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾: إلى قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱدْخُلُواْ﴾: فعل وفاعل، ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿أُمَمٍ﴾، والجملة في محل الجر صفة أولى لـ﴿أُمَمٍ﴾ ﴿مِن قَبْلِكُم﴾ جار ومجرور ومضاف إليه صفة ثانية لـ﴿أُمَمٍ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ جار ومجرور، صفة ثالثة لـ﴿أُمَمٍ﴾. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱدْخُلُواْ﴾، واعترض بأنه: كيف يتعلق حرفا جر

متحدا اللفظ والمعنى بعامل واحد؟ فأجيب عنه بأحد جوابين: **إما** بأن في الأولى ليست للظرفية، بل للمعية كأنه قيل: ادخلوا مصاحبين لأمم في الدخول، **وإما** بأن قوله ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: بدل من قوله: ﴿فِيٓ أُمَمٍ﴾ بدل اشتمال، فتكون الظرفية الأولى مجازاً؛ لأن الأمم ليسوا ظروفاً لهم حقيقة، وإنما المعنى: ادخلوا في جملة أمم. كذا في «الفتوحات».

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿كُلَّمَا﴾: اسم شرط غير جازم في محل النصب على الظرفية، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿كُلَّمَا﴾ لا محل لها من الإعراب، أو في محل الجر مضاف إليه لـ﴿كُلَّمَا﴾. ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿أُمَّةٌ﴾، والجملة جواب ﴿كُلَّمَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿كُلَّمَا﴾ مستأنفة. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غائية ابتدائية. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِيهَا﴾: متعلق به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من واو ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾، والجملة في محل الخفض فعل شرط لـ﴿إِذَا﴾، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَتْ﴾، واللام فيه للتعليل؛ أي: لأجلهم، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ مستأنفة، ولكنها غاية لما قبلها في المعنى. ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَتْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَا﴾ منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول القول. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ. ﴿أَضَلُّونَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول القول على كونها جواب النداء. ﴿فَـَٔاتِهِمْ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، لكون ما قبلها علة لما بعدها، ﴿آتهم عذاباً﴾: فعل ومفعولان؛ لأنه بمعنى أعطهم، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع معطوفة على جملة: ﴿أَضَلُّونَا﴾ على كونها خبر المبتدأ. ﴿ضِعْفًا﴾: صفة أولى لـ﴿عَذَابًا﴾؛ لأنه بمعنى مضاعف. ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: صفة ثانية لـ﴿عَذَابًا﴾.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعۡفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿لِكُلٍّ ضِعۡفٌ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لِكُلٍّ﴾ خبر مقدم. ﴿ضِعۡفٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَٰكِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك. ﴿لَّا تَعۡلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿لِكُلٍّ ضِعۡفٌ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ۝٣٩﴾.

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿قالت أخراهم﴾، وما بينهما اعتراض. ﴿لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾: متعلق بـ﴿قالت﴾. ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قال لكم الرب جل جلاله، وأردتم بيان حالنا وحالكم.. فأقول لكم. ﴿ما كان لكم﴾: ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾. ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلق بـ﴿فَضۡلٖ﴾. ﴿مِن﴾: زائدة. ﴿فَضۡلٖ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، والتقدير: فما كان من فضل علينا كائناً لكم، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قالت﴾. ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، و﴿الفاء﴾ حرف عطف وتفريع، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾. ﴿بِمَا﴾ ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: موصولة في محل الجر بالباء. ﴿كُنتُمۡ﴾ فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَكۡسِبُونَ﴾ خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: بالذي كنتم تكسبونه، أو بكسبكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿ذوقوا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمها. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل وفاعل صلة

الموصول. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَّبُواْ﴾. ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كَذَّبُواْ﴾. ﴿عَنۡهَا﴾: متعلق بـ﴿استكبروا﴾. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿تُفَتَّحُ﴾: فعل مضارع مغيَّر الصيغة. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلق به. ﴿أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾: نائب فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، ولكنها خبر سببي، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾. ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلق بـ﴿يَدۡخُلُونَ﴾. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾: بمعنى إلى. ﴿فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَلِجَ﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى تقديره: إلى ولوج الجملة في سم الخياط، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَدۡخُلُونَ﴾. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة، والتقدير: ونجزي المجرمين جزاء مثل جزاء المكذبين المستكبرين من عدم فتح أبواب السماء لهم، وعدم دخول الجنة إلى ولوج الجمل في سم الخياط.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿لَهُم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِّن جَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوي، الجار والمجرور حال من ﴿مِهَادٞ﴾؛ لأنه صفة نكرة تقدمت عليها. ﴿مِهَادٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل النصب حال من واو ﴿يَدۡخُلُونَ﴾. ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿غَوَاشٖۚ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة؛ للتخلص من التقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل؛ لأنه اسم منقوص، وسيأتي البحث عنه في مبحث الصرف إن

شاء الله تعالى، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾.
﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والتقدير: ونجزي الظالمين جزاء مثل جزاء الذين كذبوا واستكبروا، والجملة مستأنفة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نُكَلِّفُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: منصوب على الاستثناء، والجملة الفعلية معترضة بين المبتدأ والخبر الآتي، أو هي خبر أول له مع تقدير الرابط تقدر: لا نكلف نفساً منهم إلا وسعها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: خبر للمبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر للأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره جملة كبرى في ضمنها جملة صغرى مستأنفة. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدُونَ﴾. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب حال من ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿نَزَعْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به. ﴿فِى صُدُورِهِم﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَا﴾. ﴿تَجْرِى﴾: فعل مضارع. ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية حال من ضمير ﴿صُدُورِهِم﴾. ﴿وَقَالُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿نزعنا﴾. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ونودي﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول

القول. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة. ﴿هَدَىٰنَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿لِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿هدىٰنا﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: واو الحال، أو استئنافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿لِنَهْتَدِىَ﴾: ﴿اللام﴾: لام الجحود، ﴿نهتدي﴾: منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كان﴾ تقديره: وما كنا مريدين للهداية لولا أن هدانا، وجملة ﴿كان﴾: مستأنفة، أو في محل النصب حال من ضمير المفعول في ﴿هَدَىٰنَا﴾، والتقدير: الحمد لله الذي هدانا لهذا حالة كوننا عادمين الهداية لولا هدايته إيانا. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿أَنْ﴾: مصدرية. ﴿هَدَىٰنَا﴾: فعل ومفعول في محل النصب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية، ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل، والجملة الفعلية صلة ﴿أَنْ﴾ المصدرية، ﴿أَنْ﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف وجوباً تقديره: لولا هدايته إيانا موجودة، وجواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوف دل عليها ما قبلها تقديره: لولا هدايته موجودة ما كنا لنهتدي، وجملة ﴿لَوْلَآ﴾ في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾.

﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جاءت﴾، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف تقديره: نقسم والله، وجملة القسم مع جوابه في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾. ﴿وَنُودُوٓا۟﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، أو استئنافية. ﴿نودوا﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿قالوا﴾، أو مستأنفة. ﴿أَنْ﴾: مفسرة بمعنى: أي. ﴿تِلْكُمُ﴾ مبتدأ. ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: خبر، والجملة مفسرة لجملة ﴿نودوا﴾ لا محل لها من الإعراب، أو ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿تِلْكُمُ﴾، مبتدأ. ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: خبره، والجملة في محل الرفع خبر ﴿أَنْ﴾ المخففة، وجملة ﴿أَنْ﴾ المخففة في محل النصب مفعول ثان لـ﴿نودوا﴾. ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾: فعل ونائب فاعل، ﴿الهاء﴾ في محل النصب مفعول ثان

لأورثتموا، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾، والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة، والتقدير: حالة كونها موروثة لكم، ولا يجوز أن يكون حالاً من ﴿تلك﴾ لوجهين:

أحدهما: أنه فصل بينهما بالخبر.

والثاني: أن تلك مبتدأ، والابتداء لا يعمل في الحال، ويجوز أن تكون ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ نعتاً لِـ﴿تِلْكُمُ﴾، أو بدلا، و﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ الخبر، ولا يجوز أن تكون الجملة حالاً من الكاف والميم؛ لأن الكاف حرف للخطاب، وصاحب الحال لا يكون حرفاً، ولأن الحال تكون بعد تمام الكلام، والكلام لا يتم بتلكم. ذكره أبو البقاء. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أورث﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوفا تقديره: تعملونه.

التصريف ومفردات اللغة

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ والزينة[1]: فعلة من التزين، وهو اسم لما يتجمل به من ثياب وغيرها كقوله: ﴿وازَّينت﴾؛ أي: بالنبات، والزينة هنا المأمور بأخذها هو ما يستر العورة في الصلاة. قاله مجاهد والسدي والزجاج.

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ قال الكلبي: معناه كلوا من اللحم والدسم، واشربوا من الألبان، وكانوا يحرمون جميع ذلك في الإحرام. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ قال ابن عباس: الإسراف: الخروج عن حد الاستواء.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الفواحش[2]: جمع فاحشة؛ وهي الخصلة التي يقبح فعلها لدى أرباب الفطر السليمة، والعقول الراجحة، ويطلقونها أحياناً على الزنا، والبخل، والقذف بالفحشاء، والبذاء المتناهي في القبح.

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ الإثم لغة: القبيح الضار؛ وهو شامل لجميع المعاصي كبائرها كالفواحش، وصغائرها كالنظر بشهوة لغير الحليلة. وقال[1] الفضل: الإثم: الخمر وأنشد:

نَهَانَا رَسُوْلُ ٱللَّهِ أَنْ نَقْرَبَ ٱلْخَنَا وَأَنْ نَشْرَبَ ٱلإِثْمَ ٱلَّذِيْ يُوْجِبُ ٱلْوِزْرَا

وأنشد الأصمعي أيضاً:

وَرُحْتُ حَزِيْنَاً ذَاهِلَ ٱلْعَقْلِ بَعْدَهُمْ كَأَنِّيْ شَرِبْتُ ٱلإِثْمَ أَو مَسَّنِيْ خَبْلُ

قال: وقد تسمى الخمر إثماً، وأنشد:

شَرِبْتُ ٱلإِثْمَ حَتَّىٰ زَالَ عَقْلِيْ

﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ والبغي: تجاوز الحد، وقد يقال: بغى الجرح إذا تجاوز الحد في الفساد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ﴾؛ أي: مدة[2] العمر من أولها إلى آخرها.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾؛ أي: آخر هذه المدة، فلذلك أظهر لاختلاف معنى الأجل في الموضعين، فالأجل يطلق على جميع مدة العمر بتمامها، وعلى الجزء الأخير منها. وفي «المصباح»: أجل الشيء مدته ووقته الذي يحل فيه، وهو مصدر أجل الشيء أجلاً ـ من باب تعب ـ وأجل أجولاً ـ من باب قعد لغة ـ وأجلته تأجيلاً جعلت له أجلاً، والآجال جمع أجل مثل سبب وأسباب. والأمة: قال ابن عطية: الفرقة والجماعة من الناس؛ وهي لفظة تستعمل في الكثير من الناس. وقال غيره: والأمة الجماعة قلوا أو كثروا، وقد يطلق على الواحد كقوله في قس بن ساعدة: يبعث يوم القيامة أمة وحده، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾. ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾ المراد بهم الجماعات والأحزاب وأهل الملل.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ أصله: تداركوا بوزن تفاعلوا، فأدغمت التاء في الدال بعد قلبها دالا وتسكينها، ثم اجتلبت همزة الوصل، فصار اداركوا، وهذه[3] المسألة نصوا على نظيرتها، وهي أن تاء الافتعال إذا أبدلت إلى حرف

---

(١) البحر المحيط. (٢) الفتوحات. (٣) الفتوحات.

مجانس لما بعدها ـ كما تبدل طاء أو دالاً في نحو: اصطبر، واضطرب، وازدجر ـ إذا وزن ما هي فيه قالوا: نلفظ في الوزن بأصل تاء الافتعال، ولا نلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال، فنقول: وزن اصطبر افتعل لا افطعل، ووزن ازدجر افتعل لا افدعل، فكذلك نقول هنا: وزن اداركوا تفاعلوا لا افّاعلوا، فلا فرق بين تاء الافتعال، وتاء التفاعل في ذلك.

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ وأخراهم وأولاهم يحتمل أن يكون فُعْلىَ أنثى أفعل الذي للمفاضلة، والمعنى على هذا كما قال الزمخشري: أخراهم منزلة؛ وهم الأتباع والسفلة لأولاهم منزلة؛ وهم القادة والسادة والرؤساء، ويحتمل أن تكون أخرى بمعنى آخرة تأنيث آخر مقابل أول، لا تأنيث آخر الذي للمفاضلة كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والفرق بين أخرى بمعنى آخرة، وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل التفضيل أن التي للتفضيل لا تدل على الانتهاء كما لا يدل عليه مذكرها، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد تقول: مررت بامرأة وأخرى وأخرى، كما تقول: مررت برجل وآخر وآخر، وهذه تدل على الانتهاء كما يدل عليه مذكرها، ولذلك لا يعطف أمثالها عليها، ولأن الأولى تفيد إفادة غير، وهذه لا تفيد إفادة غير، والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل، بل لما ذكرت لك. اهـ «سمين».

﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ والمراد بالضعف هنا[1]: تضعيف الشيء وزيادته إلى ما لا يتناهى، لا الضعف بمعنى مثل الشيء مرة واحدة. اهـ. «كرخي». وفي «السمين»: قوله: ﴿ضِعْفًا﴾ قال أبو عبيدة: الضعف: مثل الشيء مرة واحدة. وقال الأزهري: ما قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاري كلامهم، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد، ولا يقتصر به على مثلين، بل تقول: هذا ضعفه؛ أي: مثلاه وثلاثة أمثاله؛ لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ لم يرد به مثلاً ولا مثلين، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ

---

(١) الفتوحات.

﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ فأقل الضعف محصور وهو المثل، وأكثره غير محصور اهـ.

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ وفي «السمين»: والولوج: الدخول بشدة، ولذلك يقال: هو الدخول في ضيق، فهو أخص من مطلق الدخول، والوليجة: كل ما يعتمده الإنسان، والوليجة: الداخل في قوم ليس هو منهم. وفي «المصباح»: ولج الشيء في غيره يلج ـ من باب وعد ـ ولوجاً إذا دخل، وأولجته إيلاجاً: أدخلته. اهـ. والجمل: الذكر من الإبل قيل: لا يقال له ذلك إلا إذا بلغ أربع سنين، وأول ما يخرج ولد الناقة حوار إلى الفطام، وبعده فصيل إلى سنة، وفي الثانية ابن مخاض وبنت مخاض، وفي الثالثة ابن لبون وبنت لبون، وفي الرابعة حق وحقة، وفي الخامسة جذع وجذعة، وفي السادسة ثني وثنية، وفي السابعة رباع ورباعية مخففة، وفي الثامنة سديس لهما، وقيل: سديسة للأنثى، وفي التاسعة بازل وبازلة، وفي العاشر خلف وخلفة، وليس بعد البزول والأخلاف سن بل يقال: بازل عام أو عامين، وخلف عام وعامين حتى يهرم، فيقال: له عود.

﴿سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ وفي «المصباح»: السم: ما يقتل بالفتح في الأكثر، وجمعه سموم ـ مثل فلس وفلوس ـ وسمام أيضاً مثل: سهم وسهما، والضم لغة لأهل العالية، والكسر لغة لبني تميم، والسم ثقب لإبرة، وفيه اللغات الثلاث، وجمعه سمام كسهام. وفي «السمين»: وسم الخياط: ثقب الإبرة، وهو الخرق وسينه مثلثة، وكل ثقب ضيق فهو سم، وقيل: كل ثقب في البدن، وقيل: كل ثقب في أنف أو أذن فهو سم، وجمعه سموم، والسم القاتل سمي بذلك للطفه، وتأثيره في مسام البدن حتى يصل إلى القلب، وهو في الأصل مصدر، ثم أريد به معنى الفاعل؛ لدخوله باطن والبدن، وقد سمه إذا أدخله فيه، ومنه السامة للخاصة الذين يدخلون في باطن الأمور ومسامها، ولذلك يقال لهم: الدخال، والسموم: الريح الحارة؛ لأنها تؤثر تأثير السم القاتل. والخياط والمخيط: الآلة التي يخاط بها فعال ومفعل كإزار ومئزر، ولحاف وملحف، وقناع ومقنع. اهـ.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾؛ أي: فراش ﴿وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ﴾: جمع غاشية أصله: غواشي بتنوين الصرف، فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فاجتمع ساكنان الياء والتنوين، فحذفت الياء، ثم لوحظ كونه على صيغة مفاعل في

الأصل، فحذف تنوين الصرف، فخيف من رجوع الياء فيحصل الثقل، فأتي بالتنوين عوضاً عنها، فغواش المنون ممنوع من الصرف؛ لأن تنوينه تنوين عوض كما علمت، وتنوين الصرف قد حذف، وهذا بناء على أن الإعلال؛ أي: التغيير والتصرف بالحذف مقدم على منع الصرف؛ أي: حذف التنوين، وإنما كان الراجح تقديم الإعلال؛ لأن سببه ظاهر؛ وهو الثقل، وسبب منع الصرف خفي؛ وهو مشابهة الفعل.

وفي «السمين»: وللنحاة في الجمع الذي على مفاعل إذا كان منقوصاً بقياس خلاف: هل هو منصرف أو غير منصرف؟ فبعضهم قال: هو منصرف؛ لأنه قد زالت منه صيغة منتهى الجموع، فصار وزنه وزن جناح، وقد زال فانصرف. وقال الجمهور: هو ممنوع من الصرف، والتنوين تنوين عوض، واختلف في المعوض عنه ماذا؟ فالجمهور: على أنه عوض من الياء المحذوفة. وذهب المبرد: إلى أنه عوض من حركتها، والكسر ليس كسر إعراب، وهكذا جوار وموال، وبعض العرب يعرب غواش ونحوه بالحركات على الحرف الذي قبل الياء المحذوفة، فيقول: هؤلاء جوار، وقرىء: ﴿ومن فوقهم غواشٌ﴾ - برفع الشين - كما مر.

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ والغِل: - بالكسر - الغش والحق أيضاً، وقد غل صدره يغل - بالكسر - غلاً إذا كان ذا غش أو ضغن أو حقد. اهـ من «المختار» ويجمع على غلال.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التكرار في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لأن المراد بالمسجد الصلاة والطواف علاقته المحلية، ولما كان المسجد محل الصلاة والطواف أطلق عليهما ذلك.

ومنها: الجناس المغاير بين ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ وبين ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

ومنها: الطباق بين ظهر وبطن في قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ وبين أولاهم وأخراهم، في قوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ وبين مهاد وغواش، في قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

ومنها: الظرفية المجازية في قوله: ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾؛ أي: ادخلوا حال كونكم في أمم.

ومنها: عطف العام على الخاص في قوله: ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾؛ لأنه معطوف على ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، فيشمل الفواحش وغيرها.

ومنها: عطف الخاص على العام؛ لمزيد الاعتناء به في الثلاثة المذكورة بعد ﴿الإثم﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿سُلْطَٰنًا﴾ استعاره للحجة؛ لأن لها تسلطاً على القلب.

ومنها: التفصيل بعد الإجمال في قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ . . وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

ومنها: الاعتراض في قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ اعترض به بين المبتدأ والخبر.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه كناية عن عدم قبول عملهم ودعائهم.

ومنها: تعليق الممكن بالمستحيل إفادة لاستحالته في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ فاستفيد منه أن دخول الكافر الجنة مستحيل.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ لأن المراد ما في قلوبهم علاقته المحلية.

ومنها: الإتيان باسم الإشارة البعيدة في قوله: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ إشارة إلى عظم رتبتها ومكانتها على حد قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ قال أبو حيان: هذا استعارة لما يحيط بهم من النار.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

❋ ❋ ❋

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ
رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ (٤٥) وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ
وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ (٤٦) ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ
قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ (٤٨) أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ
بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ
ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
(٥٠) ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا
نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ (٥١) وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ
عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥٢) هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ
ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (٥٣) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ
حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
(٥٤) ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ
ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ
مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ
(٥٧) وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ (٥٨)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما

قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[1] وعيد الكفار وثواب أهل الإيمان.. أردف ذلك ببيان بعض ما يكون بين الفريقين، فريق أهل الجنة وفريق أهل النار من المناظرة والحوار بعد استقرار كل منهما في داره.

وفيها دليل على أن الدارين في أرض واحدة يفصل بينهما سور لا يمنع إشراف أهل الجنة، وهم في أعلى عليين على أهل النار؛ وهم في هاوية الجحيم، وأن بعضهم يخاطب بعضاً بما يزيد أهل الجنة عرفاناً بقيمة النعمة، ويزيد أهل النار حسرة وشقاء على ما كان من التفريط في جنب الله تعالى.

وهذا التخاطب لا يقتضي قرب المكان على ما هو معهود في الدنيا، فعالم الآخرة عالم تغلب فيه الروحانية على ظلمة الكثافة الجسدية، فيمكن الإنسان أن يسمع من بعيد المسافات، ويرى من أقاصي الجهات. وإن ما جد الآن من المخترعات والآلات التي يتخاطب بها الناس من شاسع البلاد، وتفصل بينهما ألوف الأميال، إما بالإشارات الكتابية كالبرق ـ التلغراف اللاسلكي والسلكي ـ وإما بالكلام اللساني كالمسرة التليفون اللاسلكي والسلكي، ليقرب هذا أتم التقريب، ويزيدنا فهماً له. وقد تم لهم الآن أن يروا صورة المتكلم بالتليفون مطبوعة على الآلة التي بها الكلام، وأن ينقلوا الصور من أقصى البلدان إلى أقصاها بهذه الآلة التلفاز.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر[2] مقال أهل الجنة لأهل النار، ومقال أصحاب الأعراف لأهل النار.. أردف ذلك بما قال أهل النار لأهل الجنة، وطلبهم منهم بعض ما عندهم من نعم الله عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ ...﴾ الآية، مناسبة هذه

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أحوال أهل الجنة، وأهل النار، وأهل الأعراف، وذكر الحوار الذي كان بين هذه الفرق الثلاثة على وجه يحمل الناظر فيها على الحذر والاحتراس، والتأمل في العواقب لعله يرعوي عن غيه، ويهتدي إلى سبيل رشده.. عقب ذلك بذكر حال الكتاب الكريم، وعظيم فضله، وجليل منفعته، وأنه حجة الله على البشر كافة، وأنه أزاح به علل الكفار، وأبطل معاذيرهم، ثم يذكر حال المكذبين، وما يكون منهم يوم القيامة من الندم والحسرة، وتمني العودة إلى الدنيا لإصلاح أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ الآيات، علمت مما سلف من قبل أن الأسس التي عني القرآن الكريم بشأنها هي التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر، وإثبات المعاد موقوف على إثبات الوحدانية لله تعالى، والعلم الشامل والقدرة التامة. ومناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] بسط القول فيما سلف في أمر المعاد، وبين فئات الناس في ذلك اليوم، وما يدور من حوار بين أصحاب النار وأصحاب الجنة.. قفى على ذلك بذكر الخلق والتكوين، وبيان مقدوراته تعالى وعظيم مصنوعاته؛ لتكون دليلاً على الربوبية والألوهية، وأنه لا معبود سواه.

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما ذكر الأدلة على توحيد الربوبية.. قفى على ذلك بالأمر بتوحيد الألوهية بإفراده تعالى بالعبادة، وروحها ومخها الدعاء والتضرع له.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر[2] تفرده بالملك والملكوت، وتصرفه في العلوي والسفلي وتدبيره الأمر وحده، وطلب إلينا أن ندعوه متضرعين خفية وجهراً، ونهانا عن الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، وأبان لنا أن رحمته

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

قريب من المحسنين.. قفى على ذلك بذكر بعض ضروب من رحمته؛ إذ أرسل إلينا الرياح وما فيها من منافع للناس فيها ينزل المطر الذي هو مصدر الرزق وسبب حياة كل حي في هذه الأرض، وفي ذلك عظيم الدلالة على قدرته تعالى على البعث والنشور.

وقال أبو حيان: مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[1] ذكر الدلائل على كمال إلّهيته وقدرته وعلمه من العالم العلوي.. أتبعها بالدلائل من العالم السفلي؛ وهي محصورة في آثار العالم العلوي، منها الريح والسحاب والمطر، وفي المعدن والنبات والحيوان، ويترتب على نزول المطر أحوال النبات، وذلك هو المذكور في الآية، وانجر مع ذلك الدلالة على صحة الحشر والنشر، والبعث والقيامة، وانتظمت هاتان الآيتان محصلتين المبدأ والمعاد. انتهى.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ حين استقرار أهل الجنة في الجنة، واستقرار أهل النار في النار إذا ما وجهوا إليهم أبصارهم يسألونهم سؤال افتخار على حسن حالهم، وسؤال تهكم وتذكير بجناية أهل النار على أنفسهم بتكذيب الرسل، وسؤال تقرير لهم بصدق ما بلغهم الرسل من وعد ربهم لمن آمن واتقى بجنات النعيم قائلين لهم: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾؛ أي: قد وجدنا وتيقنا ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ على ألسنة رسله من النعيم والكرامة ﴿حَقّٗا﴾ وصدقاً لا شبهة فيه، وها نحن نستمتع بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم﴾ يا أهل النار ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾؛ أي: ما أوعدكم ربكم من الخزي والنكال والعذاب على الكفر ﴿حَقّٗا﴾؛ أي: صدقاً ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قال أهل النار مجيبين لأهل الجنة: ﴿نَعَمۡۚ﴾؛ أي: وجدنا ما أوعدنا به ربنا حقاً كما بلغنا على ألسنة الرسل، و﴿نعم﴾ حرف يجاب به عن الاستفهام في إثبات المستفهم عنه، ونونها

---

(١) البحر المحيط.

وعينها مفتوحتان، ويقرأ بكسر العين؛ وهي لغة، ويجوز كسرهما جميعاً على الإتباع. ذكره أبو البقاء.

فإن قلت[1]: هل هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار، أو من البعض للبعض؟

قلتُ: ظاهر قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ يفيد العموم، والجمع إذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد، فكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا. فإن قلت: إذا كانت الجنة في السماء، والنار في الأرض فكيف يمكن أن يبلغ هذا النداء، أو كيف يصح أن يقع؟

قلتُ: إن الله قادر على أن يقوي الأصوات والأسماع، فيصير البعيد كالقريب. اهـ «خازن». ويحتمل أنه تعالى يقرب إحدى الدارين من الأخرى؛ إما بإنزال العليا، وإما برفع السفلى.

فإن قلت: كيف يرى أهل الجنة أهل النار وبالعكس مع أن بينهما حجاباً وهو سور الجنة؟.

أجيب: باحتمال أن سور الجنة لا يمنع الرؤية لما وراءه لكونه شفافاً كالزجاج، وباحتمال أن فيه طاقات تحصل الرؤية منها. وقرأ[2] ابن وثاب والأعمش والكسائي في جميع القرآن: ﴿نَعِم﴾ - بكسر العين -. قال مكي من قال: ﴿نعِم﴾ بكسر العين فكأنه أراد أن يفرق بين نَعَم التي هي جواب، وبين نَعِم التي هي اسم للبقر والغنم والإبل.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾؛ أي: فنادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بين أهل الجنة وأهل النار؛ أي: نادى مناد أسمع الفريقين كلهم قائلاً: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم الجانين عليها بما أوجب حرمانها من النعيم المقيم، وهذا المؤذن إما مالك خازن النار، وإما ملك غيره يأمره الله بذلك.

---

(١) الفتوحات.

(٢) البحر المحيط وفتح القدير.

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي والبزي بتشديد[1]: ﴿أنَّ﴾ ونصب ﴿لعنةَ﴾ وهو الأصل، وقرأ الباقون ﴿أنْ﴾ بالتخفيف ورفع ﴿لَّعْنَةُ﴾ على أنها المخففة من الثقيلة، أو المفسرة. وقرأ الأعمش بكسر همزة ﴿إن﴾ على إضمار القول، ثم المراد بالظالمين ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الذين يعرضون بأنفسهم عن سلوك سبيل الله الموصلة إلى مرضاته وثوابه، ويمنعون الناس عن سلوكها تارة بالزجر والقهر، وأخرى بسائر الحيل ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: يطلبون اعوجاجها؛ أي: يريدون إثبات كونها معوجة مائلة عن الحق بإلقاء الشكوك في أدلتها، أو ينفرون الناس عنها، ويقدحون في استقامتها بقولهم: إنها غير حق، وأن الحق ما هم عليه. وفي «أبي السعود» في آل عمران: بأن يلبسوا على الناس، ويوهموهم أن فيها ميلاً عن الحق بنفي النسخ، وتغيير صفة الرسول ﷺ عن وجهها، ونحو ذلك. اهـ. وفي «الخازن»: هنا[2] ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: يحاولون أن يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها. وقيل معناه: أنهم يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله، وذلك أنهم طلبوا سبيل الحق بالصلاة لغير الله، وتعظيم ما لم يعظمه الله، فأخطؤوا الطريق وضلوا عن السبيل. اهـ.

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾؛ أي: وبين الفريقين؛ فريقي أهل الجنة وأهل النار، أو بين الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾؛ أي: حاجز يفصل كلاً منهما من الآخر، ويمنعه من الاستطراق إليه، وهذا الحجاب هو السور الذي سيأتي ذكره في سورة الحديد بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾...﴾ الآية. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾؛ أي: وعلى أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار ﴿رِجَالٌ﴾ يرون أهل الجنة وأهل النار جميعاً قبل الدخول فيها، فـ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا﴾ من أهل الجنة وأهل النار ﴿بسيماهم﴾؛ أي: بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده، وهي التي وصفهم الله تعالى بها في نحو قوله: ﴿وُجُوهٌ

---

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

وهؤلاء الرجال هم طائفة من الموحدين قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار جعلوا هناك حتى يقضى بين الناس، فبينما هم كذلك إذ يطلع عليهم ربهم فيقول لهم: «قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم». أخرجه أبو الشيخ والبيهقي وغيرهما عن حذيفة، وفي رواية عنه: «يجمع الله الناس، ثم يقول لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال: إن حسناتكم تجاوزن بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوها بمغفرتي ورحمتي».

وقيل[1]: هؤلاء الرجال قوم قتلوا في سبيل الله، وهم عصاة لآبائهم، وقيل: هم قوم كان فيهم عُجْب، وقيل: هم قوم كان عليهم دَيْن، فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الأعراف أقوام يكونون في الدرجة النازلة من أهل الثواب، وقيل: إنهم الأشراف من أهل الثواب، وقيل: إنهم الأنبياء، وإنما أجلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزاً لهم على سائر أهل القيامة، وقيل: إنهم الشهداء وهم شهداء الله على أهل الإيمان والطاعة، وعلى أهل الكفر والمعصية، فهم يعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات، وأهل العقاب وصلوا إلى الدركات، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

﴿وَنَادَوْا﴾؛ أي: ونادى رجال الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ حين رأوهم قائلين لهم ﴿أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يا أهل الجنة، وهذا السلام إما تحية ودعاء، وإما إخبار بالسلامة من المكروه والنجاة من العذاب؛ أي سلمتم من الآفات، وحصل لكم الأمن والسلام، هذا إن كان قبل دخول الجنة. فإن كان بعدها فهي تحية خالصة تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ وجملة قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ حال من فاعل ﴿نادوا﴾ ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ حال

---

(١) المراح.

من فاعل ﴿يَدْخُلُوهَا﴾؛ أي: نادوهم مسلمين عليهم حال كونهم؛ أي: حالة كون رجال الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد؛ أي: الآن، والحال أنهم طامعون في دخولها لما بدا لهم من يسر الحساب. وقد جاء[1] في الآثار، أن الناس يكونون في الموقف بين الخوف والرجاء، لا تطمئن قلوب أهل الجنة حتى يدخلوها. وروى أبو نعيم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لو نادى مناد يا أهل الموقف ادخلوا النار إلا رجلاً واحداً.. لَوَجَدْتُ أن أكون ذلك الرجل، ولو نادى ادخلوا الجنة إلا رجلاً واحداً.. لخشيت أن أكون ذلك الرجل. وقرأ ابن النحوي[2]: ﴿وهم طامعون﴾ وقرأ إياد بن لقيط: ﴿وهم ساخطون﴾ وقال مجاهد: أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء، فعلى هذا القول: إنما يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة، وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم، والمراد من هذا الطمع طمع يقين؛ أي: وهم يعلمون أنهم سيدخلون الجنة.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ﴾؛ أي: وجهت ﴿أَبْصَـٰرُهُمْ﴾؛ أي: أبصار رجال الأعراف بغير قصد. وقرأ الأعمش: ﴿وإذا قلبت أبصارهم﴾. ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: إلى جهنم، وقد قرىء ﴿تِلْقَآءَ﴾ هنا بمده وقصره قراءتان سبعيتان. ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال رجال الأعراف نعوذ بالله ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: وكلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى في أن لا يجعلهم من زمرتهم، والمقصود من جميع هذه الآيات الإنذار والتخويف من التقليد الرديء؛ ليتبصر المرء في عاقبة أمره، فيفوز بالثواب المقيم في جنات النعيم. وفي التعبير[3] بصرف الأبصار وتحويلها إيماء إلى أنهم يوجهون أبصارهم إلى أصحاب الجنة بالقصد والرغبة، ويلقون إليهم السلام، ويكرهون رؤية أهل النار، فإذا حولت أبصارهم إليهم من غير قصد ولا رغبة، بل بصارف يصرفهم إليها.. قالوا: ربنا لا تجعلنا معهم حيث يكونون، وفي ذلك من استعظام حال الظالمين،

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراغي.

واستفظاع مآلهم، وشناعة أمرهم ما لا يخفى. وعن سعيد بن جبير أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يحاسب الله الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة.. دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة.. دخل النار، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ...﴾ الآيتين، ثم قال: إن الميزان يخفف بمثقال حبة ويرجح، ومن استوت حسناته وسيئاته.. كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرض أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الحنة قالوا سلام عليكم، وإذا صرفت أبصارهم إلى يسارهم رأوا أهل النار فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نعوذوا بالله من منازلهم.

قال: فأما أصحاب الحسنات، فإنهم يعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويعطي كل عبد يومئذ نوراً، وكل أمة نوراً، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وأما أصحاب الأعراف، فإن النور كان في أيديهم، فلم ينزع من أيديهم، فهنالك يقول الله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ فكان الطمع دخولاً قال سعيد: فقال ابن مسعود: على أن العبد إذا عمل حسنة كُتِب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم قال: هلك من غلب وحدانه أعشاره. اهـ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أهل النار كانوا عظماء في الدنيا، وهذا نداء آخر من بعض أصحاب الأعراف لبعض المستكبرين الذين كانوا يعتزون في الدنيا بغناهم وقوتهم، ويحتقرون ضعفاء المؤمنين لفقرهم وضعف عصبيتهم، أو لحرمانهم من عصبية تمنعم وتذود عنهم، ويزعمون أن من أغناه الله، وجعله قوياً في الدنيا فهو الذي يكون له نعيم الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾. ومن هؤلاء زعماء قريش وطغاتها الذين قاوموا الإسلام في مكة، وعذبوا أهله كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل.

أي: نادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾؛ أي: يعرف أصحاب الأعراف أولئك الرجال بسيماهم وعلاماتهم كسواد الوجوه وزرقة

العيون وتشويه الخلق، واختار أبو مسلم أنهم يعرفونهم بسيماهم الخاصة التي كانوا عليها في الدنيا، وقيل: بسيما المستكبرين؛ إذ قد جاء في الأثر ما يدل على أن لمن تغلب عليهم رذيلة خاصة علامة تدل عليهم، فيعرفون بها، فقد روى البخاري: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيعرفه، فيشفع له، فلا تقبل شفاعته، ثم يمسخه الله ذئباً منتناً ليزول عن إبراهيم خزيهُ» فمسخه ذئباً مناسب لحماقته ونتن الشرك. وقوله: ﴿قَالُوا﴾ بدل من ﴿نادى﴾؛ أي قال أصحاب الأعراف لأولئك الرجال وهم في النار: يا وليد بن المغيرة، ويا أبا جهل بن هشام، ويا أمية بن خلف مثلاً ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾؛ أي: أي شيء دفع عنكم جمعكم في الدنيا من المال والخدم والأتباع ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: وما أغنى عنكم استكباركم عن قبول الحق، وعلى الناس المحقين، والاستفهام فيه للتقريع والتوبيخ.

والخلاصة[1]: أنهم نادوهم قائلين لهم: ما أغنى عنكم جمعكم للأموال والخدم، ولا استكباركم على المستضعفين والفقراء من أهل الإيمان؛ إذ لم يمنع عنكم العقاب، ولا أفادكم شيئاً من الثواب. وقرىء: ﴿تستكثرون﴾ - بالثاء المثلثة - من الكثرة؛ أي: وما أغنى عنكم إكثاركم من الأموال والجند.

ثم زادوا لهم على هذا التبكيت بقولهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الضعفاء الذين عذبتموهم في الدنيا كصهيب وبلال وسلمان وخباب وعمار وأشباههم هم ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾؛ أي: حلفتم في الدنيا يا معشر الكفار ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾ تعالى ولا يصيبهم ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ منه؛ إذ لم يعطوا في الدنيا مثل ما أعطيتم من الأتباع والأشياع وكثرة الأموال؛ أي: أقسمتم في الدنيا لا يدخلهم الله الجنة في الآخرة، وقد دخلوا الجنة الآن على رغم أنوفكم. وقد قيل الآن من جهة الله لهؤلاء الذين أقسمتم على عدم دخولهم الجنة ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ بفضل الله تعالى، فهذا من بقية كلام أصحاب الأعراف، فهوخبر ثان عن اسم الاشارة؛ أي: أهؤلاء قد قيل لهم من

---

(١) المراغي.

جهة الله تعالى: ادخلوا الجنة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفتم في الدنيا، فظهر كذبكم في إقسامكم وحلفكم، ويدل على هذا المعنى قراءتان شاذتان: ﴿أدخلوا﴾ ـ بصيغة الماضي المبني للمفعول ـ من أدخل الرباعي، و﴿دخلوا﴾، وعلى هاتين القراءتين تقع هذه الجملة خبراً، والتقدير: دخلوا الجنة مقولاً فيهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

وقيل[1]: إن أصحاب الأعراف لما قالوا لأهل النار ما قالوا.. قال لهم أهل النار: إن دخل هؤلاء الضعفاء، فأنتم لم تدخلوا الجنة، فلما عيروهم بذلك.. قيل لأصحاب الأعراف: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، أي: لا خوف عليكم مما يكون في مستقبل أمركم، ولا أنتم تحزنون مما ينغص عليكم حاضركم. وقرأ الحسن وابن هرمز[2]: ﴿أدخَلوا﴾ أمر من أدخل الرباعي؛ أي: أدخلوا أنفسكم، أو يكون خطاباً للملائكة؛ أي: أدخلوا أيها الملائكة هؤلاء الضعفاء الجنة، ثم خاطب بعد للبشر بقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾. وقرأ عكرمة: ﴿دخلوا﴾ إخباراً بفعل ماض. وقرأ طلحة وابن وثاب والنخعي: ﴿ادخلوا﴾ خبراً مبنياً للمفعول كما ذكرنا هاتين القراءتين آنفاً.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾؛ أي: بقولهم صبوا علينا من الماء صباً كثيراً﴿أَوْ﴾ ألقوا علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى من ثمار الجنة، وأطعمونا منها. وهذا الكلام يدل على حصول العطش الشديد، والجوع الشديد لأهل النار.

والمعنى: أن أهل النار يستغيثون بأهل الجنة ويطلبون منهم أن يفيضوا عليهم من النعم الكثيرة التي يتمتعون بها من شراب وطعام. وعن ابن عباس ينادي الرجل أخاه، فيقول: يا أخي أغثني، فإني قد احترقت، فأفض علي من الماء، فيقال: أجبه، فيقول: إن الله حرمهما على الكافرين.

---

(١) المراح.

(٢) البحر المحيط.

وعن أبي الدرداء[1]: أنَّ الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم، فيستغيثون، فيغاثون بالضريع - نبات رطبه يسمى شبرقاً، ويابسه يسمى ضريعاً - لا تقربه دابة لنتن ريحه - لا يسمن ولا يغني من جوع - ثم يستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، ثم يذكرون ويستغيثون، فيدفع إليهم الحميم والصديد بكلاليب الحديد، فيقطع ما في بطونهم، ويستغيثون إلى أهل الجنة، فيقول أهل الجنة: إن الله حرمهما على الكافرين، ويقولون لمالك: ليقض علينا ربك، فيجيبهم بعد ألف عام، ويقولون: ربنا أخرجنا منها، فيجيبهم الله سبحانه وتعالى بقوله: اخسؤوا فيها فلا تكلمون، فعند ذلك ييأسون من كل خير، ويأخذون في الزفير والشهيق. وهذا طلب[2] منهم مع علمهم باليأس من إجابته؛ إذ يعرفون دوام عقابهم، وأنه لا يفتر عنهم أبداً، ولكن اليائس من الشيء قد يطلبه كما قالوا في أمثالهم: الغريق يتعلق.

﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال أصحاب الجنة لأهل النار في جواب سؤالهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى قد ﴿حَرَّمَهُمَا﴾؛ أي قد حرم ماء الجنة ورزقها ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كما حرم عليهم دخولها، فلا سبيل لإفاضة شيء منهما عليهم، وهم في النار، إذ ليس لهم إلا ماؤها الحميم، وطعامها من الضريع والزقوم. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا﴾؛ أي: باطلاً ﴿وَلَعِبًا﴾؛ أي: فرحاً صفة للكافرين؛ أي: الذين جعلوا اللهو واللعب ديناً وديدناً لهم، فاللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن يصرف إليه، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الآخرة؛ أي: شغلهم الطمع في طول العمر، وحسن العيش، وكثرة المال، وقوة الجاه، ونيل الشهوات عن الاستعداد والتزود للآخرة.

والخلاصة: أن الدنيا شغلتهم بزخارفها العاجلة، وشهواتها الباطلة، فغرتهم

---

(١) المراغي والمراح.

(٢) المراغي.

وضرتهم، وهي من شأنها أن تغر وتضر وتمر، ثم ذكر عاقبة أمرهم، فقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: في هذا اليوم الحاضر يعني: يوم القيامة ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾؛ أي: نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾؛ أي: كما تركوا هم في الدنيا الاستعداد والتزود للقاء يومهم هذا؛ أي: نتركهم في عذابهم تركاً مثل تركهم العمل للقاء يومهم هذا، أو المعنى: نعاملهم معاملة من نسي، فنتركهم في النار؛ لأنهم أعرضوا عن آياتنا، والمراد من هذا النسيان: أن الله سبحانه وتعالى لا يجيب دعاءهم، ولا يرحمهم، بل يتركهم في النار كما تركوا العمل وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ معطوف على ﴿ما نسوا﴾؛ أي: كما نسوا وكما كانوا بآياتنا يجحدون؛ أي: ينكرونها؛ أي: وكما كانوا منكرين أن الآيات من عند الله إنكاراً مستمراً، ورفضوا ما جاءت به رسله ظلماً وعلواً.

والخلاصة: فاليوم نتركهم في العذاب كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة، وكما كانوا بآيات الله وحججه التي احتج بها عليهم الأنبياء والرسل يجحدون، ولا يصدقون بشيء منها. ويجوز[1] أن تكون الكاف للتعليل، أي: نتركهم في النار لأجل نسيانهم وجحودهم بآياتنا، والتعليل واضح في المعطوف دون التشبيه.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد جئنا هؤلاء الكفار من مشركي مكة وغيرهم ﴿بِكِتَٰبٍ﴾؛ أي: بقرآن كريم أنزلناه عليك يا محمد و﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾؛ أي: بينا حلاله وحرامه، ومواعظه وقصصه حالة كوننا ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بما فيه من العقائد والأحكام وغيرها؛ أي: عالمين بكيفية تفصيل أحكامه، أو المعنى: حالة كون ذلك الكتاب مشتملاً على علم كثير، وفضل كثير مختلف، وقد نظم بعضهم الأنواع التسعة التي اشتمل عليها القرآن في قوله:

حَلاَلٌ حَرَامٌ مُحْكَمٌ مُتَشَابِهٌ ... بَشِيْرٌ نَذِيْرٌ قِصَّةٌ عِظَةٌ مَثَلُ

وقرأ ابن محيصن والجحدري[2]: ﴿فضلناه﴾ ـ بالضاد المنقوطة ـ والمعنى:

---

(١) زاده.

(٢) البحر المحيط.

فضلناه على جميع الكتب عالمين بأنه أهل للتفضيل عليها حالة كون ذلك الكتاب ﴿هُدًى﴾؛ أي: هادياً من الضلالة إلى الرشد ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ أي: وذا رحمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به، ويعملون بما فيه من الأحكام، أو فصلناه لأجل الهداية والرحمة للمؤمنين. وقرىء ﴿هدى ورحمةٌ﴾ ـ بالرفع؛ أي: هو هدى ورحمة لهم. وقرأ زيد بن علي: ﴿هدى ورحمةٍ﴾ بالخفض على البدل من ﴿كتاب﴾، أو النعت، وعلى النعت لـ﴿كتاب﴾ خرجه الكسائي والفراء رحمهما الله تعالى.

وحاصل المعنى: ولقد[1] جئنا هؤلاء القوم بكتاب كامل البيان؛ وهو القرآن فصلنا آياته تفصيلاً على علم منا بما يحتاج إليه المكلفون من العلم والعمل تزكية لنفوسهم، وتطهيراً لقلوبهم، وجعلناه سبب سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وهدى ورحمة لمن يؤمن به إيماناً يبعثه على العمل بما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه. انظر إليه تجده قد أوضح أصول الدين العامة بما لا يطلب معه زيادة لمستزيد، فنعى على المقلدين الأخذ بآراء من تقدمهم من آبائهم ورؤسائهم دون بحث ولا تمحيص في مثل قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ وكرر القول ببطلان التقليد وضلال المقلدين، وحث على النظر والاستدلال، والاعتماد على البرهان في مثل قوله: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وبهذا كان الإسلام دين العقل والفطرة، وينبوع الهدى والحكمة.

والاستفهام في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ إنكاري؛ أي: ما ينتظر هؤلاء الكفار من أهل مكة وغيرهم إذ أعرضوا عن الإيمان به ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ وتفسيره؛ أي: إلا عاقبة ما وعدوا به في القرآن من حلول العذاب بهم يوم القيامة؛ أي ليس أمامهم شيء ينتظرونه في أمره إلا وقوع تأويله، وهو وقوع ما أخبر به من أمر الغيب الذي يقع في المستقبل في الدنيا، ثم في الآخرة مما وعد به المؤمنين من نصر وثواب، وأوعد به الكافرين من خذلان وعقاب.

---

(١) المراغي.

روي عن الربيع بن حسن أنه قال[1]: لا يزال يقع من تأويله أمر حتى يتم تأويله يوم القيامة حين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾؛ أي: يوم يأتي عاقبة ما وعد لهم في القرآن، وهو يوم القيامة، وهو ظرف لقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾؛ أي: تركوا القرآن، وأعرضوا عن الايمان به ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل أن يأتي تأويله، والمعنى[2]: إن الذين تركوا الإيمان بالقرآن في الدنيا يقولون يوم القيامة: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ الذي أرسلهم الله تعالى به إلينا، وكذبناهم؛ أي: أنهم أقروا يوم القيامة بأن ما جاءت به الرسل من ثبوت البعث والنشر، والحشر والقيامة، والثواب والعقاب كل ذلك كان حقاً، وقوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾: استفهام معناه التمني ﴿فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ اليوم من العذاب ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾؛ أي: أو يردنا الله إلى الدنيا حتى نوحده بدل ما أشركنا به، أو نطيعه بدل ما عصيناه، والمعنى: نتمنى وجود الشفعاء، فشفاعتهم لنا من العذاب، أو ردنا إلى الدنيا، فعملنا عملاً غير الذي كنا علمناه أولاً، فيقال لهم في جواب الاستفهامين: لا. وقال الشوكاني: ومعنى الآية[3]: هل لنا شفعاء يخلصونا مما نحن فيه من العذاب، أو هل نرد إلى الدنيا فنعمل صالحاً غير ما كنا نعمل من المعاصي.

والحاصل: أنهم[4] يتمنون الخلاص بكل وسيلة ممكنة؛ إما بشفاعة الشفعاء، وإما بالرجوع إلى الدنيا ليعملوا فيها غير ما كانوا يعملون في حياتهم الأولى، فيكونون أهلاً لمرضاة ربهم. وإنما تمنوا الشفعاء وتساءلوا عنهم من حيث كان من أسس الشرك أن النجاة عند الله إنما تكون بوساطة الشفعاء، وعندما يستبين لهم الحق الذي جاءت به الرسل؛ وهو أن النجاة إنما تكون بالإيمان

---

(١) المراغي.

(٢) المراح.

(٣) فتح القدير.

(٤) المراغي.

الصحيح والعمل الصالح.. يتمنون لو يردون إلى الدنيا؛ ليعملوا بما أمرهم به الرسل.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ - برفع الدال - ﴿فَنَعْمَلَ﴾ - بنصب اللام - عطف جملة فعلية على جملة اسمية، وتقدمهما استفهام، فانتصب الجوابان؛ أي: هل شفعاء لنا فيشفعوا لنا في الخلاص من العذاب، أو هل نرد إلى الدنيا فنعمل عملاً صالحاً. وقرأ الحسن فيما نقل الزمخشري بنصب الدال ورفع اللام. وقرأ الحسن فيما نقل ابن عطية وغيره برفعهما: عطفَ ﴿فنعمل﴾ على ﴿نُرَدُّ﴾. وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو حيوة بنصبهما، فنصب ﴿أو نرد﴾ عطفاً على ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَآ﴾ جواباً على جواب، فيكون الشفعاء في أحد أمرين؛ إما في الخلاص من العذاب، وإما في الرد إلى الدنيا لاستئناف العمل الصالح، وتكون الشفاعة قد انسحبت على الرد، أو الخلاص، و﴿فنعمل﴾ عطفٌ على: ﴿أو نرد﴾، ويحتمل أن يكون ﴿أو نرد﴾ من باب لألزمنك أو تقضيني حقي، على تقدير من قدر ذلك: حتى تقضيني حقي، أو كي تقضيني حقي، فجعل اللزوم مغياً بقضاء حقه، أو معلولاً له لقضاء حقه، وتكون الشفاعة إذ ذاك في الرد فقط.

قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: خسروا وغبنوا في تجارة أنفسهم حيث ابتاعوا الخسيس الفاني من الدنيا بالنفيس الباقي من الآخرة ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: بطل وذهب وغاب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من أن الأصنام تشفع لهم، فلما أفضوا إلى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم في دعواهم كانوا كاذبين، والمعنى: أنه بطل كذبهم وافتراؤهم الذي كانوا يقولونه في الدنيا، أو غاب عنهم ما كانوا يجعلونه شريكاً لله، فلم ينفعهم ولا حضر معهم.

وخلاصة ذلك: أنهم قد خسروا أنفسهم بتدنيسها بالشرك والمعاصي وعدم تزكيتهما بلفضائل والأعمال الصالحة فخسروا حظوظهما فيها وبطل كذبهم الذي

---

(١) البحر المحيط.

كانوا يفترونه على الله، أو غاب عنهم ما كانوا يعبدونه من الأصنام.

ثم ذكر سبحانه وتعالى دلائل القدرة والوحدانية، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾ أيها العباد وخالقكم ومعبودكم الذي يستحق منكم العبادة هو ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: المعبود بحق في الوجود المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿الذي خلق﴾ وأوجد ﴿السموات﴾ السبع ﴿وَالْأَرْضَ﴾ على غير مثال سابق ﴿فِي﴾ مقدار ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا التي أولها الأحد، وآخرها الجمعة، وإنما خلقها في ستة أيام مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة بأن يقول لها: كوني فتكون؛ ليعلم عباده الرفق والتأني والتثبت في الأمور، وعدم العجلة، وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾. ﴿ثُمَّ﴾ بعد خلق السموات والأرض وما بينهما ﴿اسْتَوَىٰ﴾؛ أي: علا وارتفع سبحانه وتعالى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل نثبته، ونؤمن به على الوجه الذي يليق به مع تنزيهه عما لا يجوز عليه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ والإيمان بذلك غير موقوف على معرفة حقيقته وكيفيته، فالصحابة رضوان الله تعالى عليهم، والأئمة من بعضهم لم يشتبه أحد منهم فيه.

وقد أثر عن ربيعة شيخ الإمام مالك أنه سئل عن قوله: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. وقال الحافظ بن حجر: مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه. وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه.. فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت ما وردت به الآثار الصريحة والأخبار الصحيحية على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله النقائص... فقد سلك سبيل الهدى. انتهى.

وقال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان

به واجب، والسؤال عنه بدعة. وقال الإمام أحمد رحمه الله: أخبار الصفات تمر كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل، فلا يقال: كيف ولم؟نؤمنُ بأن الله على العرش كيف شاء، وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف، أو يحدها حاد، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما، ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل. وقال القرطبي: لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته.

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن، وإحاطته بالسموات والأرض وما بينهما وما عليهما، وهو المراد هنا. وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: يجعل الليل كالغشاء والغطاء للنهار، فيغطي بظلمته ضوء النهار جملة حالية من فاعل ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾؛ أي: استوى سبحانه وتعالى على العرش حالة كونه مغشياً الليل النهار. وقوله: ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾؛ أي: يطلب الليل النهار طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ حال من الليل ﴿ٱلَّيْلَ﴾؛ أي: حالة كون الليل طالباً للنهار طلباً حثيثاً؛ أي: طلباً سريعاً لا يفتر عنه بحال؛ أي: مسرعاً.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿يغشّي﴾ بالتشديد من باب فعل المضعف. وقرأ الباقون بالتخفيف من باب أفعل، وهما لغتان، يقال: أغشى يغشي إغشاء، وغشى يغشي تغشية، ولم يذكر في هذه الآية، ويغشي النهار الليل اكتفاء بأحد الأمرين عن الآخر على حد ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾. وقرأ حميد بن قيس: ﴿يغشى الليلُ النهار﴾: على إسناد الفعل إلى الليل. وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ قال الأخفش: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ حال منها؛ أي: وخلق الشمس والقمر والنجوم حالة كونها مذللات بأمره وإرادته، خاضعات لتصرفه، منقادات لحكمه، جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره. وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة على الابتداء والخبر، وقرأ أبان بن تغلب برفع ﴿والنجومُ مسخراتٌ﴾ فقط على الابتداء والخبر. ﴿أَلَا﴾؛ أي: انتبهوا أيها العباد ﴿له﴾: سبحانه وتعالى لا لغيره ﴿ٱلْخَلْقُ﴾؛ أي: الإيجاد والاختراع، فهو الخالق لجميع المخلوقات علويها وسفليها المالك لذواتها ﴿و﴾ له سبحانه وتعالى أيضاً لا لغيره

﴿الأمر﴾؛ أي: التصرف والتدبير في جميعها؛ إذ هو المال لها لا شريك له فيها.

وفي معنى الآية قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ وقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ وجاءت هذه الجملة توكيداً لما قبلها؛ لبيان أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي دبرهما وصرفهما بحسب إرادته.

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية خلق السموات والأرض في ذلك الأمد اليسير، ثم ذكر استواءه على عرشه، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وأن له الخلق والأمر.. قال: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: تزايد خيره وبره، وكثرت بركته وإحسانه، وعم نواله وإنعامه. وقال الأزهري: معنى: ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم؛ أي: تعالى الله مالك العالمين بوحدانيته وألوهيته، وتعاظم بربوبيته وصفاته، وأن كل ما في هذا العالم من الخيرات الكثيرة، والنعم العظيم؛ فهو منه، فيجب على عباده أن يشكروه عليها ويعبدوه دون غيره مما عبدوه معه، وليس له من الخلق ولا من الأمر شيء. وفي هذه الآية رد على من يقول من أهل الضلال: إن للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾؛ أي: اسألوا أيها العباد ربكم، ومتولي أموركم، وخالقكم حال كونكم ﴿تَضَرُّعًا﴾؛ أي: متضرعين متذللين وخاضعين له ومبتهلين إليه ﴿و﴾ حالة كونكم ﴿خفية﴾؛ أي: مخفين ومسرين دعاءكم عن غيركم، أو هما صفتان لمصدر محذوف؛ أي: ادعوه دعاء تضرع، ودعاء خفية، والتضرع: الذلة والخشوع والاستكانة، والخفية: الإسرار به، فإن ذلك أقطع لعرق الرياء، وأحسن لباب من يخالف الإخلاص. وقرأ الجمهور بضم خاء ﴿وَخُفْيَةً﴾، وقرأ أبو بكر بكسرها؛ وهما لغتان.

وفي هذا إيماء إلى أن الإخفاء في الدعاء أفضل إن لم يكن وجباً، ويدل على ذلك وجوه:

١ ـ أنه تعالى أثنى على زكريا، فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾؛ أي: أنه أخفاه عن العباد، وأخلصه لله، وانقطع به إليه.

٢ ـ روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّا ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم» رواه مسلم.

٣ ـ روي أنه ﷺ قال: «دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية» وقال: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي».

٤ ـ روي عن الحسن البصري أنه قال: إن كان الرجل لقد جمع، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعند الزور، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ اهـ.

٥ ـ أن النفس شديدة الرغبة في الرياء والسمعة، فإذا رفع المرء صوته بالدعاء امتزج الرياء به، فلا يبقى فيه فائدة البتة، ومن ثم كان الأولى الإخفاء؛ ليبقى مصوناً عن الرياء.

وفصل بعض العلماء، فقال: إن التضرع بالجهر المعتدل يحسن في حال الخلوة والأمن من رؤية الناس للداعي، ومن سماعهم لصوته، فلا جهره يؤذيهم، ولا الفكر فيهم يشغله عن التوجه إلى الرب وحده، أو يفسد عليه دعاءه بحب الرياء والسمعة، ويحسن الإسرار في حال اجتماع الناس في المساجد والمشاعر وغيرها إلا ما ورد فيه رفع الصوت من الجميع كالتلبية في الحج، وتكبير العيدين. وإذا كان الليل ستراً ولباساً شرع فيه الجهر في قراءة الصلاة إلى أنه

يطرد الوسواس، ويقاوم فتور النعاس، ويعين على تدبر القرآن، وبكاء الخشوع للرحمن لدى المتهجدين في خلواتهم.

وقال الشيخ محمد بن عيسى الحكيم الترمذي: إن كان خائفاً على نفسه من الرياء.. فالأولى إخفاء العمل صوناً لعمله عن البطلان، وإن كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى حيث صار آمناً عن شائبة الرياء.. كان الأولى في حقه الإظهار لتحصل فائدة الاقتداء به. ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى. قرأ ابن أبي عبلة ﴿إن الله﴾ جعل مكان المضمر المظهر. ذكره أبو حيان. ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: المجاوزين لما أمروا به في الدعاء بترك هذين الأمرين التضرع والإخفاء، وفي كل شيء، فمن جاوز ما أمره الله به في شيء من الأشياء.. فقد اعتدى، والله لا يحب المعتدين؛ أي: لا يثيبه البتة، ولا يحسن إليه، وتدخل المجاوزة في الدعاء في هذا العموم دخولاً أولياً، ومن الاعتداء[1] في الدعاء أن يسأل الداعي ما ليس له كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء صارخاً به.

وعن النبي ﷺ[2]: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ثم قرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾. أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه..

وللاعتداء في الدعاء مظاهر شتى[3]:

١ - اعتداء خاص بالألفاظ كالمبالغة في رفع الصوت، والتكلف في صيغ الدعاء.

---

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

(٣) المراغي.

٢ ـ اعتداء خاص بالمعنى؛ وهو طلب غير المشروع من وسائل المعاصي ومقاصدها كضرر العباد، وطلب إبطال سنن الله في الخلق، أو تبديلها كطلب النصر على الأعداء مع ترك وسائله كأنواع السلاح والعتاد، وطلب الغنى بلا كسب، وطلب المغفرة مع الإصرار على الذنب مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾.

٣ ـ اعتداء بالتوجه فيه إلى غير الله تعالى؛ ليشفع له عنده، وهذا شر أنواع الاعتداء كما قال: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ ومن طلب ذلك من غير الله.. فقد اتخذه إلهاً؛ لأن الإله هو المعبود كما روى أحمد عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» وروى الترمذي عن أنس مرفوعاً: «الدعاء مخ العبادة» وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله لي الوسيلة»، قالوا: وما الوسيلة؟ قال: «القرب من الله عز وجل»، ثم قرأ: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ وابتغاء ذلك يكون بدعائه وعبادته بما شرعه على لسان رسوله دون غيره.

فائدة أخرى: وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الدعاء»[1]، والخطيب في «تاريخه» عن الحسن بن علي قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية في كل ليلة أن يعصمه الله من كل سلطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضاري، ومن كل لص عادي: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، وعشراً من أول سورة الصافات، وثلاث آيات من الرحمن أولها: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾، وخاتمة الحشر. وأخرج أبو الشيخ بن عبيد بن أبي مرزوق قال: من قرأ عند نومه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ...﴾ الآية.. بسط عليه ملك جناحه حتى يصبح، وعوفي من السرق.

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن قيس صاحب عمر بن عبد العزيز قال: مرض رجل من أهل المدينة، فجاءه زمرة من أصحابه يعودونه، فقرأ رجل منهم:

---

(١) الشوكاني.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية كلها، وقد أصمت الرجل، فتحرك، ثم استوى جالساً، ثم سجد يومه وليلته حتى كان من الغد من الساعة التي سجد فيها قال له أهله: الحمد لله الذي عافاك، قال: بعث إلى نفسي ملك يتوفاها، فلما قرأ صاحبكم الآية التي قرأ سجد الملك وسجدت سجوده، فهذا حين رفع رأسه، ثم مال فقضي عليه. انتهى.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟﴾ أيها الناس ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والكفر، والدعاء إلى غير طاعة الله تعالى: ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾؛ أي: بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل، وبيان الشرائع، والدعاء إلى طاعة الله تعالى، وهذا المعنى قاله الحسن والسدي والضحاك والكلبي. وقيل معنى الآية: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاح الله لها بما خلق فيها من المنافع، وما هدى الناس إليها من استغلالها، والانتفاع بتسخيرها لهم، وامتنانه بذلك في مثل قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ وهذا الإفساد شامل لإفساد النفوس بالقتل، وقطع الأطراف والأعضاء، وإفساد الأموال بالغصب والسرقة، وإفساد الأديان بالكفر والمعاصي والبدع، وإفساد الأنساب بالإقدام على الزنا، وإفساد العقول بشرب المسكر ونحوه.

والخلاصة[1]: أن الإفساد شامل لإفساد العقول والعقائد، والآداب الشخصية والاجتماعية، والمعايش والمرافق من زراعة وصناعة وتجارة، ووسائل تعاون بين الناس.

وإصلاح الله تعالى لحال البشر كان بهداية الدين، وإرسال الرسل، وتمم ذلك ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين الذي كان رحمة للعالمين، فبه أصلحت عقائد البشر، وهذبت أخلاقهم وآدابهم بما جمع لهم فيها من مصالح الروح والجسد، وما شرع لهم من التعاون والتراحم، وبما حفظ لهم من العدل والمساواة، وبما شرع لهم من الشورى المقيدة بقاعدة: درء المفاسد وحفظ المصالح، وبذا امتاز

---

(١) المراغي.

به دينهم عن بقية الأديان.

وبعد أن بين في الآية الأولى شرط الدعاء.. أعاد الأمر به إيذاناً بأن من لا يعرف أنه محتاج إلى رحمة ربه مفتقر إليها، ولا يدعو ربه تضرعاً وخفية، ولا يخاف من عقابه، ولا يطمع في غفرانه يكون أقرب إلى الإفساد منه إلى الإصلاح، فقال: ﴿وَٱدْعُوهُ﴾؛ أي: وادعوا أيها الناس ربكم حالة كونكم ﴿خَوْفًا﴾؛ أي: خائفين من عقابه على مخالفتكم لشرعه المصلح لأنفسكم وأجسامكم، أو ذوي خوف من عقابه ﴿و﴾ حالة كونكم ﴿طمعاً﴾؛ أي: طامعين في رحمته وإحسانه في دنياكم وآخرتكم، أو ذوي طمع في رحمته، والخوف: الانزعاج من المضار التي لا يؤمن من وقوعها، والطمع: توقع حصول الأمور المحبوبة.

فإن قلت[1]: إنه تعالى قال في الآية الأولى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وقال هنا: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وهذا من عطف الشيء على نفسه، فما فائدة ذلك؟

قلتُ: الفائدة فيه أن المراد بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾؛ أي: ليكن الدعاء مقروناً بالتضرع والإخبات، وقوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أن فائدة الدعاء أحد هذين الأمرين، فكانت الآية الأولى في بيان شرط صحة الدعاء، والآية الثانية في بيان فائدة الدعاء، وقيل معناه: كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حق الله في العبادة والدعاء، وإن اجتهدتم فيهما.

ودعاء المولى حين الشعور بالعجز والافتقار إليه مما يقوي الأمل بالإجابة، ويحول بينها وبين اليأس إذا تقطعت الأسباب، وجهلت وسائل النجاح، والدعاء مخ العبادة ولبها، وإجابته مرجوة حين استكملت شرائطها وآدابها، فإن لم تكن

---

(١) الخازن.

بإعطاء الداعي ما طلبه، فربما كانت بما يعلم الله أنه خير له منه. ثم بين فائدة الدعاء وعلل سبب طلبه، فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى وثوابه ﴿قَرِيبٌ مِّنَ﴾ عباده ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ذكر الخبر نظراً إلى أن الرحمة بمعنى الثواب كما فسرناه كذلك؛ أي: إن رحمته تعالى قريبة من المحسنين أعمالهم بأي نوع من الأنواع كان إحسانهم، لأن الجزاء من جنس العمل كما قال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ فمن أحسن في عبادته.. نال حسن الثواب، ومن أحسن في الدعاء.. أعطي خيراً مما طلبه، وقد طلب الإحسان في كل شيء يهدي إليه دين الفطرة، وحرم الإساءة في كل شيء، وجعل جزاءها من جنسها كما قال: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾. وقال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شي، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته». رواه مسلم.

وأصل الرحمة(١): رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصف بها الباري جل وعز، فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة، فرحمة الله عز وجل عبارة عن الإفضال والإنعام على عباده، وإيصال الخير إليهم.

وكون الرحمة قريبة من المحسنين(٢)؛ لأن الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار عن الدنيا، وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلك كان الموت أقرب إليه من الحياة، وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة إلا الموت؛ وهو قريب من الإنسان.

والأحسن(٣) في علة تذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ مع أن ﴿الرحمة﴾ مؤنثة أن يقال: تذكيره إما باعتبار أن الرحمة مجازية التأنيث، أو باعتبار أن المراد بها الثواب؛

---

(١) الخازن.

(٢) الخازن.

(٣) الجمل بتصرف.

وهو مذكر، فيكون التذكير باعتبار معناها كما مر آنفاً. تأمل.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ معطوف على قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، والمعنى: إن ربكم الذي دبر السموات والأرض، وهو الذي يرسل ويبعث الرياح والهواء حالة كون تلك الرياح ﴿بُشْرًا﴾ بالنون؛ أي: منتشرة متسعة، وبالباء أي مبشرة بمجيء المطر؛ أي: يرسلها ويهيجها ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: أمام المطر الذي هو رحمته حالة كونها نشراً، أو بشراً، وإنما سمي المطر رحمة؛ لأنه سبب لحياة الأرض الميتة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ ورفعت تلك الرياح، و﴿حتى﴾ غاية لقوله: ﴿يُرْسِلُ﴾ كما في «الشهاب» ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾؛ أي: غيماً مثقلاً بالماء ﴿سُقْنَٰهُ﴾؛ أي: سقنا ذلك السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ أي: إلى مكان لا نبات فيه لعدم الماء ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾؛ أي: في ذلك البلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾أي: بذلك الماء، أو في ذلك البلد ﴿مِن كُلِّ﴾ أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ والزروع ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما أخرجنا الثمرات بالماء ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أحياء من قبورهم بعد فنائهم دروس آثارهم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أيها المنكرون للبعث ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ هذا الشبه، فيزول عنكم استبعادكم للبعث بنحو قولكم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ أو المعنى: لكي تعتبروا أيها المنكرون للبعث، وتتذكروا أن القادر على إحياء هذه الأرض بالأشجار المزينة بالأزهار والثمار بعد موتها قادر على أن يحيي الأجساد بعد موتها.

وحاصل معنى الآية: أن ربكم المدبر لأمور الخلق هو الذي يرسل الرياح بين يدي رحمته؛ أي: بين الأمطار وأمامها حال كونها مبشرات بها فينشيء بها سحاباً ثقالاً لكثرة ما فيها من الماء، حتى إذا أقلتها ورفعتها إلى الهواء ساقها لإحياء بلد ميت قد عفت مزارعه، ودرست مشاربه، وأجدب أهله. ونحو الآية قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾؛ أي: فأنزلنا بالسحاب الماء؛ إذ قد ثبت أنه حينما يسخن الهواء القريب من سطوح البحار وغيرها بتأثير الحرارة.. يرتفع في الجو

ويبرد؛ لوصوله إلى منطقة باردة، أو لامتزاجه بتيار من الهواء البارد، فإذا برد تكاثف منه بخار الماء، وتكون السحاب، فالسحاب ناشيء من تكاثف بخار الماء من الهواء في الطبقات العالية من الجو، وهو لا يكون ثابتاً في مكان، بل يسير في اتجاه أفقي مدفوعاً بقوة الريح، ويتراوح بعده عن الأرض بين ميل وعشرة أميال، ويكون معتماً مشبعاً بالماء إذا كان قريباً من سطح الأرض، وهو الذي ينشأ عنه المطر؛ لتجميع قطيرات الماء التي فيه بعضها مع بعض بتأثير البرودة، فتكون قطيرات كبيرة تسقط من خلاله نحو الأرض؛ لثقلها بحسب سنة الله في جاذبية الثقل.

وقد أثبت العلم ودلت المشاهدة: أن سكان الجبال الشامخة يبلغون في العلو حذاء السحاب الممطر، أو يتجاوزونه إلى ما فوقه، فيكون دونهم ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: فأخرجنا بالماء أنواع الثمار على اختلاف طعومها وألوانها وروائحها، فتخرج كل أرض أنواعاً مختلفة منها تدل على قدرة الله تعالى وعلمه، ورحمته وفضله كما قال: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

وبعد أن ذكرهم بهذه الآيات.. قفى على ذلك بما يزيل إنكارهم للبعث، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: ومثل هذا الإخراج لأنواع النبات من الأرض الميتة بإحيائها بالماء نخرج الموتى من الناس وغيرهم إذ القادر على هذا قادر على ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هذا الشبه، فيزول استبعادكم للبعث بنحو قولكم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وقولكم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾.

فأمثال هذه المقالات الدالة على إنكار خروج الحي من الميت تزول إذا أنتم تذكرتم خروج النبات الحي من الأرض الميتة إذ لا فارق بين حياة النبات، وحياة الحيوان، فكل منهما خاضع لقدرة الإله القادر على كل شيء، والحياة في عرف المخاطبين كانت تعرف بالتغذي، والنمو في النبات، والحس والحركة

في الحيوان.

إعادة الموتى

جاء في الكتاب الكريم قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، وقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ فأثبت في هذه الآيات الإعادة، وشببها بالبدء، هو تشبيه في جملة ذلك، لا في تفصيله، فإنه كما خلق جسد الإنسان الأول خلقاً ذاتياً مبتدأ، ونفخ فيه الروح يخلق أجسام أفراد الإنسان خلقاً ذاتياً معاداً، ثم ينفخ فيها أرواحها التي كانت بها أناسي في الحياة الدنيا، فما الأجساد إلا كالسكن للأرواح، وليس بالبعيد على خالق العالم كله أن يعيد أجساد ألوف الملايين دفعة واحدة.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع والحسن والسلمي وأبو رجاء والأعرج وأبو جعفر وشيبة وعيسى بن عمر وأبو يحيى وأبو نوفل الأعرابيان[1]: ﴿الرياح نُشُراً﴾ - جمعين بضم النون والشين - أرادوا جمع نشور، وهي الريح الطيبة الهبوب تهب من كل ناحية وجانب. وقرأ عبد الله وابن عباس وزر وابن وثاب والنخعي وطلحة بن مصرف والأعمش ومسروق وابن عامر وعبد الوارث والحسن البصري في رواية عنه: ﴿نُشْراً﴾ - بضم النون وسكون الشين - وهي في معنى ﴿نُشُراً﴾ - بضمتين - إلا أنهم سكنوا الشين تخفيفاً من الضم كرُسْل في رسل. وقرأ حمزة والكسائي وخلف والمفضل عن عاصم: ﴿نَشْراً﴾ - بفتح النون وسكون الشين -. قال الفراء: النشر: الريح الطيبة اللينة التي تنشيء السحاب. وقال ابن الأنباري: النشر: المنتشرة الواسعة الهبوب. وقرأ أبو رجاء العطاردي وإبراهيم النخعي ومسروق في رواية عنهم ومورق العجلي: ﴿نَشَراً﴾ - بفتح النون والشين - إما جمع نشور كعمود وعمد، أو جمع ناشر كغائب وغيب وحافد وحفد. هذه

---

(١) البحر المحيط وزاد المسير.

قراءات من قرأ بالنون، فجملتها أربعة. وقد قرأ آخرون بالباء الموحدة، فقرأ ابن عباس والسلمي وابن أبي عبلة: ﴿الرياح﴾ ـ جمعاً ـ: ﴿بُشُرا﴾ ـ بضم الباء والشين ـ. ورويت عن عاصم وهو جمع بشيرة كنذيرة ونذر. وقرأ عاصم كذلك إلا أنه سكن الشين تخفيفاً من الضم. وقرأ السلمي: ﴿بَشْراً﴾ ـ بفتح الباء وسكون الشين ـ وهو مصدر بشر المخفف، ورويت عن عاصم. وقرأ ابن السميقع وابن قطيب: ﴿بشرى﴾ بألف مقصورة كرجعى، وهو مصدر. فهذه ثماني قراءات؛ أربعة في النون، وأربع في الباء. والمعنى على كلها: أنه سبحانه وتعالى يرسل الرياح ناشرات أو مبشرات.

وبعد أن ضرب الله إحياء البلاد بالمطر مثلاً لبعث الموتى.. ضرب اختلاف نتاج البلاد مثلاً لما في البشر من اختلاف الاستعداد لكل من الهدى والكفر، والرشاد والغي، فقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ أي: والأرض الطيبة التربة السهلة السمحة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ ووافياً حسناً كثيراً غزير النفع ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: بمشيئة الله تعالى وتيسيره بلا كد ولا عناء، كذلك المؤمن المخلص يؤدي ما أمر الله به بطيبة النفس ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾؛ أي: والبلد الذي خبث أرضه السبخة ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًاۚ﴾؛ أي: إلا بتعب وعناء وكلفة، والمعنى: إلا حالة كونه قليلاً عديم النفع. قال الشاعر في المعنى يذم إنساناً:

لاَ تُنْجِزُ ٱلْوَعْدَ إِنْ وَعَدْتَ وَإِنْ أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهاً نَكِدَا

يعني بالتافه: القليل، وبالنكد: العسير، ومعناه: إنك إن أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة وكلفة، وكذلك المنافق لا يؤدي ما أمر الله به إلا كرهاً بغير طيبة النفس. قال[1] المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فشبه المؤمن بالأرض الخيرة الطيبة التراب، وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الأرض الطيبة، فإذا نزل المطر أخرجت أنواع الأزهار والثمار، وكذلك المؤمن إذا سمع القرآن آمن به، وانتفع به، وظهرت منه الطاعات

(١) الخازن.

والعبادات، وأنواع الأخلاق الحميدة، وشبه الكافر بالأرض الرديئة الغليظة البسخة التي لا ينتفع بها وإن أصابها المطر، فكذلك الكافر إذا سمع القرآن لا ينتفع به، ولا يصدقه، ولا يزيده إلا عتواً وكفراً، وإن عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول: هو طيب وعمله طيب، كما أن البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة، فالكافر خبيث وعمله خبيث.

ويدل[1] على صحة هذا التأويل ما روى الشيخان والنسائي وأحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب التي تشرب ولا تنبت، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا، وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان ـ أرض مستوية ـ لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» وقد فسر النبي ﷺ القسم الأول؛ وهو الذي نفع وانتفع بالهادي المهتدي، وفسر القسم الثالث؛ وهو الذي لم ينفع ولم ينتفع بالجاحد، وسكت عن القسم الثاني؛ وهو الذي نفع غيره بعلمه، ولم ينتفع به هو؛ لأن له أحوالاً كثيرة، فمنه المنافقون، ومنه المفرطون في دينهم، والمشاهدة تدل على أن الطيبي الأخلاق يفعلون الخير والبر بلا تكلف، وأن الخبيثين لا يفعلون الخير ولا يؤدون الواجب إلا نكداً بعد إلحاف أو إيذاء حين الطلب، أو إدلاء إلى الحكام.

وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة وعيسى بن عمر[2]: ﴿يُخْرج نباته﴾: ـ مبنياً للمفعول ـ؛ أي: يخرجه البلد. وقرأ ابن القعقاع: ﴿نكَداً﴾ ـ بفتح الكاف ـ قال

(١) المراغي.
(٢) البحر المحيط.

الزجاج: وهي قراءة أهل المدينة. وقرأ ابن مصرف بسكونها، وهما مصدران؛ أي: ذا نكد. وقرأ الباقون: ﴿نَكِدًا﴾ بفتح النون وكسر الكاف.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك التصريف البديع والتكرير العجيب ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: نردد الآيات الدالة على القدرة القاهرة، والحكمة الباهرة، ونكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا باستعمالها فيما تتم به حكمتنا، وبذلك يستحقون منا المزيد، ويكافؤون بالثواب عليها. وختم[1] هذه الآية بالشكر إذ كان موضوعها الاهتداء بالعلم والعمل والإرشاد، والآية التي قبلها بالتذكر لما كان موضوعها الاعتبار والاستدلال. وقرىء: ﴿يصرف﴾ - بالياء التحتية - مراعاة للغيبة في قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ ذكره أبو حيان.

الإعراب

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة، وسيأتي مقابله بقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ...﴾ الخ. ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿أَن﴾: مفسرة بمعنى: أي؛ لسبقها بجملة فيها معنى القول دون حروفه مبنية على السكون، وجملة الفعل بعدها جملة مفسرة لـ﴿نادى﴾ لا محل لها من الإعراب، وإن شئت قلت: ﴿أَن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿وَجَدْنَا﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿وَجَدْنَا﴾: في محل الرفع خبر ﴿أَن﴾ المخففة، وجملة ﴿أَن﴾ المخففة: في محل النصب مفعول ﴿نادى﴾، أو في محل الجر بجار محذوف تقديره: ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار بأنه قد وجدنا الخ. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول أول لـ﴿وَجَدْنَا﴾. ﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾،

---

(١) المراغي.

أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما وعدناه ربنا. ﴿حَقًّا﴾: مفعول ثان لـ﴿وَجَدْنَا﴾، أو حال من الضمير المحذوف في ﴿وَعَدَنَا﴾ إن كان ﴿وجد﴾ بمعنى أصاب. ﴿فَهَلْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هل﴾: حرف للاستفهام الاستخباري. ﴿وَجَدتُّم﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَجَدْنَا﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول أول لـ﴿وجد﴾. ﴿وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما وعده ربكم. ﴿حَقًّا﴾ مفعول ثان لـ﴿وجد﴾، أو حال من الضمير المحذوف في ﴿وعد﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿نَعَمْ﴾: حرف جواب يجاب بها لتصديق الأخبار لا محل لها من الإعراب، والمجاب به محذوف لنيابة ﴿نَعَمْ﴾ عنه تقديره: وجدناه حقاً. ﴿فَأَذَّنَ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب، ﴿أذن مؤذن﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿نادى﴾. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أذن﴾، أو صفة لـ﴿مُؤَذِّنٌ﴾. ﴿أن﴾: تفسيرية بمعنى أي. ﴿لَّعْنَةُ اللَّهِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جملة مفسرة لـ﴿أذن﴾ لا محل لها من الإعراب، وإن شئت قلت: ﴿أن﴾ المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن والجملة من المبتدأ والخبر في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المخففة، وجملة ﴿أن﴾ المخففة في محل النصب مفعول ﴿أذن﴾ تقديره: فأذن مؤذن بينهم أنه لعنة الله على الظالمين، أو في محل الجر بحرف جر محذوف تقديره: فأذن مؤذن بينهم بأنه لعنة الله على الظالمين.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الجر صفة لـ﴿الظَّالِمِينَ﴾. ﴿يَصُدُّونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَصُدُّونَ﴾. ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَصُدُّونَ﴾. ﴿عِوَجًا﴾: حال من الهاء في ﴿يبغونها﴾، ولكنها في تأويل معوجة، ويصح كونه مفعولاً ثانياً. ﴿وَهُم﴾: مبتدأ. ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور متعلق

بـ﴿كَٰفِرُونَ﴾. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يَصُدُّونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾: ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿حِجَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿رِجَالٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿رِجَالٌ﴾. ﴿بِسِيمَىٰهُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَعْرِفُونَ﴾. ﴿وَنَادَوْا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿أَن﴾: تفسيرية بمعنى أي مبنية على السكون. ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾: مبتدأ وخبر، وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه في معرض الدعاء، والجملة الاسمية جملة مفسرة لجملة ﴿نادوا﴾ لا محل لها من الإعراب، وإن شئت قلت: ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن أنه سلام عليكم، والجملة من المبتدأ والخبر في محل الرفع خبرها، وجملة ﴿أَن﴾ المخففة في محل النصب مفعول ﴿نادوا﴾؛ أي: نادوهم أنه سلام عليكم، أو في محل الجر بحرف جر محذوف تقديره: نادوهم بأنه سلام عليكم. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾: جازم وفعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿نادوا﴾، أو مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه قيل: ما صنع بأصحاب الأعراف.. فقيل: لم يدخلوها. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَطْمَعُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يَدْخُلُوهَا﴾.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَإِذَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: ظرف

ومضاف إليه متعلق بـ﴿صُرِفَتْ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾: مستأنفة. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿لَا﴾: دعائية جازمة. ﴿تَجْعَلْنَا﴾: فعل ومفعول مجزوم بـ﴿لَا﴾ الدعائية، وفاعله ضمير يعود على الرب جل جلاله، والجملة الفعلية جواب النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿مَعَ الْقَوْمِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿تَجْعَلْنَا﴾. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: صفة لـ﴿الْقَوْمِ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨)﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿يَعْرِفُونَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يعرفون﴾، وجملة ﴿يَعْرِفُونَهُمْ﴾: صفة لـ﴿رِجَالًا﴾، ولكنها سببية. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية بدل من جملة ﴿نادى﴾ بدل كل من كل. ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ﴾: إلى آخر الآية التالية مقول محكي لـ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿مَا﴾: استفهامية استفهام توبيخ في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَغْنَى﴾: فعل ماض. ﴿عَنْكُمْ﴾: متعلق به. ﴿جَمْعُكُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على ﴿جَمْعُكُمْ﴾ على كونه فاعل ﴿أَغْنَى﴾ تقديره: ما أغنى عنكم جمعكم، وكونكم مستكبرين، أو استكباركم عن الحق، وجملة ﴿أَغْنَى﴾ في محل الرفع خبر ﴿مَا﴾ الاستفهامية، وجملة ﴿مَا﴾ الاستفهامية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)﴾.

﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري التوبيخي، ﴿هؤلاء﴾: مبتدأ.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع خبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾. ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿بِرَحۡمَةٍۚ﴾ متعلق بـ﴿يَنَالُهُمُ﴾، وجملة ﴿يَنَالُهُمُ﴾ جواب لقسم محذوف تقديره: والله لا ينالهم الله برحمة، وجملة ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ مع جوابه صلة الموصول، والعائد الهاء من ﴿يَنَالُهُمُ﴾. ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية نائب فاعل لقول محذوف تقديره: قد قيل لهم ادخلوا الجنة، وجملة القول المحذوف في محل الرفع خبر ثان لاسم الاشارة؛ أي: أهؤلاء قد قيل لهم ادخلوا الجنة. ﴿لَا﴾: نافية تعمل عمل ليس. ﴿خَوۡفٌ﴾: اسمها مرفوع. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾، وجملة ﴿لَا﴾ من اسمها وخبرها في محل النصب حال من فاعل ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾. ﴿وَلَآ﴾ الواو: عاطفة ﴿لا﴾. نافية. ﴿أَنتُمۡ﴾: اسمها، وجملة ﴿تَحۡزَنُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿لَا﴾ الثانية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿لَا﴾ الأولى.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه. ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿أَنۡ﴾: مفسرة. ﴿أَفِيضُواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية مفسرة لجملة ﴿نادى﴾ لا محل لها من الإعراب، وإن شئت قلت: ﴿أَنۡ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿أَفِيضُواْ﴾ في محل الرفع خبرها، وجملة ﴿أَنۡ﴾ المخففة في محل النصب مفعول ﴿نادى﴾، والتقدير: ونادى أصحاب النار أنه أفيضوا علينا، أو في محل الجر بجار محذوف تقديره: ونادى أصحاب النار بأنه أفيضوا علينا. ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾: جار ومجرور صفة لمفعول محذوف تقديره: أن أفيضوا علينا شيئاً من الماء. ﴿أَوۡ مِمَّا﴾: جار ومجرور معطوف على الجار والمجرور قبله تقديره: أو أفيضوا علينا شيئاً مما رزقكم الله تعالى. ﴿رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: مما رزقكم الله إياه.

﴿قَالُوٓا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ﴾ حرف نصب، ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿حَرَّمَهُمَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا﴾: فعل وفاعل ومفعولان. ﴿وَلَعِبًا﴾: معطوف على ﴿لَهْوًا﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾: فعل ومفعول. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: فاعل. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾، والجملة معطوفة على جملة الصلة. ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت حالهم ودينهم، وأردت بيان عاقبتهم.. فأقول لك، ﴿اليوم﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بـ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾. ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿كَمَا﴾: ﴿الكاف﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿نَسُوا۟﴾: فعل وفاعل. ﴿لِقَآءَ يَوْمِهِمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿هَٰذَا﴾: في محل الجر صفة لـ﴿يَوْمِهِمْ﴾، والجملة الفعلية صلة لـ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالكاف تقديره: كنسيانهم يومهم هذا، الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: فاليوم ننساهم نسياناً كنسيانهم يومهم هذا. ﴿وَمَا كَانُوا۟﴾: ﴿الواو﴾ عاطفة. ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلق بـ﴿يَجْحَدُونَ﴾، وجملة ﴿يَجْحَدُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿ما﴾ المصدرية. ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر منسبك من ﴿ما﴾ الأولى والتقدير: ننساهم نسياناً كنسيانهم لقاء يومهم، وكونهم منكرين أن الآيات من عند الله تعالى، ويجوز أن تكون الكاف للتعليل؛ أي فاليوم نتركهم لأجل نسيانهم وجحودهم، والتعليل

واضح في المعطوف دون التشبيه كما سبق ذكره عن «الفتوحات».

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿جِئْنَاهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِكِتَابٍ﴾: متعلق به، والجملة الاسمية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية في محل الجر صفة لـ﴿كتاب﴾. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿فصلنا﴾؛ أي: حالة كوننا متلبسين بعلم، أو من المفعول؛ أي: حالة كون ذلك الكتاب مشتملاً على علم. ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ إما حال من هاء ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾؛ أي: فصلناه حالة كونه هادياً وذا رحمة للمؤمنين، أو حالاً من ﴿كتاب﴾، وجاز مجيء الحال منه لتخصصه بالوصف، أو منصوبان على أنهما مفعولان لأجله؛ أي: فصلناه لأجل الهداية والرحمة للمؤمنين. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: جار ومجرور تنازع فيه كل من ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ صفة لـ﴿قوم﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

﴿هَلْ﴾ حرف للاستفهام الإنكاري. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿تَأْوِيلَهُ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بـ﴿يَقُولُ﴾ الآتي. ﴿يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿نَسُوهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ مقول محكي لـ﴿يَقُولُ﴾، وإن شئت قلت: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُ﴾. ﴿بِالْحَقِّ﴾: جار ومجرور حال

من ﴿رُسُلُ رَبِّنَا﴾؛ أي: حالة كونهم متلبسين بالحق.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

﴿فَهَل﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هل﴾: حرف للاستفهام الاستخباري، وفيه معنى التمني. ﴿لَّنَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِن شُفَعَآءَ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِن﴾ زائدة، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة: ﴿قَدْ جَآءَتْ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿يَقُولُ﴾. ﴿فَيَشْفَعُواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب الاستفهام. ﴿لَنَآ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: فهل لنا ثبوت شفعاء فشفاعتهم لنا. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿نُرَدُّ﴾ فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ والتقدير: فهل لنا من شفعاء، أو هل نرد إلى الدنيا. ﴿فَنَعْمَلَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب الاستفهام، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: فهل يوجد لنا رد إلى الدنيا فعملنا غير الذي كنا نعمل. ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿نَعْمَلُ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: غيره الذي كنا نعلمه.

﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَضَلَّ﴾: فعل ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلق به. ﴿مَّا﴾ موصولة، أو مصدرية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾

صلة ﴿مَّا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: وضل عنهم الآلهة اللاتي كانوا يفترونهن، أو صلة ﴿مَّا﴾ المصدرية تقديره: وضل عنهم افتراؤهم في الدنيا، وجملة ﴿ضل﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾.

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿رَبَّكُمُ﴾: اسمها. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبرها، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف عليه. ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الموصول. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿خَلَقَ﴾، فالآية الكريمة من باب أعطيت زيداً عمراً؛ لأن كلاً من الليل والنهار يصلح أن يكون غاشياً ومغشياً، فوجب جعل الليل في قراءة الجماعة هو الفاعل المعنوي، والنهار هو المفعول من غير عكس اهـ «سمين». ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلَّيْلَ﴾، والضمير البارز يعود على ﴿ٱلنَّهَارَ﴾، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يطلب﴾ ﴿حَثِيثًا﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: يطلبه طلباً حثيثاً؛ أي: سريعاً.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾: معطوفات على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حال من الثلاثة. ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾. ﴿أَلَا﴾: حرف استفهام وتنبيه. ﴿لَهُ﴾: خبر مقدم. ﴿ٱلْخَلْقُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾:

معطوف عليه، والجملة مستأنفة. ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: صفة للجلالة. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ حالان من واو ﴿ٱدْعُوا۟﴾، ولكنه بعد تأويلهما بمشتق؛ أي: ادعوا ربكم حالة كونكم متضرعين ومخفين في دعائكم، أو صفتان لمصدر محذوف تقديره: دعاء تضرع ودعاء خفية. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ﴿إنّ﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها، وجملة ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَلَا﴾ الواو عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تُفْسِدُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة مستأنفة. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿لا تفسدوا﴾. ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿تُفْسِدُوا۟﴾ أيضاً. ﴿وَٱدْعُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟﴾. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: حالان من واو ﴿ادعوه﴾، ولكن بعد تأويلهما بمشتق تقديره: ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ تعالى حالة كونكم خائفين من عقابه وطامعين في رحمته. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: اسمها ومضاف إليه. ﴿قَرِيبٌ﴾ خبرها. ﴿مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَرِيبٌ﴾؛ لأنه صفة مشبهة، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾. ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿بُشْرًۢا﴾: حال من ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ أي: حالة كونها مبشرات أو ناشرات. ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يُرْسِلُ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية غائية. ﴿إِذَآ﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَقَلَّتۡ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾. ﴿سَحَابٗا﴾: مفعول به. ﴿ثِقَالٗا﴾: صفة لـ﴿سَحَابٗا﴾، والجملة الفعلية في محل الخفض على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿سُقۡنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿لِبَلَدٖ﴾: متعلق بـ﴿سقنا﴾. ﴿مَّيِّتٖ﴾: صفة ﴿لِبَلَدٖ﴾، والجملة جواب ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَآ﴾ مستأنفة في اللفظ غاية لما قبلها في المعنى. ﴿فَأَنزَلۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿سقنا﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ﴿أنزلنا﴾. ﴿ٱلۡمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أنزلنا﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿أخرجنا﴾. ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أخرجنا﴾ أيضاً. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: ﴿نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ من قبورهم إخراجاً مثل إخراج الثمرات من الأرض. ﴿نُخۡرِجُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: ناصب واسمه، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خبرها، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾.

﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: مبتدأ وصفة. ﴿يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿يَخۡرُجُ﴾. ﴿وَٱلَّذِي﴾: مبتدأ. ﴿خَبُثَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخۡرُجُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على النبات، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿نَكِدٗاۚ﴾: حال من فاعل ﴿يَخۡرُجُ﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: ونصرف الآيات

تصريفاً مثل تصريفنا الآيات السابقة. ﴿نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿نُصَرِّفُ﴾، وجملة ﴿يَشْكُرُونَ﴾ صفة لـ﴿قوم﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ والنداء: رفع الصوت لطلب الإقبال ﴿مَا وَعَدَنَا﴾ والوعد: خاص بما كان في الخير أو يشمل الخير والشر، وهو الصحيح، والوعيد: خاص بالشر أو السوء، فتسمية ما كان لأهل النار وعداً؛ إما من قبيل التهكم، أو للمشاكلة.

﴿نَعَمْ﴾: هي حرف جواب كأجل وجير وإي وبلى، ونقيضها لا، ونعم لتكون لتصديق الأخبار، أو إعلام استخبار، أو وعد طالب، وقد يجاب بها النفي المقرون باستفهام، وهو قليل جداً، وتبدل عينها حاء، وهي لغة فاشية كما تبدل حاء حتى عيناً، وكسر عينها لغة قريش. اهـ «سمين».

﴿فَأَذَّنَ﴾ التأذين: رفع الصوت بالإعلام بالشيء. ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ اللعنة: الطرد والإبعاد مع الخزي والإهانة.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقال: صد عن الشيء يصُد ـ بضم الصاد ـ صدوداً أعرض عنه، وصده عن الأمر إذا منعه، وصرفه عنه من باب رد، فهو يتعدى ولا يتعدى.

﴿عِوَجًا﴾؛ أي: ذات عوج؛ أي: غير مستوية ولا مستقيمة حتى لا يسلكها أحد والعِوج ـ بالكسر ـ يكون في المعاني كالملة والدين والرأي والقول، ويكون في الأعيان ما لم يكن منتصباً، وبالفتح مختص بالأعيان المنتصبة كالرمح والحائط كما في «أبي السعود».

﴿حِجَابٌ﴾ والحجاب: هو السور الذي بين الجنة والنار كما قال في سورة الحديد: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾: جمع عرف ـ بزنة قفل ـ وهو أعلى الشيء، وكل مرتفع من الأرض وغيرها، ومنه عرف الديك والفرس والسحاب لعلوها، وجعل بعضهم الأعراف هو نفس الحجاب المتقدم ذكره، عبر عنه تارة بالحجاب، وتارة بالأعراف. قاله الواحدي، ولم يذكر غيره، ولذلك عرف الأعراف؛ لأنه عني به الحجاب. اهـ. ﴿بِسِيمَىٰهُمْ﴾ والسماء والسيمياء: العلامة. ﴿صُرِفَتْ﴾: حولت.

والتلقاء جهة اللقاء؛ وهي جهة المقابلة يقال: فلان تلقاء فلان إذا كان حذاءه، ويستعمل تلقاء ظرف مكان كما هنا، ويستعمل [١] مصدراً كالتبيان، ولم يجىء من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال، وإنما يجيء ذلك في الأسماء نحو التمثال والتمساح والتصفار، وانتصاب ﴿تلقاء﴾ ههنا على الظرف؛ أي: ناحية أصحاب النار.

﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ إفاضة الماء: صبه، ثم استعملت في الشيء الكثير، فيقال: فاض الرزق والخير، وأفاض عليه النعم، وقالوا: أعطاه غيضاً من فيض؛ أي: قليلاً من كثير، وما رزقهم الله يشمل الطعام والأشربة غير الماء.

﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ اللهو[٢]: صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب: طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب كما مر به ذكره «البيضاوي». ﴿بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾ الكتاب: هو القرآن الكريم، والتفصيل جعل المسائل المراد بيانها مفصولاً بعضها من بعض بما يزيل اشتباهها.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ وتأويل الشيء: عاقبته ومرجعه ومصيره الذي يؤول ذلك الشيء إليه.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والرب[٣]: هو السيد والمالك والمدبر والمربي، والإله هو المعبود الذي يدعى لكشف الضر،

---

(١) الفتوحات.

(٢) البيضاوي.

(٣) المراغي.

أو جلب النفع، ويتقرب إليه بالأقوال والأعمال التي يرجى أن ترضيه، و﴿الله﴾: اسم لخالق الخلق أجمعين، ولا يثبت الموحدون رباً سواه، وأكثر المشركين يقولون: إنه أكبر الأرباب، أو رئيسهم وأعظم الآلهة، وكان مشركوا العرب لا يثبت رباً سواه، وإنما يعبدون آلهة تقربهم إليه. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يراد بهما العالم العلوي، والعالم السفلي. الستة: رتبة من العدد معروفة، حاشيته العليا السبعة، وحاشيته السفلى الخمسة، وأصلها: سدسة أبدلت التاء من إحدى السينين، وأدغم فيها الدال، والدليل على ذلك أنك تقول: في التصغير: سديسة، وفي الجمع: أسداس، وتقول: جاء فلان سادساً. واليوم: الزمن الذي يمتاز عن غيره بما يحدث فيه كامتياز اليوم المعروف بما يحده من النور والظلام، وامتياز أيام العرب بما يقع فيها من الحرب والخصام، وليست هذه الأيام الستة من أيام الأرض، وهي التي مجموع ليلها ونهارها أربع وعشرون ساعة، فإن هذه إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض، فكيف يعد خلقها بأيام منها.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ والاستواء لغة: استقامة الشيء واعتداله، واستوى الملك على عرشه؛ أي: ملك، وثل عرشه؛ أي: هلك، واستوى هنا بمعنى علا وارتفع استواء يليق به سبحانه وتعالى. والعرش لغة: كل شيء له سقف، ويطلق على هودج للمرأة يشبه عريش الكرم، وعلى سرير الملك وكرسيه في مجلس الحكم والتدبير، وعرش الرحمن من أعظم المخلوقات محيطاً بالسموات والأرض وما بينهما وما عليهما.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يقال: غشي الشيءُ الشيءَ ستره وغطاه، وأغشاه إياه جعله يغشاه؛ أي: يغطيه ويستره، ومنه إغشاء الليل النهار.

﴿حَثِيثًا﴾؛ أي: مسرعاً من قولهم: فرس حثيث السير؛ أي: سريعه، والحث:[1] الإعمال والسرعة، والحمل على فعل الشيء كالحض عليه، فالحث

(١) الفتوحات.

والحض أخوان يقال: حثثت فلاناً، فأحثثت، فهو حثيث ومحثوث اهـ من «السمين». وفعله من باب رد كما في المختار».

﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: مذللات لما يراد منها طلوع وغروب، ومسير ورجوع بأمره؛ أي: بتدبيره وتصرفه. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ الخلق: التقدير، والمراد هنا الإيجاد بقدر ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: تعاظمت بركاته وكثرت، والبركة: الخير الثابت الكثير، وهو فعل ماض جامد لا يتصرف؛ أي: لم يجئ منه مضارع ولا أمر، ولا اسم فاعل.

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ التضرع: التذلل؛ وهو إظهار ذل النفس من قولهم: ضرع فلان لفلان وتضرع إذا أظهر الذل له في معرض السؤال، والخفية: ضد العلانية من أخفيت الشي؛ أي: سترته، والاعتداء: تجاوز الحد، ومحبة الله للعمل: إثابته عليه، ومحبته للعامل: رضاه عنه.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أصل الخوف: انزعاج في الباطن يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل، والطمع: توقع محبوب يحصل في المستقبل.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ والرياح[(١)]: جمع ريح؛ وهي الهواء المتحرك، وأصل ريح روح، والرياح عند العرب أربع بحسب مهابها من الجهات الأربع: الشمال والجنوب، وسميا كذلك باسم الجهة التي يهبان منها، والصبا أو القبول؛ وهي الشرقية، وقد ينسبونها إلى نجد كما ينسبون الجنوب إلى اليمن، والشمال إلى الشام، والدبور؛ وهي الغربية، والريح التي تنحرف عن الجهات الأصلية، فتكون بين اثنتين منها تسمى النكباء. قال الراغب: كل موضع ذكر الله فيه إرسال الريح بلفظ الواحد كان للعذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع كان للرحمة. وفي الخبر أنه ﷺ كان يجثو على ركبته حين هبوب الرياح، ويقول: «اللهم اجعلها لنا رياحاً، ولا تجعلها ريحاً، اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا

---

(١) المراغي.

بعذابك، وعافنا قبل ذلك». وعن ابن[1] عمر أنها ثمان؛ منها أربعة عذاب؛ وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم، ومنها أربعة رحمة؛ وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والنازعات. اهـ.

﴿بُشْرًا﴾ ـ بسكون الشين ـ مخفف بشراً بضمتين واحدها بشير بمعنى مبشرة، كغدر جمع غدير، نشراً بسكون الشين مع النون مخفف نشراً بضمتين، جمع نشور بمعنى منشورة غير مطوية، كرسول يجمع على رسل، والرحمة هنا المطر.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ﴾؛ أي: رفعت يقال: أقل[2] الشيء حمله ورفعه من غير مشقة، ومنه إقلال البطن عن الفخذ في الركوع والسجود، ومنه القلة؛ لأن البعير يحملها من غير مشقة، وأصله من القلة، فكأن المقل يرى ما يرفعه قليلاً، واستقل به أقله. وفي «المصباح»: كل شيء حملته، فقد أقللته. والسحاب: الغيم، واحده سحابة، والسحاب[3] اسم جنس جمعي تصح مراعاة لفظه ومراعاة معناه، فالثاني في قوله: ﴿ثِقَالٗا﴾ والأول في قوله: ﴿سُقۡنَٰهُ﴾، والثقال منه: المشبعة ببخار الماء و﴿سُقۡنَٰهُ﴾ سيرناه، وقال أبو حيان: والسوق حمل الشيء بعنف.

﴿لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ وفي «المصباح»: البلد: يذكر ويؤنث، والجمع بلدان، والبلدة البلد، وجمعها بلاد مثل كلبة وكلاب. اهـ. وقال المراغي: والبلد[4] والبلدة الموضع من الأرض عامراً كان أو خلاء، وبلد ميت أرض لا نبات فيها ولا مرعى. وفي «القاموس»: والبلد والبلدة: مكة، وكل قطعة من الأرض متحيزة عامرة أو غير عامرة، والتراب والبلد القبر والمقبرة والدار والأثر الخ. اهـ.

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ واحدها: ثمرة، والثمرة: واحدة الثمر، وهو الحمل

---

(١) الفتوحات.

(٢) البحر المحيط.

(٣) الفتوحات.

(٤) المراغي.

الذي تخرجه الشجرة سواء أكل أو لا، فيقال: ثمر الأراك وثمر النخل والعنب.

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ والنكد: كل شيء خرج إلى طالبه بتعسر يقال: رجل نَكِد - بفتح الكاف وكسرها - وناقة نكداء خفيفة الدر صعبة الحلب. وفي «المصباح»: نكد نكداً - من باب تعب - فهو نكد تعسر، ونكد العيش نكداً اشتد وعَسُر. اهـ. وفي «القاموس»: نكد عيشهم - كفرح - اشتد وعسر، والبئر قل ماؤها، ونكد زيد حاجة عمرو - كنصر - منعه إياها، ونكد فلاناً منعه ما سأله، أو لم يعطه إلا أوله اهـ. ونكد الرجل[1]: سئل إلحافاً وأُخجل، قال الشاعر:

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّبَاً   لاَ خَيْرَ فِيْ ٱلْمَنْكُوْدِ وَٱلنَّاكِدِ

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ والتصريف: تبديل الشيء من حال إلى حال، ومنه تصريف الرياح.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: المقابلة في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ لأنه قابل الجمع بالجمع، والقاعدة: أن الجمع إذا قوبل بالجمع يوزع الفرد على الفرد، فكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا.

ومنها: المشاكلة في قوله: ﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ لأنه عبر عن الوعيد بالوعد لمشاكلة ما قبله.

ومنها: التعبير بالماضي عما في المستقبل، في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ إشعاراً بتحقق وقوعه؛ لأن النداء إنما يكون في الآخرة.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾. وفيه أيضاً الإبهام إفادة

(١) البحر المحيط.

للتهويل والتعظيم.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿حرمهما﴾؛ لأنه استعار التحريم للمنع لانقطاع التكليف حينئذ، وفي قوله: ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ لأنه شبه البلد المجدب الذي لا نبات فيه بالجسد الذي لا روح فيه بجامع عدم الانتفاع في كل على طريق الاستعارة التصريحية.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ وفي «زاده»: فشبه[1] معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسي عبده من الخير، ولم يلتفت إليه وشبه عدم إخطارهم لقاء الله ببالهم، وعدم مبالاتهم به بحال من عرف شيئاً ونسيه، وكثر مثل هذه الاستعارات في القرآن؛ لأن تعليم المعاني التي في عالم الغيب لا يمكن أن يعبر عنها إلا بما يماثلها من عالم الشهادة. اهـ. وفي قوله: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ لأنه شبه شغلهم بالدنيا بالطمع في طول العمر، وحسن العيش بغرور من يخدع في البيع مثلاً، بجامع عدم الوصول إلى المقصود في الكل، وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾؛ لأنه شبه لحوق[2] وعيده لهم، وعدم فرارهم منه بانتظار الشيء وترقبه، فعبر عنه بالانتظار.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾؛ لأنه التفت عن الغيبة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿فسقناه﴾.

ومنها: التتميم في قوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ...﴾ الخ؛ لأنه لما قال أولاً: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ تمم هذا المعنى ببيان كيفية ما يخرج من النبات من الأرض الكريمة والسبخة.

ومنها: تخصيص خروج النبات الطيب بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ على سبيل

---

(١) الفتوحات.

(٢) الفتوحات.

المدح والتشريف، وإن كان كل من النباتين يخرج بإذن الله تعالى.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: بمشيئته؛ لأنه كناية عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه، لأنه أوقعه في مقابلة قوله: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ لأنه شبه قيام الموتى من قبورهم بإخراج النبات من الأرض، فذكرت الأداة، ولم يذكر وجه الشبه، وهو مطلق الإخراج من العدم.

ومنها: إيجاز القصر في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ وهو جمع الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة، فالآية مع قلة ألفاظها جمعت معاني كثيرة استوعبت جميع الأشياء والشؤون على وجه الاستقصاء حتى قال ابن عمر: من بقي له شيء.. فليطلبه، وهذا الأسلوب البليغ يسمى إيجاز قصر.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وهو حذف أحد المتقابلين لعلمه من الآخر؛ لأن فيه محذوفاً تقديره: ويغشي النهار الليل، وذكره في آية أخرى، فقال: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ﴾، وفي قوله: ﴿تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾.

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟﴾.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في مواضع.

ومنها: الإنكاري في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿رُسُلُ رَبِّنَا﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

ومنها: القصر في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ
مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٧)
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً
فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ
وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟
إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٧٢) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا
تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ
مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا
فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ...﴾ الآيات، مناسبة(١) هذه الآية

(١) البحر المحيط.

لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني، وهو آدم عليه السلام، وقص من أخباره ما قص، واستطرد من ذلك إلى المعاد ومصير أهل السعادة إلى الجنة، وأهل الشقاوة إلى النار، وأمره تعالى بترك الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، وكان من بعث إليه رسول الله ﷺ أولاً غير مستجيبين له ولا مصدقين لما جاء به عن الله سبحانه وتعالى.. قص تعالى عليه أحوال الرسل الذين كانوا قبله، وأحوال من بعثوا إليه على سبيل التسلية له ﷺ، والتأسي بهم، فبدأ بنوح عليه السلام إذ هو آدم الأصغر، وأول رسول بعث إلى من في الأرض، وأمته أدوم تكذيباً له وأقل استجابة.

وعبارة المراغي هنا: أنه سبحانه وتعالى لما ذكر[1] مبدأ الإنسان ومعاده، وأن مرده إلى الله في يوم تجازى فيه كل نفس بما كسبت.. أردف ذلك بذكر قصص الأنبياء مع أممهم، وإعراضهم عن دعوتهم؛ ليبين للرسول أن الإعراض عن قبول دعوة الأنبياء ليس ببدء في قومك، بل سبق به أقوام كثيرون، وفي ذلك تسلية له ﷺ إلى ما فيه من التنبيه إلى أن الله تعالى لا يهمل أمر المبطلين، بل يمهلهم، وتكون العاقبة للمتقين، ومن العظة والاعتبار بما حل بمن قبلهم من النكال والوبال كما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وفي «الخازن»: واعلم أن[2] الله تبارك وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته، وغرائب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته، وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت.. أتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما جرى لهم مع أممهم، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ؛ لأنه لم يكن الإعراض عن قبول الحق من قومه فقط، بل قد أعرض عنه سائر الأمم الخالية، والقرون الماضية، وفيه تنبيه على أن عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت إلى الخسار والهلاك في الدنيا، وفي الآخرة إلى العذاب العظيم، فمن كذب بمحمد ﷺ من قومه.. كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من

---

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

الأمم، وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد ﷺ؛ لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يلق أحداً من علماء زمانه، فلما أتى بمثل هذه القصص والأخبار عن القرون الماضية والأمم الخالية مما لم ينكره عليه أحد.. علم بذلك أنه إنما أتى به من عند الله عز وجل، وأنه أوحي إليه ذلك، فكان ذلك دليلاً واضحاً، وبرهاناً قاطعاً على صحة نبوته ﷺ. انتهى.

التفسير أوجه القراءة

واللام في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ وبعثنا ﴿نُوحًا إِلَىٰ﴾ مشركي ﴿قَوْمِهِۦ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف تقديره: وعزتي وجلالي لقد أرسلنا نوح بن لَمَك - بفتح الميم وسكونها - بن متوشلخ ابن أخنوخ، وهو اسم إدريس عليهما السلام، واسم نوح عبد الغفار، ولقب بنوح؛ لكثرة نياحته؛ وإما لدعوته على قومه بالهلاك، أو لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان، أو لأنه مر بكلب مجذوم، فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحىٰ الله إليه أعبتني أم عبت الكلب؟ فكثر نَوْحُه على نفسه لذلك. وتركت[1] الواو هنا وذكرت في سورة هود والمؤمنون؛ لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي، وإنما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين، وهو مما يجب التأكيد فيه، وقدم قصة نوح؛ لأن قومه أول من كفر، ولأنه أول رسول أرسله الله إلى قومه المشركين كما هو رأي كثيرٍ من المحققين كما ثبت في حديث الشفاعة وغيره.

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى أقسم للمخاطبين بهذه الآية من أهل مكة ومن جاورهم من العرب بأنه سبحانه أرسل نوحاً عليه السلام إلى قومه منذراً لهم بأسه، ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره، وقد كانوا ينكرون الرسالة والوحي إذ ليس عندهم من علوم الرسل والأمم شيء إلا ما يتلقونه من اليهود والنصارى في بلاد العرب والشام ﴿فقال﴾ نوح ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وحدوه بالعبادة. وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ في حكم العلة لقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اعبدوا

(١) الصاوي.

الله؛ لأنه ليس لكم إله غيره تتوجهون إليه في عبادتكم بدعاء تطلبون به ما تقدرون عليه، فربكم هو الخالق لكل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، وهو الإله الحق الذي يجب أن تتوجه إليه القلوب بالدعاء وغيره.

ثم ذكر السبب في الأمر بعبادته وحده، وترك أدنى شوائب الشرك مُثبتاً للبعث والجزاء، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾؛ أي: إني أخاف عليكم عذاب يوم شديد هوله، وهو يوم البعث والجزاء إذا لم تمتثلوا ما أمرتكم به من عبادة الله وحده، وترك ما سواه، قال أبو السعود: هذه الجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها إثر تعليلها ببيان الداعي إليها، انتهى. قال أبو حيان: وفي هذه الجملة إظهار الشفقة والحنو عليهم. وقرأ[1] ابن وثاب والأعمش وأبو جعفر والكسائي: ﴿غيرِه﴾ ـ بالجر ـ على أنه بدل من لفظ إلٰه، أو نعت له. وقرأ باقي السبعة بالرفع على أنه صفة لإلٰه، أو بدل منه باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء؛ لأن ﴿مِّنۡ﴾ زائدة، و﴿لَكُم﴾ خبره. وقرأ عيسى بن عمر: ﴿غيرَه﴾ بالنصب على الاستثناء، والجر والرفع أفصح.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾؛ أي: الأشراف والرؤساء والكبراء ﴿مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ الذين جعلوا أنفسهم أضداد الأنبياء ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يا نوح ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ وخطأ عن الحق ﴿مُّبِينٖ﴾؛ أي: بين واضح ظاهر بتركك ملة آبائك حيث نهيتنا عن عبادة آلهتنا ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وهم شفعاؤنا عند الله، ووسيلتنا إليه فببركتهم يتقبل منا صالح أعمالنا، ويعطينا سؤلنا لما كانوا من الصلاح والتقوى، ونحن لا نستطيع أن نوجه دعواتنا دون وساطتهم؛ لما نجترحه من السيئات التي تبعدنا عن حظيرة ذلك القدس الأعظم.

وخلاصة مقالتهم: أنت في غمرة من الضلال أحاطت بك، فجعلتك لا تجد إلى الصواب سبيلاً، ولم يقل[2] هنا: الذين كفروا من قومه كما قال في قوم هود فيما سيأتي؛ لأن الملأ من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر، بخلاف

---

(١) البحر المحيط. (٢) الفتوحات.

الملأ من قوم نوح، فكلهم أجمعوا على هذا الجواب، فلم يكن أحد منهم مؤمناً، فإن قيل: سيأتي في سورة هود تقييد قوم نوح بالذين كفروا، فالجواب: أن ما سيأتي في دعائهم إلى الإيمان في أثناء زمن رسالته، فكان فيهم من آمن ومن كفر، وأما ما هنا فهو في أول دعائه لهم.

﴿قَالَ﴾ نوح عليه السلام مجيباً لهم: ﴿يا قوم﴾ي، ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾؛ أي: ليس بي نوع من أنواع الضلالة البتة ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ﴾ إليكم ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والمعنى[1]: قال نوح عليه السلام في الجواب لهم: يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من توحيد الله، وإخلاص الطاعة له دون الآلهة والأنداد خروجاً مني عن محجة الحق، وضلالاً عن سبيل الرشاد، ولكني رسول من رب العالمين إليكم أهديكم باتباعي إلى ما يوصلكم إلى السعادة في دنياكم وآخرتكم، وأنقذكم من الهلاك الأبدي بالشرك بالله والمعاصي المدنسة للأنفس، والمفسدة للأرواح، ومن رحمة ربكم بكم أن لا يدعكم في عمايتكم وشرككم الذي ابتدعتموه بجهلكم حتى يبين لكم الحق من الباطل على يد رسول من لدنه يسلك بكم السبيل السويَّ الموصل إلى النجاة. وإنما[2] قال: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ ولم يقل: ليس بي ضلال؛ لأن نفيها أعم من نفي الضلال؛ لأن ضلالة دالة على واحدة غير معينة، ونفي فرد غير معين نفي عام بخلاف ضلال؛ فإنه مصدر يعم الواحد والتثنية والجمع، ونفيه لا يقتضي على سبيل القطع النفي العام، فكان قوله: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ أبلغ في نفي الضلال عن نفسه من قوله: ليس بي ضلال.

ولكن جاءت هنا أحسن مجيء لأنها بين نقيضين؛ لأن الإنسان لا يخلو من أحد شيئين: ضلال وهدى، والرسالة لا تجامع الضلال. وفي قوله: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تنبيه على أنه ربهم؛ لأنهم من جملة العالم؛ أي: من ربكم المالك

---

(١) المراغي.

(٢) الفتوحات.

لأموركم الناظر لكم بالمصلحة حيث وجه إليكم رسولاً يدعوكم إلى إفراده بالعبادة. وجملة قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ في محل رفع على أنها صفة لـ﴿رَسُولٌ﴾، أو هي مستأنفة مبينة لحال الرسول؛ أي: أرسلني إليكم لأبلغكم ما طلب إلي تبليغه إليكم من التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر، والوحي والرسالة، والملائكة، والجنة والنار، والآداب والمواعظ والأحكام العامة من عبادات ومعاملات إلى نحو ذلك. والرسالات: كل ما أرسله الله به إليهم مما أوحاه إليه، وجمعها[1] باعتبار ما أوحى إليه في الأزمان المتطاولة، أو باعتبار المعاني المختلفة من الأمر والنهي، والزجر والوعظ، والتبشير والإنذار، أو باعتبار ما أوحي إليه، وإلى من قبله. قيل: في صحف إدريس وهي ثلاثون صحيفة، وفي صحف شيث وهي خمسون صحيفة.

وقرأ أبو عمرو: ﴿أبلغكم﴾ هنا في الموضعين، وفي الأحقاف بالتخفيف من أبلغ من باب أفعل، وباقي السبعة بالتشديد، والهمزة والتضعيف للتعدية فيه. ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾؛ أي: أخلص لكم النصيحة بتحذيركم عقاب الله تعالى على كفركم به، وتكذيبكم لي، وردكم نصحي. روى مسلم وأبو داود والنسائي عن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». فتبليغ[2] الرسالة هو يعرفهم أنواع تكاليف الله، وأقسام أوامره ونواهيه، والنصيحة هي: أن يرغبهم في الطاعات، ويحذرهم عن المعاصي بأبلغ الوجوه. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إنكم إن عصيتم أمره عاقبكم في الدنيا بالطوفان، وفي الآخرة بعقاب شديد خارج عما تتصوره عقولكم؛ أي: وأعلم من جهته بالوحي ما لا تعلمون من الأمور الآتية، أو أعلم من شؤونه وبطشه الشديد ما لا تعلمون.

وحاصل المعنى: أي وأنا[3] في هذا التبليغ وذلك النصح على علم من الله أوحاه إلي لا تعلمون منه شيئاً، كما أني أعلم من الله وشؤونه ما لا تعلمون في

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراح.
(٣) المراغي.

نظام هذا العالم وما ينتهي إليه، وكما أعلم ما بعده من أمر الآخرة والحساب والجزاء، فإذا نصحت لكم، وأنذرتكم عاقبة شكركم من إنزال العذاب بكم في الدنيا إذا جحدتم وعاندتم. . فإنما أنصح لكم عن علم يقيني لا تعلمونه. قال ابن[1] عطية: وما أحسن سياق هذه الأفعال، قال أولاً: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، وهذا مبدأ أمره معهم؛ وهو التبليغ كما قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، ثم قال: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾؛ أي: أخلص لكم في تبيين الرشد والسلامة في العاقبة إذا عبدتم الله وحده، ثم قال وأعلم من الله ما لا تعلمون من بطشه بكم، وهو مآل أمركم إذا لم تفردوه بالعبادة، فنبه على مبدأ أمره ومنتهاه معهم. انتهى.

والهمزة في قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، والواو عاطفة ما بعدها على ذلك المحذوف؛ أي: أكذبتم وعجبتم من ﴿أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾؛ أي: موعظة ووحي كائن ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: من مالك أموركم ﴿عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: من جنسكم تعرفونه، ولم يكن ذلك على لسان من لا تعرفونه، أو لا تعرفون لغته، فإنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام، ويقولون: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة. وقوله: ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ علة للمجيء؛ أي: جاءكم ليحذركم، ويخوفكم عاقبة الكفر والمعاصي. وقوله: ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ عبادة غير الله علة ثانية مرتبة على التي قبلها. وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: ولكي ترحموا بالتقوى، فلا تعذبوا علة ثالثة مرتبة على التي قبلها، وهذا الترتيب في غاية الحسن، فإن المقصود من البعثة الإنذار، والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي، والمقصود من التقوى الفوز بالرحمة في دار الآخرة.

وفائدة حرف الترجي هنا[2]: التنبيه على عزة المطلب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله تعالى، وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه، ولا يأمن عذاب الله تعالى. والمعنى: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم، ليحذركم عاقبة كفرهم، ويعلمكم

---

(١) البحر المحيط. (٢) الكرخي.

بما أعد لكم من العذاب على ذلك، ولتتقوا بهذا الإنذار ما يسخط ربكم عليكم بالشرك في عبادته، والإفساد في أرضه، وليعدكم بالتقوى لرحمته التي ترجى لكل من أجاب الدعوة واتقى.

وفي قوله[1]: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ بيان لشبهتهم على الرسالة، وهي أن الرسول بشر مثلهم، فكأنهم كانوا يرون أن الاشتراك في البشرية والصفات العامة يقتضي التساوي في جميع الخصائص والمزايا، ويمنع الانفراد بشيء منها، والمشاهدة أكبر برهان على بطلان هذه القضية، فالتفاوت في الغرائز والصفات الفاضلة، والاختلاف في القوى العقلية والمعارف والأعمال الكسبية جد عظيم في البشر، وليس في الأنواع الأخرى ما يشبه الإنسان في ذلك إلى أنه لو فرض التساوي بينهم، فهل هذا يمنع أن يختص الله بعض عباده بما هو فوق المعهود في الغرائز والمكتسب بالتعلم؟ كلا، إنه تعالى قدير على ذلك، وقد قضت به مشيئته، ونفذت به قدرته.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: فبعد ذلك كذبه جمهورهم، واستمروا على ذلك، وخالفوا أمر ربهم، ولجوا في طغيانهم يعمهون؛ أي: كذبوا نوحاً في ادعاء النبوة، وتبليغ الأحكام من الله، وأصروا على ذلك التكذيب تلك المدة المتطاولة بعد ما كرر عليهم الدعوة مراراً، فلم يزدهم إلا فراراً حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾...﴾ الآيات.

﴿فـ﴾ أغرقناهم كما سيأتي آنفاً، و﴿أنجيناه﴾؛ أي: أنجينا نوحاً من الغرق. ﴿و﴾ أنجينا ﴿الذين﴾ آمنوا وصحبوا ﴿مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ من الغرق قيل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل: كانوا تسعة، أبناؤه الثلاثة، وستة من غيرهم، وقيل: كانوا ثلاثة عشر، نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم، وستة ممن كانوا آمنوا به، وقد جاءت القصة مفصلة في سورة هود، وسيأتي فيها: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

---

(١) المراغي.

وروي[1]: أن نوحاً عليه السلام صنع السفينة بنفسه في عامين، وكان طولها ثلاث مئة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين، وجعل لها ثلاث طبقات، فحمل في أسفلها الدواب والوحوش، وفي وسطها الإنس، وفي أعلاها الطير، وركبها في عاشر رجب، ونزل منها في عاشر المحرم.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾؛ أي: برسولنا نوح، بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق غير مستبصرين به لما قام بهم من عمى البصيرة والقلب.

أي[2]: وأغرقنا من كذب بآياتنا بالطوفان بسبب تكذيبهم وما كان ذلك التكذيب إلا لعمى بصائرهم الذي حال بينهم وبين الاعتبار بالآيات، وفهمهم للدلائل الدالة على وحدانية الله تعالى، وقدرته على إرسال الرسل، وحكمته في ذلك، والثواب والعقاب في يوم الجزاء يوم يحشر الناس لرب العالمين، ويوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنهم من شدة العذاب حَيارى.

قال أبو حيان: وفي قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ إعلام بعلة الغرق؛ وهو التكذيب، وبآياتنا يقتضي أن نوحاً عليه السلام كانت له آيات ومعجزات تدل على إرساله.

ذكر قصة هود عليه السلام

﴿و﴾ لقد أرسلنا ﴿إلى عاد﴾ الأولى؛ وهي قبيلة سميت باسم جدهم الأكبر، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب لا في الدين، وقوله: ﴿هُودًا﴾ عطف بيان من ﴿أخاهم﴾، وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وكانت منازل عاد بالأحقاف باليمن، والأحقاف: الرمل الذي عند عمان وحضرموت.

---

(١) المراح. (٢) المراغي. (٣) البحر المحيط.

وكان بين هود ونوح ثمان مئة سنة[١]، وعاش هود أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنة. وإنما[٢] صرح هنا وفيما سيأتي في صالح وشعيب بتعيين المرسل إليهم دون ما سبق في نوح وما سيأتي في لوط؛ لأن المرسل إليهم إذا كان لهم اسم قد اشتهروا به ذكروا به، وإلا فلا، وقد امتازت عاد وثمود ومدين بأسماء مشهورة.

وإنما جعل رسول كل قوم منهم[٣]؛ لأنهم أفهم لقوله، وأعرف بحاله، وأرغب في اتباعه؛ لمعرفتهم شمائله وأخلاقه ﴿قَالَ﴾ هود لهم ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أفردوا الله سبحانه وتعالى بالعبادة، ولا تجعلوا معه إلهاً غيره؛ لأنه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾؛ أي: ليس لكم إله غيره تعالى يستحق العبادة منكم، لأنه هو الخالق لكم المدبر لأموركم.

والحكمة في قوله هنا[٤]: ﴿قال﴾: بدون الفاء، وفي قصة نوح: ﴿فقال﴾ بالفاء أن نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه غير متوان فيها على ما حكي عنه في سورة نوح من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥﴾ فناسبه التعقيب بالفاء، وأما هود فلم يكن كذلك، بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء، والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري التوبيخي داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتركتم التفكر في مصنوعات الله وما فعله بقوم نوح عليه السلام، فلا تتقون، ولا تخافون عقابه بعبادتكم غيره، واقترافكم الشرك والمعاصي، وهذا استبعاد وإنكار لعدم اتقائهم العذاب بعد ما علموا ما حل بقوم نوح. وإنما قال هنا[٥]: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وفي سورة هود: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ لعله خاطبهم بكل منهما، وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر، كما لم يذكر هنا ما ذكر هناك من قوله:

---

(١) التحبير للسيوطي.
(٢) أبو السعود.
(٣) البيضاوي.
(٤) الخازن.
(٥) الفتوحات.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من القصص. ذكره أبو السعود. ولما كانت هذه القصة معطوفة على قصة نوح، وقد علموا ما حل بهم من الغرق.. حسن قوله هنا: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني: أفلا تخافون ما نزل بهم من العذاب، ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شيء.. حسن تخويفهم من العذاب، فقال هناك: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ والرؤساء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾؛ أي: من قوم هود، وجحدوا توحيد الله، وأنكروا رسالة هود إليهم، وإنما وصف[1] الملأ هنا بالكفر دون ملأ قوم نوح؛ لأن الملأ من قوم هود كان فيهم من آمن ومن كفر، فممن آمن منهم مرثد بن أسعد أسلم وكان ممن يكتم إيمانه، بخلاف الملأ من قوم نوح، فكلهم أجمعوا على ذلك الجواب، فلم يكن أحد منهم مؤمناً في أول دعائه إياهم إلى الإيمان ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يا هود ﴿فِي سَفَاهَةٖ﴾ وحماقة وجهالة وقلة عقل؛ أي: إنا لنتيقن كونك يا هود متمكناً ومتعمقاً في سفاهة وخفة عقل عن الحق، والصواب حيث فارقت ديننا، وتركت عبادة آلهتنا الذي اتخذت لهم الأمة الصور والتماثيل تخليداً لذكراهم، والتقرب بشفاعتهم إلى ربنا وربهم، وإنما[2] أخبر الله سبحانه وتعالى عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا له: في ضلال مبين، وعن قوم هود أنهم قالوا له: في سفاهة، لأن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان، وشرع في عمل السفينة، فعند ذلك قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ حتى تتعب نفسك في إصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء، وأما هود عليه السلام، فإنه لما نهاهم عن عبادة الأصنام التي سموها صمداً وصموداً، ونسب من عبدها إلى السفه، وهو قلة العقل.. قابلوه بمثل ما نسبهم إليه، فقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾. اهـ «خازن».

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾ يا هود ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائك أنك رسول من عند الله تعالى، وفي قولهم هذا إيماء إلى تكذيبهم كل رسول؛ إذ هم قد عبروا عن

---

(١) المراح. (٢) الخازن.

أصحاب هذه الدعوى بالكاذبين، وجعلوه واحداً منهم.

﴿قَالَ﴾ هود لهؤلاء الملأ الذين نسبوه إلى السفه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾؛ أي: ليس بي شيء مما تنسبونني إليه من السفه؛ أي: ليس الأمر كما تدعون من أن بي سفاهة ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أرسلني إليكم لأبلغكم رسالات ربي وأؤديها إليكم، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فلا يختار لها إلا من عرفوا برجحان العقل، وحصافة الرأي، وكمال الصدق، وإنما جمع الرسالة نظراً لاختلاف أوقاتها، ولتنوع معانيها، أو لأن المراد بها المرسل به؛ وهو يتعدد. ذكره أبو السعود.

ثم بين وظيفة الرسول وحاله عليه السلام فيما بلغ، فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾؛ أي: أؤدي إليكم ما أرسلني به ربي إليكم من أوامره ونواهيه، وشرائعه وتكاليفه ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ﴾ فيما آمركم به من عبادة الله عز وجل، وترك عبادة ما سواه ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: موثوق فيما أبلغه عن ربي، فلا أكذب عليه في وحيه إلي، والأمين الثقة على ما ائتمن عليه.

وهذا رد لقولهم[1]: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فكأن هوداً قال لهم: كنت قبل هذه الدعوى أميناً فيكم، ما وجدتم مني غدراً ولا مكراً ولا كذباً، واعترفتم لي بكوني أميناً، فكيف نسبتموني الآن إلى الكذب؟ وفي هذا دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في موضع الضرورة إلى مدحها، وإنما أتى هود[2] بالجملة الاسمية في قوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ﴾؛ ونوح بالفعلية حيث قال: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾؛ لأن صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة، وكان نوح عليه السلام يكرر في دعائهم ليلاً ونهاراً من غير تراخ، فناسب التعبير بالفعل، وأما هود فلم يكن كذلك، بل كان يدعوهم وقتاً دون وقت، فلذا عبر بالاسمية.

وفي إجابة[3] هؤلاء الأنبياء لأقوامهم بتلك الإجابة الصادرة عن الحكمة والإغضاء عما قالوا من وصفهم إياهم بالسفاهة والضلالة أدب حسن، وخلق

---

(١) المراح. (٢) الفتوحات. (٣) المراغي.

عظيم، وتعليم لعباده كيف يقابلون السفهاء، وكيف يغضون عن قالة السوء التي تصدر عنهم.

والهمزة في قوله: ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ للاستفهام الإنكاري التوبيخي، داخلة على محذوف، والواو: عاطفة على ذلك المحذوف، كما مر نظيره آنفاً تقديره: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر وموعظة وبيان من ربكم وخالقكم ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: على لسان رجل من جنسكم ونسبكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ويخوفكم من عقاب ربكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة ﴿وَاذْكُرُوٓاْ﴾ فضل الله عليكم ونعمته لكم ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ إغراق ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ وجعلكم ورثتهم ﴿وَزَادَكُمْ﴾ على غيركم ﴿فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾؛ أي: زادكم سعة في الأبدان والقوى على ما أعطاه لغيركم، وقد كانوا طوال الأجسام أقوياء الأبدان قيل: كان طول الطويل منهم خمسمئة ذراع، وطول القصير ثلاثمئة ذراع بذراع نفسه، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ هذا تعميم بعد تخصيص كما في «البيضاوي»؛ أي: فاذكروا نعم الله وفضله عليكم، واشكروه على ذلك بإخلاص العبادة له، وترك الإشراك به، وهجر الأوثان والأصنام ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لكي تنجوا من العذاب، وتفوزوا بما أعده الله سبحانه وتعالى للشاكرين لنعمه الراجين للمزيد منها، وتدركون الخلود والبقاء، والنعيم الأبدي في دار القرار.

ثم ذكر ما ردوا به عليه، فقال: ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال قوم هود مجيبين له عن تلك النصائح العظيمة: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ يا هود ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾؛ أي: لأجل أن نخص الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾؛ أي: ونترك ما كان يعبد أباؤنا معه من الأولياء والشفعاء، وهم الوسيلة عنده، وهم الذين يقربوننا إليه زلفى، وهل يقبل الله عبادتنا مع ذنوبنا إلا بهم ولأجلهم؟

وبعد أن استنكروا التوحيد، واحتجوا عليه بما لا يصلح عقلاً ولا شرعاً أن يكون حجة من تقليد الآباء والأجداد.. اقترحوا الوعيد، فقالوا: ﴿فَأْتِنَا﴾؛ أي:

فجئنا يا هود ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾؛ أي: بما تهددنا به من العذاب على ترك الإيمان بك، وترك العمل بما جئت به من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في إخبارك بنزول العذاب، وغرضهم بهذا القول أنه إذا لم يأتهم هود بذلك العذاب ظهر لهم كونه كاذباً، وهذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يعدهم به لشدة تمردهم على الله، ونكوصهم عن طريق الحق، وبعدهم عن ابتاع الصواب. فأجابهم هود على مقالتهم بقوله: ﴿قَالَ﴾ هود لقومه: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾؛ أي: عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾؛ أي: سخط منه؛ أي: قد قضى عليكم ربكم ومالك أمركم بعذاب وطرد من رحمته، وقد كان عذابهم ريحاً صرصراً ذات صوت شديد عاتية تنزع الناس من الأرض، ثم ترميهم صرعى كأنهم أعجاز نخل منقعر، أي: قد قلع من منابته وزال من أماكنه، وفي هذه الجملة جعل ما هو متوقع كالواقع تنبيهاً على تحقق وقوعه. ثم استنكر عليهم ما وقع منهم من المجادلة، فقال: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى﴾ والهمزة فيه للإنكار والاستقباح لإنكارهم مجيئه داعياً لهم إلى عبادة الله، وترك عبادة الأصنام؛ أي: أتخاصمونني ﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ عارية عن المسمى؛ إذ ليس فيها من معنى الألوهية شيء ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾؛ أي: سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً، وكانت ثلاثة سموا أحدها صمودا، والأخرى صمدا، والثالثة هبا، فإنهم سموا الأصنام بالآلهة مع أن معنى الألوهية فيها معدوم؛ أي: وضعتموها أنتم وأباؤكم الذي قلدتموهم على غير علم ولا هدى منكم، ولا منهم لمسميات اتخذوها، فاتخذتموها آلهة زاعمين أنها تقربكم إلى الله زلفى، وتشفع عنده لكم ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾؛ أي: ما أنزل بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: من حجة ولا برهان يصدق زعمكم بأنه رضي أن تكون واسطة بينه وبينكم؛ لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل، وأن الأصنام لو استحقت العبادة.. كان استحقاقها بجعله تعالى؛ إما بإنزال آية، أو نصب دليل، فقوله تعالى: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ عبارة عن خلو مذاهبهم عن الحجة والبينة.

والخلاصة:[1] أنه هو الذي يتوجه إليه وحده، ولا يشرك معه أحد من خلقه

---

(١) المراغي.

كما قال إبراهيم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وكل ما يتعلق بعبادة الله لا يعلم إلا بوحي منه ينزله على رسله إذ لا يعلم إلا من عباده المبلغين عنه.

﴿فَانْتَظِرُوا﴾ ما يحصل لكم من عبادة هذه الأصنام، وهو نزول العذاب الذي طلبتموه بقولكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لنزوله بكم، وفصل قضائه فينا وفيكم، وإنني لموقن بذلك وأنتم مرتابون.

﴿فـ﴾لما جاء أمرنا، ووقع ما وقع ﴿أنجيناه والذين معه﴾؛ أي: أنجينا هوداً والذين آمنوا معه ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ عظيمة كائنة ﴿مِنَّا﴾ لهم ﴿وَقَطَعْنَا﴾؛ أي: استأصلنا ﴿دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: آخرهم مع أولهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ما أبقينا أحداً من الذين لا يؤمنون، فلو علم الله أنهم سيؤمنون لأبقاهم.

والمعنى: فلما جاء أمرنا، ووقع ما وقع أنجينا هوداً والذين آمنوا به وبما دعا إليه من توحيد الله، وهجر الأوثان، وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم برحمة عظيمة من جهتنا بأن جعلوا في حظيرة ما يصل إليهم من الريح إلا ما يلين عليهم جلودهم وتلتذ به أنفسهم. وبعد ذلك[1] أتوا مكة مع هود، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا، واستأصلنا دابر الذين جحدوا بآياتنا، ولم نبق منهم أحداً بريح صرصر ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ وكانت باردة ذات صوت شديد، ولا مطر فيها، وكان وقت مجيئها في عجز الشتاء، وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته. وفي «الخازن»: قال السدي: بعث الله عز وجل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت فدخلوها، وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح، فقلعت أبوابهم، ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم

(١) البيضاوي.

طيراً أسود، فنقلتهم إلى البحر، فألقتهم فيه. وقيل: إن الله تعالى أمر الريح، فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح، فكشفت عنهم الرمل، ثم احتملتهم، فرمت بهم في البحر. اهـ.

﴿و﴾ لقد أرسلنا ﴿إلى ثمود﴾ اسم قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر، وهو ثمود بن عامر بن سام بن نوح، وتسمى عاداً الثانية ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿صَٰلِحًاۚ﴾؛ لأنه صالح بن عبيد بن أسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن المذكور، فهو من فروعه، فليس من أنبياء بني إسرائيل، وكان بين صالح وهود مئة سنة، وعاش صالح مئتين وثمانين سنة.

وكانت[1] مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، والمعنى: وأرسلنا إلى بني ثمود أخاهم صالحاً؛ لأن ثمود قبيلة. قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلة مائها، والثمد: الماء القليل.

﴿قَالَ﴾ صالح لثمود: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أفردوا الله بالعبادة وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾؛ أي: فليس لكم إله غيره تعالى يستحق منكم العبادة ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ ظاهرة ومعجزة واضحة كائنة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تدل على صدقي فيما أقول لكم، وأدعوكم إليه من توحيد الله سبحانه وتعالى، وإفراده بالعبادة دون ما سواه، وهي إخراج الناقة من الحجر الصلد.

وفي قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إيماء إلى أنها ليست من فعله ولا مما ينالها كسبه، وهكذا سائر ما يؤيد الله به الرسل من خوارق العادات، وهذه المقالة كانت لهم بعد نصحهم وتذكيرهم بنعم الله، وتكذيبهم له كما جاء في سورة هود: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا...﴾ إلى آخر الآيات، وجملة قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ حالة كونها ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ على صدقي مشتملة على بيان البينة المذكورة أولاً، وانتصاب ﴿ءَايَةً﴾ على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة، وفي

(١) الخازن.

إضافة ﴿نَاقَةُ﴾ إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ تعالى تشريف لها وتكريم كما يقال: بيت الله وروح الله.

ووجه كونها معجزة له خارقة للعادة أنها خرجت من صخرة في الجبل، وكونها لا من ذكر ولا من أنثى، وكان خلقها من غير حمل ولا تدريج؛ لأنه خلقت في ساعة، وخرجت من الصخرة، وقيل: لأنها كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم، وهذه من المعجزة أيضاً؛ لأن ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة، وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم، ويقوم لهم مقام الماء، وهذا أيضاً معجزة. وقيل: إن سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء في يوم نوبتها، وتشرب في يوم نوبة ثمود، وهذا أيضاً معجزة، وإنما أضافها إلى الله؛ لأن الله تعالى خلقها من غير واسطة ذكر وأنثى. وقيل: لأنها لم يملكها أحد إلا الله تعالى. وقيل: لأنها كانت حجة الله على قوم صالح، وإنما استشهد صالح على صحة نبوته بالناقة؛ لأنهم سألوه إياها آية دالة على صدق دعوته، وصحة نبوته.

ثم ذكر ما يترتب على كونها آية من أنه لا ينبغي التعرض لها، فقال: ﴿فَذَرُوهَا﴾؛ أي: فاتركوها حالة كونها ﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في الحجر؛ أي: إن الأرض أرض الله، والناقة ناقة الله، فاتركوها تأكل ما تأكل في أرض ربها، وليس لكم أن تحولوا بينها وبين أرض ربها، فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم، وكانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء ترد غباً، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها، ثم تفجج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلىء أوانيهم، فيشربون ويدخرون. وقرأ أبو جعفر في رواية: ﴿تأكلُ﴾ - بالرفع - وهو في محل حال حينئذ.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾؛ أي: ولا تقربوها ﴿بِسُوٓءٍ﴾؛ أي: بضرر من عقر وضرب مثلاً؛ أي: لا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من أنواع الأذى، ولا تتعرضوا لها بوجه من الوجوه التي تسوؤها وتضرها في نفسها، ولا في أكلها إكراماً لآية الله تعالى: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بسبب أذاها؛ أي: فإنكم

إن فعلتم ذلك أخذكم عذاب أليم؛ أي: إذا لم تتركوا مسها بشيء من السوء أخذكم عذاب أليم، أي: شديد الألم. وقد وصف العذاب في سورة هود بالقريب، وهو يقع بعد ثلاثة أيام من مسهم إياها بالسوء، وكذلك كان، وجاء في سورة القمر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ وجاء تفسير هذا في سورة الشعراء: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: إن الماء الذي كانوا يشربون منه قسمة بينهم وبين الناقة؛ إذ كان ماء قليلاً، فكانوا يشربونه يوماً وتشرب هي يوماً، وقد روي عن ابن عباس: أنهم كانوا يستعيضون عن الماء يوم شربها بلبنها.

ثم ذكرهم بنعم الله عليهم، وبوجوب شكرها بعبادته تعالى وحده، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾؛ أي: وتذكروا يا قومي نعم الله عليكم، وإحسانه إليكم ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾؛ أي: جعلكم خلفاء في الأرض عن عاد في الحضارة والعمران والقوة والبأس ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أنزلكم وأسكنكم منازلهم في الأرض حالة كونكم ﴿تَتَّخِذُونَ﴾؛ أي: تعملون وتصنعون ﴿مِن سُهُولِهَا﴾؛ أي: من سهول الأرض ـ جمع سهل ـ والسهل من الأرض: اللين، وهو غير الجبل؛ أي: تصنعون وتأخذون من سهول الأرض وترابها ﴿قُصُورًا﴾؛ أي: مادة قصور كالطين واللبن والآجر، والمعنى: تتخذون من سهولها قصوراً زاهية ودوراً عالية بما ألهمكم الله من حذق في الصناعة، فجعلكم تضربون اللبن وتحرقونه آجراً ـ الطوب المحرق ـ وتستعملون الجص، وتجيدون هندسة البناء ودقة النجارة ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾؛ أي: تنقبون من الجبال بيوتاً؛ إذ علمكم صناعة النحت، وآتاكم القوة والجلد. روي أنهم كانوا يسكنون الجبال في الشتاء لما في البيوت المنحوتة من القوة، فلا تؤثر فيها الأمطار والعواصف، ويسكنون السهول في باقي الفصول للزراعة والعمل. وقال الشوكاني: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾؛ أي: تتخذون في الجبال التي هي صخور بيوتاً تسكنون فيها، وقد كانوا لقوتهم وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال، فيتخذون فيها كهوفاً يسكنون فيها؛ لأن الأبنية والسقوف لطول أعمارهم كانت تفنى قبل فناء أعمارهم. اهـ.

والخلاصة: تبنون قصوراً عالية، وبيوتاً رفيعة للصيف بما تعملون من سهول الأرض من الطين واللبن والآجر والجبس، وتنقبون في الجبال بيوتاً للشتاء، وذلك لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية تتهدم قبل انقضاء أعمارهم، فكان عمر واحد منهم ثلاث مئة سنة إلى ألف سنة كقوم هود. قال[1] وهب: كان الرجل يبني البنيان، فتمر عليه مئة سنة، فيخرب، ثم يجدده، فتمر عليه مئة سنة، فيخرب، ثم يجدده، فتمر عليه مئة سنة، فيخرب، فأضجرهم ذلك، فاتخذوا الجبال بيوتاً. وسميت القصور قصوراً؛ لقصور الفقراء عن تحصيلها وحبسهم عن نيلها. ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تذكروا نعم الله تعالى عليكم بالشكر عليها، فإنكم متنعمون مترفون ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قال قتادة[2]: معناه ولا تسيروا في الأرض مفسدين ومكثرين فيها الفساد، والعثو: أشد الفساد. وقيل: أراد به عقر الناقة، وقيل: هو على ظاهره، فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد، والمعنى على هذا: ولا تعملوا في الأرض شيئاً من أنواع الفساد، والمعنى: وتذكروا هذه النعم العظام، واشكروها له بتوحيده، وإفراده بالعبادة، ولا تتصرفوا فيها تصرف كفران وجحود بفعل ما لا يرضي الله الذي خلقها لكم بالكفر، والعثي في الأرض بالفساد.

وقرأ الحسن[3]: ﴿وتنحَتون﴾ - بفتح الحاء - وزاد الزمخشري أنه قرأ: ﴿وتنحاتون﴾ - بإشباع الفتحة -. وقرأ ابن مصرف بالياء من أسفل وكسر الحاء. وقرأ أبو مالك بالياء من أسفل وفتح الحاء، ومن قرأ بالياء فهو التفات، وقرأ الأعمش: ﴿تِعْثوا﴾ - بكسر التاء - لقولهم: أنت تعلم وهي لغة.

قصة الناقة

وروي: أن هذه الناقة هي آية مقترحة لقوم صالح لما حذرهم وأنذرهم سألوه آيةً، فقال: أية آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة، فتدعو إلهك، وندعو آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب

(١) البحر المحيط. (٢) الخازن. (٣) البحر المحيط.

لنا اتبعتنا. قال صالح: نعم. فخرج معهم، فدعوا أوثانهم وسألوها الإجابة، فلم تجبهم، ثم قال سيدهم ـ جندع بن عمرو بن جواس، وأشار إلى صخرة منفردة من ناحية الجبل يقال لها: الكاثبة ـ أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء، والمخترجة: ما شاكلت البخت من الإبل، فأخذ صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا: نعم. فصلى ركعتين، ودعا ربه، فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، ثم تحركت، فانصدعت عن ناقة كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظماً، وهم ينظرون، ثم نتجت سقباً مثلها في العظم، فآمن به جندع ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد، والحباب صاحبا أوثانهم، وريان ابن كاهنهم، وكانوا من أشراف ثمود، وهذه الناقة وسقبها مشهور قصتهما عند جاهلية العرب. قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود، فذرعت صدر الناقة، فوجدته ستين ذراعاً.

الإعراب

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿لَقَدْ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم المحذوف. ﴿قد﴾: حرف تحقيق ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف مستأنفة. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿فَقَالَ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿قال﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿نوح﴾، والجملة معطوفة مفرعة على جملة ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قال﴾، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿قوم﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مَا﴾ نافية. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِّنْ﴾ زائدة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾ تابع لمحله، والتقدير: ما

إله غير الله كائن لكم، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها مسوقة لتعليل العبادة، أو للأمر بها كما في «أبي السعود» ﴿إِنِّيٓ﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الياء﴾: اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿نوح﴾. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: متعلق بـ﴿أَخَافُ﴾. ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿عَظِيمٖ﴾ صفة لـ﴿ٱللَّهَ﴾، وجملة ﴿أَخَافُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾ معللة للعبادة ببيان الصارف عن تركها إثر تعليلها ببيان الداعي إليها. ذكره «أبو السعود».

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠﴾.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من ﴿ٱلۡمَلَأُ﴾. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّا﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب. ﴿نا﴾: ضمير المتكلمين في محل النصب اسمها. ﴿لَنَرَىٰكَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿نراك﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين. ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾: جار ومجرور في محل النصب على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿رأى﴾؛ لأن ﴿رأى﴾ هنا من أفعال القلوب. ﴿مُّبِينٖ﴾: صفة ﴿ضَلَٰلٖ﴾، وجملة ﴿رأى﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾.

﴿قَالَ﴾ فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿نوح﴾، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ إلى قوله: ﴿فكذبوه﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿قوم﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَيۡسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿بِي﴾: جار ومجرور خبر لـ﴿لَيۡسَ﴾ مقدم على اسمها. ﴿ضَلَٰلَةٞ﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿لَيۡسَ﴾ في محل النصب مقول على كونها جواب النداء. ﴿وَلَٰكِنِّي﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لكن﴾: حرف استدراك، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: اسمها. ﴿رَسُولٞ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿لكن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها استدراكاً على ما قبلها.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: فعل ومفعول أول. ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾: مفعول ثان ومضاف إليه، وفاعله ضمير يعود على ﴿نوح﴾. ﴿وَأَنصَحُ﴾ فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره آنا يعود على نوح ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾. ﴿وَأَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على نوح، والجملة معطوفة على جملة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أعلم﴾، أو حال من ﴿مَا﴾ الموصولة المذكورة بعده، أو من عائده المحذوف؛ لأن علم هنا بمعنى عرف، فيتعدى إلى مفعول واحد. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول علم. ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما لا تعلمونه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿أَوَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿عَجِبْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: أكذبتم وعجبتم، والجملة المحذوفة مع ما عطف عليها في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿أَن﴾: مصدرية. ﴿جَآءَكُمْ﴾: فعل ومفعول في محل النصب بـ﴿أن﴾ المصدرية. ﴿ذِكْرٌ﴾: فاعل لـ﴿جاء﴾. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: صفة لـ﴿ذِكْرٌ﴾، أو متعلق بـ﴿جاء﴾، وجملة ﴿جاء﴾ في تأويل مصدر منصوب بـ﴿عَجِبْتُمْ﴾ تقديره: أو عجبتم مجيء ذكر من ربكم. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: جار ومجرور إما متعلق بـ﴿جاء﴾؛ لأنه بمعنى نزل، أو حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور قبله؛ أي: ذكر كائن من ربكم حال كونه نازلاً على رجل منكم. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رَجُلٍ﴾. ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿ينذركم﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي،

وفاعله ضمير يعود على ﴿رجل﴾، والجملة في تأويل مصدر مجرور بلام كي، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جاء﴾، والتقدير: أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لإنذاره إياكم. ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لتتقوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: ولاتقاءكم عذاب الله، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور قبله على كونه متعلقاً بـ﴿جاء﴾. ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تُرْحَمُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الجر بلام التعليل المقدرة معطوفة على جملة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾؛ لأنها علة ثالثة؛ أي: جاءكم لإنذاركم، ولاتقائكم عذاب الله، ولرجائكم رحمة الله تعالى.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قال لهم نوح وما قالوا له، وأردت بيان عاقبة أمره وأمرهم.. فأقول لك: ﴿كذبوه﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أنجيناه﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿كذبوه﴾. ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على الضمير في ﴿أنجيناه﴾. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة الموصول. ﴿فِي الْفُلْكِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنجيناه﴾، أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف قبله. ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أنجيناه﴾. ﴿كَذَّبُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِآيَاتِنَا﴾: متعلق بـ﴿كَذَّبُوا﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿قَوْمًا﴾: خبرها. ﴿عَمِينَ﴾: صفة لـ﴿قَوْمًا﴾ منصوب بالياء، وجملة ﴿كان﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها أعني: أغرقنا.

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إلى عاد﴾: جار ومجرور معطوف على قوله: ﴿إلى نوح﴾ على كونه متعلقاً بـ﴿أرسلنا﴾. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعولُ ﴿أرسلنا﴾. ﴿هُودًا﴾: بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان له. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿هود﴾، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: خبر مقدم. ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَفَلَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري الاستبعادي داخلة على محذوف. ﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿لا﴾: نافية. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، والتقدير: أتعرضون فلا تتقون الله.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْمَلَأُ﴾. ﴿كَفَرُوا۟﴾: صلة الموصول. ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾: جار ومجرور حال من واو ﴿كَفَرُوا۟﴾. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّا﴾ ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿نا﴾: ضمير المتكلمين اسمها. ﴿لَنَرَىٰكَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿نراك﴾: فعل ومفعول أول. ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني؛ لأن ﴿رأى﴾ هنا قلبية، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين، وجملة ﴿رأى﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَإِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَظُنُّكَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿نظنك﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على المتكلمين. ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: في محل المفعول الثاني، وجملة ﴿نظنك﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب معطوفة على جملة إن الأولى.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على هود، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ناقص. ﴿بِي﴾: خبر مقدم لـ﴿لَيْسَ﴾. ﴿سَفَاهَةٌ﴾: اسم ليس مؤخر، وجملة ﴿لَيْسَ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَلَٰكِنِّي﴾: ناصب واسمها. ﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿لكن﴾. ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: صفة لـ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿لكن﴾ استدراكية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿لَيْسَ﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على هود. ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾: مفعول ثان ومضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتقرير رسالته وتفصيل أحكامه، وقيل: صفة أخرى لـ﴿رَسُولٌ﴾، ولكنه راعى الضمير السابق الذي للمتكلم، فقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾، ولو راعى الاسم الظاهر بعده لقال: يبلغكم، والاستعمالان جائزان في كل اسم ظاهر سبقه ضمير حاضر من متكلم أو مخاطب، فيجوز لك وجهان: مراعاة الضمير السابق وهو الأكثر، ومراعاة الاسم الظاهر، فتقول: أنا رجل أفعل كذا مراعاة لأنا، وإن شئت قلت: أنا رجل يفعل كذا مراعاة لرجل، ومثله: أنت رجل تفعل ويفعل بالخطاب والغيبة اهـ «سمين». ﴿وَأَنَا۠﴾: مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿نَاصِحٌ﴾. ﴿نَاصِحٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾.

﴿أَوَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف. ﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿عَجِبْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: أكذبتم وعجبتم، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿أَن﴾: مصدرية. ﴿جَآءَكُمْ﴾: فعل ومفعول في محل النصب بـ﴿أَن﴾ المصدرية. ﴿ذِكْرٌ﴾: فاعل ﴿جاء﴾. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: صفة لـ﴿ذِكْرٌ﴾، وجملة

﴿جاء﴾ في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعول ﴿جاء﴾ تقديره: أو عجبتم مجيء ذكر من ربكم، أو مجرور بمن المحذوفة تقديره: أوعجبتم من مجيء ذكر من ربكم. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جاء﴾. ﴿مِّنكُمْ﴾: صفة ﴿رَجُلٍ﴾. ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: ﴿اللام﴾ لام كي، ﴿ينذركم﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَجُلٍ﴾، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لإنذاره إياكم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جاء﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ﴿اذكروا﴾. ﴿جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾: فعل ومفعولان، وفاعلة ضمير يعود على الله، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ﴿خُلَفَاءَ﴾. ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾: فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الجر معطوفة على جملة ﴿جَعَلَكُمْ﴾ على كونها مضافاً إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿فَاذْكُرُوا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿اذكروا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿اذكروا﴾ الأول للتأكيد. ﴿آلَاءَ اللَّهِ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿تُفْلِحُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَجِئْتَنَا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَجِئْتَنَا﴾: ﴿الهمزة﴾: فيه للاستفهام الإنكاري، ﴿جئتنا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾، ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ﴾ ﴿اللام﴾ لام كي، ﴿نعبد الله﴾: فعل ومفعول منصوب

بأن مضمرة، وفاعله ضمير المتكلمين. ﴿وَحْدَهُۥ﴾: حال من الجلالة، والجملة في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل تقديره: أجئتنا لأجل عبادتنا الله وحده، الجار والمجرور متعلق بـ﴿جاء﴾. ﴿وَنَذَرَ﴾: معطوف على ﴿نعبد﴾ منصوب بأن مضمرة. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿نذر﴾. ﴿كَانَ﴾: زائدة لزيادتها بين الموصول وصلته، أو الموصوف وصفته، أو شأنية. ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما كان يعبده آباؤنا. ﴿فَأْتِنَا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت إنكارنا عليك، وأردت بيان غاية قولنا لك.. فنقول لك أتنا، ﴿أتنا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿هود﴾، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أتنا﴾. ﴿تَعِدُنَآ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على هود، والجملة صلة لـ﴿ما﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما تعدناه. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية محذوف دل عليه ما قبله تقديره: إن كنت من الصادقين.. فأتنا بما تعدنا، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿هود﴾، والجملة مستأنفة. ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿وَقَعَ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلق به. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وَقَعَ﴾ أيضاً، أو حال من ﴿رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿رِجْسٌ﴾: فاعل ﴿وَقَعَ﴾. ﴿وَغَضَبٌ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى﴾: ﴿الهمزة﴾: فيه للاستفهام

الإنكاري الاستقباحي. ﴿تجادلونني﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول به مرفوع بثبات النون، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِيٓ أَسۡمَآءٖ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾: فعل وفاعل، ومفعول ثان، والمفعول الأول محذوف تقديره: أصناماً؛ أي: سميتم الأصنام بها، والجملة في محل الجر صفة أولى لـ﴿أَسۡمَآءٖ﴾. ﴿أَنتُمۡ﴾: تأكيد لضمير الفاعل ليصح العطف عليه. ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾: معطوف على ضمير الفاعل. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهَا﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر صفة ثانية لـ﴿أَسۡمَآءٖ﴾. ﴿مِن﴾: زائدة. ﴿سُلۡطَٰنٖۚ﴾: مفعول به لـ﴿نَزَّلَ﴾. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿انتظروا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿قَدۡ وَقَعَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الياء﴾: اسمها. ﴿مَعَكُم﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة كما في «أبي السعود»؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قالوا لهود وما قال هود لهم، وأردت بيان عاقبة الفريقين.. فأقول لك: أنجيناه، ﴿أنجيناه﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على هاء ﴿أنجيناه﴾. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة الموصول. ﴿بِرَحۡمَةٖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أنجينا﴾. ﴿مِّنَّا﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿رحمة﴾. ﴿وَقَطَعۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أنجينا﴾ على كونه مقولاً لجواب إذا المقدرة. ﴿دَابِرَ ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كَذَّبُواْ﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مُؤۡمِنِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُواْ﴾

معطوفة على جملة ﴿كَذَّبُوا﴾ على كونها صلة الموصول، وهو عطف علة على معلول، أو عُطف توكيداً. كما في «الفتوحات».

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾: جار ومجرور معطوف على قوله: ﴿إلى عاد﴾ وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي؛ لأنه بمعنى القبيلة، فإن لم يرد به القبيلة، بل أريد به الحي.. صرف لكنه لم يقرأ بالصرف هنا إلا شذوذاً، ذكره في «الفتوحات». ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول أرسلنا. ﴿صَٰلِحًا﴾ بدل منه، أو عطف بيان له. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿صالح﴾، والجملة مستأنفة، أو حال من ﴿صَٰلِحًا﴾. ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾ خبر مقدم. ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَيْرُهُۥ﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة للعبادة. ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: صفة لـ﴿بَيِّنَةٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها علة بعد علة. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: مبتدأ. ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مستأنفة مسوقة لبيان البينة، ويصح أن تكون الجملة في محل الرفع بدلاً من ﴿بَيِّنَةٌ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور خبر ثان لاسم الاشارة، أو حال من ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، أو معمول لمحذوف تقديره: أعني لكم. ﴿ءَايَةً﴾: حال من ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، والعامل فيها: إما معنى التنبيه، وإما معنى الإشارة، كأنه قال: أنبهكم عليها، أو أشير إليها في هذه الحال. ﴿فَذَرُوهَا﴾ ﴿الفاء﴾: تفريعية لكون ما قبلها علة لما بعدها؛ أي: ذروها لكونها آية من آيات الله، ﴿ذروها﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل

النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿تَأْكُلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على الناقة، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿تَأۡكُلۡ﴾. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَمَسُّوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿بِسُوٓءٖ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ذروها﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾ ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿يأخذكم﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي. ﴿عَذَابٌ﴾ فاعل. ﴿أَلِيمٞ﴾: صفة له، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى تقديره: لا يكن مسكم إياها بسوء فأخذ عذاب أليم إياكم.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى متعلق بـ﴿اذكروا﴾. ﴿جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾: فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جعل﴾، أو صفة لـ﴿خُلَفَآءَ﴾. ﴿وَبَوَّأَكُمۡ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿جَعَلَكُمۡ﴾. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق بـ﴿بوأكم﴾. ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من كاف المخاطبين في ﴿بوأكم﴾. ﴿مِن سُهُولِهَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، أو حال من ﴿قُصُورٗا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿قُصُورٗا﴾: مفعول به لـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ على احتمال كون اتخذ متعدياً لواحد، ويجوز أن يكون متعدياً لاثنين ثانيهما: ﴿مِن سُهُولِهَا﴾. ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ وهذا على تضمين نحت معنى ما يتعدى إلى مفعولين؛ أي: وتتخذون الجبال بيوتاً بالنحت، ويجوز أن ينصب ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾: بنزع الخافض، و﴿بُيُوتٗاۖ﴾: مفعولاً به، ويجوز أن يكون

﴿ٱلْجِبَالَ﴾: مفعولاً به، ﴿بُيُوتًا﴾: حالاً مقدرة منه، ولكن بتأويلها بمشتق؛ أي: مسكونة. ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان ما هو الأصلح اللازم لكم.. فأقول لكم: ﴿اذكروا آلاء الله﴾: فعل وفاعل ومفعول ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَعْثَوْاْ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال من واو ﴿تَعْثَوْاْ﴾ مؤكدة لعاملها؛ لأن العثو بمعنى الفساد.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في «المصباح»: قوم الرجل: أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد، وقد يقيم الرجل بين الأجانب، فيسميهم قومه مجازاً للمجاورة. وفي «التنزيل»: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: كان مقيماً بينهم، ولم يكن منهم، وقيل: كانوا قومه. اهـ.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ واليوم هنا: يوم القيامة. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ وفي «المصباح» أيضاً: الملأ - مهموزاً -: أشراف القوم سموا بذلك لملأتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي، أو لأنهم يملؤون العيون أبهة والصدور هيبة، والجمع أملاء مثل سبب وأسباب اهـ. وفي «أبي السعود»: الملأ: الذين يملؤون صدور المحافل بأجسادهم، والقلوب بجلالتهم وهيبتهم، والعيون بجمالهم وأبهتهم اهـ.

﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وفي «المصباح»: ضل الرجل الطريق وضل عنه يضل - من باب ضرب - ضلالاً وضلالةً إذا زل عنه، فلم يهتد إليه، فهو ضال هذه لغة نجد، وهي الفصحى، وبها جاء القرآن في قوله: ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ وفي لغة لأهل العالية من باب تعب، والأصل في الضلال الغيبة، ومنه قيل للحيوان الضائع: ضالة - بالهاء - للمذكر والمؤنث، والجمع الضوال مثل: دابة ودواب اهـ.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال[1]: نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له، والنصح: إرادة الخير لغيره كما يريده لنفسه. وقيل: النصح: تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير. وقيل: حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكر.

والمعنى: أنه قال: أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه، وأرشدكم إلى الوجه الأصلح والأصوب لكم، وأدعوكم إلى ما دعاني إليه، وأحب لكم ما أحب لنفسي. قال بعضهم: والفرق بين إبلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهيه، وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها عليهم، وأما النصيحة فهي أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات، ويحذرهم عذابه إن عصوه.

﴿ذِكْرٌ﴾ والذكر: الموعظة. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾؛ أي: على لسانه ﴿مِّنكُمْ﴾؛ أي: من جنسكم ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ وفي «المختار»: الفلك السفينة واحد وجمع تذكر وتؤنث قال تعالى: ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فأفرد وذكر، وقال: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأنث، ويحتمل الإفراد والجمع، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع وكأنه يذهب[2] بها إذا كانت واحدة إلى المركب فتذكر، وإلى السفينة فتؤنث. اهـ.

﴿عَمِينَ﴾ عن فهم الحق[3] جمع عم صفة مشبهة لكن تصرف فيه بحذف لامه كقاضٍ إذا جمع، فأصله عميين بيائين: الأولى مكسورة، والثانية ساكنة حذفت الأولى تخفيفاً على حد قول ابن مالك:

وَٱحْذِفْ مِنَ ٱلْمَقْصُوْرِ فِيْ جَمْعٍ عَلَىٰ حَدِّ ٱلْمُثَنَّىٰ مَابِهِ تَكَمَّلاَ

وفي «السمين» ويقال: عم إذا كان أعمى البصير غير عارف بأموره،

---

(١) الفتوحات.

(٢) أي فكأنه يلاحظ فيها معنى المركب فتذكر، أو معنى السفينة فتؤنث اهـ مؤلفه.

(٣) الفتوحات.

وأعمى؛ أي: في البصرة وهذا قول الليث. كما قال زهير:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ ٱلْيَوْمِ وَٱلأَمْسِ قَبْلَهُ   وَلَكِنَّنِيْ عَنْ عِلْمِ مَا فِيْ غَدٍ عَمِيْ

وقيل: عَمٍ وأعمى بمعنى كخضر وأخضر. وقال بعضهم: عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق، ولو أريد الحدوث.. لقيل عام كما يقال: فارح وضائق. وقد قرىء: ﴿قوماً عامين﴾ حكاها الزمخشري. اهـ.

﴿أَخَاهُمْ هُودًاۚ﴾ الأخ هنا: هو الأخ في النسب، وتقول العرب في أخوة الجنس: يا أخا العرب. ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ والسفاهة: خفة العقل والحمق. ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ والآلاء[1]: جمع إِلْي - بكسر الهمزة وسكون اللام - كِحْملٍ وأَحْمال، أو جمع أُلْي - بضم الهمزة وسكون اللام - كقُفْل وأقفال، أو جمع إِلَى - بكسر الهمزة وفتح اللام - كضلع وأضلاع وعنب وأعناب، أو جمع أَلَى - بفتحهما - كقفا وأقفاء اهـ «سمين». والإلى على جميع أوجهها النعمة، وأما إلى الذي هو من حروف الجر.. فلا يجمع؛ لأنها حرف، والحرف لا يجمع.

﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ هو[2] مصدر محذوف الزوائد، وأصل هذا المصدر: الإيجاد من قولك: أوجدته إيجاداً إذا أفردته، فحذفت الهمزة والألف، وهما الزائدان.

﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ﴾ والرجس[3]: العذاب من الأرجاس الذي هو الاضطراب، والغضب: إرادة الانتقام.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾ المجادلة: المماراة والمخاصمة، والسلطان الحجة والدليل، والدابر الآخر، ويراد به الاستئصال؛ أي: أهلكناهم جميعاً.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ وأخوة صالح لهم أخوة في النسب كأخوة هود لقومه، كما تقدم في مبحث التفسير، والبينة: المعجزة الظاهرة الدلالة. ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾؛ أي: تذكروا.

---

(١) الفتوحات.   (٢) العكبري.   (٣) أبو السعود.

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أنزلكم فيها، وجعلها مباءة لكم، والمباءة في الأصل أعطان الإبل، والأرض: المراد بها: أرض الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى.

﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ والنَّحْتُ: نجر الشيء الصلب اهـ «أبو السعود». وفي «القاموس»: نحته ينحته ـ كيضربه وينصره ويعلمه ـ براه، ونحت السفر البعير أنضاه، وفلاناً صرعه، والنحاتة البراية، والمنحت ما ينحت به اهـ. والعيث والعثي: الفساد.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التكرار في قوله: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وفي قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾، وفي قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾، وفي قوله: ﴿وَاذْكُرُوا﴾، وفي قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، وفي قوله: ﴿سَفَاهَةٍ﴾.

ومنها: المبالغة[1] بجعل الضلال ظرفاً له حيث قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وزادوا في المبالغة حيث صدروا الجملة بـ﴿إن﴾ وزادوا في خبرها اللام.

ومنها: التعميم في قوله: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ لأنها أعم من الضلال، وذلك لأن ضلالة دالة على واحدة غير معينة، ونفي فرد غير معين نفي عام. وفيه أيضاً المبالغة في الرد عليهم؛ لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة فضلاً عن أن يحيط به الضلال، ولو قال: لست ضالاً لم يؤد هذا المؤدى.

ومنها: الإضافة في قوله: ﴿يَا قَوْمِ﴾ استمالة لقلوبهم إلى الحق.

ومنها: الاستعطاف[2] والتحضيض على تحصيل التقوى في قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) الفتوحات. (٢) البحر المحيط.

ومنها: الإضافة لتشريف المضاف إليه في قوله: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ و﴿فِىٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾ كالإضافة في بيت الله وروح الله.

ومنها: الرجوع في قوله: ﴿لَيۡسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾، وفي قوله: ﴿لَيۡسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾: وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾، وفي قوله: ﴿فِىٓ أَسۡمَآءٍ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لأن إسناد المجيء إلى الذكر مجاز.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿رَجُلٍ مِّنكُمۡ﴾؛ أي: على لسان رجل منكم.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في مواضع كقوله: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ﴾ مثلاً.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ لأنه كناية لطيفة عن استئصالهم جميعاً بالهلاك.

ومنها: التنكير في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ إفادة للتقليل والتنكير؛ أي: لا تمسوها بأدنى سوء.

ومنها: الإتيان بحرف الترجي في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ للتنبيه[1] على عزة المطلب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي منوطة بفضل الله تعالى، وأن المتقي ينبغي له أن لا يعتمد على تقواه، ولا يأمن عذاب الله تعالى، كما مر.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتًا﴾ بين لفظي الجبال والسهول.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ لأن المعية[2] مجاز عن

(١) الفتوحات. (٢) شهاب.

المتابعة، وفي قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لأن[1] المس والأخذ هنا استعارة.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه تعالى أعلم

* * *

(١) البحر المحيط.

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

التفسير وأوجه القراءة

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ والأشراف ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: تكبروا عن الإيمان بالله تعالى وبصالح ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: من قوم صالح. قرأ[1] ابن عامر: ﴿وقال الملأ﴾ - بواو عطف -. وقرأ الجمهور: ﴿قال﴾ بغير واو -. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ منهم؛ أي: للمساكين الذين استضعفهم المستكبرون

(١) البحر المحيط.

واستذلوهم، وعدوهم أراذل، وقوله: ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الموصول بإعادة الجار بدل كل من كل إن قلنا: إن ضمير ﴿مِنْهُمْ﴾ عائد إلى قومه؛ أي: قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم بطريق الاستهزاء والسخرية، أو بدل بعض من كل إن قلنا: إن الضمير عائد إلى الذين استضعفوا؛ لأن في المستضعفين من ليس بمؤمن، ومقول القول قوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ﴾ إلينا وإليكم ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: لا تعلمون ذلك، والاستفهام فيه[1] للإنكار ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ أي: قال المستضعفون جواباً عن سؤال المستكبرين ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ صالح ﴿مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: نحن مصدقون بما جاء به صالح من ربه، أجابوهم[2] بأنهم مؤمنون برسالته مع كون سؤال المستكبرين لهم إنما هو عن العلم منهم هل تعلمون برسالته أم لا مسارعة إلى إظهار ما لهم من الإيمان، وتنبيهاً على أن كونه مرسلاً أمر واضح مكشوف لا يحتاج إلى السؤال عنه، فأجاب المستكبرون تمرداً وعناداً بقولهم: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: إنا بالذي صدقتم به من نبوة صالح منكرون وجاحدون.

وعبارة المراغي هنا: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ...﴾ الخ. قد[3] جرت سنة الله أن يكون الفقراء المستضعفون أسرع الناس إلى إجابة دعوة الأنبياء والرسل، وإلى كل دعوة لإصلاح، فإنه لا يثقل عليهم أن يكونوا تابعين لغيرهم، وأن يكفر بها أكابر القوم وأغنياؤهم المترفون إذ يشق عليهم أن يكونوا مرؤوسين لسواهم، كما يصعب عليهم الامتناع عن الإسراف في الشهوات، والوقوف عند حدود الاعتدال. وعلى هذا السنن سار الملأ من قوم صالح إذ قالوا للمؤمنين منهم: أتعلمون أن صالحاً رسول من عند الله، ومرادهم بهذا: التهكم والاستهزاء بهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إنا بما أرسل به صالح من

---

(١) زاد المسير.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

الحق والهدى مصدقون ومقرون بأنه من عند الله، وأن الله أمر به، وعن أمر الله دعانا صالح. وفي جوابهم هذا دون أن يقولوا نعم، أو نعلم أنه مرسل منه، أو إنا برسالته عالمون إيماء إلى أنهم علموا بذلك علماً يقينياً إذعانِيّاً له السلطان على عقولهم وقلوبهم، وما كل من يعلم شيئاً يصل علمه إلى هذه المرتبة، بل من الناس من يعلم الشيء بالبرهان، لكنه يجحده ويحاربه، وهو موقن به حسداً لأهله، أو استكباراً عنه كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن أمر الله، وأمر رسوله صالح ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم﴾؛ أي: صدقتم به من نبوة صالح، وأن الذي جاء به هو الحق ﴿كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: جاحدون منكرون لا نصدق به ولا نقر. وإنما لم يقولوا: إنا بالذي أرسل به صالح كافرون؛ لأن ذلك يتضمن إثبات الرسالة، فلو قالوه لكان شهادة منهم على أنفسهم بجحود الحق على علمهم به استكباراً وعناداً.

ثم ذكر ما فعلوه مما يدل على كفرهم بآيات ربهم، فقال: ﴿فَعَقَرُواْ﴾؛ أي: عقر أولئك المستكبرون ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾؛ أي: ناقة صالح وقتلوها، ونسب الفعل إليهم جميعاً، والفاعل واحد منهم، وهو[1] قُدار بن سالف، وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه ابن زانية، ولم يكن لسالف، ولكنه ولد على فراشه، وكان قدار عزيزاً متبعاً في قومه قتلها بأمرهم في يوم الأربعاء، فقال لهم صالح: إن آية العذاب أن تصبحوا غداً صفراً، ثم أن تصبحوا يوم الجمعة حمراً، ثم أن تصبحوا يوم السبت سوداً، ثم يصبحكم العذاب يوم الأحد؛ أي: نسب الفعل إليهم مع كون العاقر واحداً منهم كما جاء في سورة القمر: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ وجاء في «صحيح البخاري» مرفوعاً: «فانتدب لها رجل ذو عزة ومنعة في قومه كأبي زمعة؛ لأنهم لما اتفقوا عليه ورضوا به صاروا كأنهم فعلوه جميعاً». وفي ذلك تهويل وتفظيع لأمرهم، وإن أضراره ستصيبهم جميعاً، ومثل هذا من الأعمال ينسب إلى الأمة في جملتها، وتعاقب عليه جميعها كما قال تعالى:

---

(١) المراح.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

﴿وَعَتَوْاْ﴾؛ أي: تكبروا ﴿عَنْ﴾ قبول ﴿أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الذي أمرهم به صالح؛ أي: وتمردوا وتجبروا عن اتباع الحق الذي بلغهم صالح إياه، وهو ما سلف ذكره. روى أحمد والحاكم عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح، وكانت الناقة ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، وكانت تشرب يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أخمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله، وهو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه».

﴿وَقَالُواْ﴾ استهزاء وتهكماً ﴿وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ وتخوفنا به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ من عند الله تعالى حقاً، فإنهم كذبوا صالحاً في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقرأ ورش والأعمش: ﴿يا صالح اوتنا﴾ وأبو عمرو إذا أدرج بإبدال همزة فائتنا واواً لضمة حاء صالح. وقرأ باقي السبعة بإسكانها. وفي كتاب ابن عطية قال أبو حاتم: قرأ عيسى وعاصم: ﴿أوتنا﴾ - بهمزة وإشباع ضم - انتهى. فلعله عاصم الجحدري، لا عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة ذكره أبو حيان في «البحر». والوعد يكون في الخير والشر؛ أي: قالوا له: ائتنا بما وعدتنا به من عذاب الله ونقمته إن كنت رسولاً إلينا، وتدعي أن وعيدك تبليغ عنه، فالله ينصر رسله على أعدائه، فعجل ذلك لنا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾؛ أي: الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾؛ أي: فصاروا في بلدهم خامدين ميتين، لا يتحركون، والمراد: كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب من غير اضطراب ولا حركة؛ أي: لم يلبثوا أن سقطوا مصعوقين جثثاً هامدة نزلت بهم الصيحة في أرضهم.

وفي سورة هود: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، وفي سورة حم السجدة: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ وفي سورة الذاريات: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ والمراد

بالجميع الصاعقة، فإن لنزولها صيحة شديدة القوة ترجف من هولها الأفئدة، وتضطرب الأعصاب، وربما اضطربت الأرض، وتصدع ما فيها من بنيان.

وقد علم أن سبب حدوثها اتصال كهربائية الأرض بكهربائية الجو التي يحملها السحاب، فتحدث صوتاً كالصوت الذي يحدث باشتعال قذائف المدافع، وهذا الصوت هو المسمى بالرعد، وتحدث الصاعقة تأثيرات عظيمة، كصعق الناس والحيوان، وهدم المباني أو تصديعها، وإحراق الشجر ونحو ذلك، وقد هدى العلم إلى الطريق في اتقاء أضرارها بالمباني العظيمة بوضع ما يسمونه: «مانعة الصواعق».

وقد يجوز أن الله سبحانه وتعالى جعل هلاكهم في وقت ساق فيه السحاب المشبع بالكهرباء إلى أرضهم بحسب السنن المعروفة، وقد يجوز أن الله قد خلق تلك الصاعقة لأجلهم على سبيل خرق العادة، وأيهما كان قد وقع.. فقد صدق الله رسوله، وحدث ما أنذرهم به.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ وأعرض صالح ﴿عَنْهُمْ﴾؛ أي: خرج من بينهم قبل موتهم ﴿وَقَالَ﴾؛ أي: صالح ﴿يَٰقَوْمِ﴾ والله ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ وأوصلت إليكم ﴿رِسَالَةَ رَبِّي﴾؛ أي: ما أرسلني به ربي إليكم ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾؛ أي: بذلت لكم النصيحة بالترغيب والترهيب، وبذلت وسعي في نصيحتكم، ولكن لم تقبلوا مني ذلك كما قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾؛ أي: لا تطيعوا الناصحين لكم، بل تستمروا على عداوتهم. وروي[1] أن صالحاً خرج في مئة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، فالتفت فرأى الدخان ساطعاً، فعلم أنهم قد هلكوا، وكانوا ألفاً وخمس مئة دار.

والمعنى[2]: قال لهم صالح بعد أن جرى عليهم ما جرى، مغتماً متحسراً، كما يقول المتحسر على من مات جانياً على حياته بالتفاني في شهواته: ألم أنهك عما يوردك ريب المنون؟ ألم أحذرك تلك العاقبة الوخيمة التي لم تتداركها قبل

---

(١) المراح. (٢) المراغي.

وقوعها؟ فماذا أفعل إذ فضلت لذة الساعات والأيام على عيش هنيء يدوم عشرات الأعوام؟

وروي مثل هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ من ندائه بعض قتلى قريش ببدر بعد دفنهم في القليب - البئر غير المبنية - «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟». قال راوي الحديث أبو طلحة الأنصاري، قال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها - أو فيها - فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» رواه البخاري وغيره من طريق قتادة عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه ثم قال: قال قتادة أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخاً وتصغيراً لهم، ونقمة وحسرة وندماً عليهم اهـ. قال العلماء: ومثل هذا مما اختص به الأنبياء وبهذا الحديث ونحوه مما ورد من حياة الأنبياء والشهداء في البرزخ يستدل زوار الأضرحة والقبور الذين يدعون أصحابها لقضاء حاجاتهم، ويقولون إن كل من دعا ميتاً من الصالحين يسمع منه، ويقضي حاجته قياساً على ذلك مع علمهم بأن الأمور الغيبية يقتصر فيها على ما سمع عن الأنبياء، ولا يدخلها باب القياس.

وحاصل قصة قوم صالح عليه السلام[1]: أن الله سبحانه وتعالى لما أهلك عاداً.. أقام ثمود مقامهم، وطال عمرهم، وكثر تنعمهم، ثم عصوا الله وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحاً - وكان منهم - فطالبوه بالمعجزة، فقال: ما تريدون؟ فقالوا: تخرج معنا في عيدنا ونخرج أصناماً، فتسأل إلهك، ونسأل أصنامنا، فإذا ظهر أثر دعائك اتبعناك، وإن ظهر أثر دعائنا اتبعتنا، فخرج معهم، ودعوا أوثانهم، فلم تجبهم، ثم قال: سيدهم جندع بن عمرو لصالح عليه السلام، وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل - يقال لتلك الصخرة كاثبة -: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة كبيرة جوفاء براء، فإن فعلت ذلك صدقناك. فأخذ

(١) المراح.

صالح عليهم المواثيق أنه إن فعل ذلك آمنوا، فقبلوا، فصلى ركعتين ودعا الله تعالى، فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض الحامل، ثم انفجرت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء، وكانت في غاية الكبر، ثم نتحت ولداً مثلها في العظم، فآمن به جندع ورهط من قومه، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به، فنهاهم ذؤاب بن عمرو والحباب صاحبا أوثانهم، ورباب بن صمعر كاهنهم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء، وكانت ترده غباً، فإذا كان يومها.. وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها، ثم تفرج بين رجليها، فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلىء أوانيهم، فيشربون ويدخرون، وكانت إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي، فيهرب منها أنعامهم، وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي، فتهرب مواشيهم، فشق ذلك عليهم، وزينت عقرها لهم امرأتان: عنيزة بنت غانم، وصدقة بنت المختار لما أضرت به مواشيهم، فعقروها واقتسموا لحملها وطبخوه، فرقى ولدها جبلاً مسمى بقارة، فرغا ثلاثاً، وقال لهم صالح عليه السلام: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه، وانفتحت الصخرة بعد رغائه، فدخلها فقال لهم صالح: تصبحون غداً وجوهكم مصفرة، وبعد غد وجوهكم محمرة، واليوم الثالث وجوهكم مسودة، ثم يصبحكم العذاب، فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه، فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين. ولما كان اليوم الرابع واشتد الضحى تحنطوا بالصبر، وتكفنوا بالإنطاع، فأتتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض، فتقطعت قلوبهم وهلكوا.

﴿وَ﴾ لقد أرسلنا لوطا؛ أي: لوط بن هاران بن تارخ، وهو ابن أخ إبراهيم، وإبراهيم عمه: ﴿إِذْ قَالَ﴾؛ أي: وقت قوله: ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾ أهل سدوم، وكان قد أرسل إليهم، وذلك أن لوطاً بعد موت والده هاجر مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى الشام، وكانت ولادته في الطرف الشرقي من جنوب العراق في موضع يسمى أرض بابل، فنزل إبراهيم عليه السلام أرض فلسطين، ونزل لوط عليه السلام الأردن، فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى، وينهاهم عن فعلهم القبيح، وهو قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾؛ أي: أتفعلون الفعلة الخسيسة القبيحة التي هي غاية في القبح، وكانت فاحشتهم: إتيان الذكران في

أدبارهم، ولما كان هذا الفعل معهوداً قبحه، ومركوزاً في العقول فحشه أتى بها معرفاً بالألف واللام ذكره أبو حيان. والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ؛ أي: لا ينبغي لكم أن تفعلوها، والحال أنه ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿مِن﴾ الأولى زائدة[1] لتوكيد النفي، وإفادة معنى الاستغراق، والثانية للتبعيض.

والمعنى: ما سبقكم أيها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم. والجملة[2] استئنافية مقررة للإنكار كأنه وبخهم أولاً بإتيان الفاحشة، ثم باختراعها، فإنه أسوأ. قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا قبل قوم لوط عليه السلام. والمعنى[3]: أي ما عملها أحد قبلكم في أي زمان، بل هي من مبتدعاتكم في الفساد، فأنتم فيها أسوة وقدوة، فتبؤون بإثمها وإثم من اتبعكم فيها إلى يوم القيامة. وفي هذا بيان بأن ما اجترحوه من السيئات مخالف لمقتضيات الفطرة، ومن ثم لم تتطلع إليه نفوس أحد من البشر قبلهم إلى ما فيه من مخالفة لهدي الدين. قال الحسن: كانوا يأتون الغرباء كانت بلادهم الأردن تؤتى من كل جانب لخصبها، فقال لهم إبليس - وهو في صورة غلام -: إن أردتم دفع الغرباء.. فافعلوا بهم هكذا، فمكنهم من نفسه تعليماً لهم، ثم فشا، واستحلوا ما استحلوا.

وفي تسمية[4] هذا الفعل بالفاحشة دليلٌ على أنه يجري مجرى الزنا يرجم من أحصن، ويجلد من لم يحصن، وفعله عبد الله بن الزبير: أتى بسبعة منهم، فرجم أربعة أحصنوا، وجلد ثلاثة، وعنده ابن عمر وابن عباس، ولم ينكروا به، وبه قال الشافعي. وقال مالك: يرجم أحصن أو لم يُحصَن، وكذا المفعول به إن كان محتلماً، وعنده يرجم المحصن ويؤدب، ويحبس غير المحصن؛ وهو مذهب عطية وابن المسيب والنخعي وغيرهم. وعن مالك أيضاً: يعزر أحصن أو لم يحصن؛ وهو مذهب أبي حنيفة. وحرَّق خالد بن الوليد رضي الله عنه رجلاً يقال له الفجاء عمل ذلك العمل، وذلك برأي أبي بكر وعلي، وإن أصحاب

---

(١) الخازن.
(٢) البيضاوي.
(٣) المراغي.
(٤) البحر المحيط.

رسول الله ﷺ أجمع رأيهم عليه، وفيهم علي بن أبي طالب ذكره أبو حيان.

والاستفهام في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ للإنكار والتوبيخ أيضاً، وهذا أشنع مما سبق؛ لتأكيده بأن وباللام واسمية الجملة. ذكره أبو السعود، وهذا بيان لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾؛ أي: أئنكم أيها القوم لتأتون وتطؤون أدبار الرجال ﴿شَهْوَةً﴾؛ أي: لمجرد الشهوة واللذة، لا للولد ولا للألفة، وقوله: ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ حال من الواو في ﴿تأتون﴾؛ أي: تطؤون أدبار الرجال حال كونكم متجاوزين النساء، وتاركين إياهن، أو حال من ﴿الرِّجَالَ﴾؛ أي: حال كونهم منفردين عن النساء. والمراد بالإتيان هنا: الاستمتاع الذي عهد بمقتضى الفطرة بين الزوجين، وداعيته الشهوة وقصد النسل.

وإنما[1] ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل القبيح الخبيث؛ لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة وموضعاً للنسل، فإذا تركهن الإنسان، وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال، فكأنما أسرف وجاوز الحد واعتدى؛ لأنه وضع الشيء في غير محله، وموضعه الذي خلق له؛ لأن أدبار الرجال ليست محلاً للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان.

وقد سجل عليهم هنا أنهم يبتغون الشهوة وحدها، فهم أخس من سائر أفراد الحيوان؛ لأن الذكور منها تطلب الإناث بدافع الشهوة والنسل الذي يحفظ النوع، ألا ترى أن الطيور والحشرات تبدأ حياتها الزوجية ببناء الأعشاش في أعلى الأشجار، أو الوكن في قلل الجبال، أو الأحجار في باطن الأرضين، ولكن هؤلاء المجرمين لا غرض لهم إلا إرضاء شهواتهم، ومن يقصد اللذة وحدها دون النسل.. فقد أسرف فيها، وانقلب نفعها ضراً، وصار خيرها شراً.

وقرأ نافع وحفص عن عاصم[2]: ﴿إِنَّكُمْ﴾ - بهمزة واحدة مكسورة - على

---

(١) الخازن.

(٢) المراح.

الخبر المستأنف؛ وهو بيان لتلك الفاحشة. وقرأ ابن كثير بهمزتين بدون ألف بينهما وبتسهيل الثانية، وأبو عمرو كذلك لكنه أدخل الألف بينهما، وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مد، والباقون بتحقيقهما من غير مد بينهما على الأصل.

و﴿بَلْ﴾ في قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ للإضراب الانتقالي من قصة إلى قصة؛ أي: بل أنتم قوم مجاوزون الحلال إلى الحرام؛ أي: إنكم لا تأتون هذه الفاحشة، ثم تندمون على ما فعلتم، بل أنتم قوم مسرفون فيها وفي سائر أعمالكم، ولا تقفون فيها عند حد الاعتدال، وقد جاء في سورة النمل: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾؛ أي: أنتم ذو سفه وطيش، وفي سورة العنكبوت: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ وفي كل هذا دليل على أنهم كانوا مسرفين في لذاتهم متعدين حدود العقل والفطرة، لا يعقلون ضرر ما يفعلون بجنايتهم على النسل والصحة والآداب العامة، فهم لو عقلوا ذلك.. لاجتنبوها، ولو كان لديهم شيء من الفضيلة.. لانصرفوا عنها. وقال هنا[1]: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ بصيغة اسم الفاعل؛ ليدل على الثبوت، ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأسماء. وقال في النمل: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ بالمضارع لتجدد الجهل فيهم، ولموافقة ما سبق من رؤوس الآي في ختمها بالأفعال.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا﴾؛ أي: ما كان جواباً من جهة قومه شيء من الأشياء في المرة الأخيرة من مرات المحاورة بينه وبينهم إلا قولهم لبعضهم الآخرين المباشرين لتلك الأمور معرضين عن مخاطبة لوط عليه السلام ﴿أَخْرِجُوهُم﴾؛ أي: أخرجوا لوطاً وابنتيه زعورا وربيشا ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ سذوم ـ بوزن رسول بالذال المعجمة ـ من قرى حمص بالشام ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾؛ أي: أي يتنزهون من أدبار الرجال، قالوا ذلك على سبيل السخرية بلوط وأهله، وعلى سبيل الافتخار بما هم فيه. وأتى هنا بقوله: ﴿وَمَا﴾ وفي النمل والعنكبوت بقوله: ﴿فما﴾ والفاء هي الأصل في هذا الباب؛ لأن المراد أنهم لم يتأخر جوابهم عن نصحته، وأما الواو فالتعقيب أحد محاملها، فتعين هنا أنها للتعقيب

---

(١) البحر المحيط.

لأمر خارجي؛ وهو القرينة في السورتين المذكورتين، لا أنها اقتضت ذلك بوضعها. اهـ «سمين».

والمعنى[1]: أي وما كان جواب قومه عن هذا الإنكار وتلك النصيحة شيئاً من الحجج المقنعة، أو الأعذار المسكنة لثورة الغضب، بل كان جوابهم الأمر بإخراجه هو ومن آمن معه من قريتهم، وما حجتهم على تبرير ما عزموا عليه إلا أن قالوا: إن هؤلاء أناس يتطهرون، ويتنزهون عن مشاركتهم في فسوقهم ورجسهم، فلا سبيل إلى معاشرتهم ولا مساكنتهم لما بينهم من الفوارق في الصفات والأخلاق. والظاهر أن قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعليل للإخراج؛ أي: لأنهم لا يوافقوننا على ما نحن عليه، ومن لا يوافقنا.. وجب أن نخرجه. ذكره أبو حيان.

وهذا الجواب منهم يدل على منتهى السخرية والتهكم والافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظوهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهد. وقد بلغ من قحتهم وفجورهم أن يفعلوا الفاحشة ويفخروا بها، ويحتقروا من يتنزه عنها، وهذا أسفل الدركات، ولا يهبط إليه إلا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾؛ أي: فأنجينا لوطاً وأهله؛ وهم بنتاه من العذاب الذي حل بقومه ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾؛ أي: زوجته الكافرة - واسمها واهلة -؛ لأنها ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾؛ أي: من الباقين في ديارهم، فهلكت في العذاب مع الهالكين فيها؛ لأنها تسر الكفر موالية لأهل سذوم، وقال: ﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ تغليباً للذكور. وأما لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم، وهو في فلسطين؛ أي: فأنجيناه وأهل بيته الذين آمنوا معه إلا امرأته، فإنها لم تؤمن به، بل خانته بولاية قومه الكافرين، فكانت من جماعة الهالكين، أو الباقين الذين نزل بهم العذاب في الدنيا، وبعده عذاب الآخرة.

---

(١) المراغي.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾؛ أي[1]: وأرسلنا عليهم إرسال المطر وإنزاله في الكثرة جُرّاً محروقاً معجوناً بالكبريت والنار. قال مجاهد: نزل جبريل عليه السلام، وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، فاقتلعها ورفعها إلى السماء، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة. وقيل المعنى[2]: وأنزلنا على الخارجين من المدائن الخمسة حجارة من السماء معلمة عليها اسم من يرمى بها. وروي أن تاجراً منهم كان في الحرم، فوقف الحجر له أربعين يوماً حتى قضى تجارته، وخرج من الحرم، فوقع عليه فأهلكه.

والإمطار[3] حقيقة في المطر مجاز فيما يشبهه في الكثرة من خير وشر مما يجيء من السماء، أو من الأرض؛ أي: وأرسلنا عليهم مطراً عجيباً أمره؛ وهو الحجارة التي رجموا بها. وجاء في سورتي هود والحجر أنها حجارة من سجيل مسومة؛ أي: معلمة ببياض في حمرة، وقد يكون سبب إمطار الحجارة عليهم إرسال إعصار من الريح حمل تلك الحجارة، وألقاها عليهم، أو أن تلك الحجارة من بعض النجوم المحطمة التي يسميها علماء الفلك: الحجازة النيزكية؛ وهي بقايا كوكب محطم تجذبه الأرض إليها إذا صار بالقرب منها؛ وهي تحترق غالباً من سرعة الجذب وشدته، وهي الشهب التي ترى بالليل، فإذا سلم منها شيء من الاحتراق، ووصل إلى الأرض.. ساخ فيها، وكان لسقوطه صوت شديد، وقد وجد بعض الناس بعض تلك الحجارة ووضعوها في دور الآثار.

﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ هؤلاء ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ وآخر أمرهم الذين كذبوا بالله ورسوله الذي أرسل إليهم، وعملوا الفواحش كيف أهلكناهم بعذاب مستأصل لهم، وهذا الخطاب، وإن كان للنبي ﷺ، لكن المراد به غيره من أمته؛ ليعتبروا بما جرى على هؤلاء، فينزجروا بذلك الاعتبار عن

---

(١) المراح.

(٢) المراح.

(٣) المراغي.

الأفعال القبيحة والفواحش الخبيثة، والمعنى: فانظر أيها المعتبر هذا القصص وتأمله حق التأمل؛ لتعلم عذاب الأمم على ذنوبها في الدنيا قبل الآخرة.

وهذا العقاب أثر طبيعي لذلك، فإنك ترى الترف والفسق يفسدان أخلاق الأمم، ويذهبان ببأسها، ويفرقان كلمتها، ويجعلانها شيعاً وأحزاباً متعادية، فيسلط الله عليها من يستذلها، ويسلبها استقلالها، ويسخرها لمنافعه، ولا يزال بها هكذا حتى تنقرض وتكون من الهالكين، وقد يكون هلاكها بسنن الله في الأرض من إرسال الجوائح كالزلازل والرياح العاصفة، أو بالأوبئة والأمراض الفتاكة، أو بالثورات والفتن والحروب، ونحو ذلك مما يكون سبباً في انقراض الأمم وفنائها.

وخلاصة القول في تحريم هذه الفاحشة:

١ ـ أنها مفسدة للشبان بالإسراف في الشهوات.

٢ ـ أنها مفسدة للنساء اللواتي ينصرف أزواجهن عنهن، ويقصرون فيما يجب عليهم من إحصانهن.

٣ ـ قلة النسل، فإن من لوازم ذلك الرغبة عن الزواج، والرغبة في إتيان الأزواج في غير مأتى الحرث. وفي الحياة الزوجية الشرعية إحصان كل من الزوجين للآخر بقصر لذة الاستمتاع عليه، وجعل ذلك وسيلة للحياة الوالدية التي تنمو بها الأمة، ويحفظ بها النوع الإنساني من الزوال.

﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى﴾ أولاد ﴿مَدْيَنَ﴾ بن إبراهيم عليه السلام ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب، لا في الدين ﴿شُعَيْبًاۚ﴾ بن ثويب بن مدين بن إبراهيم الخليل بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر؛ وهو هود عليه السلام، فبين شعيب وهود على هذا القول ثمانية آباء، وكان شعيب أعمى، وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه. وقال قتادة: أرسل شعيب مرتين: مرة إلى مدين، ومرة إلى أصحاب الأيكة.

قيل: شعيب هو ابن بنت لوط، وقيل: زوج بنته، وهذه مناسبة بين قصته وقصة لوط. وقيل: مدين اسم لقرية شعيب بينها وبين مصر ثمانية مراحل سميت

باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

والمعنى: أرسلنا إلى أهل مدين أخاهم في النسب لا في الدين؛ إذ ﴿قَالَ﴾ شعيب لقومه؛ وهم أهل كفر، وبخس للكيل والميزان ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾؛ أي: ليس لكم إله يستحق العبادة منكم غيره تعالى؛ لأنه خالقكم وموجدكم ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾؛ أي: معجزة واضحة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دالة على صدقي، ولم يذكر هنا ولا في أي سورة من سور القرآن آية معينة لشعيب عليه السلام، ولكن لا بد أن تكون له آية تدل على صدقه، وتقوم بها الحجة عليهم، وليست كل آيات الأنبياء مذكورة في القرآن. وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب بالرسالة إليهم، وقيل: أراد بالبينة الموعظة المذكورة بقوله الآتي: ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ...﴾ الخ. فقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثلها آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»؛ أي: أن كل نبي مرسل أعطاه الله تعالى من الآيات الدالة على صدقه وصحة دعوته ما شأنه أن يؤمن البشر على مثله. والبينة كل ما يتبين به الحق، فتشمل المعجزات الكونية والبراهين العقلية، والأمم القديمة لم تكن تذعن إلا لخوارق العادات.

وكانت عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يبدؤوا في الدعوة بالأهم فالأهم، ولما كانت الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع في نهيهم عما هم عليه من المعاصي، ولما كان المعتاد من أهل مدين البخس في الكيل والوزن.. دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة، وهي تطفيف الكيل والوزن، فقال: ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾؛ أي: أتموا كيل المكيال ووزن الميزان إذا بعتم أموالكم للناس ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾؛ أي: ولا تنقصوا عن الناس أشياءهم وأثمانهم إذا اشتريتم من الناس، أو المعنى[1]: ولا تنقصوا حقوق الناس

---

(١) المراح.

بجميع الوجوه كالغصب والسرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق وانتزاع الأموال بطريق الحيل وقيل: كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه كما يفعل أمراء الجور.

وعبارة المراغي هنا: قوله: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ قد[1] ثنى الله سبحانه وتعالى بالأمر بإيفاء الكيل والميزان إذا باعوا، والنهي عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتوحيد الله؛ لأن ذلك كان فاشياً فيهم أكثر من سائر المعاصي، ومن ثم اهتم به كما اهتم لوط بنهي قومه عن الفاحشة السوء أي التي كانت فاشية فيهم، فقد كانوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس، أو وزنوا عليهم لأنفسهم ما يشترون من المكيلات والموزونات يستوفون حقهم، ويزيدون عليه، وإذا كالوهم، أو وزنوهم ما يبيعون لهم يخسرون الكيل والميزان؛ أي: ينقصونه، فيبخسون أشياءهم، وينقصونهم حقوقهم.

والبخس: يشمل نقص المكيل والموزون وغيرهما من المبيعات كالمواشي والأشياء المعدودة، ويشمل البخس في المساومة والغش والحيل التي تنتقص بها الحقوق، وفي الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل، وقد فشا كل من هذين النوعين في هذا العصر، فكثير من التجار باخسون مطففون فيما يبيعون وما يشترون، وكثير من المشتغلين بالعلوم والآداب والسياسة بَخّاسون لحقوق بني جلدتهم، مُدَّعون للتفوق عليهم، منكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص حسداً عليهم وبغياً. وقد روي أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه، ويقولون: هذه زيوف، فيقطعونها قطعاً، ثم يشترونها منه بالبخس؛ أي: بالنقصان الظاهر، وأعطوه بدلها زيوفاً، وكانت هذه المعصية قد فشت فيهم في ذلك الزمان مع كفرهم الذي نالتهم الرجفة بسببه.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾؛ أي: بعد أن أصلحها الله سبحانه وتعالى ببعثة الرسل، وإقامة العدل، وإفاضة النعم فيها،

---

(١) المراغي.

وكل نبي يبعث إلى قوم فهو صلاحهم، بالإضافة في إصلاحها كإضافة مكر الليل. قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيباً رسولاً تعمل فيها المعاصي، وتستحل فيها المحارم، وتسفك فيها الدماء، فذلك فسادها، فلما بعث الله شعيباً، ودعاهم إلى الله صلحت الأرض؛ لأن بعثة كل نبي إلى قومه فهو صلاحهم.

وحاصل المعنى: أنه[2] سبحانه وتعالى أصلح حال البشر بنظام الفطرة، ومكنهم في الأرض بما آتاهم من القوى العقلية وقوة الجوارح، وبما أودع في خلق الأرض من سنن حكيمة وقوانين مستقيمة، وبما بعث به الرسل من المكملات لنظام الفطرة من آدات وأخلاق، ونظم في المعاملات والاجتماع، وبما أرشد إليه المصلحين من العلماء والحكماء الذين يأمرون بالقسط، ويهدون الناس إلى ما فيه صلاحهم في دينهم، والعاملين من الزراع والصناع والتجار أهل الأمانة والاستقامة الذين ينفعون الناس في دنياهم.

فعليكم أن لا تفسدوا فيها ببغي ولا عدوان على الأنفس والأعراض والأخلاق بارتكاب الإثم والفواحش، ولا تفسدوا فيها بالفوضى وعدم النظام، وبث الخرافات والجهالات التي تقوض نظم المجتمع، وقد كانوا من المفسدين للدين والدنيا كما يستفاد من هذه الآية وما بعدها ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذي أمرتكم به من الإيمان بالله، ووفاء الكيل والميزان، وترك الظلم والبخس ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من الكفر والمعاصي وظلم الناس في دينكم ودنياكم، فإن ربكم لا يأمر إلا بالنافع، ولا ينهى إلا عن الضار، ولأن الناس إذا علموا منكم الوفاء والصدق والأمانة.. رغبوا في المعاملات معكم، فكثرتم أموالكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: مصدقين لي في قولي هذا؛ أي: وإنما يكون ذلك خيراً لكم إن كنتم مؤمنين بوحدانية الله وبرسوله، وبما جاءكم به من شرع وهدى، فالإيمان يقتضي الامتثال والعمل بما جاء به الرسول من عند الله، وإن خالف النفس

(١) القرطبي.
(٢) المراغي.

والهوى. والمؤمن الموحد لا يخضع إلا لربه[1]، وإنما يطيع رسوله؛ لأنه مبلغ عنه كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾

هذا والبشر لم يصلوا في عصر من العصور إلى عشر ما وصلوا إليه في هذا العصر من العلم بالمنافع والمضار، ومعرفة المصالح والمفاسد في المعاملات والآداب، ومع هذا فإن العلم وحده لم يغنم شيئاً، فكثرت في البلاد الجرائم من قتل وسلب وإفساد زرع وفسق وفجور ونحو ذلك مما كان سبباً في تدهور نظم المجتمعات، فلم يبق اليوم من الإسلام إلا رسمه، ولا من الدين إلا اسمه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فخير وسيلة لإصلاح الأمم تربية الأحداث والنابتة تربية دينية بإقناعهم بمنافع الفضائل كالصدق والأمانة والعدل، وإقناعهم بمضار الرذائل؛ لأن الوازع النفسي أقوى من الوازع الخارجي.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾؛ أي: ولا تجلسوا على كل طريق محسوس حالة كونكم توعدون، وتخوفون بالقتل من مر عليكم ممن يذهب إلى شعيب ليؤمن به. وقد روي عن ابن عباس: أن بلادهم كانت خصبة، وكان الناس يمتارون منهم، فكانوا يقعدون على الطريق، ويخوفون الناس أن يأتوا شعيباً، ويقولون لهم إنه كذا فلا يفتننكم عن دينكم؛ أي: يقعدون على الطريق، ويخوفون الغرباء الذين يريدون الإيمان بشعيب بالقتل إن آمن به.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وتمنعون عن طاعة الله وعبادته ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾؛ أي: من آمن بالله أو بشعيب ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: وتطلبون لسبيل الله ودينه زيغاً وميلاً عن الحق، وعدولاً عن القصد والصواب بإلقاء الشكوك والشبهات فيها. وجملة الأفعال الثلاثة ـ التي هي توعدون وتصدون وتبغون ـ أحوال؛ أي: لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين.

والخلاصة: أنه نهاهم عن أشياء ثلاثة:

١ ـ قعودهم على الطرقات التي توصل إليه مخوفين من يجيئه ليرجع عنه

---

(١) المراغي.

قبل أن يراه ويسمع دعوته.

٢ ـ صدهم من وصل إليه وآمن به بصرفه عن الثبات على الإيمان، والاستقامة على الطريق الموصلة إلى سعادة الدارين.

٣ ـ ابتغاؤهم جعل سبيل الله المستقيمة معوجة بالطعن، وإلقاء الشبهات المشككة فيها، أو المشوهة لها، وهم بعملهم هذا ارتكبوا ضلالتين: التقليد والعصبية للآباء والأجداد، وضلالة الغلو في الحرية الشخصية التي أباحت لهم الطعن في الأديان حتى بلغوا في ذلك حد الطغيان.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾؛ أي: وتذكروا الزمن الذي كنتم فيه قليلي العدد ﴿فكثركم﴾ الله سبحانه وتعالى بما بارك في نسلكم، واشكروا له ذلك بعبادته وحده واتباع وصاياه في الحق، والإعراض عن الفساد في الأرض. وقد روي أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط، فولدت له، فرمى الله في نسلهما البركة والنماء فكثروا. وقيل المعنى: إذ كنتم مقلين فقراء، فجعلكم مكثرين موسرين، وقيل: إذ كنتم أذلة قليلي العدد، فأعزكم بكثرة العدد والعدد.

﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: فانظروا وتأملوا نظر اعتبار كيف كان آخر أمر المفسدين في الأرض من الأمم والشعوب المجاورة لكم كقوم نوح وعاد وثمود، وكيف أهلكهم الله بفسادهم وبغيهم في الأرض، فاعتبروا بما حل بهم واحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ﴾؛ أي: جماعة كائنة ﴿مِّنكُمْ﴾ أيها القوم ﴿ءَامَنُوا۟﴾ وصدقوا ﴿بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم من الأحكام والشرائع التي شرعها الله تعالى لكم ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ أخرى منكم ﴿لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ ولم يصدقوا بما أرسلت به إليكم ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾؛ أي: فانتظروا أيها المؤمنون والكافرون من الطائفتين ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم جميعاً من مؤمن وكافر بإعلاء درجات المؤمنين ونصرهم، وبإظهار خزي الكافرين وذلهم ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ أي: أفضلهم وأعلمهم؛ لأنه تعالى حاكم عادل منزه عن الجور لا معقب لحكمه ولا حيف فيه، ولا يخفى ما في هذا من الوعيد والتهديد، وحكم الله بين عباده ضربان:

١ ـ حكم شرعي يوحيه إلى رسله، وعليه جاء قوله تعالى في سورة المائدة بعد الأمر بالوفاء بالعقود وإحلال البهيمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

٢ ـ حكم فعلي يفصل فيه بين الخلق بمقتضى سننه فيهم كقوله في آخر سورة يونس: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

والمعنى: وإن كان جماعة صدقوا بالذي أرسلت به إليكم من إخلاص العبادة لله، وترك معاصيه من ظلم الناس وبخسهم في المكاييل والموازين، واتبعوني في كل ذلك، وجماعة أخرى لم يصدقوني وأصروا على شركهم، وإفسادهم. فاصبروا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم، وهو خير من يفصل، وأعدل من يقضي؛ لتنزهه عن الباطل والجور، وليعتبر كفاركم بعاقبة من قبلهم، وسيحل بهم مثل ما حل بأولئك بحسب السنن التي قدرها العليم الحكيم، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، والله أعلم.

الإعراب

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿ٱلْمَلَأُ﴾. ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من واو ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالُوٓا۟﴾ ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور بدل من الجار والمجرور قبله كقولهم: مررت بزيد بأخيك. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة صلة ﴿من﴾ الموصولة. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿ءَامَنَ﴾. ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالُوٓا۟﴾، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول لـ﴿قالوا﴾. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ﴿صَٰلِحًا﴾: اسمها. ﴿مُّرْسَلٌ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: متعلق به، أو

صفة له، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي علم تقديره: أتعلمون إرسال صالحٍ من ربه. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالُوٓاْ﴾، وإن شئت قلت ﴿إنّ﴾: حرف نصب، و﴿نا﴾: ضمير المتكلمين في محل النصب اسمها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: ﴿أُرْسِلَ﴾ فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿صالح﴾. ﴿به﴾: متعلق بـ﴿أُرْسِلَ﴾ ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصولة. ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ مقول محكي لـ﴿قالوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿نا﴾: اسمها. ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كَٰفِرُونَ﴾. ﴿ءَامَنتُم﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَعَقَرُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿عقروا الناقة﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾. ﴿وَعَتَوْاْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿عقروا﴾. ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿عتوا﴾. ﴿وَقَالُواْ﴾ فعل وفاعل معطوف على ﴿عتوا﴾. ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قالوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿يَٰصَٰلِحُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾. ﴿ٱئْتِنَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿صالح﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ على كونها جواب النداء. ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿ٱئْتِنَا﴾. ﴿تَعِدُنَآ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿صالح﴾ والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما تعدنا إياه. ﴿إنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنتَ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم

بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿كان﴾، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن كنت من المرسلين فائتنا بما تعدنا من العذاب، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿أخذتهم الرجفة﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾. ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿أصبحوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿فِى دَارِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جَٰثِمِينَ﴾. ﴿جَٰثِمِينَ﴾: خبر ﴿أصبح﴾ منصوب بالياء، وجملة ﴿أصبحوا﴾: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾. ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿تولى﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿صالح﴾. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أصبحوا﴾. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿صالح﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿تولى﴾. ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿لَقَدْ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة لقسم محذوف. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿رِسَالَةَ رَبِّى﴾: مفعول ثان ومضاف إليه، والجملة الفعلية جواب للقسم المحذوف، وجملة القسم مع جوابه في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونه جواب النداء. ﴿وَنَصَحْتُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿وَلَٰكِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك. ﴿لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿وَلُوطًا﴾: معطوف على نوحاً؛ أي: وأرسلنا لوطاً أيضاً. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بأرسلنا المحذوف. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿لوط﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿تأتون الفاحشة﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿سَبَقَكُم﴾: فعل ومفعول. ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿سبق﴾. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿أَحَدٍ﴾: فاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿أَحَدٍ﴾.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، و﴿الكاف﴾: اسمها، ﴿لَتَأْتُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿تأتون الرجال﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿شَهْوَةً﴾: مفعول من أجله، أو حال من واو ﴿تأتون﴾؛ أي: مشتهين، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من الواو في ﴿تأتون﴾؛ أي: حال كونكم متجاوزين النساء، أو من الرجال؛ أي: حال كونهم منفردين من النساء. ﴿بَلْ﴾: حرف للاضراب الانتقالي. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر. ﴿مُّسْرِفُونَ﴾: صفته، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: خبرها ومضاف إليه مقدماً على اسمها. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل في محل النصب بـ﴿أَن﴾ المصدرية، والجملة في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَ﴾

مؤخراً تقديره: وما كان جواب قومه إلا قولهم، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة. ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ إلى آخر الآية مقول محكي لـ﴿قَالُوٓا۟﴾، وإن شئت قلت ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾ ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَخْرِجُوهُم﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿أُنَاسٌ﴾: خبرها، وجملة ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ صفة لـ﴿أُنَاسٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قال لهم لوط وما قالوا له، وأردت بيان عاقبة أمره وأمرهم.. فأقول لك، ﴿أنجيناه﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: معطوف على الهاء في ﴿أنجيناه﴾، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: مستثنى ومضاف إليه. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على المرأة. ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: جار ومجرور خبرها، وجملة ﴿كان﴾: مستأنفة استئنافاً بيانياً وقع جواباً عن سؤال نشأ من استثنائها، كأنه قيل: فماذا كان حالها؟ فقيل: كانت من الغابرين. ذكره أبو السعود.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وَأَمْطَرْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق به ﴿مَّطَرًا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة. ﴿فَٱنظُرْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على كل من يصلح للخطاب، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليها وجوباً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: اسمها ومضاف إليه. وفي «الفتوحات»: ﴿كيف﴾ وما في حيزها معلقة للنظر عن العمل،

فهي وما بعدها في محل نصب على إسقاط الخافض، والنظر هنا التفكر، و﴿كَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ واجب التقدم. اهـ «سمين».

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: جار ومجرور متعلق بأرسلنا محذوفاً ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول أرسلنا المحذوف. ﴿شُعَيْبًا﴾: بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان له، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿شعيب﴾، والجملة مستأنفة. ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكُم﴾: خبر مقدم. ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَيْرُهُۥ﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهٍ﴾ تابع لمحله، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: صفة لـ﴿بَيِّنَةٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم مجيء بينة من ربكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: ﴿أوفوا الكيل﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْكَيْلَ﴾، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿أوفوا﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أوفوا الكيل﴾. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق به. ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿لا تفسدوا﴾. ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَّكُمۡ﴾: متعلق بـ﴿خَيۡرٞ﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنتُم﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾: خبره، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية محذوف دل عليها ما قبلها تقديره: إن كنتم مؤمنين فبادروا إلى ما أمرتكم به، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٖ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أوفوا الكيل﴾. ﴿تُوعِدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب حال من واو ﴿تَقۡعُدُواْ﴾. ﴿وَتَصُدُّونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿تُوعِدُونَ﴾. ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تصدون﴾. ﴿مَنۡ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول تصدون. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنۡ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿ءَامَنَ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَتَبۡغُونَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿عِوَجٗاۚ﴾: حال من الهاء، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على ﴿تصدون﴾ على كونها حالاً من واو ﴿تَقۡعُدُواْ﴾. ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أوفوا﴾. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى في محل النصب على الظرفية متعلق بـ﴿اذكروا﴾. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿قَلِيلٗا﴾: خبره، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذۡ﴾. ﴿فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿كثركم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة ﴿كُنتُمۡ﴾. ﴿وَٱنظُرُواْ﴾:

فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أوفوا﴾. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: فعل ناقص واسمه ومضاف إليه و﴿كَيْفَ﴾ معلقة لـ﴿انظروا﴾ عن العمل فيما بعدها، و﴿كَيْفَ﴾ وما في حيزها في محل النصب بإسقاط الخافض كما في «الفتوحات» في هذا الموضع.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

﴿وَإِن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِن﴾: حرف شرط. ﴿كَانَ طَآئِفَةٌ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿مِّنكُمْ﴾: صفة لـ﴿طَآئِفَةٌ﴾. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ءَامَنُوا۟﴾. ﴿أُرْسِلْتُ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾: معطوف على ﴿طائفة﴾. ﴿لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾؛ أي: وإن كانت طائفة منكم مؤمنين بالذي أرسلت به وطائفة غير مؤمنين. ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً، ﴿اصبروا﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها مستأنفة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق به، والجملة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّىٰ﴾ بمعنى إلى، والجار والمجرور متعلق بـ﴿اصبروا﴾، والتقدير: فاصبروا إلى حكم الله بيننا وبينكم. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب حال من الجلالة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: تكبروا، فالسين فيه زائدة.

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾؛ أي: نحروها، وأصل العقر الجرح، وعقر الإبل قطع قوائمها، وكانوا يفعلون ذلك بها قبل نحرها لتموت في مكانها ولا تنتقل. وفي «السمين»: والعقر أصله: كشف العراقيب في الإبل، وهو أن يضرب قوائم البعير أو الناقة، فيقع، وكانت سنتهم في الذبح، ثم أطلق على كل عقر، وإن لم يكن فيه كشف العراقيب تسمية للشيء بما يلازمه غالباً إطلاقاً للسبب على مسببه هذا قول الأزهري. وقال ابن قتيبة: العقر: القتل كيف كان، يقال: عقرتها فهي معقور، وقيل: العقر الجرح. اهـ.

وفي «المصباح»: عقره عقراً ـ من باب ضرب ـ جرحه وعقر البعير بالسيف عقراً ضرب قوائمه به، ولا يطلق العقر في غير القوائم، وربما قالوا: عقره إذا نحره، فهو عقير وجمال عقري. اهـ.

﴿وَعَتَوْاْ﴾؛ أي: تمردوا مستكبرين، والعتو: الامتناع من الشيء: إما عن عجز وضعف ومنه عتا الشيخ عتياً إذا أسن وكبر، وإما عن قوة كعتو الجبارين والمستكبرين، ويقولون: نخلة عاتية إذا كانت عارية يمتنع جناها على من يريدها إلا بمشقة التسلق والصعود.

وفي «الفتوحات»: العتو والعتي النتو؛ أي: الارتفاع عن الطاعة، يقال منه: عتى يعتو عتواً وعتياً بقلب الواوين ياءين، والأحسن فيه إذا كان مصدراً تصحيح الواوين ـ: كقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ـ وإذا كان جمعاً الإعلال: نحو قوم عتي؛ لأن الجمع أثقل، فناسبه الإعلال تخفيفاً، وقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ يحتمل الوجهين. اهـ «سمين».

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الرجفة: المرة من الرجف، وهو الحركة والاضطراب، يقال: رجف البحر إذا اضطربت أمواجه، ورجفت الأرض زلزلت واهتزت، ورجف القلب والفؤاد من الخوف. ﴿فِى دَارِهِمْ﴾ دار الرجل ما يسكنها هو وأهله، ويطلق على البلد؛ وهو المراد هنا.

﴿جَٰثِمِينَ﴾ يقال: جثم الناس إذا قعدوا لا حراك بهم، وفي «السمين» وقال: أبو عبيدة: الجثوم للناس والطير كالبروك للإبل. اهـ. وفي «المصباح»:

جثم الطائر والأرنب يجثم من بابي دخل وجلس جثوماً، وهو كالبروك من البعير، وربما أطلق على الظباء والإبل، والفاعل جاثم وجثام مبالغة، ثم استعير الثاني مؤكداً بالهاء للرجل الذي يلازم الحضر ولا يسافر، فقيل فيه: جثامة وزان علامة ونسابة، ثم سمي به، ومنه الصعب بن جثامة الليثي. اهـ. وفي «القاموس»: جثم إذا لزم مكانه ولم يبرح، أو وقع على صدره. اهـ.

﴿وَلُوطًا﴾ هو[١] لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم عليهما السلام ولد في الطرف الشرقي من جنوب العراق، وكانت تسمى أرض بابل، وكان قد سافر بعد موت والده مع عمه إبراهيم عليه السلام إلى ما بين النهرين، وكان يسمى جزيرة قوراً، وهناك كانت مملكة أشور، ثم أسكنه إبراهيم شرقي الأردن، لجودة مراعيها، وكان في ذلك المكان المسمى بعمق السديم بقرب البحر الميت، أو بحر لوط قرى خمس سكن لوط في إحداها المسماة بسذوم، وكانت تعمل الخبائث، ولا يوجد الآن ما يدل على موضعها بالتحديد، وبعض الناس يقول: إن البحر قد غمرها، ولا دليل لهم على ذلك.

﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ شهوة إما مفعول لأجله، أو مصدر واقع موقع الحال؛ أي: مشتهين ملتذين، أو باق على مصدريته، ناصبه أتأتون؛ لأنه بمعنى: أتشتهون شهوة، ويقال: شَهِيَ يَشْهَى شَهْوةً وشَهَىٰ يَشْهُو شهوة من بابي تعب وعلا. كما في «المصباح».

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ في «المصباح»: غبر غبوراً ـ من باب قعد ـ إذا بقي، ويستعمل فيما مضى أيضاً، فيكون من الأضداد، قال الزبيدي: غبر غبوراً: مكث. اهـ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ قال أبو عبيد[٢]: يقال: مطر في الرحمة، وأمطر في

---

(١) المراغي.

(٢) الفتوحات.

العذاب. وقال الراغب: ويقال: مطر في الخير، وأمطر في العذاب قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ وهذا مردود بقوله تعالى: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فإنهم إنما عتوا بذلك الرحمة، وهو من أمطر رباعياً، ومطر وأمطر بمعنى واحد يتعديان لمفعول واحد، يقال: مطرتهم السماء وأمطرتهم، وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ ضمن معنى أرسلنا، ولذلك عدو يعلى، وعلى هذا فمطراً مفعول به؛ لأنه يراد به الحجارة، ولا يراد به المصدر أصلاً إذا لو كان كذلك؛ لقيل إمطاراً، اهـ «سمين».

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ والكيل[1]: مصدر كنى به عن الآلة التي يكال بها كقوله في هود: ﴿الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾، فطابق قوله: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو باقي على المصدرية، وأريد بالميزان المصدر كالميعاد لا الآلة، فتطابقا، أو حمل الميزان على حذف مضاف؛ أي: ووزن الميزان والكيل على إرادة المكيال، فتطابقا.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقال: بخسه حقه؛ أي: نقصه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا﴾ والإفساد شامل لإفساد نظام الاجتماع بالظلم، وأكل أموال الناس بالباطل، وإفساد الأخلاق والآداب بارتكاب الإثم والفواحش، وإفساد العمران بالجهل وعدم النظم.

﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ وإصلاح الأرض هو إصلاح حال أهلها بالعقائد الصحيحة، والأعمال الصالحة المزكية للأنفس، والأعمال المرقية للعمران المحسنة لأحوال المعيشة. ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ الصراط: الطريق المحسوس.

﴿تُوعِدُونَ﴾؛ أي: تخوفون الناس بالقتل والضرب. وفي «القاموس» الوعيد: التهديد، والتوعد: التهدد كالإيعاد. اهـ. ثم قال: وهدده خوفه. اهـ.

---

(١) البحر المحيط.

﴿إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ يحتمل[1] قلة العدد، ويحتمل قلة المال، ويحتمل قلة القوة التي هي الضعف، فقوله: ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾؛ أي: كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر، وكثركم بالقوة بعد الضعف.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الطباق بين قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا﴾.. و﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا﴾: وبين ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ و﴿كَٰفِرُونَ﴾، وبين ﴿ٱلرِّجَالَ﴾ و﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ في قوله: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾، وبين قوله: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا﴾ وقوله ﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، وفي قوله: ﴿أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ﴾، وفي قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾، وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿فَعَقَرُوا﴾ لأن العاقر واحد منهم، فنسب العقر إلى الكل لرضاهم له نسبة لما للبعض إلى الكل.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾؛ أي: والصيحة من السماء وقد وقع التصريح بها آية أخرى، فكان عذابهم بالرجفة والصيحة، فذكر في كل موضع واحدة منهما اهـ «قاري».

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

ومنها: السخرية والاستهزاء بلوط وأهله في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾

---

(١) الخازن.

ويسمى هذا النوع في علم البديع التعريض بما يوهم الذم، ولذلك قال ابن عباس: عابوهم بما يمدح به، وهذا مثل قول الشاعر:

وَلاَ عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوْفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ اَلْكَتَائِبِ

والله سبحانه وتعالى أعلم(١)

* * *

(١) إلى هنا تم الجزء الثامن من تفسير القرآن العظيم بتوفيق الله الجواد الكريم، فنحمده على إفضاله، ونشكره على نواله، ونصلي ونسلم على صفيه وحبيبه محمد وآله وصحبه صلاة وسلاماً دائمين بدوام جوده وفضله وكرمه وطوله ما تطارد الجديدان، وتطاول المدى والزمان.

وكان الفراغ من مسودة هذا الجزء بالمسفلة حارة الرشد من مكة المكرمة زادها الله شرفاً، ورزقنا الموتَ فيها، في اليوم التاسع عشر من الشهر المبارك الربيع الأول يوم الأربعاء قبيل الغروب من شهور سنة عشر وأربعمئة وألف من الهجرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ـ بتاريخ: ١٩/ ٣/ ١٤١٠هـ، الموافق ١٨/ ١٠/ ١٩٨٩م في شهر أكتوبر.

وكان الانتهاء إلى هذا الموضع في التاريخ المذكور في أعلى الصحيفة بيد مؤلفه: محمد أمين بن عبد الله الأرمي الأثيوبي الهرري الراجي من ربه سبحانه أن يعينه على إكماله، وييسره عليه، ويوفقه لما هو المعنى عنده، ويجعل في عمره البركة إلى تمامه، ويحفظ عليه سمعه وبصره وفهمه وعقله وجسمه وجميع قواه إلى انتهائه، وينفع به من شاء من عباده، ويجعله لهم مرجعاً في علوم كتابه، وذخيرة له عند وفوده إلى دار الآخرة، ويجعله خالصاً مخلصاً لوجهه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

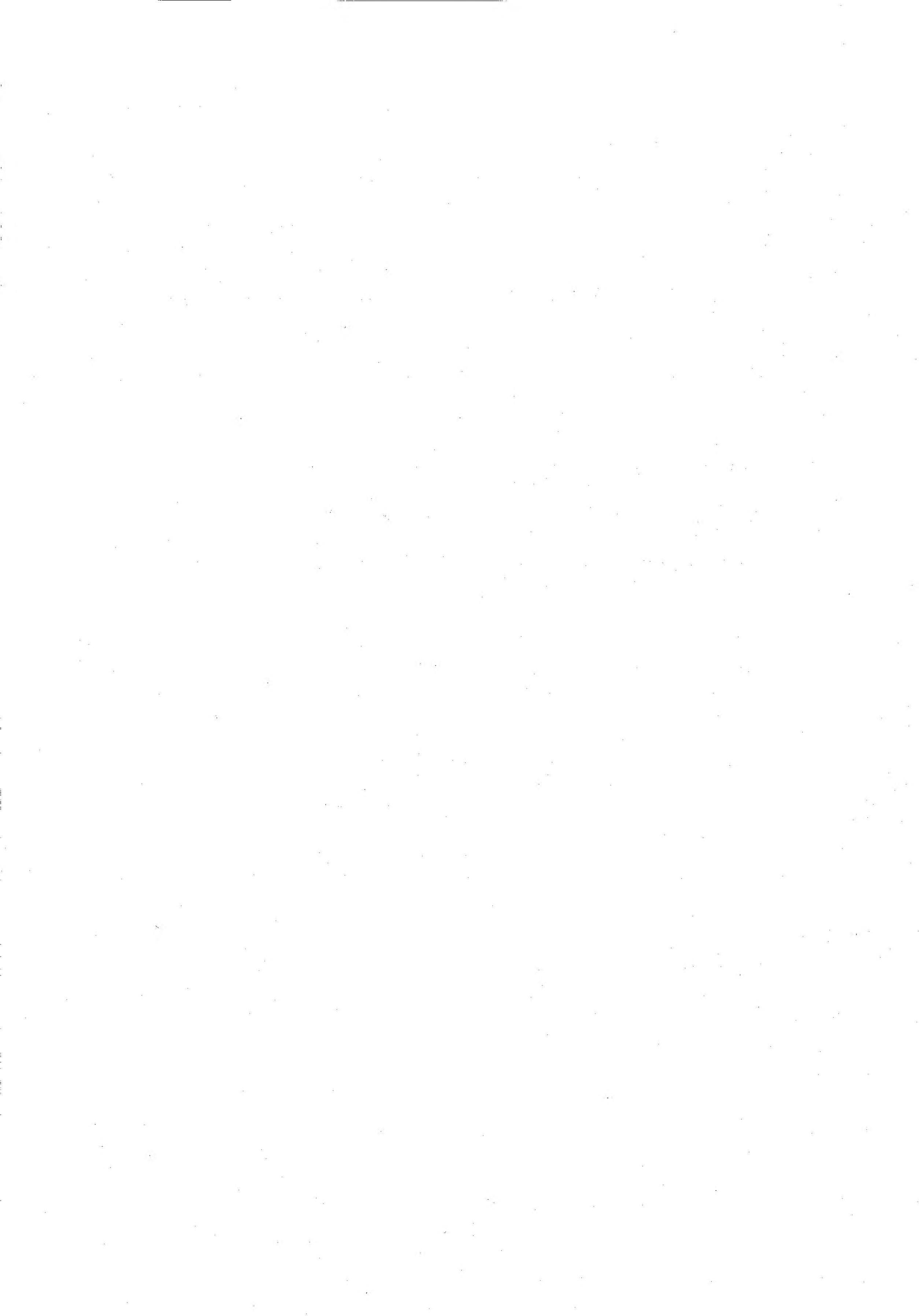
تم المجلد التاسع من شرح حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ويليه المجلد العاشر وأوله قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ...﴾ الآية.

شعرٌ

أُطْلُبْ وَلاَ تَضْجَرَنَّ مِنْ مَطْلَبٍ   فَآفَةُ ٱلطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَا
أَمَا تَرَىٰ ٱلْحَبْلَ بِتَكْرَارِهِ   فِيْ ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّرَا

آخرُ

دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُوْنَ قَدْ بَلَغُوْا   حَدَّ ٱلنُّفُوْسِ وَأَلْقَوْا دُوْنَهُ ٱلأُزُرَا
وَكَابَدُوْا ٱلْجُهْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ   وَعَانَقَ ٱلْمَجْدَ مَنْ وَافَىٰ وَمَنْ صَبَرَا
لاَ تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبْرَا



الفهرس